أهل البيت عليهم السلام

من كتاب أعيان الشيعة

تاريخ وسيرة الأئمة
الحسن، الحسين، السجاد والباقر (ع)

تأليف

الإمام السيد محسن الأمين العاملي

تحقيق

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

الجزء الرابع

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

بيروت - لبنان

أهل البيت عليهم السلام

من كتاب أعيان الشيعة

(٤)

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أهل البيت عليهم السلام

من كتاب أعيان الشيعة

تاريخ وسيرة الأئمة

الحسن، الحسين، السجاد والباقر (ع)

تأليف

الإمام السيد محسن الأمين العاملي

تحقيق
المجمع العالمي لأهل البيت (ع)

الجزء الرابع

المجمع العالمي لأهل البيت (ع)
بيروت - لبنان

شبكة كتب الشيعة
shiabooks.net
mktba.net رابط بديل

اسم الكتاب: اهل البيت عليهم السلام من كتاب أعيان الشيعة (ج ٤)

تاريخ وسيرة الأئمة عليهم السلام: الحسن، الحسين، السجاد والباقر عليهم السلام

المؤلف: الإمام السيد محسن الأمين العاملي
التحقيق: قسم التأليف والتحقيق في المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الموضوع: السيرة والتاريخ
الناشر: المعاونية الثقافية للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

الطبعة: المحققة الأولى
تاريخ النشر: ١٤٣٢ هـ ـ ٢٠١١ م

حقوق الطبع والترجمة محفوظة للمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

www.ahl-ul-bayt.org
E-mail: info@ahl-ul-bayt.org

كلمة المجمع

إنّ تراث أهل البيت عليهم السلام الذي تحتفظ به مدرستهم الرسالية يعبّر عن مدرسة جامعة وشاملة لشتى فروع المعرفة الإسلامية، هذه المدرسة التي قدّمت للأُمّة الإسلامية وللعالم الإسلامي كبار العلماء الذين يسايرون الزمن ويصمدون أمام التحديات ويجيبون على الأسئلة والإثارات العلمية بمنهج علمي موضوعي بما يتناسب والتطورات العلمية والفكرية والثقافية لكل عصر.

والمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام انطلاقاً من مسؤولياته الخطيرة في الدفاع عن مبادىء الرسالة الإسلامية، يتصدى للإثارات التي تصدر من فرق واتجاهات مناوئة للإسلام مقتفياً منهج وخطى أهل البيت عليهم السلام ومدرستهم العلمية الرشيدة التي كانت ومازالت في خط المواجهة الفكرية المستمرة.

إنّ مؤلفات علماء هذه المدرسة ذات رصيد علمي عظيم يحتكم إلى العقل والبرهان، ويتجنب التعصب المذموم، ويخاطب ذوي الاختصاص من علماء ومفكرين بما يستسيغه العقل وتقبله الفطرة الإنسانية. والتجارب التي تختزنها هذه الكتب هي فريدة في نوعها كمّاً وفي غنائها.

والمجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام يقدّم تجاربه الغنيّة في هذا المضمار لطلاب الحقيقة لينهلوا منها باستمرار وذلك من خلال البحوث والمؤلّفات التي يصنّفها العلماء المعاصرون من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام، أو الذين أنعم الله عليهم بالالتحاق بهذه المدرسة المباركة وما قدّموه من بحوث ومؤلفات قيّمة. فضلاً عن ما نشره وحققه من مؤلفات العلماء الأعلام من السلف الصالح، لتكون تلك البحوث والمؤلّفات منهلاً عذباً للنفوس الطالبة للحقّ والباحثة عن الحقيقة.

وقد انبرى المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام للمساهمة في نفض غبار التشويش والتضليل عن تاريخ الرسالة الدامي وعن تاريخ وسيرة الرسول

الأعظم ﷺ وآله الميامين بشكل خاص.

وخير من حقّق وكتب في هذا المضمار من فقهاء وعلماء مدرسة أهل البيت عليهم السلام من المعاصرين آية الله المجدّد السيد محسن الأمين العاملي رحمه الله، وقد بدأ بهذه السيرة العطرة والتفصيليّة في مطلع كتابه القيّم (أعيان الشيعة).

وارتأى المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام أن يقوم بتحقيقها وتخريج مصادرها وإخراجها إلى النور بشكل مستقل وبصورة موسوعة تأريخية ذات أجزاء خمسة تتضمّن عرضاً مستنداً لسيرة المعصومين الأربعة عشر عليهم السلام.

وقد باشر تحقيق وتوثيق الجزء الأوّل منها فضيلة الشيخ عبدالأمير كمال‌وان تصدّى فضيلة السيّد يونس عگلة الموسوي لتوثيق القسم الخاص بالزهراء عليها السلام كما تصدّى الأخ حسين رفعت الصالحي لتخريج بعض نصوص هذا الجزء، وقام فضيلة الشيخ عليّ البهرامي بالتقويم الفني له.

وأما الأجزاء الأربعة التالية فقد اهتمّ بتخريجها السيّد يونس عگلة الموسوي ثم السيّد عبدالرحيم الموسوي الحصيني وأكمل ما تبقّى من تخريجاتها الأخ حسين رفعت الصالحي، كما تولّى هو مقابلتها مع الأخ عزيز العقابي وقد راجعها فضيلة الشيخ عبدالأمير (كمال وان) وقام الأخ قاسم البغدادي بالصف والنضد الالكتروني وإخراجها بشكل فني. وتولّى فضيلة السيّد منذر الحكيم مراجعتها والإشراف العلمي على المشروع بأجزائه الخمسة.

فإليهم جميعاً والى كل من ساهم في انجاح هذا المشروع يقدّم المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام فائق الشكر ويتمنّى لهم من الله جزيل الأجر ودوام التوفيق راجياً إسعاف المدرسة الإسلامية والأمّة الناهضة بما تحتاجه من العلم والمعرفة والله من وراء القصد وهو ولي التوفيق.

المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام

المعاونية الثقافية

سيرة
الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو محمّد الحسن بن علي بن أبي طالب عليه السلام

ثاني أئمة أهل البيت الطاهر وأوّل السبطين سيّدي شباب أهل الجنة ريحانتي المصطفى وأحد الخمسة أصحاب العبا.

أمّه: فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله سيدة نساء العالمين.

مولده الشريف

ولد بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان على الصحيح المشهور بين الخاصة والعامّة[1].

وقيل: في شعبان[2]، ولعلّه اشتباه بمولد أخيه الحسين عليه السلام.

سنة ثلاث أو اثنتين من الهجرة.

وقيل: غيرُ ذلك، ولكن المشهور الأثبت أحد هذين.

وهو أوّل أولاد عليّ وفاطمة عليهما السلام.

روى الكليني في الكافي، عن الصادق عليه السلام، أنّه كان بين الحسن والحسين عليهما السلام طهر واحد وكان بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشر، فالعشر هي أقل الطهر، والستة الأشهر مدة الحمل[3]. وذكر عليّ ابن ابراهيم في تفسيره: إنه كان بينهما طهر واحد، وإنّ الحسين عليه السلام كان في بطن أُمّه ستّة أشهر[4].

---

(١) الإرشاد ٢: ٥، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٠٢، الاستيعاب ١: ٤٣٦.

(٢) الإصابة ١: ٣٢٨ / ترجمة ١١٩، أُسد الغابة ٢: ١٣/ ترجمة ١١٦٥.

(٣) الكافي للكليني: ٤٦٤/١.

(٤) تفسير القمي ٢: ٢٩٧.

ولكن ينافي ذلك ما ذكروه في تاريخ ولادتهما. من أن الحسن عليه السلام ولد منتصف شهر رمضان سنة ثلاث أو اثنتين، والحسين عليه السلام لخمس خلون من شعبان سنة أربع أو ثلاث، فيكون بين ميلاديهما عشرة أشهر وعشرون يوماً وهو الذي اعتمده ابن شهرآشوب في المناقب(١).

وإذا كان ميلاد الحسن عليه السلام سنة اثنتين والحسين عليه السلام سنة أربع، يكون بين ميلاديهما سنة وعشرة أشهر وعشرون يوماً، وهو قريب مما حكي عن قتادة، من أنّ بين ولادتيهما سنة وعشرة أشهر(٢).

فالظاهر أنه وقع اشتباه في نسبة الولادة لستة أشهر الى الحسين، وإنما هي للحسن عليه السلام، فالراوي سمع أنّ بين ولادة الحسن والحمل بالحسين طهر واحد، وأن الحسن ولد لستة أشهر فنسي، ونسبه الى الحسين، أو وقع الاشتباه من الرواة بين الأسمين لتقارب الحروف خصوصاً في الخط القديم، الذي هو بغير نقط، فرتب على هذا الاشتباه أن بينهما في الميلاد ستة أشهر وعشراً، ونسب ذلك الى الصادق عليه السلام ملفقاً من روايتين إحداهما: أن بين الحمل والولادة طهر واحد(٣). هي صواب والثانية: أن الحسين ولد لستة أشهر(٤). وهو اشتباه، وإنما هو للحسن والله أعلم.

وعن الواقدي: أن بين ولادة الحسن والحمل بالحسين خمسين ليلة(٥).

فلمّا ولد الحسن قالت فاطمة لعليّ: سمّه. فقال: ما كنت لأسبق باسمه

---

(١) المناقب: ٢٨/٤ .

(٢) أسد الغابة ٢: ٢٢ / ترجمة ١١٧٣ .

(٣) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٢٠، أسد الغابة ٢: ٢٢ / ترجمة ١١٧٣.

(٤) الكافي للكليني ١: ٤٦٣ ـ ٤٦٤ / ح٢.

(٥) الاستيعاب ١: ٤٤٣ .

رسول الله صلى الله عليه وآله، فجاء النبي صلى الله عليه وآله فأُخرج إليه فقال: «اللهمّ إني أُعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم، وأذّن في أُذنه اليمنى وأقام في اليسري»(١).

وفي أُسد الغابة عن أبي أحمد العسكري سمّاه النبي صلى الله عليه وآله حسناً، ولم يكن يعرف هذا الاسم في الجاهلية(٢).

وروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: «عقّ رسول الله صلى الله عليه وآله عن الحسن بيده وقال: بسم الله عقيقة عن الحسن وقال: اللهمّ عظمها بعظمه ولحمها بلحمه ودمها بدمه وشعرها بشعره اللهمّ اجعلها وقاءً لمحمّد وآله»(٣). وفي رواية «عقّ عنه بكبشين أملحين»(٤). ولعلّ الرواية أنه عقّ عن الحسن والحسين بكبشين أملحين، كما في طبقات ابن سعد(٥) من أنه عق عنهما بكبشين، فوقع اشتباه في النقل.

وأعطى القابلة فخذاً وديناراً، وحلق رأسه، وأمر أن يتصدّق بزنة شعره فضة، فكان وزنه درهماً وشيئاً. وقيل: بل أمر أُمّه أن تفعل ذلك.

قال ابن الصبّاغ: فصارت العقيقة والتصدّق بوزن الشعر سُنّة مستمرة عند العلماء بما فعله النبي صلى الله عليه وآله في حقّ الحسن وطلى رأسه بالخلوق، وقال: «الدم فعل الجاهلية»(٦).

وفي أُسد الغابة بسنده عن أُمّ الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب أنها

---

(١) الأنوار البهيّة: ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) أُسد الغابة ٢: ١٣ / ترجمة ١١٦٥.

(٣) الكافي ٦: ٣٢ ـ ٣٣ / ح١.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٢٦.

(٥) الطبقات الكبرى، الخبر ليس في الطبقات المطبوعة فهو سقط أو مفقود، ولعلّه في الطبعة الخامسة من طبقات أهل المدينة الضائع، وذكر ملخصه في تاريخ مدينة دمشق ١٣: ١٧٢.

(٦) الفصول المهمة لابن الصباغ: ١٤٣.

قالت : يا رسول الله رأيت كأنّ عضواً من أعضائك في بيتي قال : «خيراً رأيت، تلد فاطمة غلاماً فترضعينه بلبن قثم»[١] فولدت الحسن فأرضعته بلبن قثم.

كنيته

«أبو محمّد» لا غير. كنّاه به النبيّ ﷺ، كما في أُسد الغابة عن أبي أحمد العسكري[٢].

لقبه

أشهر ألقابه : التقي، والزكي والسبط[٣] .

نقش خاتمه

في الفصول المهمة : (العزّة لله وحده)[٤]. وفي الوافي وغيره عن الرضا عليه السلام (العزة لله)[٥].

وفي عنوان المعارف للصاحب بن عباد: (الله أكبر وبه أستعين)[٦].

وفي الوافي وغيره عن الصادق عليه السلام : «إنّ نقش خاتم الحسن والحسين عليهما السلام حسبي الله»[٧].

---

(١) أُسد الغابة ٢: ١٢ ـ ١٣ / ترجمة ١١٦٥.

(٢) المصدر السابق: ٣/٢ ترجمة الحسن برقم ١١٦٥.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٥٧، والإرشاد: ٥١٢.

(٤) الفصول المهمة: ١٤٥.

(٥) الوافي ٢٠: ٧٧٧ / ح٢٠٤٨٣، بحار الأنوار ١١: ٦٣ / ح١.

(٦) المصدر غير متوفر.

(٧) الوافي ٢٠: ٧٧٥ / ح ٢٠٤٧٧، الكافي للكليني ٦: ٤٧٣ / ح٢.

بوّابه: سفينة، مولى رسول الله صلى الله عليه وآله[(١)].

ملك عصره: معاوية.

أولاده: كان له خمسة عشر ولداً ما بين ذكر وأُنثىٰ وهم: زيد، أُمّ الحسن، أُمّ الحسين، أُمّهم أم بشير بنت أبي مسعود الخزرجية.

الحسن، أُمّه خولة بنت منضور الفزارية.

عمر، القاسم، عبد الله، أُمّهم أُم ولد.

عبد الرحمن، أُمّه أُم ولد.

الحسين الملقب بالأثرم.

طلحة، فاطمة، أُمّهم أُم إسحاق بنت طلحة بن عبيد الله التميمي.

أُم عبد الله. فاطمة. أُم سلمة. رقية، لأُمّهات شتى.

ولم يعقب منهم غير الحسن وزيد[(٢)].

صفته عليه السلام

في خلقه وحليته: عن الغزالي في الإحياء، والمكّي في قوت القلوب: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال للحسن عليه السلام: «أشبهت خَلقي وخُلقي»[(٣)].

وقال المفيد في الإرشاد: كان الحسن عليه السلام أشبه الناس برسول الله صلى الله عليه وآله خلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً[(٤)].

وفي أُسد الغابة بسنده عن أنس بن مالك: لم يكن أحد أشبه برسول الله من

---

(١) الفصول المهمة: ١٤٥.

(٢) الإرشاد: ٢/٢٠.

(٣) حكاه عنهم ابن شهر آشوب في المناقب ٤: ٢٠ ـ ٢١.

(٤) الإرشاد: ٢/٥.

الحسن بن علي[١] .

وروى البغوي الحسين بن مسعود في كتابه مصابيح السنة عن أنس بن مالك مثله وزاد : وقال في الحسين عليه السلام أيضاً: كان أشبههم برسول الله[٢] .

أقول: قال ذلك أنس لما رأى رأس الحسين عليه السلام بين يدي ابن زياد .

والجمع بين الحديثين يقتضي أن يكون الحسن أشبه الناس به ما عدا الحسين ، والحسين أشبه به ما عدا الحسن، وحاصله أنه لم يكن أحد أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله منهما عليهما السلام .

وقد يجمع بينهما بما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن علي عليه السلام أنه قال: «الحسن أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله ما بين الصدر الى الرأس والحسين أشبه ما أسفل من ذلك»[٣]... الخ.

ويمكن أن يجمع بينهما بأنّ الحسن كان في حياته أشبه برسول الله صلى الله عليه وآله من أخيه الحسين، ومن جميع الناس. وبعد وفاة الحسن عليه السلام صار الحسين عليه السلام أشبه بجدّه من بقية الناس وحاصله أنّ الحسين أشبه به صلى الله عليه وآله بعد الحسن، ولكن قد ينافي ذلك ما حُكي عن الزهراء عليها السلام أنها كانت تُرقص الحسن عليه السلام وتقول :

أشبه أباك يا حسن   واخلع عن الحقّ الرسن
واعبدْ إلهاً ذا منن   ولا توال ذا الأحن

وقالت للحسين عليه السلام :

أنت شبيه بأبي   لست شبيهاً بعلي[٤]

(١) أسد الغابة ٢: ١٥ / ترجمة ١١٦٥.
(٢) مصابيح السنة ٤: ١٨٧ ـ ١٨٨ / ح ٤٨٠٧ و ٤٨٠٨ .
(٣) مسند أحمد: ٩٩/١ ـ ١٠٨ في مسند علي ح ٧٧٦ .
(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٣٨٩ .

مع إمكان الجمع أيضاً بإرادة الشبه من بعض الجهات دون بعض، لا عموم الشبه من جميع الوجوه والله أعلم.

وكيف كان، فمما جاء في صفته عليه السلام ما رواه غير واحد من العلماء منهم ابن الصباغ المالكي في الفصول المُهمّة مرفوعاً الى أحمد بن محمّد بن أيوب المقبري، وغيره قالوا: كان الحسن عليه السلام أبيض اللون مشرّباً بحمرة أدعج[١] العينين سهل الخدين[٢] دقيق المسربة[٣] كث اللحية[٤] ذا وفرة[٥]، كأن عنقه إبريق فضة[٦]، عظيم الكراديس[٧]، بعيد ما بين المنكبين، ربعة ليس بالطويل ولا بالقصير، مليحاً من أحسن الناس وجهاً، وكان يخضب بالسواد، وكان جعد الشعر[٨] حسن البدن[٩].

وقال ابن سعد: كان الحسن والحسين يخضبان بالسواد[١٠]... الخ.

صفته في أخلاقه وأطواره

ذكر غير واحد من العلماء أن الحسن عليه السلام كان من أوسع الناس صدراً

---

(١) الدعج: شدة سواد العين مع سعتها.

(٢) سهلتهما أي سائل الخدين غير مرتفع الوجنتين.

(٣) بفتح الميم وضم الراء الشعر المستدق الذي يأخذ من الصدر الى السرة.

(٤) كثير شعرها.

(٥) الوفرة الشعر الى شحمة الأذن.

(٦) أي سيف فضة في البريق واللمعان وكذلك كانت صفة النبي صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام.

(٧) كل عظمين التقيا في مفصل. فهو كردوس مثل المنكبين والركبتين.

(٨) الجعد ضد السبط.

(٩) الفصول المهمة: ١٤٥.

(١٠) في الطبعة الخامسة من الطبقات الكبرى. وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٦٣.

وأسجحهم خلقاً.

وقال المدائني: كان الحسن عليه السلام أكبر ولد عليّ وكان سيّداً سخيّاً حليماً وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يحبّه[١].

وروىٰ الصدوق في الأمالي بإسناده عن الصادق عن أبيه عن جده عليه السلام: «إنّ الحسن بن عليّ بن أبي طالب كان أعبد الناس في زمانه، وأزهدهم وأفضلهم وكان إذا حجّ، حجّ ماشياً وربما مشىٰ حافياً، ولا يمرّ في شيء من أحواله إلّا ذكر الله سبحانه، وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً[٢]، وكان إذا بلغ باب المسجد رفع رأسه ويقول: إلهي ضيفك ببابك يا محسن قد أتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم»[٣].

وعن الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش: روت زينب بنت أبي رافع قالت: أتت فاطمة عليها السلام بابنيها الى رسول الله في شكواه التي توفي فيها فقالت: يا رسول الله هذان ابناك فورّثهما شيئاً. فقال: أما حسن فإنّ له هيبتي وسؤددي، وأما حسين فإنّ له جرأتي وجودي»[٤]... الخ.

قال الطبرسي في إعلام الورى: ويصدق هذا الخبر ما رواه محمّد بن إسحاق قال: ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ما بلغ الحسن بن عليّ، كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس انقطع الطريق، فما يمرّ أحد من خلق الله إجلالاً له فإذا علم قام ودخل بيته، فيمرّ الناس. قال الراوي: ولقد رأيته في طريق مكة نزل عن راحلته فمشى فما من خلق الله أحد إلّا نزل

---

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ٢٧/١٦.

(٢) أمالي الصدوق: ٢٤٤ / ح ٢٦٢.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٤.

(٤) المصدر غير موجود وحكاه عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٦: ١٠.

ومشى حتى رأيت سعد بن أبي وقاص قد نزل ومشى الى جنبه(١).

وعن واصل بن عطاء: كان الحسن بن عليّ عليه السلام عليه سيماء الأنبياء وبهاء الملوك(٢).

قال المفيد في الارشاد: كان الحسن بن عليّ وصي أبيه أمير المؤمنين ووصّاه بالنظر في وقوفه وصدقاته، وكتب إليه عهداً مشهوراً ووصيّة ظاهرة في معالم الدين، وعيون الحكمة، والآداب، وقد نقل هذه الوصيّة جمهور العلماء واستبصر بها في دينه ودنياه كثير من الفقهاء(٣).

فضائل الحسن والحسين عليهما السلام

أما شرف النسب فكفاهما أنّ جدّهما محمّد المصطفى سيّد ولد آدم صلى الله عليه وآله، وأبوهما عليّ المرتضى سيّد الأوصياء وأمّهما فاطمة البضعة الزهراء سيّدة النساء.

وجدّتهما خديجة بنت خويلد أوّل نساء هذه الأمّة إسلاماً وأوّل امرأة بذلت أموالها في سبيل الله، وأعانت رسول الله صلى الله عليه وآله جهدها على تبليغ رسالته وخفّفت من آلامه لأذى قومه(٤).

وعمّهما جعفر، وعمّ أبيهما حمزة أسد الله وأسد رسوله صلى الله عليه وآله وسيّد الشهداء، وجدّهما أبو طالب ناصر رسول الله صلى الله عليه وآله، والمدافع عنه والمتحمّل الأذى في سبيله.

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤١٢ ـ ٤١٣.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٩.

(٣) الإرشاد: ٢/٧.

(٤) مقاتل الطالبين: ٥٧.

وجدّ أبيهما عبد المطّلب شيبة الحمد وسيّد البطحاء.

وجدّ جدّهما هاشم مطعم الحجيج، وهاشم الثريد، وسيّد قريش:

شرف تورّث كابراً عن كابر   كالرمح أنبوباً على أنبوب

خير الفروع فروعهم   وأُصولهم خير الأُصول

وقال رسول الله ﷺ: «إنّ الله تعالى جعل ذرّية كلّ نبيّ من صلبه خاصة، وجعل ذرّيتي من صلب عليّ بن أبي طالب»[1]... الخ. فكانت ذرّيته منحصرة في الحسن والحسين وأبنائهما.

وروى النسائي في الخصائص وابن عبد البر في الاستيعاب بالاسناد عن أبي سعيد الخدري في حديث: قال رسول الله ﷺ: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة[2].

وروى النسائي بسنده عن أنس بن مالك قال: دخلت ـ أو ربّما دخلت ـ على رسول الله ﷺ، والحسن والحسين ينقلبان على بطنه، ويقول: «ريحانتاي من هذه الأُمّة»[3].

وفي أُسد الغابة بإسناده عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبيّ ﷺ، قال نزلت هذه الآية على النبيّ ﷺ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[4] في بيت أُمّ سلمة فدعا النبيّ ﷺ فاطمة وحسناً وحسيناً فجلّلهم بكساء وعليّ خلف ظهره ثم قال: «اللهمّ هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرّجس وطهرهم تطهيراً».

---

(١) الفضائل لابن شاذان: ١٥٤، نيل الأوطار ٦: ١٣٩.

(٢) الخصائص للنسائي: ١٩١ ح ١٤٠، تحقيق جعفر الحسيني، والإستيعاب ١: ٤٤١.

(٣) الخصائص للنسائي: ١٩٤ ح ١٤٤.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

قالت أمّ سلمة: وأنا معهم يا رسول الله. قال : «أنت على مكانك أنت الى خير»(١).

وبإسناده عن زيد بن أرقم : قال رسول الله ﷺ : «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا. أحدهما أعظم من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما»(٢)... الخ .

شدّة حبّ النبيّ ﷺ لهما

ووجوب محبتهما على كلّ واحد، وإنّ حبّهما حبّ رسول الله ﷺ، وإنّ بغضهما بغضه

قال المفيد في الإرشاد : وكانا حبيبيّ رسول الله ﷺ بين جميع أهله(٣) .

وروى الترمذي في صحيحه بسنده عن أنس بن مالك، سئل رسول الله ﷺ : أيّ أهل بيتك أحبّ إليك؟ قال : «الحسن والحسين» وكان يقول لفاطمة : «ادعي لي ابنيّ» فيشمّهما ويضمّهما إليه(٤).

وروى النسائي في الخصائص بسنده عن أسامة بن زيد عن النبيّ ﷺ أنّه قال في الحسن والحسين عليهما السلام وهما على وركيه : «هذان ابناي وابنا ابنتي اللهمّ إنّك تعلم أنّي أحبّهما فأحبّهما»(٥) (ورواه) في أسد الغابة بسنده عن النبيّ ﷺ مثله(٦).

وفي الاستيعاب : روي عن النبيّ ﷺ من وجوه أنّه قال في الحسن

(١) أسد الغابة: ١ / ترجمة الإمام علي ٢٧٨٢ باب فضائله.

(٢) أسد الغابة: ١٢/٢، ترجمة الحسن بن علي ١١٦٥ .

(٣) الإرشاد: ٢٧/٢ .

(٤) صحيح الترمذي: ٣٠٦/٢ كتاب المناقب باب ٣١، مناقب الحسن والحسين ح٣٧٧٢.

(٥) الخصائص للنسائي: ١٩٠ ح ١٣٩.

(٦) أسد الغابة: ٣ / ٥١١.

والحسين : «اللهمّ إنّي أُحبّهما فأحبّهما، وأحبب من يحبّهما»(١).

وفي الإصابة وعند أحمد من طريق عبد الرحمن بن مسعود عن أبي هريرة: خرج علينا رسول الله ﷺ ومعه الحسن والحسين، هذا على عاتقه، وهذا على عاتقه، وهو يلثم هذا مرّة وهذا مرّة حتى انتهى إلينا فقال : «مَن أحبّهما فقد أحبّني، ومن أبغضهما فقد أبغضني»(٢).

وقال ﷺ : «مَن أحبّ الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبّه الله، ومن أحبّه الله أدخله الجنّة، ومن أبغضهما أبغضته، ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله النار»(٣).

وروى أبو عمرو الزاهد في كتاب اليواقيت عن زيد بن أرقم: كنت عند النبيّ ﷺ في مسجده فمرّت فاطمة عليها‌السلام خارجة من بيتها الى حجرة رسول الله ﷺ ومعها الحسن والحسين عليهما‌السلام، ثم تبعها عليّ عليه‌السلام ، فرفع رسول الله ﷺ رأسه إليّ فقال : «من أحبّ هؤلاء فقد أحبّني، ومن أبغض هؤلاء فقد أبغضني»(٤).

وعن زيد بن أرقم : إنّ النبيّ ﷺ قال لعليّ وفاطمة والحسن والحسين: «أنا سلم لمن سالمتم، وحرب لمن حاربتم»(٥).

وعن أسلم: رأيت الحسن والحسين على عاتق رسول الله ﷺ فقلت: نعم الفرس لكما، فقال رسول الله ﷺ : «ونعم الفارسان هما»(٦).

---

(١) الاستيعاب ١: ٤٤١.

(٢) الإصابة ١: ٣٢٨ ـ ٣٢٩ / ترجمة ١٧١٩.

(٣) مستدرك الصحيحين: ١٦٦/٣ .

(٤) ذخائر العقبى: ١٢٣ باب ٩ .

(٥) صحيح الترمذي: ٣١٩/٢ باب ٦١ فضائل فاطمة ح ٣٨٧٠.

(٦) الكامل في ضعفاء الرجال ٢: ٣٦٢، نظم درر السمطين: ٢١١ .

وروى الترمذي، والنسائي في صحيحيهما بالإسناد الى بريدة : كان رسول الله صلى الله عليه وآله يخطب، فجاء الحسن والحسين وعليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران، فنزل رسول الله صلى الله عليه وآله من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه، ثم قال : «صدق الله ﴿إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ﴾[1] نظرت الى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما»[2].

جوامع مناقبهما

روي أنّ الحسن والحسين عليهما السلام مرّا على شيخ يتوضأ ولا يحسن الوضوء، فاظهرا تنازعاً يقول كل منهما للآخر : «أنت لا تحسن الوضوء وقالا: أيّها الشيخ كن حكماً بيننا»، فتوضأ وقالا : «أيّنا يحسن الوضوء؟» فقال الشيخ: كلاكما تحسنان الوضوء، ولكن هذا الشيخ الجاهل هو الذي لم يحسن. وقد تعلّم الآن منكما وتاب على يديكما ببركتكما وشفقتكما على أمّة جدّكما[3].

وقال مدرك بن زياد لابن عباس وقد أمسك للحسن، ثم للحسين بالركاب وسوّى عليهما ثيابهما : أنت أسن منهما تمسك لهما بالركاب؟! فقال : يا لكع وما تدري من هذان؟ هذان ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله ، أوليس مما أنعم الله عليَّ به أنْ أمسك لهما وأُسوّي عليهما»[4].

وفي تذكرة الخواص في أفراد البخاري عن ابن عباس : كان رسول الله

---

(١) الأنفال: ٢٨.

(٢) سنن الترمذي ٥: ٦١٦ ـ ٦١٧ / ح ٣٧٧٤، باب ٣١، من كتاب المناقب، سنن النسائي ١: ٥٥١ ح ١٧٩٠، باب ٢٥ من كتاب صلاة العيدين.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٤٠٠ .

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٣: ٤٠٠.

يعوّذ الحسن والحسين فيقول : «أُعيذكما بكلمات الله التامّة من كل شيطان وهامّة، ومن كل عين لامّة»، ويقول : «إن أباكما إبراهيم كان يُعوّذ بها إسماعيل، وإسحاق»[١] .

مناقب الحسن عليه السلام وشدّة محبة النبيّ صلى الله عليه وآله له

في تذكرة الخواص: روى أحمد بن حنبل في المسند بسنده عن البراء بن عازب : رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله واضعاً الحسن على عاتقه وهو يقول : «اللهمّ إنّي أحبّه فاحبّه» ـ متّفق عليه ـ وفي رواية «فأحبّ من يحبّه»[٢].

ورواه أبو نعيم في الحلية بسنده عن البراء إلاّ أنه قال : «من أحبّني فليحبّه»[٣].

وروى أحمد بن حنبل بسنده عن أبي هريرة في حديث فجاء النبيّ فجلس بفناء بيت فاطمة عليها السلام . الى أن قال : فجاء الحسن يشتدّ حتى عانقه وقبّله، وقال : «اللهمّ أحبّه وأحبّ من يحبّه»[٤] ـ متفق عليه ـ.

وعن كتاب بشارة المصطفى عن يعلى بن مرّة قال : خرجنا مع النبيّ وقد دُعي الى طعام فإذا الحسن عليه السلام يلعب في الطريق فأسرع النبيّ صلى الله عليه وآله أمامَ القوم، ثم بسط يده فجعل يمر مرة هاهنا ومرة هاهنا يضاحكه حتى أخذه فجعل إحدى يديه في رقبته والأُخرى على رأسه ثم اعتنقه فقبّله، ثم قال صلى الله عليه وآله : «حسن منّي وأنا منه أحبّ الله من أحبّه»[٥]... الخ .

---

(١) تذكرة الخواص : ١٩٤ .

(٢) تذكرة الخواص : ١٩٤.

(٣) حلية الأولياء ٢: ٣٥.

(٤) مسند أحمد: ٢/٣٨٨.

(٥) بشارة المصطفى: ٢٤٧ .

سخاء الحسن عليه السلام

روى أبو نعيم في الحلية: إنّ الحسن بن عليّ عليه السلام قاسم الله ماله نصفين. وبسنده: خرج الحسن بن عليّ من ماله مرّتين، وقاسم الله تعالىٰ ماله ثلاث مرّات، حتى إن[1] كان لَيُعطي نعلاً ويمسك نعلاً، ويعطي خفّاً ويمسك خفّاً[2].

وذكر مثله محمّد بن حبيب في أماليه[3].

وذكر ابن سعد في الطبقات: إنّه قاسم الله ماله ثلاث مرّات، حتى كان يعطي نعلاً ويمسك نعلاً، وخرج من ماله لله تعالىٰ مرّتين[4].

وفي شرح النهج: روىٰ أبو جعفر محمّد بن حبيب في أماليه: ان الحسن عليه السلام أعطى شاعراً فقال له رجل من جلسائه : سبحان الله! أتُعطي شاعراً يعصي الرحمن ويقول البهتان؟! فقال : «يا عبد الله إن خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك وان من ابتغاء الخير اتّقاء الشر»[5].

وروى ابن شهرآشوب في المناقب: إنّ رجلاً سأله فأعطاه خمسين ألف درهم وخمسمائة دينار، وقال: «ائت بحمّال يحمل لك»، فأتى بحمال فأعطاه طيلسانه، وقال: «هذا كرى الحمّال».

وجاءه بعض الأعراب فقال : «اعطوه ما في الخزانة». فوجد فيها عشرون ألف درهم فدفعها إليه، فقال الأعرابي : يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي

---

(١) في المصدر [إنه].

(٢) حلية الأولياء ٢: ٣٧ ـ ٣٨.

(٣) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٠.

(٤) ترجمة الإمام الحسن غير موجودة في المطبوع. نقله عنه سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: ١٩٦ ط. مكتبة نينوى ـ طهران.

(٥) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٠.

وأنشر مدحتي؟

فأنشا الحسن عليه السلام يقول: نحن أُناس نوالنا خضل... الأبيات الآتية.

وروى المدائني قال: خرج الحسن والحسين وعبد الله بن جعفر حُجّاجاً ففاتتهم أثقالهم، فجاعوا وعطشوا فرأوا عجوزاً في خباء، فاستسقوها فقالت: هذه الشويهة احلبوها، وامتذقوا لبنها. ففعلوا واستطعموها، فقالت: ليس إلّا هذه الشاة فليذبحها أحدكم، فذبحها أحدهم وكشطها، ثم شوت لهم من لحمها فأكلوا وقالوا عندها، فلمّا نهضوا قالوا: «نحن نفر من قريش نريد هذا الوجه فإذا عدنا فالمّي بنا فإنا صانعون بك خيراً». ثم رحلوا فلمّا جاء زوجها أخبرته فقال: ويحك! تذبحين شاتي لقوم لا تعرفينهم، ثم تقولين: نفر من قريش؟!

ثم مضت الأيام فأضرّت بها الحال فرحلت حتى اجتازت بالمدينة، فرآها الحسن عليه السلام فعرفها فقال لها: «أتعرفينني» قالت: لا، قال: «أنا ضيفك يوم كذا وكذا» فأمر لها بألف شاة، وألف دينار وبعث معها رسولاً الى الحسين عليه السلام فأعطاها مثل ذلك، ثم بعثها الى عبدالله بن جعفر فأعطاها مثل ذلك[1].

تواضعه عليه السلام

حكى ابن شهرآشوب في المناقب عن كتاب الفنون وكتاب نزهة الأبصار: إنّ الحسن عليه السلام مرّ على فقراء وقد وضعوا كسيرات على الأرض وهم قعود يلتقطونها ويأكلونها، فقالوا له: هلّم يا ابن بنت رسول الله الى الغداء، فنزل وقال: «فإنّ الله لا يحب المتكبرين» وجعل يأكل معهم ثم دعاهم الى ضيافته وأطعمهم، وكساهم[2].

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب: ١٦/٤ ـ ١٧ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب: ٢٣/٤.

أخباره

إرسال عليّ ابنه الحسن عليه السلام الى الكوفة قبل حرب الجمل. لمّا خرج أميرالمؤمنين عليه السلام الى العراق في أثر أصحاب الجمل، ووصل الى الربذة، بعث عبد الله بن عباس، ومحمّد بن أبي بكر الى أبي موسى الأشعري، الى الكوفة لمّا بلغه أنّ أبا موسى يخذّل أهلها عن اللحاق به، وكان والياً عليها من قبل عثمان فأقرّه عليّ فأبطأ عليه الرجلان، قال أبو مخنف: فلمّا أبطأ ابن عبّاس وابن أبي بكر عن عليّ ولم يدر ما صنعا، رحل عن الربذة الى ذي‌قار فنزلها وبعث الى الكوفة الحسن ابنه، وعمّار بن ياسر، وزيد بن صوحان، وقيس بن سعد بن عبادة، ومعهم كتاب الى أهل الكوفة، فأقبلوا حتى كانوا بالقادسية فتلقّاهم الناس فلما دخلوا الكوفة قرأوا كتاب عليّ عليه السلام[1].

خطبة الحسن عليه السلام بالكوفة

قال أبو مخنف : لمّا دخل الحسن وعمّار الكوفة اجتمع إليهما الناس، فقام الحسن فاستنفر الناس، فحمد الله وصلّى على رسوله، ثم قال : «أيّها الناس، إنا جئنا ندعوكم الى الله والى كتابه وسنة رسوله، والى أفقه من تفقّه من المسلمين، وأعدل مَن تعدلّون، وأفضل من تفضّلون، وأوفى مَن تبايعون، مَن لم يَعيه[2] القرآن، ولم تجهله السنّة ولم تقعد به السابقة، الى مَن قرّبه الله تعالى و[3]رسوله قرابتين: قرابة الدين وقرابة

(١) كتاب الجمل وصفّين والنهروان لأبي مخنف: ١٢٧ ـ ١٣٣ باختصار، وعنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٨ ـ ١٠.

(٢) في المصدر [يَعِبه].

(٣) في المصدر [الى].

الرّحم، الى مَن سبق الناس الى كلّ مأثرة، الى مَن كفى الله به رسوله والناس متخاذلون، فقرب منه وهم متباعدون، وصلّى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم محجمون، وصدّقه وهم يكذّبون، الى مَن لم تُردّ له[1] ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصر، ويدعوكم الى الحقّ، ويأمركم بالمسير إليه، لتؤازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثّلوا بعمّاله، وانتهبوا بيت ماله. فاشخصوا إليه رحمكم الله، فمُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، واحضُروا بما يحضر به الصالحون»[2].

قال أبو مخنف : ولمّا فرغ الحسن بن عليّ من خطبته، قام بعده عمّار فخطب خطبة، حثّ فيها الناس على الخروج الى أميرالمؤمنين عليه السلام، فلمّا سمع أبو موسى خطبة الحسن وعمّار، قام فصعد المنبر، وخطب خطبة طويلة خذّل فيها الناس عن عليّ وبالغ في ذلك، فردّ عليه عمّار ثم جذبه فنزل عن المنبر[3]... الخ .

وقال الطبري في تاريخه: إنّ عليّاً عليه السلام أرسل ابن عباس من ذي قار الى الكوفة فلقي أبا موسى واجتمع الرؤساء فخطبهم أبو موسى وخذّلهم، فرجع ابن عباس الى عليّ عليه السلام فأخبره، فدعا الحسن ابنه وعمّار بن ياسر وأرسلهما الى الكوفة، فلمّا قدماها خرج أبو موسى، فلقي الحسن عليه السلام فضمّه إليه وقال لعمّار : يا أبا اليقظان أعدوت فيمن عدا على أميرالمؤمنين، وأحللت نفسك مع الفجّار؟! قال: لم أفعل ولم يسؤني، فقطع عليهما الحسن الكلام، وقال: «يا

---

(١) في المصدر [رواية] بعد [ترد].

(٢) كتاب الجمل وصفّين والنهروان لأبي مخنف: ١٣٥، وعنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٤: ١١ .

(٣) كتاب الجمل وصفّين والنهروان لأبي مخنف: ١٤٢، وعنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٤: ١٤ باختصار .

أباموسى لِمَ تثبّط الناس عنّا؟! فوالله ما أردنا إلّا الإصلاح وما مثل أميرالمؤمنين يخاف على شيء» .

قال أبو موسى: صدقت بأبي وأُمّي، ولكن المستشار مؤتمن، فغضب عمّار وردّ عليه، فقام رجل من بني تميم ورد على عمّار، وثار زيد بن صوحان وطبقته فانتصروا لعمّار وصعد أبو موسى المنبر، فقام شبث بن ربعي وردّ على زيد، وقام الحسن بن عليّ فقال : «أيّها الناس أجيبوا دعوة إمامكم، وسيروا الى إخوانكم فإنّه سيوجد لهذا الأمر مَن ينصره، والله لأنْ يليه أُولو النهي أمثل في العاجلة، وخير في العاقبة، فأجيبوا دعوتنا وأعينونا على أمرنا أصلحكم الله»(١).

وأتت الأخبار عليّاً عليه السلام باختلاف الناس بالكوفة فقال للأشتر : «أنت شفعت في أبي موسى أنْ أقره على الكوفة، فاذهب فأصلح ما أفسدت» فأقبل الأشتر حتى دخل الكوفة ووصل القصر فاقتحمه، وأبو موسى يخطب الناس على المنبر ويثبّطهم، وعمّار يخاطبه والحسن يقول له: «اعتزل عملنا وتنحّ عن منبرنا لا أمّ لك»، إذ دخل غلمان أبي موسى يقولون: هذا الأشتر قد جاء فدخل القصر فضربنا، وأخرجنا، فنزل أبو موسى من المنبر(٢).

أخباره في حرب صفّين

حضر الحسن والحسين عليهما السلام مع أبيهما حرب الجمل، وصفّين، والنهروان، ولم يكن يأذن لهما في مباشرة القتال .

في نهج البلاغة : من كلام له عليه السلام في بعض أيّام صفّين، وقد رأى الحسن

(١) تاريخ الأمم والملوك ٣: ٤٩٧ ـ ٤٩٩ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٣: ٥٠٠ ـ ٥٠١ بتصرف وعنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٤: ٢٠ ـ ٢١ .

ابنه عليه السلام يتسرّع الى الحرب : «املكوا عنّي هذا الغلام لا يَهُدّني، فإنّني[1]، أنفس بهذين - يعني الحسن والحسين عليهما السلام - على الموت لئلّا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله»[2] ...الخ.

وفي هذا دلالة على أن الحسنين عليهما السلام نسل رسول الله صلى الله عليه وآله وولداه وابناه مع ما دلت عليه آية المباهلة : ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾[3] وإنّما عنى الحسن والحسين[4] ، وسمّى الله تعالى عيسى ذرّية إبراهيم عليه السلام في قوله : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ...﴾ - الى أن قال - : وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ﴾[5] فأما قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾[6] فإنّما عنى به زيد بن حارثة لأنهم كانوا يقولون: إنّه ابن محمّد .

ومن اخباره يوم صفّين، ما ذكره نصر بن مزاحم في كتاب صفّين قال: أرسل عبيد الله بن عمر الى الحسن بن عليّ عليه السلام أن لي إليك حاجة فألقني، فلقيه الحسن عليه السلام، فقال له عبيدالله: إنّ أباك قد وتر قريشاً أوّلاً وآخراً، وقد شنئه[7] الناس فهل لك [في خلعه، وأن تتولى أنت][8] هذا الأمر ؟ فقال: «كلا والله لا يكون ذلك»، ثم قال: «[يا ابن الخطاب والله][9] لكأني أنظر إليك مقتولاً في يومك أو

---

(١) في المصدر [فإنّني]، نهج البلاغة: ٣٢٣ خطبة ١٠٧ .

(٢) نهج البلاغة: ٣٢٣ خطبة ١٠٧.

(٣) آل عمران: ٦١ .

(٤) تفسير القمي ١: ١٠٤، التفسير الكبير ٨: ٨٠.

(٥) الأنعام: ٨٤ـ ٨٥.

(٦) الأحزاب: ٤٠ .

(٧) في المصدر [شنئوه] .

(٨) في المصدر [أن تخلفه ونوليك] .

(٩) ليست في المصدر.

غدك، أما إنّ الشيطان قد زيّن لك وخدعك، حتى أخرجك مخلّقاً بالخلوق، ترى نساء أهل الشام موقفك، وسيصرعك الله، ويبطحك لوجهك قتيلاً».

قال نصر: فوالله ماكان إلّا بياض ذلك اليوم حتى قُتل عبيد الله، فمرّ الحسن عليه السلام فإذا رجل متوسّد رِجل قتيل قد ركز رمحه في عينه، وربط فرسه برجله، فقال الحسن عليه السلام لمن معه: «انظروا مَن هذا» فإذا رجل من همدان، وإذا القتيل عبيد الله بن عمر بن الخطاب، قد قتله الهمداني في أوّل الليل وبات عليه حتى أصبح[1]... الخ. وقول عبيد الله هذا للحسن عليه السلام خداع ماكان لينطلي على الحسن.

جعل عليّ عليه السلام الولاية في أوقافه للحسن ثم للحسين عليهما السلام

جعل أميرالمؤمنين عليّ الولاية في أوقافه لابنه الحسن وبعده لأخيه الحسين عليهما السلام.

فقال في كتاب الوقف الذي رواه السيد الرضي في نهج البلاغة:

«هذا ما أمر به عبد الله عليّ بن أبي طالب أميرالمؤمنين في ماله، ابتغاء وجه الله، فإنّه يقوم بذلك الحسن بن عليّ يأكل منه بالمعروف، وينفق منه بالمعروف، فإنْ حدث بحسن حدث وحسين حيّ، قام بالأمر بعده وأصدر مصدره. وإنّ لبني فاطمة من صدقة عليّ مثل الذي لبني عليّ وأني إنّما جعلت القيام بذلك الى ابني فاطمة ابتغاء وجه الله، وقربةً الى رسول الله صلى الله عليه وآله، وتكريماً لحرمته وتشريفاً لوصلته»[2].

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٢٩٧ ـ ٢٩٨ بتفاوت يسير باللفظ.

(٢) نهج البلاغة: ٣٧٩ / كتاب ٢٤ من وصاياه.

وصايا عليّ لولده الحسن عليه السلام

كتب أمير المؤمنين لولده الحسن وصية جليلة عظيمة طويلة، بعد منصرفه من صفّين مذكورة في نهج البلاغة[1]، ووصاياه لابنه الحسن، وله وللحسين عليه السلام في نهج البلاغة كثيرة.

وصية عليّ عليه السلام لولده الحسن عليه السلام عند وفاته: كان الحسن عليه السلام وصيّ أبيه أوصى إليه ـ لمّا ضربه ابن ملجم ـ بالوصية التي ذكرها أبو الفرج الإصبهاني في مقاتل الطالبيين فقال فيها: «أُوصيك يا حسن وجميع ولدي»[2]... الخ.

ما فعله الحسن قبيل مقتل أبيه عليه السلام الى ما بعد دفنه

روى الطبري بإسناده عن أبي عبدالرحمن السلمي قال: قال لي الحسن ابن عليّ عليه السلام: «خرجت وأبي يُصلّي في المسجد، فقال لي: يا بني إني بت الليلة أو قظ أهلي لأنها ليلة الجمعة لتسع عشرة[3] ليلة خلت من شهر رمضان. ـ الى أن قال ـ قال الحسن عليه السلام: وجاء ابن أبي الهياج فأذنه بالصلاة، فخرج وخرجت خلفه، فاعتوره الرجلان فأمّا أحدهما فوقعت ضربته في الطاق، وأما الآخر فأثبتها في رأسه»[4]... الخ. والحسن هو الذي تولّى غسل أبيه والصلاة عليه وقتَلَ عبد الرحمن بن ملجم.

وروى أبو الفرج الإصفهاني بسنده: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا توفي ولي

---

(١) نهج البلاغة: ٣٩١ /كتاب ٣١ من وصية للحسن عليه السلام.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٥٢.

(٣) في المصدر [لسبع عشرة].

(٤) ذكرها أبوالفرج الإصفهاني روايةً عن ابن جرير الطبري في مقاتل الطالبيين: ٥٣. ونقلها عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ١٢١ وفيه لتسعَ عشرة.

غسله ابنه الحسن، وعبد الله بن عباس، وصلّى عليه ابنه الحسن، فكبر عليه خمس تكبيرات . قال أبو الفرج: فأمّا ابن ملجم فإنّ الحسن بن عليّ بعد دفنه أميرالمؤمنين دعا به وأمر بضرب عنقه، فقال له: إن رأيت أن تأخذ عليّ العهود أنْ أرجع إليك حتى أضع يدي في يدك، بعد أن أمضي الى الشّام فأنظر ما صنع صاحبي بمعاوية فإن كان قتله، وإلّا قتلته ثم عدت إليك. حتى تحكم فيّ حكمك، فقال : «هيهات! والله لا تشرب الماء البارد حتى تلحق روحك بالنار»، ثم ضرب عنقه واستوهبت أُمّ الهيثم بنت الأسود النخعية جيفته منه، فوهبها لها فحرقتها بالنار»[١].

خطبته بعد وفاة أبيه عليه السلام

وهذه الخطبة رواها الأبشيهي في كتاب المستطرف وأبو الفرج الإصبهاني في مقاتل الطالبيين[٢] ورواها الحاكم في المستدرك[٣] بسند كلٌّ من فيه سادة أشراف وبين رواياتهم تفاوت .

خطبته عليه السلام برواية الأبشيهي

قال: إنّ الحسن صعد المنبر بعد وفاة أبيه، فأراد الكلام فخنقته العبرة، ثم نطق فقال فيما قاله : «الحمد لله ما أحببنا وكرهنا وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله، وإنّي أحتسب عند الله عزّ وجلّ مصابي بأفضل الآباء رسول الله القائل: مَن أُصيب بمصيبة فليتسلّ بمصيبته فيّ فإنّها أعظم المصائب.

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٥٤ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٢) المصدر السابق: ٦١ ـ ٦٢.

(٣) المستدرك للحاكم ٣: ١٧٢.

والله الذي لا إله إلّا هو الذي أنزل على عبده الفرقان لقد قُبض في هذه الليلة رجل ما سبقه الأوّلون بعد رسول الله ﷺ، ولا يدركه الآخرون، فعند الله نحتسب ما دخل علينا، وعلى جميع أمّة محمّد ﷺ، فوالله لا أقول اليوم إلّا حقاً ـ الى أن قال ـ : وما ترك صفراء ولا بيضاء إلّا سبعمائة درهم أراد أن يبتاع بها خادماً لأهله، إلّا أنّ أمور الله تعالى تجري على أحوالها، فما أحسنها من أمر الله، وما أسواها من أنفسكم إلّا أنّ قريشاً أعطت أزمتها شياطينها فقادتها بأعنتها الى النار، فمنهم من قاتل رسول الله ﷺ حتى أظهره الله تعالى عليه ومنهم من أسرّ الضغينة، حتى وجد على النفاق أعواناً رفع الكتاب وجف القلم وأمور تقضي في كتاب قد خلا»[1].

بيعته بالخلافة

فقام عبد الله بن العباس بين يديه فقال : معاشر الناس هذا ابن نبيّكم ووصيّ إمامكم فبايعوه، فاستجاب الناس، فقالوا : ما أحبّه إلينا وأوجب حقّه علينا، وأحقه بالخلافة وبادروا الى البيعة له بالخلافة.

قال المفيد في الإرشاد: كانت بيعته يوم الجمعة ٢١ رمضان سنة (٤٠ هـ)[2] .

قال أبو الفرج : ثم نزل من المنبر فرتّب العمّال وأمّر الأُمراء ونظر في الأُمور وأنفذ عبد الله بن العباس الى البصرة[3] قال : وكان أوّل شيء أحدثه الحسن بن علي عليه السلام إنّه زاد المقاتِلة مائة، مائة وقد كان علي عليه السلام أبوه[4] فعل ذلك

---

(١) المستطرف من كل فن مستظرف: ٤٧٢/٤.

(٢) الإرشاد ٢: ٨ـ٩ .

(٣) مقاتل الطالبين: ٦٢ و ٦٣ بتلخيص واختصار .

(٤) ليست في المصدر.

يوم الجمل، والحسن عليه السلام فعله على حال الاستخلاف، فتبعه الخلفاء من بعد ذلك[١].

قال المفيد: فلمّا بلغ معاوية وفاة أمير المؤمنين عليه السلام وبيعة الناس ابنه الحسن عليه السلام دسّ رجلاً من حمير الى الكوفة، ورجلاً من بني القين الى البصرة، ليكتبا إليه بالأخبار، ويُفسدا على الحسن الأمور. فعرف ذلك الحسن فأمر باستخراج الحميري من عند لحّام[٢] بالكوفة فأُخرج وأمر بضرب عنقه، وكتب الى البصرة باستخراج القيني من بني سليم فأُخرج وضُربت عنقه[٣].

المكاتبة بين الحسن وابن عباس ومعاوية

وكتب الحسن الى معاوية: أما بعد فإنك دسست إليّ الرجال كأنّك تحبّ اللقاء، لا أشك في ذلك فتوقّعه إن شاء الله، وبلغني أنّك شمتّ بما لم يشمت به ذو الحجى، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأوّل:

فإنا ومن قد مات منّا لكالذي يروح فيُمسي في المبيت ليغتدي
فقل[٤] للذي يبقى[٥] خلاف الذي مضى تجهز لأخرى مثلها فكأن قَدِ

فأجابه معاوية: أما بعد، فقد وصل كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه، ولقد علمت بما حدث فلم أفرح ولم أحزن ولم أشمت ولم آس، وإنّ عليّاً أباك لكما

(١) مقاتل الطالبيين: ٦٤.
(٢) في المصدر [حجام].
(٣) الإرشاد ٢: ٩.
(٤) والأبيات في المصدر الأخير هو الأوّل.
(٥) في المصدر [يبغي].

قال أعشى بني قيس بن ثعلبة :

وأنت الجواد وأنت الذي إذا ما القلوب ملأن الصدورا
جدير بطعنة يوم اللقاء يضرب منها النساء النحورا
وما مزبدٌ من خليج البحار يعلو الإكام ويعلو الجسورا
بأجود منه بما عنده يعطي الألوف ويعطي[١] البدورا[٢]

قال أبو الفرج وكتب عبد الله بن العباس من البصرة الى معاوية : أما بعد، فإنك ودسّك أخا بني القين الى البصرة تلتمس من غفلات قريش بمثل ما ظفرت به من يمانيتك لكما قال [أُمية يعني ابن الأشكر][٣]:

لعمرك إني والخزاعي طارقاً كنعجة غار حتفها تتحفّر
أثارت عليها شفرة بكُراعها فظلّت بها من آخر الليل تُنحر
شَمِتّ بقوم من صديقك هلكوا[٤] أصابهم يوم من الدّهر أصفر

فأجابه معاوية : أما بعد، فإنّ الحسن كتب اليَّ بنحو ما كتبت به، وإنّك لم تصب مثلكم ومثلي، ولكن مثلنا ما قاله طارق الخزاعي يجيب أُميّة عن هذا الشعر :

فوالله ما أدري وإني لصادق الى أيِّ من يضطنني[٥] أتعذّر
أعنف أن كانت زنيبة أُهلكت ونالَ بني لحيان شرّ ونفروا[٦][٧]

---

(١) في المصدر [فيعطي].
(٢) مقاتل الطالبيين: ٦٣ ـ ٦٤.
(٣) في المصدر [ابن الأسكر].
(٤) في المصدر [أهلكوا].
(٥) في المصدر [يظنُّني].
(٦) في المصدر [فانفروا].
(٧) مقاتل الطالبيين: ٦٤ ـ ٦٥.

وروى المدائني: أنّ ابن عبّاس كتب الى الحسن: أما بعد، فإنّ المسلمين ولّوك أمرهم بعد عليّ عليه السلام، فشمّر للحرب، وجاهد عدوّك، وقارب أصحابك[١] (وهو كتاب طويل)، وهذا وكتابه السابق الى معاوية يدل على وجوده بالبصرة، كما أنّ ما تقدّم في خبر البيعة للحسن عليه السلام يدل على أنّه كان حين وفاة أميرالمؤمنين في الكوفة، وكلّ ذلك ينافي ما روي أنّه حمل مال البصرة وذهب الى مكة، وخالف عليّاً عليه السلام وباعده. فإمّا أنّ خبر مفارقته غير صحيح، وإما أنّه رجع الى أميرالمؤمنين عليه السلام .

قال أبو الفرج: وكتب الحسن بن عليّ الى معاوية بن أبي سفيان مع جندب بن عبد الله الأزدي. وقال المدائني: إنّه أرسل معه أيضاً الحارث بن سويد التيمي تيم الرباب: «بسم الله الرحمن الرحيم من [عبد الله بن عليّ أميرالمؤمنين][٢] الى معاوية بن أبي سفيان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو، أما بعد، فإنّ الله جلّ وعزّ بعث محمّداً صلى الله عليه وآله رحمة للعالمين فبلّغ رسالات الله حتى توفّاه الله غير مقصر ولا وان، حتى أظهر الله به الحق ومحق الشرك، وأعزّ به العرب عامّة، وشرّف به قريشاً خاصة فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾[٣] فلمّا توفي صلى الله عليه وآله تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش: نحن قبيلته وأسرته، فرأت العرب أنّ القول كما قالت قريش، ثم حاججنا نحن قريشاً بمثل ما حاجت به العرب، فلم تنصفنا قريش إنصاف العرب لها، فلمّا صرنا أهل بيت محمّد وأولياءه الى محاجتهم، وطلب النصف منهم باعدونا، واستولوا بالاجتماع على ظلمنا ومراغمتنا، فأمسكنا عن منازعتهم مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب بذلك مغمزاً يتلمسونه به، واليوم فليعجب المتعجب من توثبك يا معاوية على أمر لست من أهله، لا

---

(١) عنه في شرح نهج لابن أبي الحديد ١٦: ٢٣ .

(٢) في المصدر [من عبدالله الحسن أميرالمؤمنين].

(٣) الزخرف: ٤٤ .

بفضل في الدين معروف، ولا أثر في الإسلام محمود، وأنت ابن حزب من الأحزاب، وابن أعدى قريش لرسول الله ﷺ، وسترد فتعلم لمن عقبى الدار، إنّ علياً ـ رضوان الله عليه ـ لمّا مضى لسبيله ـ رحمة الله عليه ـ يوم قبض، ويوم مَنَّ الله عليه بالإسلام، ويوم يبعث حياً ولّاني المسلمون الأمر بعده، وإنما حملني على هذا الكتاب الإعذار فيما بيني وبين الله في أمرك، ولك في ذلك إن فعلت الحظُّ الجسيم، وللمسلمين فيه صلاح، فدع التماديّ في الباطل وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي، فإنّك تعلم أنّي أحقّ بهذا الأمر منك عند الله، وعند كل أوّاب حفيظ، ودع البغي، واحقن دماء المسلمين، وإن أنت أبيت إلّا التماديّ في غيّك نهدت إليك بالمسلمين، فحاكمتك حتى يحكُم الله بيننا وهو خير الحاكمين»(١).

قال المدائني: فقدما على معاوية فدعواه الى بيعة الحسن، فلم يجب الى ذلك.

قال أبو الفرج: فكتب إليه معاوية، «من عبد الله معاوية أمير المؤمنين، الى الحسن بن عليّ سلام عليك فإنّي أحمد إليك الله الذي لا إله إلّا هو أما بعد، فقد بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت به رسول الله ﷺ من الفضل وهو أحقّ الأوّلين والآخرين بالفضل كلّه، وذكرت تنازع المسلمين الأمر من بعده، فرأيتك صرحت بتهمة أبي بكر الصديق، وعمر الفاروق، وأبي عبيدة الأمين، وحواري رسول الله ﷺ، وصلحاء المهاجرين والأنصار، فكرهت ذلك لك، فإنّك امرءٌ عندنا وعند الناس غير ظنين، وأنا أحبّ لك القول السديد والذكر الجميل. إنّ هذه الأُمّة لمّا اختلفت بعد نبيها لم تجهل فضلكم، ولا سابقتكم ولا قرابتكم من نبيّكم، ولا مكانكم من الإسلام، فرأت الأُمّة أن تخرج من هذا

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٦٤ ـ ٦٦ط، والمدائني عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٤ ـ ٢٥. وفيهما اختلاف باللفظ. وباختصار وتلخيص.

الأمر لقريش لمكانها من نبيّها، ورأىٰ صُلحاء الناس أن يُولّوا هذا الأمر من قريش أقدمها إسلاماً وأعلمها بالله وأقواها على أمر الله، فاختاروا أبا بكر، فأوقع ذلك في صدوركم لهم التهمة، ولو رأىٰ المسلمون فيكم من يغني غناءه، ما عدلوا الى غيره، وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح، والحال فيما بيني وبينك اليوم مثل الحال التي كنتم عليها وأبو بكر بعد النبيّ ﷺ، ولو علمت أنّك أضبط منّي للرعية، وأقوىٰ على جمع الأموال وأكيد للعدوّ، لأجبتك الى ما دعوتني إليه، ولكن قد علمت أنّي أطول منك ولاية، وأقدم تجربة وأكثر سياسة وأكبر سنّاً فادخل في طاعتي ولك الأمر من بعدي ولك ما في بيت مال العراق، وخراج أي كور العراق شئت يجبيها أمينك، ويحملها إليك في كل سنة، ولك أن لا يُستولىٰ عليك بالاشاءة، ولا تُقضى دونك الأُمور ولا تُعصى في أمر أردت به طاعة الله»(١).

قال المدائني: إنّ معاوية كتب في آخر كتابه الى الحسن عليه السلام: «فإنّ أباك سعى على عثمان حتى قُتل مظلوماً، وطالب الله بدمه ومن يطلبه الله فلن يفوته، ثم ابتزّ الأُمّة أمرها، وفرّق جماعتها، فخالفه نظراؤه من أهل السابقة والجهاد والقدم في الإسلام، وادّعى إنّهم نكثوا بيعته فقاتلهم فسفكت الدماء، واستحلّت الحُرم، ثم أقبل إلينا لا يدعي علينا بيعة، ولكنه يريد أن يملكنا اعتزازاً فحاربناه وحاربنا، ثم صارت الحرب الى ان اختار رجلاً واخترنا رجلاً، ليحكما بما تصلح عليه الأُمّة، وتعود به الجماعة والأُلفة، وأخذنا بذلك عليهما ميثاقاً وعليه وعلينا مثله، على الرضى بما حكما، فأمضى الحكمان عليه الحكم بما علمت، وخلعاه فوالله ما رضي بالحكم ولا صبر لأمر الله؛

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٦٦ ـ ٦٧ وفيه اختلاف باللفظ واختصار.

فكيف تدعوني الى أمر إنّما تطلبه بحقّ أبيك، وقد خرج عنه. فانظر لنفسك ولدينك، والسلام» ثم قال للحارث وجندب: ارجعا فليس بيني وبينكم إلّا السيف.

فرجعا وأقبل الى العراق في ستين ألفاً؛ واستخلف على الشام الضحاك بن قيس الفهري[(١)].

قال جندب: فلمّا أتيت الحسن عليه السلام بكتاب معاوية، قلت: إنّ الرجل سائر إليك، فابدأ بالمسير إليه حتى تقاتله في أرضه وبلاده وعمله، فأما أن تقدّر أنه ينقاد[(٢)] لك فلا والله حتى يرى يوماً أعظم من يوم صفّين، فقال: أفعل.

وكتب معاوية الى الحسن عليه السلام: «أما بعد، فإنّ الله عزّ وجلّ يفعل في عباده ما يشاء ﴿لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾[(٣)] فاحذر أن تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس، وآيس من أن تجد فينا غميزة، وإن أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني وفيت لك بما وعدت، ثم الخلافة لك من بعدي فأنت أولى الناس بها، والسلام».

فأجابه الحسن عليه السلام: «أما بعد فقد وصل اليّ كتابك فتركت جوابك خشية البغي عليك فاتبع الحقّ تعلم أنّي من أهله والسلام».

فلمّا وصل كتاب الحسن الى معاوية، كتب الى عمّاله على النواحي نسخة واحدة: «أما بعد فالحمد لله الذي كفاكم مؤونة عدوّكم وقتلة خليفتكم، إنّ الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعليّ بن أبي طالب رجلاً من عباده، فاغتاله فقتله، فترك أصحابه متفرّقين مختلفين، وقد جاءتنا كتب أشرافهم وقادتهم

---

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ٢٥ ـ ٢٦.

(٢) في المصدر [يتناولك].

(٣) الرعد: ٤١.

يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم، فأقبلوا إليّ حين يأتيكم كتابي هذا بجدكم[١] وجهدكم وحسن عدّتكم، فقد أصبتم بحمد الله الثأر، وبلغتم الأمل، وأهلك الله أهل البغي والعدوان والسلام».

فاجتمعت العساكر الى معاوية، وسار قاصداً الى العراق وبلغ الحسن خبر مسيره، وأنه قد بلغ جسر منبج، فتحرّك لذلك، وبعث حجر بن عدي يأمر العمّال والناس بالتهيؤ للمسير، ونادىٰ المنادي: الصلاة جامعة، فأقبل الناس يتوثّبون ويجتمعون، فقال الحسن عليه السلام : «إذا رضيت جماعة الناس فاعلمني»، وجاء سعيد بن قيس الهمداني فقال : اخرج ، فخرج الحسن عليه السلام فصعد المنبر، فحمد الله وأثنىٰ عليه ثم قال : «أما بعد، فإنّ الله كتب الجهاد على خلقه، وسمّاه كرهاً، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين: ﴿وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[٢] فلستم أيّها الناس نائلين ما تُحبّون، إلّا بالصبر على ما تكرهون، إنّه بلغني أنّ معاوية بلغه أنا كنّا أزمعنا على المسير إليه، فتحرّك لذلك، فاخرجوا ـ رحمكم الله ـ الى معسكركم بالنخيلة». وإنّه في كلامه ليتخوّف خذلان الناس له. فسكتوا فما تكلّم منهم أحد، ولا أجابه بحرف. فلما رأىٰ ذلك عدي بن حاتم قام فقال : انا ابن حاتم، سبحان الله ما أقبح هذا المقام؟ ألا تجيبون إمامكم؟! وابن بنت نبيّكم، أين خُطباء مضر؟ (المصر) الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة، فإذا جدّ الجد فروّاغون كالثعالب، أما تخافون مقت الله، ولا عيبها وعارها؟!

ثم استقبل الحسن بوجهه فقال : أصاب الله بك المراشد، وجنّبك المكاره، ووفّقك لما تحمد ورده وصدره، قد سمعنا مقالتك، وانتهينا الى أمرك لك

---

(١) في المصدر [بجندكم].

(٢) الأنفال: ٤٦.

ولطعناك فيما قلت وما رأيت، وهذا وجهي الى معسكري، فمن أحبّ أن يوافيني فليوافِ.

ثم مضى لوجهه، فخرج عن المسجد ودابته بالباب، فركبها ومضى الى النُخيلة، وأمر غلامه أن يلحقه بما يصلحه، وكان عدي بن حاتم أول الناس عسكراً.

وقام قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعقل بن قيس الرياحي، وزياد ابن صعصعة التيمي، فأنّبوا الناس ولاموهم وحرّضوهم، وكلّموا الحسن بمثل كلام عدي بن حاتم في الإجابة والقبول.

فقال لهم الحسن عليه السلام : «صدقتم ـ رحمكم الله ـ ما زلت أعرفكم بصدق النيّة، والوفاء والقبول[1] والمودّة الصحيحة، فجزاكم الله خيراً» ثم نزل.

وخرج الناس، فعسكروا، ونشطوا للخروج، وخرج الحسن عليه السلام الى المعسكر، واستخلف على الكوفة المغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب، وأمره باستحثاث الناس وإشخاصهم إليه، فجعل يستحثّهم ويخرجهم، حتى يلتئم العسكر.

وسار الحسن عليه السلام في عسكر عظيم وعدة حسنة حتى أتى دير عبدالرحمن فأقام به ثلاثاً حتى اجتمع الناس، ثم دعا عبيد الله بن عباس. فقال له: «يا ابن عمّ إنّي باعث معك إثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقرّاء المصر، الرجل منهم يرد الكتيبة فسر بهم، وألن لهم جانبك، وابسط وجهك، وافرش لهم جناحك، وادنهم من مجلسك فإنهم بقية ثقة أميرالمؤمنين، وسر بهم على شط الفرات حتى تقطع بهم الفرات، ثم تصير بمسكن، ثم امض حتى تستقبل معاوية، فإنْ أنت لقيته فاحبسه حتى نأتيك في إثرك وشيكاً، وليكن

(١) في المصدر [بالقول].

خيرك عندي كل يوم، وشاور هذين ـ يعني قيس بن سعد وسعيد بن قيس ـ فإذا لقيت معاوية فلا تقاتله حتى يقاتلك، وإن فعل فقاتله فإن أصبتَ فقيس على الناس، وإن أُصيب قيس فسعيد بن قيس على الناس».

فسار عبيد الله حتى انتهى الى شينور حتى خرج الى شاهي، ثم لزم الفرات وقرى الفلوجة حتى أتى مسكن(1).

قال المفيد: استنفر الحسن عليه السلام الناس للجهاد فتثاقلوا عنه، ثم خفّوا(2) ومعه أخلاط من الناس بعضهم شيعة له ولأبيه، وبعضهم محكّمة ـ أي خوارج ـ يؤثرون قتال معاوية بكلّ حيلة، وبعضهم أصحاب فتن وطمع في الغنائم، وبعضهم شكّاك، وأصحاب عصبية اتّبعوا رؤساء قبائلهم لا يرجعون الى دين.

فسار حتى أتى حمّام عمر، ثم أخذ الى دير كعب، ثم بكر ونزل ساباط دون القنطرة، وبات هناك فلما أصبح أراد أنْ يمتحن أصحابه ويستبرئ أحوالهم في الطاعة، ليتميّز بذلك أولياؤه من أعدائه، ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام، فأمر أن ينادى بالصلاة جامعة، فاجتمعوا وصعد المنبر فخطبهم فقال: «الحمد لله كلّما حمده حامد، وأشهد أن لا إله إلّا الله كلّما شهد له شاهد، وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله، أرسله بالحقّ وائتمنه على الوحي صلى الله عليه وآله.

أما بعد، فوالله إنّي لأرجو أن أكون قد أصبحت ـ بحمد الله ومنّه ـ وأنا أنصح خلق الله لخلقه، وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة، ألا وإنّ ما تكرهون في الجماعة خير لكم ممّا تحبّون في الفرقة، ألا وإنّي ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم، فلا تخالفوا أمري، ولا تردّوا عليّ رأيي، غفر الله لي ولكم وأرشدني وإياكم لما فيه

(1) مقاتل الطالبيين: 68 ـ 71 بتفاوت يسير.

(2) في المصدر [خفّ].

المحبّة والرضا».

فنظر الناس بعضهم الى بعض، وقالوا: ما ترونه يريد بما قال ؟ قالوا: ـ نظنّه والله ـ يريد أن يصالح معاوية ويُسلّم الأمر إليه، فقالوا: كفر والله الرجل ـ وهذا يدل على أنهم كانوا خوارج ـ ثم شدّوا على فسطاطه وانتهبوه، حتى أخذوا مصلّاه من تحته، ثم شد عليه عبد الرحمن بن عبد الله بن جعال الأزدي فنزع مطرفه عن عاتقه، فبقي جالساً متقلداً السيف بغير رداء، ثم دعا بفرسه فركبه، وأحدق به طوائف من خاصّته وشيعته ومنعوا منه مَن أراده، فقال: «ادعوا لي ربيعة وهمدان» فدعوا له فأطافوا به ودفعوا الناس عنه، ومعهم شوب من غيرهما فلمّا مرّ في مظلم ساباط بدر إليه رجل من بني أسد يقال له: الجراح بن سنان ـ أو سنان بن الجراح ـ وكان قد تقدمه الى مظلم ساباط فوقف به فلمّا حاذاه أخذ بلجام فرسه أو بغلته وبيده مغول ـ وهو سيف دقيق يكون غمده كالسوط ـ فقال: الله اكبر يا حسن أشركت كما أشرك أبوكَ من قبل ـ وهذا يدل على أنّه كان خارجياً ـ ثم طعنه فوقعت الطعنة في فخذه فشقّه حتى بلغ أُربيّته ـ وهي أصل الفخذ ـ أو ما بين أعلاه وأسفل البطن ـ وفي رواية حتى بلغ العظم، وضرب الحسن عليه السلام ، الذي طعنه بسيف كان بيده وأعتنقه فخرّا جميعاً الى الأرض ـ وفي رواية أنّه غُشي عليه ـ فوثب إليه رجل من شيعة الحسن يقال له عبدالله بن خَطل الطائي فنزع المغول من يده فخضخضه به، وأكبّ ظبيان بن عمارة على الجراح فقطع أنفه، ثم أخذوا الآجر(١) فشدخوا

(١) ومن الغريب ما وقع من التصحيف في هذا المقام أنه صحف آجر بالجيم بالآخر بالخاء المعجمة حتى أن المفيد في الإرشاد قال وأخذ آخر كان معه ولفظ آجر وقع في الرواية معرفاً بأل فلو كان الخاء المعجمة لزم أن يكون له ذكر متقدم مع أنه لم يتقدم ذكره ولقد تبعنا في هذا التوهم المفيد في كتابنا المجالس السنية ثم وجدناه في شرح نهج البلاغة الآجر بالجيم كما ذكرناه. منه قدس سره

وجهه ورأسه حتى قتلوه ، وحمل الحسن عليه السلام على سرير الى المدائن، فأنزل بها على سعيد بن مسعود الثقفي، وكان عامل أميرالمؤمنين عليه السلام بها، فأقرّه الحسن عليه السلام على ذلك، واشتغل الحسن بنفسه يعالج جرحه. جاءه سعد بن مسعود بطبيب فقام عليه حتى برئ. هكذا ذكر المفيد(١) وأبو الفرج(٢).

والذي ذكره الطبري، وابن الأثير، وسبط ابن الجوزي، ناقلاً له عن الشعبي: أنّه لما نزل الحسن عليه السلام المدائن نادىٰ منادٍ في العسكر: ألا إنّ قيس بن سعد قد قتل فانفروا، فنفروا الى سرادق الحسن فنهبوا متاعه، حتى نازعوه بساطاً كان تحته، فازداد لهم بغضاً ومنهم ذعراً(٣).

أقول: من كانت هذه حالتهم كيف يمكن الركون إليهم والانتصار بهم؟

قال المفيد: وكتب جماعة من رؤساء القبائل الى معاوية بالسمع والطاعة في السرّ، واستحثّوه على المسير(٤) نحوهم، وضمنوا له تسليم الحسن إليه عند دنّوهم من عسكره، وبلغ الحسن ذلك(٥).

وروى الصدوق في العلل: إنّ معاوية دسّ الى عمرو بن حريث، والأشعث بن قيس، وحجّار بن أبجر، وشبث بن ربعي دسيساً أفرد كل واحد منهم بعين من عيونه إنّك إذا قتلت الحسن، فلك مائة ألف درهم، وجند من أجناد الشام، وبنت من بناتي، فبلغ الحسن عليه السلام ذلك، فاستلأم ولبس درعاً وسترها(٦)، وكان يحترز ولا يتقدم للصلاة إلّا كذلك فرماه أحدهم في الصلاة

---

(١) الإرشاد ٢: ١٠ ـ ١٢ بتفاوت يسير.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٧١ ـ ٧٢ بتفاوت يسير.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤: ١٢٢، الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٤، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ١٩٧.

(٤) في المصدر [السير].

(٥) الإرشاد : ١٢/٢.

(٦) في المصدر [كفرها].

بسهم فلم يثبت فيه لما عليه من اللّامة[١].

وفي الخرائج: إنّ الحسن عليه السلام بعث الى معاوية قائداً من كندة، في أربعة آلاف فلمّا نزل الأنبار، بعث إليه معاوية بخمسمائة ألف درهم ووعده بولاية بعض كور الشام والجزيرة، فصار إليه في مائتين من خاصّته، ثم بعث رجلاً من مراد ففعل كالأوّل بعد ما حلف بالأيمان التي لا تقوم لها الجبال إنّه لا يفعل وأخبرهم الحسن عليه السلام إنّه سيفعل كصاحبه[٢].

قال أبو الفرج : ثم إنّ معاوية وافى حتى نَزل قرية يقال لها: الحبوبية بمسكن، فأقبل عبيد الله بن العباس حتى نزل بإزائه، فلما كان الغد بعث معاوية الى عبيد الله: إنّ الحسن قد راسلني في الصلح، وهو مسلّم الأمر إليّ، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعاً، وإلّا دخلت وأنت تابع، ولك إن جئتني الآن أن أعطيك ألف ألف درهم، يُعجّل لك في هذا الوقت النصف، وإذا دخلت الكوفة النصف الآخر فانسلّ عبيد الله ليلاً، فدخل عسكر معاوية فوفى له بما وعده، فأصبح الناس ينتظرون أن يخرج فيصلّي بهم، فلم يخرج وطلبوه فلم يجدوه، وصلّى بهم قيس بن سعد، ثم خطبهم فقال : أيّها الناس لا يهولنّكم ولا يعظمنّ عليكم ما صنع هذا الرجل الوله الورغ ـ أي الجبان ـ إنّ هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قطّ، إنّ أباه عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خرج يقاتله ببدر. فأسَره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأخذ فداءه فقسّمه بين المسلمين، وإن أخاه ولّاه عليّ عليه السلام على البصرة فسرق مال الله ومال المسلمين، فاشترى به الجواري، وزعم إنّ ذلك له حلال، وإنّ هذا

(١) علل الشرائع ١: ٢٢٠ ـ ٢٢١، ب ١٦٠، ح١.

(٢) الخرائج والجرائح ٢: ٥٧٤ ـ ٥٧٥ / ح٤ بتلخيص واختصار ط. مؤسسة الإمام المهدي(عج).

ولّاه أيضاً على اليمن، فهرب من بسر بن أرطأة وترك ولده حتى قتلوا، وصنع الآن هذا الذي صنع.

فنادى الناس: الحمد لله الذي أخرجه من بيننا امض بنا الى عدوّنا[١] قال المفيد : وورد [على الحسن][٢]كتاب قيس بن سعد يخبره بما صنع عبيد الله ابن العباس فازدادت بصيرته بخذلان القوم له، وفساد نيات المُحكّمة فيه بما أظهروا له من السب والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، ولم يبق معه من يأمن غوائله إلّا خاصّته من شيعته وشيعة أبيه، وهم جماعة لا تقوم لأجناد الشام.

فكتب إليه معاوية في الهدنة والصلح، وانفذ إليه بكتب أصحابه الذين ضمنوا له فيها الفتك به أو تسليمه إليه، فاشترط على نفسه في اجابته الى صلحه شروطاً كثيرة، وعقد له عقوداً كان في الوفاء بها مصالح شاملة، فلم يثق به الحسن عليه السلام وعلم باحتياله بذلك واغتياله، غير أنّه لم يجد بدّاً من إجابته الى ما التمس من ترك الحرب وإنفاذ الهدنة، لما كان عليه أصحابه ممّا وصفناه من ضعف البصائر في حقّه والفساد عليه والخُلف منهم له، وما انطوى عليه كثيرٌ منهم في استحلال دمه وتسليمه الى خصمه، وما كان من خذلان ابن عمّه له ومصيره الى عدوّه، وميل الجمهور منهم الى العاجلة وزهدهم في الآجلة.

فتعلق[٣] عليه السلام لنفسه من معاوية بتوكيد الحجة عليه، والإعذار فيما بينه وبينه عند الله تعالى وعند كافة المسلمين، فأجابه معاوية الى ذلك[٤].

---

(١) مقاتل الطالبين: ٧١ ـ ٧٢.

(٢) ما بين المعقوفتين ليس في المصدر. في المصدر عليه .

(٣) في الأصل [فتوثق].

(٤) الإرشاد ٢: ١٢ ـ ١٤. وفيه اختلاف باللفظ وتلخيص.

وأما قيس بن سعد بن عبادة، فقال أبو الفرج : إنّه نهض بمن معه لقتال معاوية وخرج اليهم بسر بن أرطاة في عشرين ألفاً، فصاحوا بهم هذا أميركم قد بايع، وهذا الحسن قد صالح؛ فعلامَ تقتلون أنفسكم؟ فقال قيس لأصحابه: اختاروا أحد إثنين[١] إما القتال مع غير إمام، أو تبايعون بيعة ضلال، فقالوا : بل نقاتل بلا إمام، فخرجوا وضربوا أهل الشام حتى ردّوهم الى مصافهم.

وكتب معاوية الى قيس يدعوه ويمنّيه، فكتب إليه قيس: لا والله لا تلقاني أبداً إلّا وبيني وبينك [السيف][٢] والرمح.

وجرت بينهما مكاتبات أغلظ كل منهما فيها لصاحبه فقال عمرو بن العاص لمعاوية : مهلاً إن كاتبته أجابك بأشد من هذا، وإنْ تركته دخل فيما يدخل فيه الناس، فامسك عنه[٣] .

أقول : شتان بين عبيد الله بن العبّاس، وقيس بن سعد، فهذا يسالم معاوية بعد ما ذبح بسر بن أرطاة أولاده الصغار على درج صنعاء حين أرسله معاوية، ويبيع شرفه بالمال ويرضى بالذل والعار، وقيس بن سعد يحلف أنْ لا يلقى معاوية إلّا وبينه وبينه الرمح أو السيف، بعد ما بلغه أنَّ الحسن عليه السلام قد صالح:

أبت الحمية أن تفارق أهلها وأبى العزيز بأن يعيش ذليلا

ثم انصرف قيس بمن معه الى الكوفة وانصرف الحسن عليه السلام[٤].

أقول: ومما تقدم يعلم أنّ الحسن عليه السلام لم يفرط في أمر السياسة وأخذ بالحزم والتدبير. فعلم بالجاسوسين اللذين أرسلهما معاوية بعد وفاة

---

(١) في المصدر [إحدىٰ إثنتين].

(٢) ليست في المصدر.

(٣) مقاتل الطالبيين: ٧٣ ـ ٧٤ بتلخيص واختلاف باللفظ.

(٤) المصدر السابق: ٧٥.

أميرالمؤمنين وقتلهما، واستحثّ أهل العراق وسار بمن اتبعه منهم لقتال معاوية، وأرسل اثني عشر ألفاً مقدمة له، وأمّر عليهم ابن عمّه عبيدالله بن العبّاس، وأمره بمشاورة قيس، وسعيد لما يعلم من نصحهما، وإنّ امارات الخذلان كانت بادية على أهل العراق بتثاقلهم أوّل الأمر حين دعاهم، وإنهم لم يخرجوا إلّا بعد التأنيب والتوبيخ ممّن عرفت، وإنّ المخلصين منهم له كانوا أقل قليل وأكثرهم خوارج وأهل عصبية خرجوا تبعاً لرؤسائهم وطمعاً في النهب، وإنّه كان يتخوّف خذلان أصحابه من أوّل الأمر، وإنّ خطبته بالمدائن لم تكن إلّا لاختبارهم واظهار أسرارهم وإنه لم يكن من الرأي أن يسير بهم على تلك الحال إذ لا يؤمن أن يسلّموه الى معاوية، فلما ظهر له فساد نيّات الخوارج فيه بما أظهروه له من السبّ والتكفير واستحلال دمه ونهب أمواله، مع ما كان من فعل عبيد الله بن عبّاس، والقائدين المرسلين بعده، وما علمه من مكاتبة أصحابه معاوية، وما ضمنوه له من الفتك به أو تسليمه إليه، وعلم أنّه لو لم يصالح لسلّموه الى معاوية ولكانت المفسدة أعظم. أجاب الى الصلح مكرهاً مرغماً واختار أقل الضررين، وأهون المفسدتين، وأنّ صلحه هذا لا يجعل لمعاوية عذراً ولا يرفع عنه وزراً بل يزيده ذماً وإثماً.

وممّا يدل على ما ذكرناه ما ذكره ابن الأثير في الكامل قال: لمّا راسل معاوية الحسن في تسليم الأمر إليه خطب عليه السلام فقال: «إنا والله ما يثنينا عن أهل الشام شك ولا ندم، وإنّما كنّا نقاتل أهل الشام بالسلامة والصبر، فشيبت السلامة بالعداوة، والصبر بالجزع، وكنتم في مسيركم الى صفّين ودينكم أمام دنياكم، وأصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم، ألا وقد أصبحتم بين قتيلين، قتيل بصفّين تبكون له، وقتيل بالنهروان تطلبون بثأره، [فأما الباكي فخاذل وأما الطالب فثائر][1]، ألا وإنّ معاوية دعانا لأمر ليس فيه عزّ ولا

(١) في المصدر [وأما الباقي فخاذل، وأما الباكي فثائر].

نصفة فإنْ أردتم الموت رَدّدناه عليه، وإن أردتم الحياة قبلناه وأخذنا لكم الرضى. فناداه الناس من كل جانب : البقي[١] البقية[٢].

وما حكاه سبط ابن الجوزي عن السدي أنه قال: لم يصالح الحسن معاوية رغبة في الدنيا وإنّما صالحه لما رأىٰ أهل العراق يريدون الغدر به، وفعلوا معه ما فعلوا، فخاف منهم أنْ يُسلّموه الى معاوية. والدليل على أنّه خطب بالنُّخيلة قبل الصلح، فقال: «أيّها الناس، إنّ هذا الأمر الذي اختلفت فيه أنا ومعاوية، إنّما هو حقّ أتـركه إرادة لإصـلاح الأمّـة وحـقناً لدمـائها، ﴿وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾[٣]»[٤].

وقال ابن الأثير: لمّا تمّ الصلح، قال الحسن: «يا أهل العراق إنّه سخي بنفسي عنكم ثلاثٌ، قتلكم أبي، وطعنكم إيّاي، وانتهابكم متاعي»[٥].

وقال عليه السلام في جملة كلام له رواه الطبرسي في الاحتجاج : «والله مـا سـلّمت [الأمر الى معاوية إلّا لأنّي][٦] لم أجد أنصاراً، ولو وجدت أنصاراً لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه»[٧].

ومن مجموع ما مـرّ يـعلم الوجـه فـي صـلحه عليه السلام، وأنّـه كـان هـو الرأي والصواب، وسيأتي في سيرة أخيه الحسين عليه السلام ، وجه الفرق بين حالتيهما .

---

(١) في المصدر البقية.

(٢) الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٦.

(٣) الأنبياء: ١١١.

(٤) تذكرة الخواص : ١٩٨.

(٥) الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٥.

(٦) في المصدر [الأمر إليه إلّا أنّي].

(٧) الاحتجاج للطبرسي ٢: ٧١ / ح ١٥٩.

شروط الصلح

حكى الصدوق عن كتاب (الفروق بين الأباطيل والحقوق)، تأليف محمّد بن بحر الشيباني عن أبي بكر محمّد بن الحسن بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري، حدثنا أبو طالب زيد بن أجزم، حدثنا أبو داود، حدثنا القاسم بن فضيل، حدثنا يوسف بن مازن الراسبي[(١)] قال: بايع الحسن بن عليّ معاوية على أن لا يسمّيه أميرالمؤمنين، ولا يقيم عنده شهادة، وأنْ لا يتعقب على شيعة عليّ شيئاً ويؤمّنهم، ولا يتعرض لأحد منهم بسوء، ويوصل الى كل ذي حقّ منهم حقّه، وأن يفرق في أولاد من قتل مع أبيه يوم الجمل، وصفّين ألف ألف درهم، وأنْ يجعل ذلك من خراج دار أبجرد من بلاد فارس[(٢)]... الخ. وكان فيما شرطه أنْ يترك سب أميرالمؤمنين، والقنوت عليه في الصلاة.

وقال ابن الأثير: إنه لم يجبه الى الكف عن شتم عليّ فطلب أنْ لا يشتم وهو يسمع، فأجابه الى ذلك ثم لم يف له به أيضاً[(٣)]... الخ. وعاهد معاوية الحسن على ما تم بينهما من الشروط، وحلف له بالوفاء، وكتب بينه وبينه بذلك كتاباً، ثم لم يف له بشيء ممّا عاهده عليه.

صورة كتاب الصلح بين الحسن ومعاوية

ذكره ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمّة:

«بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه الحسن بن عليّ بن أبي طالب، معاوية بن

---

(١) في المصدر [الراشي].

(٢) علل الشرائع ١: ٢١١ ـ ٢١٢ / ذيل الحديث ٢، من الباب ١٥٩.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٥.

أبي سفيان، صالحه على أن يُسلّم إليه ولاية المسلمين على أنْ يعمل فيهم بكتاب الله، وسنّة رسوله، وليس لمعاوية أنْ يعهد الى أحدٍ من بعده عهداً على أنّ الناس آمنون حيث كانوا من أرض الله تعالى في شامهم، ويَمنهم، وعراقهم، وحجازهم، وعلى أنّ أصحاب عليّ وشيعته آمنون على أنفسهم، وأموالهم، ونسائهم، وأولادهم حيث كانوا، وعلى معاوية بذلك عهد الله وميثاقه، وعلى أنْ لا يبغي للحسن بن عليّ ولا لأخيه الحسين ولا لأحد من بيت رسول الله ﷺ غائلة سوء سرّاً وجهراً، ولا يخيف أحداً منهم في أُفق من الآفاق شهد عليه بذلك فلان وفلان وكفى بالله شهيداً»[١].

قال المفيد : فلمّا تمّ الصلح[٢] سار معاوية حتى نزل النُّخيلة[٣]، وهي معسكر الكوفة، وكان ذلك يوم جمعة فصلّى بالناس وخطبهم[٤].

وقال أبو الفرج: إنّه جمع الناس بالنُّخيلة فخطبهم قبل أن يدخل الكوفة خطبة طويلة لم ينقلها أحدٌ من الرواة تامّة، وجاءت مقطّعة، فنذكر ما انتهى إلينا منها فقال : ما اختلفت أُمّة بعد نبيّها إلّا ظهر أهل باطلها على أهل حقّها، ثم انتبه فاستدرك[٥] وقال: إلّا هذه الأُمّة فإنّها وإنها[٦].

قال المفيد وأبو الفرج: وقال في خطبته: إنّي والله ما قاتلتكم لتُصلّوا، ولا لتصوموا، ولا لتحجّوا، ولا لتُزكّوا إنكم لتفعلون ذلك، ولكنّي قاتلتكم لأتأمّر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون، ألا وإني كنت مَنّيتُ الحسن

---

(١) الفصول المهمة: ١٥٤ ـ ١٥٥ بتلخيص.

(٢) في المصدر [استتمت الهدنة].

(٣) معجم البلدان: ٢٧٨/٥ .

(٤) الإرشاد: ١٤/٢ .

(٥) في المصدر [فندم] .

(٦) مقاتل الطالبيين: ٧٦ ـ ٧٧.

وأعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها[١].

وفي رواية أبي الفرج أنّه قال: إنّ كلّ شيء أعطيته الحسن بن عليّ تحت قدّمي هاتين لا أفي به. قال أبو الفرج: قال شريك في حديثه: هذا هو التهتّك[٢].

وقال المدائني: خطب معاوية أهل الكوفة فقال: أتراني قاتلتكم على الصلاة والزكاة والحجّ؟ وقد علمت أنكم تُصلّون وتزكّون وتحجّون، ولكنّني قاتلتكم لأتأمّر عليكم وعلى رقابكم، وقد آتاني الله ذلك وأنتم كارهون إنّ كلّ مال أو دم أُصيب في هذه الفتنة لمطلول، وكلّ شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين[٣].

قال أبو الفرج: لمّا بويع معاوية خطب فذكر عليّاً عليه السلام، فنال منه، ونال من الحسن عليه السلام، فقام الحسين عليه السلام ليردّ عليه فأخذ الحسن بيده فأجلسه، ثم قام فقال: «أيّها الذاكر عليّاً، أنا الحسن وأبي عليّ، وأنت معاوية وأبوك صخر، وأُمي فاطمة، وأُمّك هند، وجدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، وجدّك حرب، وجدّتي خديجة وجدّتك قتيلة، فلعن الله أخملنا ذكراً، وألأمنا حسباً، وشرّنا قديماً، وأقدمنا كفراً ونفاقاً».

فقال طوائف من أهل المسجد: آمين قال يحيى بن معين، ونحن نقول آمين. قال أبو عبيد: ونحن أيضاً نقول آمين. قال أبو الفرج: وأنا أقول آمين[٤].
قال المؤلّف: وأنا أقول: آمين.

وأقام معاوية ومن بعده من ملوك بني أُميّة على سبّ أمير المؤمنين عليه السلام، إلّا

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٧ بتقديم وتأخير.
(٢) المصدر السابق: ٧٧.
(٣) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٤ ـ ١٥.
(٤) مقاتل الطالبيين: ٧٨.

ما كان من عمر بن عبد العزيز وأخاف معاوية شيعة أمير المؤمنين وقتلهم وشرّدهم وهدم كثيراً من دورهم، فقتل عمرو بن الحمق، وحبس زوجته آمنة بنت الشريد سنتين في سجن دمشق، وقتل حجر بن عدي وأصحابه بمرج عذراء، وحمل عبد الله بن هاشم المرقال إليه مكبّلاً بالحديد من العراق الى الشام، وأما خراج دار أبجرد فقال ابن الأثير: إنّ أهل البصرة منعوا الحسن منه، وقالوا: فيئنا لا نعطيه أحداً. قال: وكان منعهم بأمر معاوية[1].

وقال المدائني: كان الحضين بن المنذر الرقّاشي. يقول: والله ما وفى معاوية للحسن بشيء ممّا أعطاه؛ قتل حجراً وأصحاب حجر، وبايع لابنه يزيد، وسمّ الحسن[2].

قال ابن عبد البر في الاستيعاب: سلّم الأمر الحسن الى معاوية في النصف من جمادى الأُولى من سنة (٤١ هـ)، وكلّ من قال: إنّه كان سنة أربعين، فقد وهم[3]... الخ.

وفي المستدرك للحاكم: كان ذلك في جمادى الأُولى سنة (٤١هـ)[4]...الخ.

وقيل: كان ذلك لخمس بقين من ربيع الأوّل، وقيل: في ربيع الآخر، فعلى الأوّل تكون مدّة خلافته الظاهرة سبعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، لأنّ بيعته كانت في الحادي والعشرين من شهر رمضان سنة (٤٠ هـ)، وعلى الثاني تكون خلافته ستة أشهر وأربعة أيّام، وقيل: ثلاثة أيّام، وقيل خمسة أيّام، وذلك بناء على الخلاف في تاريخ وفاة أمير المؤمنين عليه السلام، وعلى الثالث تكون أكثر من ذلك بأيّام.

---

(١) الكامل في التاريخ ٣: ٤٠٥.

(٢) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٧.

(٣) الاستيعاب ١: ٤٣٨ ـ ٤٣٩.

(٤) المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٧٤.

معاتبة أصحاب الحسن عليه السلام له على الصلح واعتذاره إليهم

قال أبو الفرج الاصبهاني في مقاتل الطالبيين: اجتمع الى الحسن عليه السلام وجوه الشيعة وأكابر أصحاب أميرالمؤمنين عليه السلام يلومونه ويبكون إليه جزعاً ممّا فعله[1].

وقال المدائني: إنّ معاوية لمّا خطب الناس بالكوفة، وقال في جملة خطبته: كلّ شرط شرطته فتحت قدميّ هاتين. قال المسيب بن نَجَبة للحسن عليه السلام : ما ينقضي عجبي منك، بايعت معاوية ومعك أربعون ألفاً ولم تأخذ لنفسك وثيقة وعقداً ظاهراً، أعطاك أمراً فيما بينك وبينه، ثم قال: ما قد سمعت، والله ما أراد بها غيرك قال: «فما ترىٰ؟» قال : أرى ان ترجع الى ما كنت عليه، فقد نقض ما كان بينه وبينك. فقال: «يا مُسيّب إنّي لو أردت بما فعلت الدّنيا لم يكن معاوية بأصبر عند اللقاء، ولا أثبت عند الحرب منّي، ولكنّي أردت صلاحكم، وكفّ بعضكم عن بعض، فارضوا بقدر الله وقضائه، حتى يستريح برّ، ويستراح من فاجر».

قال المدائني: ودخل عبيد بن عمرو الكندي على الحسن عليه السلام، وكان ضُرِب على وجهه مع قيس بن سعد بن عبادة، فقال: «ما الذي أرىٰ بوجهك؟»» قال: أصابني مع قيس، فالتفت حجر بن عدي الى الحسن وقال: كلاماً لا يخلو من سوء أدب حمله عليه شدّة الحبّ، ثم قال: إنا رجعنا راغمين بما كرهنا، ورجعوا مسرورين بما أحبّوا، فتغيّر وجه الحسن وغمز الحسين حجراً، فسكت فقال الحسن عليه السلام : «يا حجر ليس كلّ الناس يحبّ ما تحبّ، ولا رأيه رأيك، وما فعلت ما فعلت إلّا إبقاءً عليك، والله كل يوم في شأن»[2].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٥.

(٢) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٥ وفيه تفاوت يسير باللفظ.

بعض أخبار الحسن عليه السلام

قال المدائني: روى أبو الطفيل، إنّ الحسن عليه السلام قال لمولى له : «أتعرف معاوية بن خديج؟» قال: نعم، قال: «إذا رأيته فاعلمني»؛ فرآه خارجاً من دار عمرو بن حريث فقال : هو هذا! فدعاه فقال له : «أنت الشاتم علياً عند ابن آكلة الأكباد؛ أما والله لئن وردت الحوض ولا ترده لترينه مشمّراً عن ساقيه، حاسراً عن ذراعيه، يذود عنه المنافقين».

قال المدائني: وحدّثنا سليمان بن أيّوب، عن الأسود بن قيس العبدي، أنّ الحسن عليه السلام لقي يوماً حبيب بن مسلمة فقال له : «يا حبيب ربّ مسير لك في غير طاعة الله!» قال: أما مسيري الى أبيك فليس من ذلك، قال : «بلى والله ولكنك أطعت معاوية على دنيا قليلة زائلة، فلئن قام بك في دنياك لقد قعد بك في آخرتك، ولو كنت إذ فعلت شرّاً قلت خيراً كان ذلك كما قال الله عزّ وجلّ: ﴿خَلَطُوا عَمَلاً صالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً﴾[1] ولكنك كما قال الله سبحانه: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2]»[3].

ما جرى بين الحسن عليه السلام وزياد ابن أبيه

ولنقدم قبل ذلك الكلام على نسب زياد واستلحاق معاوية إيّاه :كانت سُميّة أُمّ زياد أَمَة للحارث بن كلدة بن عمرو بن علاج الثقفي طبيب العرب، وكانت تحت عبيد عبد من عبيد ثقيف، فقدم أبو سفيان الى الطائف فنزل على رجل خمّار، يقال له أبو مريم فطلب منه بغياً فأتى له بسميّة، وهي

(١) التوبة: ١٠٢.

(٢) المطففين: ١٤.

(٣) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٨.

متزوجة بعبيد فبات معها فولدت زياداً على فراش عبيد، فكان يقال له زياد بن عبيد[1]، ثم إنّ أبا سفيان ادعاه في خلافة عمر، لكنّه لم يجسر على المجاهرة بذلك خوفاً من عمر ومن المسلمين لمخالفة ذلك لقوله صلى الله عليه وآله : «الولد للفراش وللعاهر الحجر»[2] وحيث إن زياداً ولد على فراش عبيد فهو ابنه شرعاً، وزنا أبي سفيان بأمّه لا يسوغ إلحاقه به.

روى غير واحد من المؤرّخين[3]: إنّ زياداً تكلّم كلاماً وهو غلام حدث بمحضر عمر في خلافته أعجب الحاضرين، وأبو سفيان حاضر وعليّ بن أبي طالب عليه السلام وعمرو بن العاص، فقال عمر: ووالله أبو هذا الغلام لو كان قرشياً لساق العرب بعصاه، فقال أبو سفيان: إنّه لقرشي، وإنّي لأعرف الذي وضعه في رحم أمّه فقال عليّ : «ومن هو؟» قال: أنا، فقال : «مهلاً يا أبا سفيان» فقال عمرو: هلا تستلحقه؟! قال أ خاف هذا الجالس ـ يعني عمر ـ أن يخرق عليّ أهابي.

قال المدائني: فلمّا كان زمن عليّ عليه السلام ولّى زياداً فارس أو بعض أعمالها، فضبطها ضبطاً صالحاً، وجبى خراجها، وكتب إليه معاوية كتاباً يتهدّده فيه، وكتب في أسفل الكتاب شعراً يعرض له فيه بأنّه أخوه، من جملته :

تنسى أباك وقد شالت نعامته ... إذ يخطب الناس والوالي لهم عمر

فلمّا ورد الكتاب على زيادٍ خطب الناس، فقال: العجب من ابن آكلة الأكباد، ورأس النفاق، يهددني وبيني وبينه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وآله، وزوج سيّدة

---

(١) سير أعلام النبلاء ٣: ٤٩٤ ـ ٤٩٧ / ترجمة ١١٢.

(٢) المقنع للشيخ الصدوق: ٤٠١، كتاب الموطأ ٢: ٧٣٩ / ح ٢٠، المدوّنة الكبرى للإمام مالك ٣: ١١١.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ٤٤٣، الاستيعاب ٢: ١٠١، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٨٠ وفيها اختلاف يسير باللفظ.

نساء العالمين، وأبو السبطين، وصاحب الولاية والمنزلة والإخاء في مائة ألف من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان! أما والله لو تخطّى هؤلاء أجمعين إليّ لوجدني ضرّاباً بالسيف.

ثم كتب الى عليّ عليه السلام، وبعث بكتاب معاوية في كتابه، فكتب إليه عليّ عليه السلام:

«أما بعد، فإنّي قد وليّتك ما وليّتك وأنا أراك لذلك أهلاً، وإنه قد كانت من أبي سفيان فلتة في أيّام عمر من أماني التيه، وكذب النفس لم تستوجب بها ميراثاً، ولم تستحق بها نسباً، وإنّ معاوية كالشيطان الرجيم يأتي المرءَ من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله، فأحذره، ثم احذره، ثم احذره؛ والسلام»(١).

فلما قرأ زياد الكتاب قال: شهد بها وربّ الكعبة، ولم تزل في نفسه حتى ادّعاه معاوية(٢). فلمّا قُتل عليّ عليه السلام بقي زياد في عمله وخاف معاوية جانبه فكتب إليه كتاباً يتهدّده فيه من جملته: من أميرالمؤمنين معاوية بن أبي‌سفيان الى زياد بن عبيد، أما بعد فإنّك عبد قد كفرت النعمة، واستدعيت النقمة، إنّك لا أمّ لك بل لا أب لك، ظننت أنّك تخرج من قبضتي، ولا ينالك سلطاني، أمس عبد واليوم أمير! خطّة ما أرتقاها مثلك يا ابن سميّة، إذا أتاك كتابي هذا، فخذ الناس بالطاعة والبيعة، فإنّك ان تفعل فَدمُك حقنت، وإلّا اختطفتك بأضعف ريش ونلتك بأهون سعي. والسلام.

فلمّا ورد الكتاب على زياد غضب غضباً شديداً؛ وجمع الناس وصعد المنبر. وقال: ابن آكلة الأكباد وقاتلة أسد الله، ومظهر الخلاف، ومسرّ النفاق، ورئيس الأحزاب، ومن أنفق ماله في إطفاء نور الله، كتب إليّ يرعد ويبرق عن

---

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٨١ ـ ١٨٢ بتلخيص واختصار.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ١٧٧.

سحابة جَفْل لا ماء فيها، وعما قليل تصيّرها الرياح قَزعاً، كيف أرهبه وبيني وبينه ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وابن ابن عمّه في مائة ألف من المهاجرين والأنصار، والله لو أُذن لي فيه لأريته الكواكب نهاراً.

وكتب الى معاوية: أما بعد، فقد وصل إليّ كتابك، فوجدتك كالغريق يغطّيه الموج ،فيتشبّث بالطحلب، ويتعلّق بأرجل الضفادع طمعاً في الحياة. إنّما يكفر النعم، ويستدعي النّقم من حادّ الله ورسوله، وسعى في الأرض فساداً. فأما سبّك لي فلو لا حلمٌ ينهاني عنك، وخوفي أنْ أُدعىٰ سفيهاً، لأثرت لك مخازيَ لا يغسلها الماء. وأما تعييرك لي بسميّة، فإن كنت ابن سميّة فأنت ابن جماعة، وأما زعمك أنّك تختطفني بأضعف ريش، وتتناولني بأهون سعي، فهل رأيت بازياً يفزعه صفير القنابر؟ أم هل سمعت بذئب أكله خروف؟ والسلام.

فلمّا ورد كتاب زياد على معاوية غمّه وأحزنه، وبعث الى المغيرة بن شعبة فخلا به، وقال: إنّي أُريد مشاورتك في أمر أهمّني، فانصحني فيه، وكن لي أكن لك، فقد خصصتُك بسرّي، وآثرتك على ولدي، قال المغيرة: والله لتجدني في طاعتك أمضى من الماء في[1] الحدور. قال: إنّ زياداً قد أقام بفارس يكش لنا كشيش الأفاعي، وهو رجل ثاقب الرأي، ماضي العزيمة، جوّال الفكر، مصيب إذا رمىٰ؛ وقد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حيّاً، وأخشى ممالأته حسناً. قال المغيرة: أنا له إنْ لم أمُت؛ إنّ زياداً رجل يحبّ الشرف وصعود المنابر، فلو لاطفته المسألة، والنتّ له الكتاب، لكان إليك أميل، وبك أوثق فاكتب إليه وأنا الرسول.

فكتب إليه معاوية ـ كتاباً يظهر له فيه أنه أخوه ويعده بالإمرة، من

---

(١) في المصدر [الى].

جملته ـ : من أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان الى زياد بن أبي سفيان، إنّك قاطع الرحم، واصل العدو. حملك سوء ظنّك بي، وبغضك لي على أن عققت قرابتي، وقطعتَ رحمي، حتى كأنّك لست أخي، وليس صخر بن حرب أباك وأبي، وشتان ما بيني وبينك أطلب بدم ابن أبي العاص، وأنت تقاتلني فكنت:

كتاركة بيضها بالعراء ... وملحفة بيض أُخرى جناحاً

وقد رأيت أن أعطف عليك ولا أُؤاخذك بسوء سعيك، وأن أصل رحمك، وابتغي الثواب في أمرك، فاعلم أبا المغيرة، أنّك لو خضت في طاعة القوم فتضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم إلاّ بعداً؛ فإنّ بني عبدشمس أبغض الى بني هاشم من الشفرة الى الثور الصريع وقد أوثق للذبح، فارجع ـ رحمك الله ـ الى أصلك، واتّصل بقومك، فإن أحببت جانبي، ووثقت بي، فإمرة بإمرة، وإلاّ ففعل جميل، لا عليّ ولا لي. والسلام.

فقدم المغيرة بالكتاب على زياد، فجعل يتأمّله ويضحك فقال له المغيرة: دع عنك اللّجاج، وارجع الى قومك، وصل أخاك، ثم جمع زياد الناس بعد يومين أو ثلاثة، فخطبهم وقال: أيها الناس ادفعوا البلاء ما اندفع عنكم، وارغبوا الى الله في دوام العافية لكم، فقد نظرت في أُمور الناس منذ قتل عثمان، فوجدتهم كالأضاحي، في كل عيد يذبحون، ولقد أفنى هذان اليومان، الجمل وصفّين، ما ينيف على مائة ألف، كلّهم يزعم أنه طالب حقّ، فإن كان الأمر هكذا فالقاتل والمقتول في الجنّة، كلا ليس كذلك، ولكن أشكل الأمر، والتبس على القوم، وإنّي لخائف أن يرجع الأمر كما بدا، فكيف لامرئ بسلامة دينه، وقد نظرت في أمر الناس فوجدت أحمد العاقبتين العافية، وسأعمل في أُموركم ما تحمدون عاقبته ومغبته، فقد حمدت طاعتكم إن شاء الله ثم نزل .

وكتب جواب الكتاب : أما بعد، فقد وصل كتابك يا معاوية مع المغيرة بن

شعبة وفهمت ما فيه، فالحمد لله الذي عرّفك الحقّ وردّك الى الصّلة، ولست ممّن يجهل معروفاً، ولقد قمت يوم قرأت كتابك مقاماً يعيا به الخطيب المِدرةَ، فتركت من حضر، لا أهل ورد ولا صدر، كالمتحيّرين بمهمة ضلّ بهم الدليل، وأنا على أمثالها قدير.

فأعطاه معاوية جميع ما سأله، وكتب إليه بخط يده ما وثق به، وقدم عليه الشام(١).

قال المدائني: فلمّا أراد معاوية استلحاقه. صعد المنبر، وأصعد زياداً معه فأجلسه بين يديه على المرقاة التي تحت مرقاته، ثم قال: أيّها الناس، إنّي قد عرفت نَسبنا أهل البيت في زيادٍ، فمن كان عنده شهادة فليقم بها، فقام ناس فشهدوا أنه ابن أبي سفيان؛ وأنّهم سمعوا ما أقرّ به قبل موته، فقام أبو مريم السلولي ـ وكان خمّاراً في الجاهلية ـ فقال: أشهد أنّ أبا سفيان قدم علينا بالطائف، فاشتريت له لحماً وخمراً وطعاماً، فلمّا أكل، قال: أصب لي بغياً، فأتيت سميّة، فقلت لها: إنّ أبا سفيان أمرني أن أصيب له بغياً، فهل لك. قالت: نعم، يجيء الآن عبيد بغنمه ـ وكان راعياً ـ فإذا تعشّى ونام أتيته، فلم تلبث أن جاءت تجرّ ذيلها، فدخلت معه حتى أصبحت؛ فقلت له كيف رأيت صاحبتك؟ قال: خير صاحبة لو لا ذَفَر في إبطيها.

فقال له زياد من فوق المنبر: يا أبا مريم، لا تشتم أُمّهات الرجال، فتُشتم أُمّك(٢).

واستلحقه معاوية، فصار يسمى زياد بن أبي سفيان، بعد ما كان يسمى

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٨٢ ـ ١٨٦ بتلخيص واختصار.

(٢) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٨٧ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

زياد بن عبيد، وزوّج معاوية ابنته من محمّد بـن زيـاد، ليـؤكّد بـذلك صـحّة الاستلحاق وذلك سنة (٤٤ هـ) ذكره في الاستيعاب[١].

واستعظم ذلك المسلمون، وتحرّجوا من أن يسمّوه زياد بن أبي سـفيان، وخافوا أن يسمّوه زياد بن عبيد، فكانوا يقولون: زياد بن أبيه، أو ابن أُمّـه أو ابن سميّة، أو زياد بدون نسبة، ولكن في عصر معاوية سمّاه أكثر الناس زياد بن أبي سفيان، لأنّ الناس مع الملوك رهبة أو رغبة، وليس اتباع الدين فـيهم إلّا كالقطرة من البحر المحيط، وكتبت عائشة الى زياد كتاباً، فلم تدر ما تكتب عنوانه! إنْ كتبت زياد بن عـبيد أو ابـن أبـيه أغـضبته، وإنْ كـتبت زيـاد بـن أبي‌سفيان أثمت، فكتبت : من عائشة أُمّ المؤمنين الى ابنها زيـاد. فـلمّا قـرأه ضحك، وقال: لقد لقيت أُمّ المؤمنين من هذا العنوان نصباً[٢].

وقال الجاحظ: إنّ زياداً مرّ وهو والي البصرة بأبي العُريان العدوي، وكان شيخاً مكفوفاً، ذا لسنٍ وعارضة شديدة، فقال أبو العريان: ما هذه الجلبة؟ قالوا: زياد بن أبي سفيان، فقال: ما ترك أبو سفيان إلّا فلاناً وفلاناً، من أين جاء زياد؟ فبلغ ذلك زياداً، فأرسل إليه مائتي دينار، فقال له الرسول: ابن عمّك زياد الأمير أرسل إليك هذه. قال: وصلْته رَحِم! إي والله ابن عمّي حقّاً.

ثم، مرّ به زياد من الغد في موكبه، فسلّم عليه، فبكى أبو العُريان، فقيل له: ما يبكيك؟ قال: عرفت صوت أبي سفيان في صوت زياد، فبلغ ذلك معاوية، فكتب الى أبي العريان :

ما لبثتك[٣] الدنانير التي بعثت   أنْ لوّنـتك أبـا العُـريان ألوانـا

(١) الاستيعاب ٢: ١٠١.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ٢٠٤.

(٣) في المصدر [ألبثتك].

أمسى إليك زياد في أرومته نكراً فأصبح ما أنكرت عرفانا

لله درّ زياد لو تعجّلها كانت له دون ما تخشاه قربانا

فقال أبو العريان اكتب جوابه يا غلام :

أحدث لنا صلةً تحيا النفوس بها قد كدت يا ابن أبي سفيان تنسانا

أما زيادٌ فقد صحت مناسبه عندي فلا أبتغي في الحق بُهتانا

من يسد خيراً يصبه حين يفعله أو يسد شرّاً يصبه حيثما كانا[1]

وقال في ذلك عبدالرحمن بن الحكم أخو مروان :

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ لقد ضاقت بما تأتي اليدانِ

أتغضب أن يقال أبوك عفٌّ وترضى أن يقال أبوك زاني

فأشهد أنّ رحمك من زيادٍ كرحم الفيل من ولد الأتان

وأشهد أنها حملت زياداً وصخر من سميّة غير داني

فبلغ ذلك معاوية فغضب على عبد الرحمن، وقال: لا أرضى عنه حتى يأتي زياداً فيترضّاه ويعتذر إليه، فاتاه فأنشده من أبيات:

إليك أبا المغيرة تبت ممّا جرى بالشام من خطل اللّسان

عرفت الحقّ بعد ضلال رأيي وبعد الغّي من زيغ الجنان

زيادٌ من أبي سفيان غصن تهادى ناظراً بين الجنان

وإنّ زيادة في آل حرب أحبّ إليّ من وسطى بناني

ألا أبلغ معاوية بن حربٍ لقد ظفرت بما تأتي اليدان

فقال معاوية: لحا الله زياداً لم يتنبّه لقوله: وان زيادة في آل حرب»[2].

---

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٨٨ .

(٢) الاستيعاب ٢: ١٠٢ و ١٠٤، وعنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٩٠ ـ ١٩١.

وقال يزيد بن مفرغ الحميري في زياد:

شهدت بأنّ أُمّك لم تُباشر أبا سفيان واضعة القناع
ولكن كان أمر فيه لبس على حذرٍ شديد وارتياع

وقال أيضاً:

إنّ زياداً ونافعاً وأبا بكرة عندي من أعجب العجب
هم رجالٌ رجال ثلاثةٌ خلقوا في رحم أُنثىٰ وكلّهم لأب
ذا قرشي كما تقول وذا مولى وهذا ابن عمه[1] عربي

وقال أيضاً:

فكّر ففي ذاك إن فكّرت معتبر هل نلت مكرمةً إلّا بتأمير
عاشت سميّة ما عاشت وما علمت أنّ ابنها من قريشٍ في الجماهير[2]

وكما استلحق معاوية زياداً استلحق زياد عبيدالله بن مرجانة قاتل الحسين عليه السلام فقد قال الحسين عليه السلام فيه: «ألا وإنّ الدّعي ابن الدعي، قد ركز بين اثنتين بين السلّة والذلّة»[3].

وروى ابن ابن الكلبي: إنّ عباداً استلحقه زياد كما استلحق معاوية زياداً؛ كلاهما لدعوة.

قال: لما أذِنَ لزياد في الحج، فبينا هو يتجهّز وأصحاب القِرَب يعرضون عليه قِرَبهم، إذ تقدم عبّاد ـ وكان خرّازاً ـ فقال له زياد: من أنت؟ قال: ابنك! وقعت على أُمي فلانة، فولدتني وكانت أمَة لبني قيس بن ثعلبة فأنا مملوك لهم. فقال: صدقت إني لأعرف ما تقول. فبعث فاشتراه واستلحقه، وولّى

(١) في المصدر [بزعمه].
(٢) الاستيعاب ٢: ١٠٣، شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ١٩١ ـ ١٩٢.
(٣) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٤٠، اللهوف للسيّد ابن طاووس: ١٢٢.

معاوية عباداً سجستان بعد موت زيادٍ وولّى عبيد الله البصرة[١]، وفيهما يقول يزيد ابن المفرغ الحميري:

أعبّاد ما للّوم عنك مُحوّل[٢] ولا لك أمٌّ من قريش ولا أب
فقل لعبيد الله ما لك والد بحقٍّ ولا يدري امرؤٌ كيف تنسب[٣]

واستأذن زياد معاوية في الحج فأذن له، فبلغ ذلك أبا بكرة أخاه، وأمّهما جميعاً سميّة، وكان قد حلف أنْ لا يكلّمه لما لجلج في الشهادة على المغيرة ابن شعبة في الزنا أيّام عمر فجلد أبا بكرة وباقي الشهود، فلما استلحقه معاوية زاد غيظ أبي بكرة منه، فلمّا بلغه إنّه يريد الحجّ، جاء إليه وجعل يُكلّم ولداً له فقال: يا غلام إنّ أباك ركب في الإسلام عظيماً زنىٰ أمّه وانتفى من أبيه، ثم يريد أن يركب ما هو أعظم يوافي الموسم غداً، ويوافي أمّ حبيبة بنت أبي‌سفيان، وهي من أمّهات المؤمنين، فإن أذنت له؛ فأعظم بها فرية على رسول الله ﷺ؛ وإن منعته فأعظم بها فضيحة على أبيك. فامتنع زياد عن الحجّ، ذكره الجاحظ[٤]، وذكر ابن عبد البرّ في الاستيعاب: إنّ زياداً حجّ مع معاوية، فأراد الدخول على أمّ حبيبة، فذكر قول أبي بكرة فلم يفعل. وقيل: إنّها حجبته ولم تأذن له. وقيل: حجّ ولم يزر المدينة من أجل ذلك[٥].

قال ابن أبي الحديد: قال الحسن البصري: ثلاث كن في معاوية، لو لم تكن فيه إلّا واحدة منهنّ لكانت موبقةً: انتزاؤه على هذه الأمّة بالسفهاء حتى

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ١٩٣ وفيه اختلاف يسير باللفظ.
(٢) في المصدر [تحوّل].
(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ١٩١.
(٤) حكاه عنه ابن أبي‌الحديد في شرح نهج البلاغة ١٦: ١٨٨ ـ ١٨٩ بتفاوتٍ يسيرٍ باللفظ.
(٥) الاستيعاب ٢: ١٠٢ بتفاوت يسير باللفظ.

ابتزّها أمرها، واستلحاقه زياداً مراغمةً لقول رسول الله ﷺ: «الولد للفراش وللعاهر الحجر». وقتله حجر بن عدي؛ فيا ويله من حجر وأصحاب حجر(١).

وقال أيضاً: روى الشرقي ابن القطاميّ قال: كان سعيد بن سَرْح مولى حبيب بن عبد شمس شيعة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: فلمّا قدم زياد الكوفة طلبه وأخافه، فأتى الحسن بن عليّ عليه السلام مستجيراً به، فوثب زياد على أخيه وولده وامرأته فحبسهم، وأخذ ماله، ونقض داره. فكتب الحسن بن عليّ عليه السلام الى زياد: «أما بعد، فإنّك عمدت الى رجل من المسلمين له ما لهم وعليه ما عليهم، فهدمت داره وأخذت ماله، وحبست أهله وعياله؛ فإذا أتاك كتابي هذا فأبن له داره واردد عليه عياله، وشفّعني فيه فقد أجرته. والسلام».

فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان الى الحسن بن فاطمة، أما بعد، فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي، وأنت طالب حاجة، وأنا سلطان وأنت سُوقة، تأمرني فيه بأمر المطاع المسلّط على رعيته. كتبت إليّ في فاسق آويته إقامةً منك على سوء الرأي، وأيم الله لا تسبقني به ولو كان بين جلدك ولحمك، غير رفيق بك ولا مرع عليك. فإنّ أحب لحم إليّ أن آكله اللّحم الذي أنت منه، فسلّمه بجريرته الى مَن هو أولى به منك، فإن عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه، وإن قتلته لم أقتله إلّا لحبّه أباك. والسلام.

فلمّا ورد الكتاب على الحسن عليه السلام قرأه وتبسم، وكتب جواب كتاب زياد كلمتين لا ثالثة لهما: «من الحسن بن فاطمة الى زياد بن سميّة أما بعد، فإنّ رسول الله ﷺ قال: الولد للفراش وللعاهر الحجر والسلام»(٢).

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٩٣.

(٢) المصدر السابق ١٦: ١٩٤.

وحكى ابن أبي الحديد في ترجمة الحسن عليه السلام عن المدائني: إنّ زياداً طلب رجلاً من أصحاب الحسن عليه السلام ممّن كان في كتاب الأمان، فكتب فيه الحسن: «من الحسن بن عليّ الى زياد أما بعد، فقد علمت ما كنّا أخذنا من الأمان لأصحابنا، وقد ذكر لي فلان أنّك تعرضت له، فأحبّ أن لا تعرض له إلّا بخير. والسلام».

فغضب زياد حيث لم ينسبه الى أبي سفيان فكتب إليه: من زياد بن أبي سفيان الى الحسن[1].

وذكر نحواً ممّا مرّ في خبر سعيد بن سرح، فالظاهر إنّها واقعة واحدة ويحتمل التعدد، وكيف كان فيظهر أن الحسن عليه السلام لم ينسبه في قصة ابن سرح الى أبي سفيان، فلذلك غضب ونسب الحسن عليه السلام الى اُمّه.

وهذا ثمرة ما فعلته الاُمّة الى أهل البيت عليهم السلام، فغصبتهم حقّهم، ودفعتهم عن مقامهم، ولم ترع فيهم وصية جدّهم صلى الله عليه وآله، وحكمت فيهم الطلقاء وأبناء الطلقاء والأدعياء وأبناء الأدعياء، حتى أصبح نغل سمية يخاطب الحسن عليه السلام بهذا الخطاب ويتكلّم في أميرالمؤمنين عليه السلام بهذا الكلام:

لا أضحك الله سن الدهر إن ضحكت وآل أحمد مظلومون قد قهروا

مناظرة الحسن عليه السلام ومفاخرته معاوية وأصحابه

أوردها سبط ابن الجوزي الحنفي [يوسف قزاوغلي][2] في تذكرة الخواص بصورة مختصرة.

وأوردها الزبير بن بكار في كتاب المفاخرات، كما في شرح النهج لابن

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٨ ـ ١٩.

(٢) يوسف بن فرغلي.

أبي الحديد بصورة مطوّلة، ومع ذلك بين الروايتين بعض التفاوت، ونحن نذكرها مقتبسة من مجموعهما ، قال أهل السير : لمّا سلّم الحسن الأمر الى معاوية اجتمع الى معاوية رهط من شيعته، وهم عمرو بن العاص، والوليد بن عقبة بن أبي معيط، وعتبة بن أبي سفيان بن حرب، والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن بن عليّعليه السلام قوارص، وبلغه عنهم مثل ذلك. فقالوا لمعاوية: إنّ الحسن قد أحيا أباه وذكره، قالَ فُصُدِّق، وأمر فأُطيع، وخَفقت له النعال، وإنّ ذلك لرافعه الى ما هو أعظم منه، ولا يزال يبلغنا عنه ما يسوؤنا.

فابعث إليه فليحضر لنسبّه ونسبّ أباه، ونعيّره ونوبّخه، ونخبره أن أباه قتل عثمان ونقرّره بذلك. قال معاوية: إنّي لا أرى ذلك ولا أفعله؛ فعزموا عليه، فقال: لا تفعلوا! فوالله ما رأيته قطّ جالساً عندي إلّا خفت مقامه وعَيبه لي، وقال: إنه ألسن بني هاشم. قالوا: ابعث إليه على كلّ حال، قال: إن بعثت إليه لأنصفنه منكم ، فقال عمرو بن العاص: أتخشى أن يأتي باطله على حقّنا؟

قال معاوية: أما إنّي إنْ بعثت إليه لآمرنّه أن يتكلم بلسانه كلّه، واعلموا أنّهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يُلصق بهم العار؛ ولكن اقذفوه بحجَرِه؛ تقولون له: إنّ أباك قتل عثمان، وكره خلافة الخلفاء قبله.

فجاءه الرسول فقال: يا جارية أبغيني ثيابي، اللهم إنّي أعوذ بك من شرورهم، وأدرأ بك في نحورهم، واستعين بك عليهم. فاكفنيهم كيف شئت وأنّى شئت، بحولٍ منك وقوة، يا أرحم الراحمين؛ ثم قام.

فلمّا دخل على معاوية أعظمه وأكرمه، وأجلسه الى جانبه، وقد إرتاد القوم، وخطروا خَطَران الفحول، بغياً في أنفسهم وعلوّاً، ثم قال : يا أبا محمّد؛ إنّ هؤلاء بعثوا إليك وعصوني .

فقال الحسن : «سبحان الله! الدّار دارك، والإذن فيها إليك، إن كنت أُجبتهم الى ما

أرادوا وما في أنفسهم إنّي لأستحيي لك من الفحش ، وإن كانوا غلبوك على رأيك إنّي لأستحيي لك من الضعف؛ أما إنّي لو علمت بمكانهم جئت بمثلهم من بني عبد المطلب، وما لي أن أكون مستوحشاً منك ولا منهم! وإنّ وليي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولّى الصالحين».

فقال معاوية: إنّي كرهت أنْ أدعوك، ولكنّ هؤلاء حملوني على ذلك، وإن لك منهم النّصف ومنّي، وإنما دَعوناك لنقرّرك أنّ عثمان قُتل مظلوماً، وأنّ أباك قتله، فأجبهم ولا تمنعك وحدتك واجتماعهم أن تتكلّم بكلّ لسانك.

فتكلّم عمرو بن العاص، فذكر علياًعليه السلام، فلم يدع شيئاً يعيبه به إلّا قاله وقال: إنّه شتم أبا بكر وكره خلافته. وبايعه مكرهاً، وشرك في دم عمر، وقتل عثمان، وادّعى من الخلافة ما ليس له، ثم ذكر الفتنة يعيده بها، ثم قال : إنّكم يا بني عبد المطلب لم يكن الله ليعطيكم الملك على قتلكم الخلفاء، واستحلالكم ما حرّم الله من الدماء، وحرصكم على الملك وإتيانكم ما لا يحل. ثم إنّك يا حسن تُحدّث نفسك أنّ الخلافة صائرة إليك، وليس عندك عقل ذلك ولا لبّه، وإنّما دَعوناك لنسبّك وأباك، فأما أبوك فقد تفرّد الله به وكفانا أمره، وأما أنت فلو قتلناك ما كان علينا إثم من الله، ولا عيب من الناس .

وقال الوليد بن عقبة: يا بني هاشم كنتم أخوال عثمان، فنعم الولد كان لكم؛ فعرف حقّكم، وكنتم أصهاره فنعم الصهر كان لكم، فكنتم أوّل من حسده، فقتله أبوك ظلماً، فكيف ترون الله طلب بدمه؟ والله إنّ بني أُميّة، خير لبني هاشم من بني هاشم لبني أُمية.

وقال عتبة بن أبي سفيان: يا حسن، كان أبوك شرّ قريش لقريش، أسفكه لدمائها، وأقطعه لأرحامها، طويل السيف واللسان، يقتل الحيّ ويعيب الميت،

وأما رجاؤك الخلافة فلست في زندها قادحاً، ولا في ميزانها راجحاً، وإنكم يا بني هاشم قتلتم عثمان، وأنّ في الحقّ أن نقتلك وأخاك به، فأما أبوك فقد كفانا الله أمره .

وتكلّم المغيرة بن شعبة، فشتم علياً، وقال : والله ما أعيبه في قضية بخون، ولا في حكم بميل، ولكنه قتل عثمان .

ثم سكتوا فتكلم الحسن بن عليّ؛ فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسوله ، ثم قال: «أما بعد، يا معاوية فما هؤلاء شتموني ولكنك شتمتني، فحشاً ألفته؛ وسوء رأي عرفت به، وخُلقاً سيئاً ثبتَّ عليه، وبغياً علينا؛ عداوةً منك لمحمّدٍ وأهله، ولكن اسمع يا معاوية، واسمعوا فلأقولنّ فيك وفيهم ما هو دون ما فيكم :

أنشدكم الله، هل تعلمون أنّ الذي شتمتموه، صلّى القبلتين، وأنت يا معاوية بهما كافر؛ وبايع البيعتين بيعة الفتح وبيعة الرضوان، وأنت بإحداهما كافر، وبالأُخرى ناكث!، وأنشدكم الله هل تعلمون إنّه أوّل الناس إيماناً، وإنك يا معاوية وأباك من المؤلّفة قلوبهم تُسِرّون الكفر، وتظهرون الإسلام، وتُستمالون بالأموال! وإنّه كان صاحب راية رسول الله يوم بَدر، وإن راية المشركين كانت مع معاوية ومع أبيه، ثم لقيكم يوم أُحد ويوم الأحزاب، ومعه راية رسول الله ، ومعك ومع أبيك راية الشّرك؛ وفي كل ذلك يفتح الله له ويُفلج حجته، وينصر دعوته، ويصدّق حديثه، ورسول الله في تلك المواطن كلها عنه راضٍ، وعليك وعلى أبيك ساخط، وبات يحرس رسول الله من المشركين وفداه بنفسه ليلة الهجرة حتى أنزل الله فيه : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾[1].

وأنزل فيه : ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ

(١) البقرة: ٢٠٧ .

ٱلزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾[١] وقال له رسول الله ﷺ: أنت منّي بمنزلة هارون من موسى، وأنت أخي في الدنيا والآخرة، وجاء أبوك على جمل أحمر يوم الأحزاب يحرّض الناس، وأنت تسوقه، وأخوك عتبة هذا يقوده، فرآكم رسول الله ﷺ؛ فلعن الراكب، والقائد، والسائق، أتنسى يا معاوية الشعر الذي كتبته الى أبيك لما همّ أنْ يُسلم، تنهاه عن الإسلام؟!:

يا صخر لا تُسلمنّ يوماً فتفضحنا ... بعد الذين ببدرٍ أصبحوا مزقا
خالي وعمّي وعمّ الأمّ ثالثهم ... وحنظل الخير قد أهدى لنا الأرقا
لا تركننّ الى أمر تقلدنا ... والراقصات بنعمان به الخرقا
فالموت أهون من قول العداة: لقد ... حاد ابن حرب عن العُزّى إذا فرقا

والله لما أخفيت من أمرك أكبر ممّا أبديت.

وأنشدكم الله أتعلمون، أنّ عليّاً حرم الشهوات على نفسه بين أصحاب رسول الله ﷺ، فأنزل فيه: ﴿يَا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ لَاتُحَرِّمُواْ طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[٢] وأنت يا معاوية، دعا عليك رسول الله ﷺ لمّا أراد أنْ يكتب كتاباً الى بني خزيمة، فبعث إليك، فنهمك الى يوم القيامة فقال: اللهم لا تشبعه.

وإنّ رسول الله ﷺ بعث أكابر أصحابه الى بني قُريظة فنزلوا من حصنهم فهزموا، فبعث عليّاً بالراية فاستنزلهم على حكم الله وحكم رسوله، وفعل في خيبر مثلها.

وأنتم أيّها الرهط، نشدتكم الله، ألا تعلمون أنّ رسول الله ﷺ لعن أبا سفيان في سبعة مواطن لا تستطيعون ردّها:

أوّلها: يوم لقيَ رسول الله ﷺ خارجاً من مكة الى الطائف، يدعو ثقيفاً الى الدين، فوقع به وسبّه وسفّهه وشتمه وكذّبه وتوعّده، وهمّ أن يبطش به.

---

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) المائدة: ٨٧.

والثانية: يوم العير.

والثالثة: يوم أُحد، حيث وقف تحت الجبل، ورسول الله ﷺ في أعلاه، وهو ينادي: أعلُ هبل .

والرابعة: يوم الأحزاب .

والخامسة: يوم الحديبية، ولعن القادة والأتباع فقيل : يا رسول الله، أفما يُرجى الإسلام لأحد منهم؟ فقال : لا تصيب اللعنة أحداً من الاتباع يسلم، وأما القادة فلا يفلح منهم أحد .

والسادسة: يوم الجمل الأحمر.

والسابعة: يوم وقفوا لرسول الله ﷺ في العقبة ليستنفروا ناقته، وكانوا إثني عشر رجلاً، منهم أبو سفيان .

فهذا لك يا معاوية؛ وأما أنت يا ابن النابغة؛ فادّعاك خمسة من قريش غلب عليك ألأمهم حسباً، وأخبثهم منصباً، وولدت على فراش مشترك، ثم قام أبوك فقال: أنا شانئ محمّد الأبتر. فأنزل الله فيه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1] وقاتلت رسول الله ﷺ في جميع المشاهد، وهجوته وآذيته بمكة وكدته، وكنت من أشد الناس له تكذيباً وعداوة.

ثم خرجت تريد النجاشي، لتأتي بجعفر وأصحابه، فلمّا أخطأك ما رجوت ورجّعك الله خائباً، وأكذبك واشياً، جعلت حدّك على صاحبك عُمارة بن الوليد، فوشيت به الى النجاشي، ففضحك الله وفضح صاحبك.

فأنت عدوّ بني هاشم في الجاهلية والإسلام. وهجوت رسول الله ﷺ بسبعين بيتاً من الشّعر فقال : اللهمّ إنّي لا أقول الشعر ولا ينبغي لي، اللهمّ العنه بكل حرف ألف لعنة.

وأما ما ذكرت من أمر عثمان، فأنت سعّرت عليه الدنيا ناراً، ثم لحقت بفلسطين، فلمّا أتاك قتله، قلت: أنا أبو عبد الله إذا نكأت قرحة أدميتها. ثم حبست نفسك الى معاوية، وبعت

---

(١) الكوثر: ٣.

دينك بدنياه، فلسنا نلومك على بغض، ولا نعاتبك على ود، وبالله ما نصرت عثمان حيّاً ولا غضبت له مقتولاً، ويحك يا ابن العاص! ألست القائل لما خرجت الى النجاشي:

تقول ابنتي أين هذا الرحيل ... وما السّير منّي بمستنكر
فقلت ذريني فإنّي أمرؤ ... أُريد النجاشي في جعفر
لأكويه عنده كيّةً ... أُقيم بها نخوة الأصعر
وشانئُ أحمد من بينهم ... وأقولهم فيه بالمنكر
وأجري الى [عيبه][1] جاهداً ... ولو كان كالذّهب الأحمر
ولا أنثني عن بني هاشم ... بما اسْطعتُ في الغيب والمحضر
فإنْ قبل العيب[2] منّي له ... وإلا لَويتُ له مشفري

وأما انت يا وليد؛ فوالله ما ألومك على بغض عليّ، وقد قتل أباك بين يدي رسول الله ﷺ صبراً، وجلدك ثمانين في الخمر، لما صلّيت بالمسلمين الفجر سكران، وفيك يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة حين يلقى ربّه ... إنّ الوليد أحقّ بالعذر
نادى وقد تمّت صلاتهم ... أأزيدكم سُكراً وما يدري
ليزيدهم أُخرى ولو قبلوا ... لأتت صلاتهم على العشر
فأبوا[3] أبا وهب ولو قبلوا ... لقرنت بين الشفع والوتر
حبسوا عنانك إذ جريت ولو ... تركوا عنانك لم تزل تجري

وسمّاك الله في كتابه فاسقاً وسمّى أميرالمؤمنين مؤمناً، حيث تفاخرتما، فقلت له: أُسكت يا عليّ، فأنا أشجع منك جناناً، وأطول منك لساناً.

---

(١) في المصدر [عتبة].
(٢) في المصدر [التّب].
(٣) في المصدر [فأتوا].

فقال لك عليّ: أُسكت، يا وليد فأنا مؤمن وأنت فاسق؛ فأنزل الله تعالى في موافقة قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِناً كَمَن كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ﴾(١) ثم أنزل فيك على موافقة قوله: ﴿إِنْ جَآءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾(٢) ومهما نسيت فلا تنس قول الشاعر فيك وفيه:

أنــزل الله والكــتاب عــزيزٌ فــي عــليّ وفــي الوليــد قُــرآنــا

فــتبوّأ الوليــد إذ ذاك فســقاً وعــليّ مــبوّأ إيــمانا

ليس مــن كــان مــؤمناً عــمرك الله كــمن كــان فــاسقاً خــوّانــا

ســوف يُــدعى الوليــد بــعد قــليل وعــليّ الى الحســاب عِــيانا

فــعليّ يُــجزى بــذاك جــناناً ووليــد يُــجزى بــذاك هــوانــا

ربّ جــدّ لعــقبة بــن أبــانٍ لابس فــي بــلادنا تُــبّانا

وما أنت وقريش؟ إنّما أنت علج من أهل صفّورية، وأقسم بالله لأنت أكبر في الميلاد، وأسن ممّن تدعى إليه.

وأما أنت يا عتبة؛ فوالله ما أنت بحصيف فأجيبك، ولا عاقل فأُحاورك وأعاتبك، وما عندك خير يرجى، ولا شرّ يتّقى، وما عقلك وعقل أمَتك إلّا سواء، وما يضرّ عليّاً لو سَبَبته على رؤوس الأشهاد.

وأما وعيدك إيّاي بالقتل؛ فهلّا قتلت اللّحياني إذ وجدته على فراشك! فقال فيك نصر ابن حجاج:

يــا للــرجــال وحــادث الأزمــان ولســبّة تــخزي أبــا ســفيان

نُــبّئت عــتبة خــانه فــي عــرسه جــبسٌ لئــيم الأصــل فــي لحــيان

وكيف ألومك على بغض عليّ، وقد قتل خالك الوليد مبارزةً يوم بدر، وشرك حمزة

---

(١) السجدة: ١٨.

(٢) الحجرات: ٦.

في قتل جدّك عتبة، وأوحدك من أخيك حنظلة في مقام واحد؟!

وأما أنت يا مغيرة؛ فلم تكن بخليقٍ أن تقع في هذا وشبهه، إنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة: استمسكي، فإنّي طائرة عنك. فقالت النخلة: هل علمت بك واقعة عليّ؟ فأعلم بك طائرة عنّي! وإنّ حدّ الله عليك في الزنا لثابت، ولقد درأ عمر عنك حقّاً، الله سائله عنه، ولقد سألت رسول الله ﷺ هل ينظر الرجل الى المرأة يريد أن يتزوّجها؟ فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا لعلمه بأنّك زانٍ.

وأما فخركم علينا بالإمارة. فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾(١)».

ثم قام الحسن فنفض ثوبه، وانصرف فتعلّق عمرو بثوبه، وقال: يا أميرالمؤمنين، قد شهدت قوله فيّ، وأنا مطالب له بحد القذف. فقال معاوية: خل عنه لا جزاك الله خيراً، فتركه.

فقال معاوية: قد أنبأتكم أنه ممّن لا تطاق عارضته، ونهيتكم أن تسبّوه فعصيتموني، والله ما قام حتى أظلم عليّ البيت، قوموا عنّي، فلقد فضحكم الله وأخزاكم بترككم الحزم وعدولكم عن رأي الناصح المشفق وقال:

أمرتكم أمراً فلم تسمعوا له ... وقلت لكم لا تبعثنّ الى الحسن
فجاء وربّ الراقصات عشية ... بركبانها يهوين من سرة اليمن
أخاف عليكم منه طول لسانه ... وبعد مداه حين إجراره الرسن
فلمّا أبيتم كنت فيكم كبعضكم ... وكان خطابي فيه غبناً من الغبن
فحسبكم ما قال ممّا علمتم ... وحسبي بما ألقاه في القبر والكفن(٢)

---

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) تذكرة الخواص: ٢٠٠ ـ ٢٠٢، شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٦: ٢٨٥ ـ ٢٩٤.

رجوعه الى المدينة

قال المدائني : أقام الحسن عليه السلام بالكوفة أيّاماً، ثم تجهّز للشخوص الى المدينة، فدخل عليه المسيب بن نجبة الفَزاري، وظبيان بن عمارة التميمي[1]، ليودّعاه فقال الحسن عليه السلام : «الحمد لله الغالب على أمره، لو أجمع الناس[2] جميعاً على أن لا يكون ما هو كائن ما استطاعوا» ـ الى أن قال ـ : فعرض له المسيب وظبيان بالرجوع، فقال: «ليس الى ذلك سبيل». فلمّا كان الغد خرج، وتوجه الى المدينة هو وأخوه الحسين عليه السلام، وأهل بيته، وحشمهم وجعل الناس يبكون عند مسيرهم من الكوفة، فلمّا صار بدير هند نظر الى الكوفة وقال :

«ولا عن قِلىً فارقت دار معاشري هم المانعون حوزتي وذماري»[3]

قال المفيد : خرج الحسن الى المدينة، فأقام بها كاظماً غيظه لازماً منزله منتظراً لأمر ربّه[4].

وفاة الحسن عليه السلام

روى الزبير بن بكّار في كتاب أنساب قريش عن محمّد بن حبيب في أماليه، عن ابن عباس أنّه قال: أوّل ذلّ دخل على العرب موت الحسن عليه السلام[5].

وفي مقاتل الطالبيين: قيل لأبي إسحاق: متى ذُلّ الناس؟ قال: حيث مات

(١) في المصدر [التيمي].

(٢) في المصدر [الخلق].

(٣) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٦ .

(٤) الإرشاد : ١٥/٢ .

(٥) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٠ .

الحسن، وأُدعيَ زياد، وقتل حجر بن عدي[١]، وكان الحسن عليه السلام شرط على معاوية في شروط الصلح، أن لا يعهد الى أحد بالخلافة بعده، وأن تكون الخلافة له من بعده[٢].

قال أبو الفرج: وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد. فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن عليّ، وسعد بن أبي وقاص، فدسّ إليهما سمّاً فماتا منه. أرسل الى ابنة الأشعث إنّي مزوّجك بيزيد ابني على أن تسمّي الحسن، وبعث إليها بمائة ألف درهم فسوّغها المال، ولم يزوّجها منه. فخلف عليها رجل من آل طلحة، فأولدها فكان إذا وقع بينهم وبين بطون قريش كلام عيّروهم، وقالوا: يا بني مسمّة الأزواج[٣]، وكان ذلك بعد ما مضى من إمارة معاوية عشر سنين.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب : قال قتادة وأبو بكر بن حفص : سمّ الحسن بن عليّ، سمّته امرأته بنت الأشعث بن قيس الكندي، وقالت طائفة: كان ذلك منه بتدسيس معاوية إليها، وما بذل لها في ذلك[٤]... الخ .

وقال المدائني: دسّ إليه معاوية سمّاً على يد جعدة بنت الأشعث بن قيس زوجة الحسن، وقال لها: إن قتلتِهِ بالسمّ فلك مائة ألف، وأُزوّجك يزيد ابني، فمرض أربعين يوماً، فلمّا مات وفى لها بالمال، ولم يزوجها من يزيد. وقال: أخشى أن تصنعي بابني ما صنعت بابن رسول الله صلى الله عليه وآله[٥].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٨٣.

(٢) الفصول المهمّة: ١٥٤ ـ ١٥٥، ملخص، الاستيعاب ١: ٤٣٨ .

(٣) مقاتل الطالبيين: ٨٠

(٤) الاستيعاب ١: ٤٤٠.

(٥) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١١ بتقديم وتأخير.

وقال المفيد : لمّا تم لمعاوية عشر سنين من إمارته، وعزم على البيعة لابنه يزيد، دسّ الى جعدة بنت الأشعث بن قيس ـ وكانت زوجة الحسن عليه السلام ـ مَن حملها على سمّه وضَمِن لها أن يزوّجها بابنه يزيد، فأرسل إليها مائة ألف درهم، فسقته جعدة السمّ، فبقي أربعين يوماً ومضى لسبيله[1] .

وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: قال علماء السير؛ منهم ابن عبدالبر. سمّته زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس الكندي.

وقال الشعبي: دسّ إليها معاوية فقال سمّي الحسن وأُزوّجك يزيد، وأعطيك مائة ألف درهم، فلمّا مات الحسن بعث إليها بالمال ولم يزوّجها بيزيد. قال: وحكى جدّي في كتاب الصفوة، قال: ذكر يعقوب بن سفيان في تأريخه: إنّ جعدة هي التي سمّته وقال الشاعر في ذلك :

[تعزّ][2]فكم لك من سلوة ... تفرّج عنك غليل الحزن
بموت النبيّ وقتل الوصيّ ... وقتل الحسين وسمّ الحسن[3]

وقال الصادق عليه السلام: «إنّ الأشعث شرك في دم أميرالمؤمنين عليه السلام، وابنته جعدة سمّت الحسن عليه السلام، وابنه محمّد شرك في دم الحسين»[4].

وصية الحسن بن عليّ الى أخيه الحسين عليه السلام

رواها الشيخ الطوسي في أماليه عن ابن عبّاس :

«هذا ما أوصى به الحسن بن عليّ الى أخيه الحسين: أوصى أنّه يشهد أنّ لا إله إلّا الله

(١) الإرشاد: ٢/١٥ .

(٢) في المصدر [تفر] .

(٣) تذكرة الخواص: ٢١١ ـ ٢١٢.

(٤) الكافي للكليني ٨: ١٦٧ / ح١٨٧، بحار الأنوار ٤٢: ٢٢٨ / ح ٤٠.

وحده لا شريك له، وأنّه يعبده حقّ عبادته لا شريك له في الملك، ولا وليّ له من الذلّ، وأنّه خلق كلّ شيء فقدّره تقديراً، وأنه أولى مَن عُبد، وأحقّ من حُمد، من أطاعه رشد، ومن عصاه غوى، ومن تاب إليه اهتدى، فإنّي أُوصيك يا حسين بمن خلّفت من أهلي، وولدي وأهل بيتك، أن تصفح عن مسيئهم، وتقبل من محسنهم، وتكون لهم خلفاً ووالداً، وأن تدفنني مع رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّي أحقّ به وببيته. فإن [أبوا عليك](١) فأُنشدك الله بالقرابة التي قرّب الله عزّ وجلّ منك، والرحم الماسّة من رسول الله صلى الله عليه وآله، أن لا تهريق في أمري محجمة من دم، حتى نلقى رسول الله صلى الله عليه وآله فنختصم إليه، ونخبره بما كان من الناس إلينا»(٢).

وروى الحاكم في المستدرك: أنّه لمّا توفي أقام نساء بني هاشم النوح عليه شهراً.

وعن أبي جعفر قال: «مكث الناس يبكون على الحسن بن عليّ، وعُطّلت الأسواق»(٣).

قال الشيخ الطوسي في الأمالي: فلمّا تُوفّي دعا الحسين ابن عبّاس، وعبدالرحمن بن جعفر، وعليّ بن عبدالله بن عبّاس، فأعانوه على غسله، وحنطوه وألبسوه أكفانه، وخرجوا به الى المسجد فصلوا عليه(٤).

وقال المفيد: لمّا مضى لسبيله غسله الحسين عليه السلام، وكفّنه وحمله على سريره، ولم يشكّ مروان ومن معه من بني أُميّة أنّهم سيدفنونه عند رسول الله صلى الله عليه وآله فتجمّعوا لذلك(٥)، ولبسوا السلاح، فلمّا توجّه به الحسين عليه السلام الى

---

(١) في المصدر [أبت عليك الإمرأة].

(٢) الأمالي للشيخ الطوسي: ١٥٩ ـ ١٦٠ / ح ٢٦٧.

(٣) المستدرك للحاكم ٣: ١٧٣، وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٤) الأمالي للطوسي: ١٦٠ / ح ٢٦٧، ملخّص في ذيل الحديث بتفاوت.

(٥) في المصدر [له].

قبر جدّه رسول الله ﷺ ليجدّد به عهداً أقبلوا إليهم في جمعهم، ولحقتهم عائشة على بغل وهي تقول : ما لي ولكم تُريدون أن تُدخلوا بيتي من لا أُحبّ. وجعل مروان يقول : يا ربّ هيجا هي خيرٌ من دعة .

أيدفن عثمان في أقصى المدينة، ويدفن الحسن مع النبيّ؟! لا يكون ذلك أبداً، وأنا أحمل السيف.

وكادت الفتنة أن تقع بين بني هاشم وبني أُميّة(١) .

وقال سبط ابن الجوزي : قال ابن سعد عن الواقدي: لما احتضر الحسن، قال: «ادفنوني عند أبي» ـ يعني رسول الله ﷺ ـ فأراد الحسين عليه السلام أن يدفنه في حجرة رسول الله، فقامت بنو أُميّة ومروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، وكان والياً على المدينة فمنعوه، وقامت بنو هاشم لتقاتلهم، فقال أبو هريرة: أرأيتم لو مات ابن لموسى أما كان يدفن مع أبيه؟ قال ابن سعد، ومنهم أيضاً عائشة وقالت: لا يدفن مع رسول الله ﷺ أحد(٢).

وقال أبو الفرج الاصبهاني: قال يحيى بن الحسن : سمعت عليّ بن طاهر ابن زيد يقول: لمّا أرادوا دفنه، ركبت عائشة بغلاً واستعونت(٣) بني أُميّة، ومروان ومن كان هناك منهم ومن حشمهم، وهو قول القائل :

فيوماً على بغلٍ ويوماً على جمل(٤).

قال المفيد في تتمة الخبر السابق : فبادر ابن عباس الى مروان فقال له: إرجع يا مروان من حيث جئت، ما نريد دفن صاحبنا عند رسول الله ﷺ، لكنّا

---

(١) الإرشاد : ١٨/٢ .

(٢) تذكره الخواص : ٢١٣.

(٣) في المصدر [استنفرت].

(٤) مقاتل الطالبيين: ٨٢

نريد أن نُجدّد به عهداً بزيارته، ثم نردّه الى جدّته فاطمة [بنت أسد](١) فندفنه عندها بوصيته بذلك ـ الى آخر كلامه ـ وقال الحسين عليه السلام: «والله لولا عهد الحسن(٢) بحقن الدماء، وأن لا أهريق في أمره محجمة دم، لعلمتم كيف تأخذ سيوف الله منكم مأخذها، وقد نقضتم العهد بيننا وبينكم، وأبطلتم ما اشترطنا عليكم لأنفسنا».

ومضوا بالحسن(٣).

فدفنوه بالبقيع عند جدته فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف(٤).

ولما بلغ معاوية موت الحسن عليه السلام، سجد وسجد من حوله وكبّر وكبّروا معه، ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار وابن عبد البر في الاستيعاب(٥) وغيرهما(٦) فقال بعض الشعراء:

أصبح اليوم ابن هند شامتاً ... ظاهر النخوة إذ مات الحسن

يا ابن هند إن تذق كأس الردى ... تك في الدهر كشيء لم يكن

لست بالباقي فلا تشمت به ... كلّ حيّ للمنايا مرتهن(٧)

ولما أتى نعيه الى البصرة وذلك في إمارة زياد بن سميّة، بكى الناس فسمع الضجة أبو بكرة أخو زياد، وكان مريضاً فقال: ما هذا؟ فقالت له زوجته ـ

---

(١) ليست في المصدر، وفيه (عليها السلام).

(٢) في المصدر (عهد الحسن إليّ).

(٣) في المصدر زيادة [عليه السلام].

(٤) الإرشاد ٢: ١٨ ـ ١٩.

(٥) ربيع الأبرار ٤: ١٨٦، ولم نعثر عليه في الاستيعاب، وذكره ابن عبدربّه في العقد الفريد ٥: ١٠٣. والظاهر هناك خطأً في الاسم وقع من النسّاخ أو المصنف. بين ابن عبدالبر وابن عبدربّه.

(٦) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٤٣ نقلاً عن الزمخشري وابن عبدربّه.

(٧) ذكره الزمخشري في ربيع الأبرار ٤: ١٩٧. البيت الأوّل فقط. وذكره أيضاً ابن شهرآشوب في المناقب ٤: ٤٣ ولم يذكر البيتين الأخيرين ولم أعثر عليهما في مكان آخر.

وكانت ثقفية ـ : مات الحسن بن عليّ، والحمد لله الذي أراح الناس منه. فقال : أُسكتي ويحك فقد أراحه الله من شرّ كثير، وفقد الناس بموته خيراً كثيراً يرحم الله حسناً. ذكره المدائني[١] .

وكانت وفاته عليه السلام بالمدينة يوم الخميس لليلتين بقيتا من صفر[٢] . وقيل: في السابع منه، وقيل: لخمس بقين من ربيع الأوّل، وفي رواية الحاكم: لخمس خلون منه سنة خمسين من الهجرة[٣]، أو خمس وأربعين، أو تسع وأربعين، أو إحدىٰ وخمسين، أو أربع وأربعين، أو سبع وأربعين، أو ثمان وخمسين وله سبع وأربعون سنة، أو ستّ وأربعون وأربعة أشهر وثلاثة عشرة يوماً[٤]، وقيل غير ذلك[٥] .

ووقع هنا اشتباهات من أعاظم العلماء مثل الكليني، والمفيد، والطبرسي[٦]، بيّناها في الجزء الخامس من المجالس السنية[٧]. وقبض رسول الله صلى الله عليه وآله وله سبع سنين، وستة أشهر، وقيل: ثمان سنين، وقام بالأمر بعد أبيه وله سبع وثلاثون سنة، وأقام الى أن صالح معاوية ستة أشهر وخمسة أيام، أو ثلاثة أيام على الخلاف في وفاة أميرالمؤمنين عليه السلام إنّها ليلة إحدىٰ وعشرين، أو ثلاث وعشرين من شهر رمضان، وقيل: غير ذلك كما تقدّم، وبقي بعد الصلح تسع سنين وتسعة أشهر وثلاثة عشرة يوماً، وقيل: غير ذلك والله أعلم .

---

(١) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ١١.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢٩.

(٣) مستدرك الحاكم ٣: ١٧٣.

(٤) انظر تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٣: ٢٩٩ ـ ٣٠٥، والمناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢٩.

(٥) تذكرة الخواص : ٢١١.

(٦) الكافي للكليني ١: ٤٦١، الإرشاد ٢: ١٥، اعلام الورىٰ ١: ٤٠٢ ـ ٤٠٣.

(٧) المجالس السنية ٥: ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ذكرها مفصّلة سنة ولادته ووفاته وخلافته فراجع.

كتابة العلم

عن السيوطي في تدريب الراوي: أنّه كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم وأباحها طائفة، وفعلوها منهم عليّ وابنه الحسن[١]... الخ. ولا شك في أنه لو لا كتابة العلم لضاع العلم فهي منقبة لعليّ وولده عليهما السلام.

كلام له عليه السلام في التوحيد

روى الصدوق في كتاب التوحيد: أنه جاء رجل الى الحسن عليه السلام فقال له: يا ابن رسول الله صف لي ربّك كأني أنظر إليه. فأطرق مليّاً ثم رفع رأسه فقال: «الحمد لله الذي لم يكن له أوّل معلوم، ولا آخر متناه، ولا قبل مدرك، ولا بعد محدود، ولا أمد بحتى، ولا شخص فيتجزّأ، ولا اختلاف صفة فيتناهى، ولا[٢] تدرك العقول وأوهامها، ولا الفكر وخطراتها، ولا الألباب وأذهانها صفته، فتقول متى؟ ولابديء ممّا، ولا ظاهر على ما، ولا باطن فيما، ولا تارك فهلّا، خلق الخلق فكان بدياً بديئاً[٣]، ابتدأ ما ابتدع، وابتدع ما ابتدأ، وفعل ما أراد، وأراد ما استزاد، ذلكم الله ربّ العالمين»[٤].

المأثور عنه عليه السلام في الحكم والآداب والمواعظ ونحوها

قال له جنادة بن أبي أُميّة في مرضه الذي توفي فيه: عظني يا ابن

---

(١) أورده النووي في شرح صحيح مسلم ١٨: ١٢٩ عن القاضي.

(٢) في المصدر [فلا].

(٣) في المصدر [بديئاً بديعاً].

(٤) التوحيد للصدوق: ٤٥ ـ ٤٦ / ح٥.

رسول‌الله. قال: «نعم استعد لسفرك، وحصّل زادك قبل حلول أجلك، واعلم أنّك تطلب الدّنيا والموت يطلبك، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك إلّا كنت فيه خازناً لغيرك، واعلم أنّ الدنيا في حلالها حساب وفي حرامها عقاب، وفي الشبهات عتاب، فانزل الدنيا بمنزلة الميتة، خذ منها ما يكفيك، فإن كان حلالاً كنت قد زهدت فيها، وإن كان حراماً لم يكن في وزر فأخذت منه كما أخذت من الميتة، وإن كان العتاب فالعتاب يسير، واعمل لدنياك كأنّك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنّك تموت غداً، وإذا أردت عزّاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان فاخرج من ذلّ معصية الله الى عزّ طاعة الله عزّ وجلّ، وإذا نازعتك الى صحبة الرجال حاجة فاصحب من إذا صحبته زانك، وإذا خدمته صانك، وإذا أردت معونة أعانك، وإن قلت صدّق قولك، وإن صلت شدّ صولك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت منك ثلمة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكت عنه ابتداك، وإن نزلت بك إحدى الملمّات واساك، من لا تأتيك منه البوائق، ولا تختلف عليك منه الطرائف، ولا يخذلك عند الحقائق، وإن تنازعتما منقسماً آثرك»(١).

شيء من حِكَمه القصيرة

منقول من تحف العقول قال عليه السلام :

«ما تشاور قوم إلّا هُدوا إلى رشدهم».

«اللؤم أن لا تشكر النعمة».

وقال لبعض ولده : «يا بني لا تؤاخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره».

«القريب من قرّبته المودّة وإن بعد نسبه، والبعيد من باعدته المودّة وإن قَرُب نسبه».

---

(١) كفاية الأثر : ٢٢٧ ـ ٢٢٨ وفيها تفاوت باللفظ، وبحار الأنوار ٤٤: ١٣٨ ـ ١٣٩ / ح٦.

«الخير الذي لا شرّ فيه».

«الشكر مع النعمة والصبر على النازلة».

«العار أهون من النار».

وقال في وصف أخ صالح كان له :

«كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدنيا في عينه، كان لا يشتكي ولا يسخط ولا يتبرّم، كان أكثر دهره صامتاً، فإذا قال بذّ القائلين، كان إذا جالس العلماء على أن يستمع أحرص منه على أن يقول، كان إذا غلب على الكلام لم يغلب على السكوت، كان لا يقول ما لا يفعل ويفعل ما لا يقول، كان إذا عرض له أمران لا يدري أيّهما أقرب الى ربّه، نظر أقربهما من هواه فخالفه، كان لا يلوم أحداً على ما قد يقع العذر في مثله».

وقيل له : فيك عظمة!. فقال : «بل فيّ عزّة الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾»(١).

وسئل عن المروءة، فقال : «شح الرجل على دينه، وإصلاحه ماله، وقيامه بالحقوق».

وسأله رجل أن يجالسه، فقال : «إيّاك أن تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك، أو تكذبني فإنّه لا رأي لمكذوب، أو تغتاب عندي أحداً» فقال له الرجل: إئذن لي في الانصراف قال: «نعم إذا شئت» .

ومرّ عليه السلام في يوم فطر بقوم يلعبون ويضحكون فوقف على رؤوسهم، فقال: «إنّ الله جعل شهر رمضان مضماراً لخلقه يستبقون فيه بطاعته الى مرضاته، فسبق قوم

---

(١) المنافقون: ٨.

فازوا، وقصّر آخرون فخابوا، فالعجب كلّ العجب من ضاحك لاعب في اليوم الذي يثاب فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون، وأيم الله لوكشف الغطاء لعلموا أنّ المحسن مشغول بإحسانه، والمسيء مشغول بإساءته» ثم مضى(١).

ومن الفصول المهمّة:

«هلاك المرء في ثلاث: الكبر، والحرص، والحسد، فالكبر هلاك الدين وبه لعن إبليس، والحرص عدو النفس وبه أُخرج آدم من الجنّة، والحسد رائد السوء ومنه قتل قابيل هابيل»(٢).

ومن كشف الغمة:

«لا أدب لمن لا عقل له، ولا مروءة لمن لا همّة له، ولا حياء لمن لا دين له، ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل، وبالعقل تدرك الداران جميعاً، ومَن حُرِمَ العقل حرمهما جميعاً».

«لا تأت رجلاً إلّا أن ترجو نواله، أو تخاف يده، أو تستفيد من علمه، أو ترجو بركة دعائه، أو تصل رحماً بينك وبينه».

«ما رأيت ظالماً(٣) بمظلوم من حاسد».

وقال عليه السلام: «يا ابن آدم عفّ عن محارم الله تكن عابداً، وارض بما قسم الله تكن غنياً، وأحسن جوار من جاورك تكن مسلماً، وصاحب الناس بمثل ما تُحبّ أن يصاحبوك به تكن عدلاً، إنّه كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيراً ويبنون مشيداً ويأملون بعيداً، أصبح جمعهم بوراً وعملهم غروراً، ومساكنهم قبوراً، يا ابن آدم لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن

---

(١) تحف العقول: ٢٣٣ ـ ٢٣٦.

(٢) الفصول المهمّة: ١٥١.

(٣) في المصدر [ظالماً].

أُمّك فخذ ممّا في يديك لما بين يديك، فإنّ المؤمن يتزوّد والكافر يتمتّع»(١).

وقال عليه السلام : «ما فتح الله عزّ وجلّ على أحد باب مسألة فخزن عنه باب الإجابة، ولا فتح على رجل باب عمل فخزن عنه باب القبول، ولا فتح لعبد باب شكر فخزن عنه باب المزيد»(٢).

وقال عليه السلام : «المعروف ما لم يتقدمه مطل، ولا يتبعه منّ، والإعطاء قبل السؤال من أكبر السؤدد».

وسُئل عن البخل فقال : «هو أن يرى الرجل ما أنفقه تلفاً، وما أمسكه شرفاً».

وقال عليه السلام : «لا تعاجل الذنب بالعقوبة، واجعل بينهما للاعتذار طريقاً».

«المزاح يأكل الهيبة وقد أكثر من الهيبة الصامت».

«المسؤول حرّ حتى يعد ومسترق حتى ينجز».

«الفرصة سريعة الفوت بطيئة العود»(٣).

«تُجهل النعم ما أقامت فإذا ولّت عُرفت»(٤).

المأثور عن الحسن عليه السلام من الشعر

فمنه ما أورده ابن شهرآشوب في المناقب وهو قوله عليه السلام :

ذري كدر الأيّام إنّ صفاءها ... تولّى بأيّام السرور الذواهب

وكيف يغرّ الدهر من كان بينه ... وبين الليالي محكمات التجارب

وقوله عليه السلام :

قل للمقيم بغير دار إقامة ... حان الرحيل فودّع الأحبابا

(١) كشف الغمّة ٢: ١٩٧ ـ ١٩٨.

(٢) العدد القوية: ٣٢ ـ ٣٣ ح ٢٣. بحار الأنوار ٧٥: ١١٢ ـ ١١٣.

(٣) العدد القوية: ٣٧ / ح٣٣ ـ ٤٤، بحار الأنوار ٧٥: ١٣ / ح٧.

(٤) أعلام الدين للديلمي: ٢٩٧، بحار الأنوار ٧٥: ١١٥ / ح١٢.

إنّ الذين قد بليتهم وصحبتهم صاروا جميعاً في القبور ترابا

وقوله عليه السلام :

يا أهل لذّات دنيا لا بقاء لها إنّ المقام بظلّ زائل حمق

وقوله عليه السلام :

لكسرة من خسيس الخبز تشبعني وشربة من قراح الماء تكفيني

وطمرة من رقيق الثوب تسترني حيّاً وإن متّ تكفيني لتكفيني

وقال وقد جاءه أعرابيّ فقال: «أعطوه ما في الخزانة» فكان عشرين ألف درهم فقال: يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وأنشر مدحتي؟! فأنشأ الحسن عليه السلام يقول:

نحن أناس نوالنا خضل يرتع فيه الرجاء والأمل

تجود قبل السؤال أنفسنا خوفاً على ماء وجه من يسل

لو علم البحر فضل نائلنا لغاض من بعد فيضه خجل[١]

وفي كتاب العمدة لابن رشيق: وهو ـ أي الحسن عليه السلام ـ القائل وقد خرج على أصحابه مختضباً (رواه البرد):

نسود أعلاها وتأبى أصولها فليت الذي يسود منها هو الأصل

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥ ـ ١٦.

سيرة الإمام
الحسين سيّد الشهداء عليه السلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو عبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام

ثالث أئمة أهل البيت الطاهر وثاني السبطين سيدي شباب أهل الجنة وريحانتي المصطفى وأحد الخمسة أصحاب العبا وسيد الشهداء.

وأُمّه فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله.

مولده الشريف

ولد بالمدينة في الثالث من شعبان[1]. وقيل لخمس خلون[2] منه، سنة ثلاث أو أربع من الهجرة. وروى الحاكم في المستدرك ـ من طريق محمّد بن إسحاق الثقفي بسنده عن قتاده ـ أن ولادته لستّ سنين وخمسة أشهر ونصف من التاريخ)[3]. وقيل ولد في أواخر ربيع الأوّل[4] وقيل لثلاث أو خمس خلون من جمادى الأُولى والمشهور المعروف أنه ولد في شعبان.

وكانت مدّة حمله ستة أشهر ومرّ في سيرة الحسن عليه السلام ما روي أنه كان بين ولادة الحسن والحمل بالحسين عليهما السلام طهر واحد وأن الحسين عليه السلام كان في بطن أُمّه ستة

---

(١) مصباح المتهجد: ٧٥٨، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٢٠.

(٢) مقاتل الطالبيين: ٨٤، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٧٩.

(٣) المستدرك للحاكم ٣: ١٧٧.

(٤) المقنعة: ٤٦٧، التهذيب للطوسي ٦: ٤١ / باب ١٥.

أشهر[١] وذكرنا منافاة ذلك للمشهور في تاريخ ولادتيهما فإن الحسنعليه السلام ولد في منتصف شهر رمضان والحسينعليه السلام لخمس خلون من شعبان على المشهور فيكون بين ميلاديهما عشرة شهور وعشرون يوماً. نعم ربما يتجه ذلك على القول بأن ولادة الحسينعليه السلام في أواخر ربيع الأوّل ولعلّ القائل به استنبطه من الجمع بين تاريخ ولادة الحسن وأن بينها وبين الحمل بالحسين طهر واحد وإن مدة حمل الحسين ستة أشهر والله أعلم.

وروى الحاكم في المستدرك ـ من طريق محمّد بن إسحاق الثقفي بسنده عن قتادة. ولدت فاطمة حسيناً بعد الحسن لسنة وعشرة أشهر[٢] .

ولما ولد جيء به الى رسول اللهصلى الله عليه وآله فاستبشر بـه وأذّن فـي أُذنـه اليـمنى وأقام في اليسرى فلما كان اليوم السابع سمّاه حسيناً وعقّ عنه بكبش وأمر أن تحلق رأسه وتتصدق بوزن شعره فضة كما فعلت بأخيه الحسن[٣]. فامتثلت ما أمرها به.

وعن الزبير بن بكار في كتاب أنساب قـريش أن رسـول اللهصلى الله عليه وآله سـمّى حسناً وحسيناً يوم سابعهما واشتقّ اسم حسين من اسم حسن[٤].

وروى الحاكم في المستدرك وصححه بسنده عن أبي‌رافع: رأيت رسول اللهصلى الله عليه وآله أذّن في أُذن الحسين حين ولدته فاطمة. وبسنده عن جعفر بن مـحمّد عن أبيه عن جدّه عليعليه السلام وصحّحه أن رسول اللهصلى الله عليه وآله أمر فاطمة فقال: «زني شعر

---

(١) الكافي ١: ٤٦٤ / ح٥٢.

(٢) المستدرك للحاكم النيسابوري ٣: ١٧٧.

(٣) الفصول المهمّة: ١٦١.

(٤) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ١٦: ٩.

الحسين وتصدّقي بوزنه فضة وأعطي القابلة رجل العقيقة»[١] .

وبسنده أن رسول الله ﷺ عقّ عن الحسن والحسين يوم السابع وسمّاهما وأمر أن يماط عن رؤوسهما الأذى. وبسنده عن محمّد بن علي بن الحسين عن أبيه عن جدّه عليّ ابن أبي طالب قال: «عقّ رسول الله ﷺ عن الحسين بشاة وقال: يا فاطمة احلقي رأسه وتصدّقي بزنة شعره» فوزنّاه وكان وزنه درهماً .

وبسنده أن النبي ﷺ عقّ عن الحسن والحسين عن كل واحد منهما كبشين اثنين مثليين متكافيين[٢] .

شهادته ومدة عمره

قُتل عليه السلام شهيداً في كربلاء من أرض العراق عاشر المحرم سنة (٦١ هـ) بعد الظهر مظلوماً ظمآناً صابراً محتسباً.

قال المفيد: يوم السبت[٣] والذي صححه أبو الفرج في مقاتل الطالبيين أنه استشهد يوم الجمعة[٤]. قال: وكان أوّل المحرم الأربعاء استخرجنا ذلك بالحساب الهندي من سائر الزيجات تنضاف إليه الرواية. أما ما تعارفه العوام من أنه قتل يوم الإثنين فلا أصل له ولا وردت به رواية[٥]... الخ.

وكان عمره عليه السلام يوم قتل٥٦[٦] سنة وخمسة أشهر وسبعة أيام، أو (خمسة أيام)أو تسعة أشهر وعشرة أيام أو ثمانية أشهر وسبعة أيام (أو خمسةأيام) أو٥٧

(١) المستدرك للحاكم ٣: ١٧٩.

(٢) المصدر السابق ٤: ٢٣٧.

(٣) الإرشاد ٢: ١٣٣.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٨٤.

(٥) المصدر السابق: ٨٥.

(٦) المصدر السابق: ٨٤.

سنة بنوع من التسامح بعدِّ السنة الناقصة سنة كاملة أو٥٨ سنة أو ٥٥ سنة وستة أشهر ـ على اختلاف الروايات[(١)] والأقوال المتقدمة في مولده ـ وغيرها.

ومن الغريب قول المفيد: أن عمره الشريف ٥٨[(٢)] سنة مع ذكره أن مولده لخمس خلون من شعبان سنة أربع[(٣)] وشهادته كمامر فإن عمره على هذا يكون ٥٦ سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام.

عاش منها مع جدّه رسول الله ﷺ ست سنين أو سبع سنين وشهوراً وقال المفيد: سبع سنين، ومع أبيه أميرالمؤمنين ٣٧ سنة. قاله المفيد، ومع أبيه بعد وفاة جدّه ﷺ ٣٠ سنة إلاّ أشهراً ومع أخيه الحسن ٤٧ سنة قاله المفيد، ومع أخيه بعد وفاة أبيه نحو عشر سنين[(٤)] . وقال المفيد: إحدى عشرة سنة[(٥)]. وقيل: خمس سنين وأشهراً للاختلاف في وفاة الحسين عليه السلام وهي مدّة خلافته وإمامته.

كنيته ولقبه ونقش خاتمه

كنيته: أبو عبدالله.

لقبه: «الرشيد» و«الوفي» و«الطيّب» و«السيّد الزكي» و«المبارك» و«التابع لمرضاة الله» و«الدليل على ذات الله» و«السبط» وأعلاها رتبة ما لقّبه به جدّه ﷺ في قوله عنه وعن أخيه الحسن: أنهما «سيّدا شباب أهل

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٤: ٢٥١ ـ ٢٥٨، ذكر الروايات التي فيها مدة عمره الشريف وتاريخ شهادته عليه السلام، وانظر المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٧٧ .

(٢) الإرشاد ٢: ١٣٣.

(٣) المصدر السابق ٢: ٢٧.

(٤) المستجاد من الإرشاد: ١٥٩ ـ ١٦٠، ذكر فيها هذه الاختلافات في التواريخ.

(٥) الإرشاد ٢: ١٣٣.

الجنة» وكذلك السبط لقوله ﷺ : «حسين سبط من الأسباط»(١) .

نقش خاتمه: في الفصول المهمّة: ﴿لكل أجل كتاب﴾(٢).

وفي الوافي وغيره عن الصادق عليه السلام: ﴿حسبي الله﴾ وعن الرضا عليه السلام: ﴿إنّ الله بالغ أمره﴾(٣) ولعلّه كان له عدة خواتيم هذه نقوشها.

شاعره: يحيى بن الحكم وجماعة.

بوّابه: أسعد الهجري.

ملوك عصره: معاوية وابنه يزيد(٤) .

أولاده

له من الأولاد ستة ذكور وثلاث بنات:

(عليّ الأكبر شهيد كربلاء أُمّه ليلى بنت أبي مُرّة بن عروة بن مسعود الثقفية .

عليّ الأوسط.

عليّ الأصغر زين العابدين أُمّه شاهزنان بنت كسرى يزدجر ملك الفرس ـ ومعنى شاهزنان بالعربية ملكة النساء ـ .

وقال المفيد: الأكبر زين العابدين والأصغر شهيد كربلاء(٥) والمشهور الأوّل .

---

(١) كشف الغمة ٢: ٢١٦، الفصول المهمّة: ١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) الفصول المهمّة: ١٦٢.

(٣) الوافي ٢٠: ٧٧٥ / ح ٢٠٤٧٧ وص٧٧٧ / ح ٢٠٤٨٣ باب ١٩١، الوسائل ٥: ٩٨ و١٠٢ / ح١ من باب ٦٠ وح٩ من باب ٦٢.

(٤) الفصول المهمّة: ١٦٢.

(٥) الإرشاد ٢: ١٣٥.

ومحمّد.

وجعفر مات في حياة أبيه ولم يعقّب أُمّه قضاعية.

وعبدالله الرضيع جاءه سهم وهو في حجر أبيه فذبحه.

وسكينة أُمّها وأُم عبدالله الرضيع الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أوس بن جابر بن كعب بن عليم، كلبية معدية.

وفاطمة أُمّها أُم إسحاق بنت طلحة بن عبدالله تيمية.

وزينب[١].

والذكر المخلد والثناء المؤبد لعليّ زين العابدين عليه السلام ومنه عقبه.

مناقبه عليه السلام

مرّ الكلام على جملة ممّا يشترك فيه مع أخيه الحسن عليهما السلام في سيرة الحسن عليه السلام فأغنى عن إعادته.

كرمه وسخاؤه عليه السلام

دخل الحسين عليه السلام على أُسامة بن زيد، وهو مريض وهو يقول: واغمّاه. فقال: «وما غمّك؟» قال: دَيني، وهو ستون ألف درهم. فقال: «هو عليّ» قال: إني أخشى أن أموت قبل أن يُقضى. قال: «لن تموت حتى أقضيها عنك» فقضاها قبل موته.

ولمّا أخرج مروان الفرزدق من المدينة أتى الفرزدق الحسين عليه السلام فأعطاه الحسين أربعمائة دينار، قيل له: إنّه شاعر فاسق. فقال: «إن خير مالك ما وقيت به

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٧٧، وكشف الغمّة ٢: ٢٥٠ ـ ٢٥١.

عرضك، وقد أثاب رسول الله ﷺ كعب بن زهير، وقال في العباس بن مرداس اقطعوا لسانه عنّي»[١] .

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق: أن سائلاً خرج يتخطى أزقة المدينة حتى أتى باب الحسين فرقع الباب وأنشأ يقول:

لم يخب[٢] اليوم من رجاك ومن ... حرك من خلف بابك الحلقة
فأنت ذو الجود[٣] أنت معدنه ... أبوك قد[٤] كان قاتل الفسقة

وكان الحسين واقفاً يصلّي فخفف من صلاته، وخرج الى الأعرابي فرأى عليه أثر ضرّ وفاقة، فرجع ونادى بقنبر فأجابه لبيّك يابن رسول الله ﷺ قال: «ما تبقّى معك من نفقتنا؟» قال: ماتئا درهم أمرتني بتفريقها في أهل بيتك، فقال: «هاتها فقد أتى من هو أحقّ بها منهم» فأخذها وخرج يدفعها الى الأعرابي وأنشأ يقول:

خذها فإني إليك معتذر ... واعلم بأني عليك ذو شفقه
لوكان في سيرنا الغداة عصا[٥] ... كانت سمانا عليك مندفقه
لكن ريب الزمان ذو نكد ... والكف منّا قليلة النفقه

فأخذها الأعرابي وولّى وهو يقول:

مطهّرون نقيّات جيوبهم ... تجري الصلاة عليهم أينما ذكروا
وأنتم أنتم الأعلون عندكم ... علم الكتاب وماجاءت به السور

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٦٥.

(٢) في المصدر [يخف].

(٣) في المصدر [وانت جود].

(٤) في المصدر [ماكان].

(٥) الذي في الأصل (لوكان في سيرنا تمتد لذن) ولا يخفى إختلال وزنه، ولعلّ صوابه (في سيرنا لوعصا تمد أذن) أو غير ذلك والله أعلم (منه مُدَّ ظِلُّه).

مــن لم يكــن عــلوياً حين تـنسبه فـما له في جـميع الناس مـفتخر[١]

وقد أوردنا هذا الخبر في لواعج الأشجان[٢] بنحو آخر ولا ندري الآن من أين نقلناه، وفيه أنه قنبر، «هل بقي من مال الحجاز شيء» قال: نعم أربعة آلاف دينار، فأمره أن يعطيه إياها وزيادة بعد البيتين:

لولا الذي كــان مــن أوائـلكم كــانت عـلينا الجـحيم مـنطبقه[٣]

وليس فيه الأبيات الثلاثة الأخيرة مع أنها تنسب لأبي نؤاس في الرضاعليه السلام[٤]، والله أعلم.

وعلّم أبوعبدالرحمن عبدالله بن حبيب السلمي ولداً للحسين عليه السلام الحمد، فلما قرأها على أبيه أعطاه ألف دينار وألف حلّة وحشا فاه دراً، فقيل له في ذلك. فقال: «وأين يقع هذا من عطائه؟» يعني تعليمه، وأنشد الحسين عليه السلام :

إذا جـادت الدنـيا عـليك فـجد بـها عـلى النـاس طـرّاً قـبل أن تـتفلت
فـلا الجـود يـفنيها إذا هـي أقـبلت ولا البـخل يـبقيها إذا مـا تـولّت[٥]

ودخلت على الحسين عليه السلام جارية فحيّته بطاقة ريحان فقال لها: «أنت حرّة لوجه الله تعالى» فقيل له: تجيئك بطاقة ريحان لا خطر لها فتعتقها قال: «كذا أدبّنا الله، قال الله تعالى: ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردّوها﴾[٦] وكان أحسن منها عتقها»[٧] .

---

(١) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٤: ١٨٥ .

(٢) لواعج الأشجان: ١٥ ط. مكتبة بصيرتي.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٦٥ ـ ٦٦، بحار الأنوار ٤٤: ١٩٠ / ح٢.

(٤) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٣٦٦.

(٥) المصدر السابق ٤: ٦٦.

(٦) النساء: ٨٦.

(٧) الفصول المهمة: ١٦٧ ـ ١٦٨. وفيه تفاوت يسير باللفظ.

وجاء أعرابي الى الحسين عليه السلام فقال: يابن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائها، فقلت في نفسي: أسأل أكرم الناس، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله. فقال الحسين عليه السلام: «يا أخا العرب أسألك عن ثلاث مسائل: فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل» فقال الأعرابي: يابن رسول الله أمثلك يسأل مثلي؟ وأنت من أهل العلم والشرف.

فقال الحسين عليه السلام: «بلى سمعت جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله المعروف بقدر المعرفة»، فقال الأعرابي: سل عمّا بدا لك، فإن أجبت، وإلّا تعلمت منك ولا قوّة إلّا بالله.

فقال الحسين عليه السلام: «أي الأعمال أفضل؟» فقال الأعرابي: الإيمان بالله.

فقال الحسين عليه السلام: «فما النجاة من الهلكة؟» فقال الأعرابي: الثقة بالله.

فقال الحسين عليه السلام: «فما يزين الرجل؟» فقال الأعرابي: علم معه حلم.

فقال: «فإن أخطأه ذلك؟» فقال: مال معه مروءة.

فقال: «فإن أخطأه ذلك؟» فقال: فقر معه صبر.

فقال الحسين عليه السلام: «فإن أخطأه ذلك؟» فقال الأعرابي: فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فإنه أهل لذلك. فضحك الحسين عليه السلام ورمى إليه بصرة فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه، وفيه فص قيمته مائتا درهم، وقال: «يا أعرابي أعط الذهب الى غرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك» فأخذ الأعرابي ذلك، وقال: ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾(١).

---

(١) جامع الأخبار: ٣٨١ ـ ٣٨٢ / ح١٠٦٩، بحار الأنوار ٤٤: ١٩٦ ـ ١٩٧ / ح١١. والآية في سورة الأنعام الآية: ١٢٤.

وفي تحف العقول: أتاه رجل فسأله، فقال: «إن المسألة لا تصلح إلّا في غُرم فادح أو فقرٍ مدقع أو حمالة مفظعة» فقال الرجل: ما جئت إلّا في إحداهنّ، فأمر له بمائة دينار(١) .

وفي تحف العقول: جاءه رجل من الأنصار يريد أن يسأله حاجةً، فقال: «يا أخا الأنصار صُنْ وجهك عن بذلة المسألة، وارفع حاجتك في رقعة، فإنّي آتٍ فيها ماهو سارّك إن شاء الله» فكتب: يا أباعبدالله إنّ لفلانٍ عليَّ خمسمائة دينار وقد ألحّ بي، فكلّمه أن ينظرني الى ميسرة، فلما قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل الى منزله فأخرج صُرّة فيها ألف دينار وقال: «أما خمسمائة فاقض بها دينك، وأما خمسمائة فاستعن بها على دهرك، ولا ترفع حاجتك إلّا الى ثلاثة، الى ذي دين، أو مروءة، أو حسب» فأما ذو الدين فيصون دينه، وأما ذو المروءة فإنه يستحيي لمروءته، وأما ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يردك بغير قضاء حاجتك»(٢) .

وروى البخاري في صحيحه وغيره: إن أُسامة بن زيد أرسل مولاه حرملة من المدينة الى الكوفة الى عليّ عليه السلام يسأله شيئاً من المال، وقال له: إنه سيسألك ما خلّف صاحبك عني، فقل له: يقول لك: لو كنت في شدق الأسد لأحببت أن أكون معك فيه، ولكن هذا أمر لم أره ـ أي لم يكن من رأيه القتال ـ فلم يعطني شيئاً، فذهبت الى حسن، وحسين، وابن جعفر، فأوقروا لي راحلتي(٣).

قال ابن حجر في فتح الباري في شرح صحيح البخاري: اعتذر إليه بأن تخلّفه لكراهية قتال المسلمين فلم يرَ عليّ أن يعطيه لتخلّفه عن القتال وأعطاه

---

(١) تحف العقول: ٢٤٦.

(٢) تحف العقول: ٢٤٧.

(٣) صحيح البخاري ٤: ٣٠٨ / ح٦٩٦٥ / ب ٢١، ك الفتن، وذخائر العقبى: ١٣٧، والعمدة لابن بطريق: ٤٧٠ ـ ٤٧١.

الحسن والحسين وعبدالله بن جعفر من أموالهم من ثياب ونحوها قدر ما تحمله راحلته[١].

قال المؤلف: ما اعتذر به أُسامة غير مقبول بعد قوله تعالى: ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله﴾[٢] وكان ينبغي له أن يستحيي من عليّ عليه السلام، ولا يسأله من مال المسلمين بعدما خذله وتخلّف عن نصره، بل في بعض الروايات[٣] أنه لم يبايعه، وما فعله عليّ عليه السلام من منعه إن صح هو عين الصواب ونفس الاستحقاق، وما فعله الحسنان عليهما السلام وابن جعفر رضي الله عنه، هو مقتضى كرم بني هاشم ومقابلتهم الإساءة بالإحسان، فإذاكان منعه عليّ عليه السلام ممّا لا يستحقه فقد عوضوه عنه من مالهم جرياً على شيمتهم الكريمة.

وروى أحمد بن سليمان بن عليّ البحراني في عقد اللآلئ في مناقب الآل: إن الحسين عليه السلام كان جالساً في مسجد جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاة أخيه الحسن عليه السلام، وكان عبدالله بن الزبير جالساً في ناحية المسجد، وعتبة بن أبي‌سفيان في ناحية أُخرى، فجاء أعرابي على ناقة فعقلها باب المسجد ودخل، فوقف على عتبة ابن أبي‌سفيان، فسلّم عليه فردّ عليه السلام، فقال له الأعرابي: إني قتلت ابن عمّ لي وطولبت بالدية فهل لك أن تعطيني شيئاً؟ فرفع رأسه الى غلامه وقال: ادفع إليه مائة درهم فقال الأعرابي: ما أُريد إلّا الدية تماماً ثم تركه، وأتى عبدالله بن الزبير، وقال له مثل ما قال لعتبة، فقال عبدالله لغلامه: ادفع إليه مائتي درهم، فقال الأعرابي: ما أُريد إلّا الدية تماماً. ثم تركه، وأتى الحسين عليه السلام فسلّم عليه وقال: يابن رسول الله إني قتلت ابن عمّ لي، وقد

(١) فتح الباري ١٣: ٨٥.

(٢) الحجرات: ٩.

(٣) الكامل في التاريخ ٣: ١٩٢.

طولبت بالدية، فهل لك أن تعطيني شيئاً؟ فقال له: «يا أعرابي نحن قوم لا نعطي المعروف إلّا على قدر المعرفة» فقال: سل ما تريد.

فقال له الحسين: «يا أعرابي ما النجاة من الهلكة؟» قال: التوكل على الله عزّ وجل.

فقال: «وما الهمّة؟» قال: الثقة بالله، ثم سأله الحسين غير ذلك، وأجاب الأعرابي فأمر له الحسين عليه السلام بعشرة آلاف درهم، وقال له: «هذه لقضاء ديونك، وعشرة آلاف درهم أخرى، وقال: هذه تلمّ بها شعثك وتحسن بها حالك، وتنفق منها على عيالك» فأنشأ الأعرابي يقول:

طربت وما هاج لي معبق ... ولا لي مقام ولا معشق
ولكن طربت لآل الرسو ... ل فلذّ لي الشعر والمنطق
هم الأكرمون هم الأنجبون ... نجوم السماء بهم تشرق
سبقت الأنام إلى المكرمات ... فقصر عن سبقك السبق
بكم فتح الله باب الرشاد ... وباب الفساد بكم مغلق

رأفته بالفقراء والمساكين وإحسانه إليهم

وجد على ظهره عليه السلام يوم الطف أثر، فسئل زين العابدين عليه السلام عن ذلك فقال: «هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره الى منازل الأرامل واليتامى والمساكين»[1].

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٦٦.

تواضعه

مرّ عليه السلام بمساكين وهم يأكلون كسراً على كساء فسلّم عليهم فدعوه الى طعامهم فجلس معهم وقال: «لولا أنه صدقة لأكلت معكم. ثم قال: قوموا إلى منزلي»، فأطعمهم وكساهم وأمر لهم بدراهم[١] .

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق: أنه عليه السلام مرّ بمساكين يأكلون في الصفة، فقالوا: الغداء. فنزل، وقال: «إنّ الله لا يحب المتكبرين» فتغدى، ثم قال لهم: «قد أجبتكم فأجيبوني» قالوا: نعم، فمضى بهم الى منزله، وقال للرباب خادمته: «أخرجي ماكنت تدّخرين»[٢]... الخ .

حلمه

جنى غلام له جناية توجب العقاب فأمر بضربه فقال: «يا مولاي ﴿والكاظمين الغيظ﴾؟ قال: خلّوا عنه فقال: يا مولاي ﴿والعافين عن الناس﴾؟ قال: قد عفوت عنك، قال: يا مولاي ﴿والله يحب المحسنين﴾؟ قال: أنت حرّ لوجه الله ولك ضعف ماكنت أعطيك»[٣] .

فصاحته وبلاغته عليه السلام

ربي الحسين عليه السلام بين رسول الله صلى الله عليه وآله، أفصح من نطق بالضاد، وأمير المؤمنين عليه السلام الذي كان كلامه بعد كلام النبي صلى الله عليه وآله، وفوق كلام المخلوق

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٦٦.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٤: ١٨١.

(٣) كشف الغُمّة ٢: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، وبحار الأنوار ٤٤: ١٩٥ / ح٩.

ودون كلام الخالق، وفاطمة الزهراء التي تفرغ عن لسان أبيهاﷺ، فلا غرو أن كان أفصح الفصحاء، وأبلغ البلغاء، وهو الذي كان يخطب يوم عاشوراء، وقد اشتدّ الخطب، وعظم البلاء، وضاق الأمر، وترادفت الأهوال، فلم يزعزعه ذلك ولا اضطرب ولا تغيّر، وخطب في جموع أهل الكوفة بجنان قويّ وقلب ثابت ولسان طلق، ينحدر منه الكلام كالسيل، فلم يسمع متكلم قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، وهو الذي قال فيه عدوّه، وخصمه في ذلك اليوم: ويلكم! كلّموه فإنه ابن أبيه والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر)[١].

إباؤه للضيم

أما إباؤه للضيم، ومقاومته للظلم، واستهانته القتل في سبيل الحقّ والعزّ، فقد ضربت به الأمثال، وسارت به الركبان، وملئت به المؤلفات، وخطبت به الخطباء، ونظمته الشعراء، وكان قدوة لكل أبيّ، ومثالاً يحتذيه كل ذي نفس عالية، وهمّة سامية، ومنوالاً ينسج عليه أهل الإباء في كل عصر وزمان، وطريقا يسلكه كل من أبت نفسه الرضا بالدنية، وتحمل الذل والخنوع للظلم، وقد أتى الحسينؑ في ذلك بما حيّر العقول، وأذهل الألباب، وأدهش النفوس، وملأ القلوب، وأعيا الأمم عن أن يشاركه مشارك فيه، وأعجز العالم أن يشبهه أحد في ذلك أو يضاهيه، وأعجب به أهل كل عصر، وبقي ذكره خالداً ما بقي الدهر. أبى أن يبايع يزيد بن معاوية السكّير الخمّير صاحب الطنابير والقيان واللاعب بالقرود والمجاهر بالكفر والإلحاد والإستهانة

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٦.

بالدين قائلاً لمروان: «وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمّة براع مثل يزيد»[١]، ولأخيه محمّد ابن الحنفية: «والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوى لما بايعت يزيد بن معاوية»[٢] في حين أنه لو بايعه لنال من الدنيا الحظّ الأوفر والنصيب الأوفى، ولكان معظماً محترماً عنده مرعي الجانب محفوظ المقام لا يرد له طلب، ولا تخالف له إرادة لما كان يعلمه يزيد من مكانته بين المسلمين، وما كان يتخوّفه من مخالفته له، وما سبق من تحذير أبيه معاوية له من الحسين، فكان يبذل في إرضائه كل رخيص وغال، ولكنه أبى الإنقياد له قائلاً: «إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبناختم ويزيد رجل فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة ومثلي لا يبايع مثله»[٣].

فخرج من المدينة بأهل بيته وعياله وأولاده ملازماً للطريق الأعظم لا يحيد عنه، فقال له أهل بيته: لو تنكبته كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب. فأبت نفسه أن يظهر خوفاً أو عجزاً وقال: «والله لا أفارقه حتى يقضي الله ماهو قاض»[٤].

ولمّا قال له الحُرّ: أذكّرك الله في نفسك فإني أشهد لئن قاتلت لتقتُلن، أجابه الحسين عليه السلام مظهراً له استهانة الموت في سبيل الحقّ ونيل العزّ، فقال له: «أفبالموت تخوّفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول كما قال أخو الأوس وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله فخوّفه ابن عمّه وقال: أين تذهب فإنك مقتول فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً

---

(١) مثير الأحزان: ١٥، والملهوف على قتلى الطفوف: ٩٩.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٧٢ / ح٩.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٨.

(٤) الإرشاد ٢: ٣٥، وبحار الأنوار ٤٤: ٣٣٢.

أقــدّم نــفسي لا أريــد بــقاءها لتــلقى خميساً فـي الوغـى وعـرمرما
فـإن عشت لم أنـدم وإن مت لم ألم كـفى بك ذلاً أن تـعيش فـترغما[1]

يقول الحسين عليه السلام: «ليس شأني شأن من يخاف الموت ما أهون الموت عليّ في سبيل نيل العزّ وإحياء الحقّ ليس الموت في سبيل العزّ إلّا حياة خالدة، وليست الحياة مع الذلّ إلّا الموت الذي لا حياة معه، أفبالموت تخوّفني هيهات طاش سهمك وخاب ظنك لست أخاف الموت إن نفسي لأكبر من ذلك وهمّتي لأعلى من أن أحمل الضيم خوفاً من الموت وهل تقدرون على أكثر من قتلي مرحباً بالقتل في سبيل الله ولكنكم لا تقدرون على هدم مجدي ومحو عزّي وشرفي فإذاً لا أبالي بالقتل. وهو القائل: «موت في عزّ خير من حياة ذل»[2] .

وكان يحمل يوم الطف وهو يقول:

الموت خير من ركوب العار والعار أولى من دخول النار
والله من هذا وذا جاري

ولما أحيط به بكربلاء وقيل له: إنزل على حكم بني عمك، قال: «لا والله! لا أعطيكم بيدي إعطاء الذليل ولا أقرّ إقرار العبيد»، فاختار المنية على الدنية وميتة العزّ على عيش الذل[3] .

وقال: «ألا إن الدعيّ ابن الدعيّ قد ركز بين اثنتين السلّة والذلّة، وهيهات منّا الذلة، يأبى الله ذلك لنا ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهرت وأنوف حمية ونفوس

---

(١) الإرشاد ٢: ٨١ ولم يذكر البيت الثاني، بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٨. قال: وزاد محمد بن أبي‌طالب هذا البيت. وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

(٢) ذكر الرواية نور الله المرعشي في إحقاق الحق ١١: ٦٠١ نقلاً عن توفيق أبوعلم في (أهل البيت).

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٦٨ بتقديم وتأخير في الجمل.

أبية لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام»[1] .

أقدم الحسين عليه السلام على الموت مُقدّماً نفسه وأولاده وأطفاله وأهل بيته للقتل قرباناً ووفاءً لدين جدّه صلى الله عليه وآله بكل سخاء وطيبة نفس وعدم تردد وتوقف، قائلاً بلسان حاله:

إن كان دين محمّد لم يستقم   إلّا بقتلي يا سيوف خذيني

روى المدائني: إن الحسن لما صالح معاوية قال أخوه الحسين: «لقد كنت كارهاً لما كان طيب النفس على سبيل أبي حتى عزم عليَّ أخي، فأطعته، وكأنما يجذ أنفي بالمواسي»[2] .

وقال ابن أبي الحديد: سيّد أهل الإباء الذي علّم الناس الحمية والموت تحت ظلال السيوف، اختياراً له على الدنية: أبوعبدالله الحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام ؛ عرض عليه الأمان وأصحابه، فأنف من الذل وخاف من ابن زياد أن يناله بنوع من الهوان؛ مع أنه لا يقتله، فاختار الموت على ذلك. وسمعت النقيب أبا زيد يحيى بن زيد العلوي البصري يقول: كأنّ أبيات أبي تمام في محمّد بن حميد الطائي ما قيلت إلّا في الحسين عليه السلام :

وقد كان فوتُ الموتِ سهلاً فردّه   إليه الحفاظ المُرُّ والخُلقُ الوعرُ

ونفس تعاف الضّيمَ حتى كأنه   هو الكفرُ يوم الروع أو دونه الكفرُ

فأثبت في مستنقع الموتِ رجلهُ   وقال لها من تحت أخمصك الحشرُ

تردّىٰ ثيابَ الموتِ حمُراً فما أتى   لها الليل إلّا وهي من سُندسٍ خضرُ[3]

وقال ابن أبي الحديد في شرح النهج أيضاً:

---

(١) مثير الأحزان: ٤٠، بحار الأنوار ٤٥: ٨٣ / ح١٠ وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

(٢) عنه في شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٦: ١٦.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٤٩.

ومن مثل الحسين بن علي عليه السلام! قالوا يوم الطف: ما رأينا مكثوراً قد أفرد من إخوته وأهله وأنصاره أشجع منه، كان كالليث المحرب، يحطم الفرسان حطماً. وما ظنّك برجل أبت نفسه الدنية وأن يعطي بيده، فقاتل حتى قُتل هو وبنوه وإخوته وبنو عمّه بعد بذل الأمان لهم، والتوثقة بالأيمان المغلظة، وهو الذي سن للعرب الإباء. واقتدى به بعده أبناء الزبير وبنو المهلب وغيرهم[١].

شجاعته

أما شجاعته فقد أنست شجاعة الشجعان وبطولة الأبطال وفروسية الفرسان من مضى ومن سيأتي الى يوم القيامة، فهو الذي دعا الناس الى المبارزة فلم يزل يقتل كل من برز إليه حتى قتل مقتلة عظيمة، وهو الذي قال فيه بعض الرواة: والله ما رأيت مكثوراً قط قد قُتل ولده وأهل بيته وأصحابه أربط جأشاً ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله وإن كانت الرجالة لتشدّ عليه فيشدّ عليها بسيفه فتنكشف عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب، ولقد كان يحمل فيهم فينهزمون من بين يديه كأنهم الجراد المنتشر[٢].

وهو الذي حين سقط عن فرسه الى الأرض وقد أثخن بالجراح، قاتل راجلاً قتال الفارس الشجاع يتقي الرمي ويفترض العورة، ويشدّ على الشجعان وهو يقول:

«أعليّ تجتمعون»؟!، وهو الذي جبّن الشجعان وأخافهم وهو بين الموت

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٥: ٢٧٤ ـ ٢٧٥.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠ ـ ١٧١.

والحياة حين بدر خولي ليحتزّ رأسه فضعف وأرعد[١] .

وفي ذلك يقول السيّد حيدر الحلّي:

عفيراً متى عاينته الكماة يختطف الرعب ألوانها
فما أجلت الحرب عن مثله قتيلاً يجبّن شجعانها[٢]

وهو الذي صبر على طعن الرماح وضرب السيوف ورمي السهام حتى صارت السهام في درعه كالشوك في جلد القنفذ وحتى وجد في ثيابه مائة وعشرون رمية بسهم وفي جسده ثلاث وثلاثون طعنة برمح وأربع وثلاثون ضربه بسيف[٣] .

أهل بيته

أما أهل بيته من أبنائه وإخوته وبني أخيه وبني عمّه فكانوا خيرة أهل الأرض وفاءً وإباءً وشجاعةً وإقداماً وعلوّ همم وشرف نفوس وكرم طباع، أبوا أن يفارقوه وقد أذن لهم وفدوه بنفوسهم. بذلوا دونه مهجهم وقالوا له لمّا أذن لهم بالإنصرف: ولِمَ نفعل ذلك؟! لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبداً.

ولمّا قال لبني عقيل: «حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا فقد أذنت لكم»، قالوا: سبحان الله! فما يقول الناس لنا؟ وما نقول لهم؟ إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم! ولم نطعن معهم برمح! ولم نضرب معهم بسيف ولا ندري ما صنعوا! لا والله ما نفعل، ولكنّا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبّح الله

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٦.

(٢) ديوان سيّد حيدر الحلّي: ٤٨.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١١٠ ـ ١١١.

العيش بعدك[١] فقُتلوا جميعاً بين يديه مقبلين غير مدبرين.

وهو الذي كان يقول لهم، وقد حمي الوطيس واحمرّ البأس مبتهجاً بأعمالهم: «صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً»[٢].

فلله درّهم من عصبة رفعوا منار الفخر ولبسوا ثياب العزّ غير مشاركين فيها وتجلببوا جلباب الوفاء، وضمّخوا أعوام الدهر بعاطر ثنائهم ونشروا راية المجد والشرف تخفق فوق رؤوسهم، وجلوا جيد الزمان بأفعالهم الجميلة، وأمسى ذكره حيّاً مدى الأحقاب والدهور مالئاً المشارق والمغارب ونقشوا على صفحات الأيام سطور مدح لا تمحى وإن طال العهد وعادَ سنا أنوارهم يمحو دجى الظلمات ويعلو نور الشمس والكواكب.

أصحابه

وأما أصحابه فكانوا خير أصحاب فارقوا الأهل والأحباب وجاهدوا دونه جهاد الأبطال وتقدّموا مسرعين الى ميدان القتال قائلين له: أنفسنا لك الفداء نقيك بأيدينا ووجوهنا، يضاحك بعضهم بعضاً، قلة مبالاة بالموت وسروراً بما يصيرون إليه من النعيم، ولما أذن لهم في الانصراف أبوا وأقسموا بالله لا يخلّونه أبداً ولا ينصرفون عنه قائلين: أنحن نخلّي عنك وقد أحاط بك هذا العدوّ؟! وبِمَ نعتذر الى الله في أداء حقّك[٣]؟!

وبعضهم يقول: لا والله لا يراني الله أبداً وأنا أفعل ذلك حتى أكسر في

(١) الإرشاد ٢: ٩١ ـ ٩٢، بحار الأنوار ٤٤: ٣٩٣.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٧.

(٣) المصدر السابق: ١٥٣.

صدورهم رمحي وأضاربهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة ولم أفارقك أو أموت معك.

وبعضهم يقول: والله لو علمت أني أقتل فيك ثم أُحيا ثم أُحرق حياً، يفعل بي ذلك سبعين مرة، ما فارقتك.

وبعضهم يقول: والله لوددت أني قُتلت ثم نُشرت ألف مرّة، وأن الله يدفع بذلك القتل عنك، وعن أهل بيتك.

وبعضهم يقول: أكلتني السباع حياً إن فارقتك[1].

ولم يَدّعوا أن يصل إليه أذى وهم في الأحياء، ومنهم من جعل نفسه كالترس له مازال يرمى بالسهام حتى سقط، وأبدوا يوم عاشوراء من الشجاعة والبسالة ما لم يرَ مثله فأخذت خيلهم تحمل وإنما هي اثنان وثلاثون فرساً فلا تحمل على جانب من خيل الأعداء إلاّ كشفته.

بعض أخباره عليه السلام

روى صاحب كشف الغُمّة: أنه لما قتل معاوية حجرَ بن عدي رضي الله عنه وأصحابه، لقي في ذلك العام الحسين عليه السلام فقال: يا أبا عبدالله هل بلغك ما صنعت بحجر وأصحابه من شيعة أبيك؟ قال: لا، قال: إنا قتلناهم وكفّناهم وصلّينا عليهم، فتبسم[2] الحسين عليه السلام ثم قال: **«خصمك القوم يوم القيامة يا معاوية، أما والله لو ولينا مثلها من شيعتك ما كفّناهم ولا صلينا عليهم، وقد بلغني وقوعك بأبي حسن، وقيامك به واعتراضك بني هاشم بالعيوب، وأيم الله لقد أوترت غير قوسك، ورميت غير**

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٢ ـ ١٥٤، ومثير الأحزان: ٣٩.

(٢) في المصدر [فضحك].

غرضك، وتناولتها بالعداوة من مكان قريب، ولقد أطعت امرئ ما قدم إيمانه، ولا حدث نفاقه، وما نظر لك، فانظر لنفسك أو دع» ـ يريد عمرو بن العاص ـ... الخ[١] .

وروى ابن عساكر في تاريخ دمشق: أنّ نافع بن الأزرق ـ وهو من رؤساء الخوارج ـ قال له: صف لي إلهك الذي تعبد فقال: «يا نافع من وضع دينه على القياس لم يزل الدهر في الالتباس مائلاً إذا كبا عن المنهاج، ظاعناً بالإعوجاج ضالاً عن السبيل قائلاً غير الجميل، يابن الأزرق أصف إلهي بما وصف به نفسه، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، قريب غير ملتصق، وبعيد غير مستقصى[٢]، يوحّد ولا يبعّض، معروف بالآيات، موصوف بالعلامات، لا إله إلّا هو الكبير المتعال» فبكى ابن الأزرق وقال: ما أحسن كلامك.

فقال له: «بلغني أنك تشهد على أبي وعلى أخي بالكفر وعليّ» قال ابن الأزرق: أما والله يا حسين لئن كان ذلك. لقد كنتم منار الإسلام ونجوم الأحكام، فقال له الحسين عليه السلام : «إني سائلك عن مسألة»، قال سل: فسأله عن قوله تعالى: «﴿وأمّا الجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ﴾[٣] فقال: يابن الأزرق من حُفِظَ في الغلامين؟ فقال: أبوهما. فقال الحسين عليه السلام: أبوهما خير أم رسول الله؟ فقال ابن الأزرق: قد انبأ الله تعالى عنكم إنكم قوم خصمون[٤]»[٥] .

---

(١) كشف الغمة ٢: ٢٤٢ ـ ٢٤٣.

(٢) في المصدر [غير منتقص].

(٣) الكهف: ٨٢.

(٤) إشاره الى الآية ٥٨ من سورة الزخرف.

(٥) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ١٤: ١٨٣ ـ ١٨٤.

المكاتبة بينه وبين معاوية

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة، والكشي في كتاب الرجال: أن مروان ابن الحكم كتب الى معاوية وهو عامله على المدينة: أما بعد، فإن عمرو ابن عثمان ذكر أن رجالاً من أهل العراق ووجوه أهل الحجاز يختلفون الى الحسين ابن عليّ، وأنه لا يأمن وثوبه، وقد بحثت عن ذلك فبلغني أنه يريد[1] الخلاف يومه هذا، فاكتب إليّ برأيك. فكتب إليه معاوية: بلغني كتابك، وفهمت ما ذكرت فيه من أمر الحسين، فإياك أن تعرض للحسين في شيء واترك حسيناً ما تركك. فإنا لا نريد أن نعرض له بشيء ما وفىٰ ببيعتنا ولم ينازعنا[2] سلطاننا، فاكمن عنه ما لم يبد لك صفحته!

وكتب معاوية الى الحسين عليه السلام: أما بعد، فقد انتهت إليّ أُمور عنك. إن كانت حقاً فإني أرغب بك عنها، ولعمر الله أن من أعطى الله عهده وميثاقه لجدير بالوفاء، [وإن أحقّ الناس بالوفاء من كان مثلك في خطرك وشرفك ومنزلتك التي أنزلك الله بها، ونفسك][3] فاذكر، وبعهد الله أوف! فإنك متى تنكرني أُنكرك، ومتى تكدني أكدك، فاتق شق عصا هذه الأُمّة، وأن يردهم الله على يديك في فتنة، فقد عرفت الناس وبلوتهم فانظر لنفسك ولدينك ولأُمّة محمّد صلى الله عليه وآله ولا يستخفنّك السفهاء والذين لا يعلمون.

فلمّا وصل الكتاب الى الحسين عليه السلام كتب إليه:

«أما بعد، قد بلغني كتابك تذكر فيه أنه انتهت إليك عني أمور أنت لي عنها راغب، وأنا

---

(١) في المصدر [لا يريد].

(٢) في المصدر [ينزل على].

(٣) ما بين المعقوفتين ليست في رجال الكشي.

بغيرها عندك جدير، فإن الحسنات لا يهدي لها، ولا يسدد إليها إلّا الله تعالى.

وأما ما ذكرت أنه رقي إليك عني، فإنه رقاه إليك الملاقون المشاؤون بالنميم، المفرّقون بين الجمع، وكذب الغاوون، ما أردت لك حرباً ولا عليك خلافاً، وإني لأخشى الله في ترك ذلك منك، ومن الإعذار فيه إليك، والى أوليائك القاسطين الملحدين حزب الظلمة وأولياء الشياطين.

ألست القاتل حجر بن عدي أخا كندة وأصحابه المصلّين العابدين الذين كانوا ينكرون الظلم ويستعظمون البدع ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ولا يخافون في الله لومة لائم؟! ثم قتلتهم ظلماً وعدواناً من بعد ما أعطيتهم الأيمان المغلّظة والمواثيق المؤكدة لا تأخذهم بحدث كان بينك وبينهم جرأة على الله واستخفافاً بعهده.

أو لست قاتل عمرو بن الحمق، صاحب رسول اللهﷺ العبد الصالح الذي أبلته العبادة فنحل جسمه واصفرّ لونه، فقتلته بعدما أمنته وأعطيته من العهود ما لو فهمته العصم لنزلت من رؤوس الجبال؟!.

أولست المدّعي زياد بن سميّة المولود على فراش عبيد من ثقيف، فزعمت أنه ابن أبيك؟! وقد قال رسول اللهﷺ: الولد للفراش وللعاهر الحجر، فتركت سنّة رسول اللهﷺ تعمداً وتبعت هواك بغير هدى من الله، ثم سلّطته على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم ويسمل أعينهم ويصلبهم على جذوع النخل. كأنك لست من هذه الأمّة، وليسوا منك. أولست صاحب الحضرميين الذين كتب فيهم ابن سميّة أنهم على دين عليّ صلوات الله عليه، فكتبت إليه: أن اقتل كل من كان على دين عليّ، فقتلهم ومثّل بهم بأمرك؟! ودين عليّ، هو دين ابن عمّهﷺ الذي كان يضرب عليه أباك ويضربك، وبه جلست مجلسك الذي أنت فيه، ولولا ذلك لكان شرفك وشرف آبائك تجشم الرحلتين رحلة الشتاء والصيف.

وقلت فيما قلت: انظر لنفسك ولدينك ولأمّة محمّد، واتّق شقّ عصا هذه الأمّة، وأن

تردّهم الى فتنة، وإني لا أعلم فتنة أعظم على هذه الأمّة من ولايتك عليها ولا أعظم نظراً لنفسي ولديني ولأمّة محمّد صلى الله عليه وآله أفضل من أن أجاهدك فإن فعلت فإنه قربة الى الله وإن تركته فإني استغفر الله لديني وأسأله توفيقه لإرشاد أمري.

وقلت فيما قلت: إن أنكرتك تنكرني وإن أكدك تكدني، فكدني ما بدا لك فإني أرجو أن لا يضرّني كيدك وأن لا يكون على أحد أضرّ منه على نفسك لأنك قد ركبت جهلك وتحرّصت على نقض عهدك ولعمري ما وفيت بشرط وقد نقضت عهدك بقتل هؤلاء النفر الذين قتلتهم بعد الصلح والأيمان والعهود والمواثيق فقتلتهم من غير أن يكونوا قاتلوا وقتلوا ولم تفعل ذلك بهم إلّا لذكرهم فضلنا وتعظيمهم حقّنا فقتلتهم مخافة أمر لعلك لو لم تقتلهم مت قبل أن يفعلوا أو ماتوا قبل أن يدركوا.

فأبشر يا معاوية بالقصاص واستيقن بالحساب واعلم أن لله تعالى كتاباً لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها وليس الله بناس لأخذك بالظنّة وقتلك أولياءه على التهم ونفيك أولياءه من دورهم الى دار الغربة وأخذك للناس ببيعة ابنك غلام حدث يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ما أراك إلّا قد خسرت نفسك وبترت دينك وغششت رعيتك وأخربت أمانتك وسمعت مقالة السفيه الجاهل وأخفت الورع التقي والسلام»(١) .

قال الكشي: فلما قرأ معاوية الكتاب قال: لقد كان في نفسه ضبّ ما أشعر به.

فقال يزيد: يا أميرالمؤمنين أجبه جواباً يصغّر إليه نفسه تذكر فيه أباه بشرّ فعله، قال: ودخل عبدالله بن عمرو بن العاص فقال معاوية: أما رأيت ما كتب به الحسين؟! قال: وما هو؟ قال: فاقرأه الكتاب فقال: وما يمنعك أن تجيبه بما يصغر إليه نفسه وإنما قال ذلك في هوى معاوية فقال يزيد: رأيت يا

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٥٤ ـ ١٥٦ وفيه اختصار واختلاف، وذكر الخبر عن سعيد بن العاص لا عن مروان، ورجال الكشي: ٤٧ ـ ٥١ / ح٩٧ ـ ٩٩ وفيه تفاوت يسير باللفظ.

أميرالمؤمنين رأيي، فضحك معاوية وقال: أما يزيد فقد أشار عليّ بمثل رأيك، قال عبدالله: قد أصاب يزيد فقال معاوية: أخطأتما أرأيتما لو إني ذهبت لعيب عليّ محقّاً فما عسيت أن أقول فيه ومثلي لا يحسن أن يعيب بالباطل وما لا يعرف. ومتى ما عبت رجلاً بما لا يعرفه الناس لم يحفل به ولا يراه الناس شيئاً وكذّبوه وما عسيت أن أعيب حسيناً ووالله ما أرى للعيب فيه موضعاً وقد رأيت أن أكتب إليه أتوعّده وأتهدده ثم رأيت أن لا أفعل(١) .

وكان لمعاوية عين بالمدينة يكتب إليه بما يكون من أُمور الناس فكتب إليه: أن الحسين بن علي أعتق جارية له وتزوّجها فكتب معاوية الى الحسين: من أميرالمؤمنين معاوية الى الحسين بن علي أما بعد: فإنه بلغني أنك تزوجت جاريتك وتركت أكفاءك من قريش من تستنجبه للولد وتُمجّد به في الصهر فلا لنفسك نظرت ولا لولدك انتقيت فكتب إليه الحسين عليه السلام :

«أما بعد فقد بلغني كتابك وتعييرك إياي بأني تزوّجت مولاتي وتركت أكفائي من قريش فليس فوق رسول الله منتهى في شرف ولا غاية في نسب وإنما كانت ملك يميني خرجت عن يدي بأمر التمست فيه ثواب الله ثم ارتجعتها على سنّة نبيه صلى الله عليه وآله وقد رفع الله بالإسلام الخسيسة ووضع عنّا به النقيصة فلا لوم على امرئ مسلم إلّا في أمر مأثم وإنما اللؤم لؤم الجاهلية»(٢).

فلما قرأ معاوية كتابه نبذه الى يزيد فقرأه وقال: لشدّ ما فخر عليك الحسين قال: لا ولكنها ألسنة بني هاشم الحداد التي تفلق الصخر وتغرف من البحر...الخ.

---

(١) رجال الكشي: ٥١ ـ ٥٢ ذيل ح ٩٩.

(٢) الكافي ٥: ٣٤٤ ـ ٣٤٥ / ح٥، الوسائل ٢٠: ٧٢ ـ ٧٣، باب ٢١، ح٢ وفيهما القصة حدثت مع عليّ بن الحسين عليه السلام وعبدالملك وولده سليمان.

ردّه على معاوية حين أراد البيعة ليزيد

روى ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: أن معاوية لما أراد البيعة ليزيد قدم المدينة فدخل عليه الحسين وابن عباس، فسأل الحسين عن حال بني أخيه وأسنانهم، فأخبره، ثم خطب معاوية خطبة ذكر فيها النبي ﷺ وقال في آخرها: قد كان من أمر يزيد ما سبقتم إليه، وقد علم الله ما أحاول به في أمر الرعية، من سدّ الخلل ولمّ الصدع بولاية يزيد بما أيقظ العين، وأحمد الفعل، هذا معناي في يزيد، وفيكما فضل القرابة، وحظوة العلم، وكمال المروءة، وقد أصبت من ذلك عند يزيد على المناظرة والمقابلة ما أعياني مثله وعند غيركما، مع علمه بالسنة وقراءة القرآن والحلم الذي يرجح بالصم الصلاب، وقد علمتما أن الرسول المحفوظ بعصمة الرسالة، قدم على الصديق والفاروق ومن دونهما من أكابر الصحابة وأوائل المهاجرين يوم غزوة السلاسل، من لم يقارب القوم. وفي رسول الله ﷺ أُسوة حسنة، فمهلاً بني عبدالمطلب، فإنّا وأنتم شعباً نفع وجد، وما زلت أرجو الإنصاف في اجتماعكما، فما يقول القائل إلّا بفضل قولكما، فردّا على ذي رحم مستعتب ما يحمد به البصيرة في عتابكما واستغفر الله لي ولكما.

قال: فتيسر ابن عباس للكلام، ونصب يده للمخاطبة، فأشار إليه الحسين عليه السلام وقال: «على رسلك فأنا المراد، ونصيبي في التهمة أوفر» فأمسك ابن عباس.

فقام الحسين، فحمد الله وصلّى على الرسول ﷺ ثم قال: «أما بعد يا معاوية، فلن يؤدي القائل، وإن أطنب في صفة الرسول ﷺ من جميع جزءاً، وقد فهمت ما لبست به

الخلف بعد رسول الله من إيجاز الصفة، والتنكب عن استبلاغ البيعة[١]، وهيهات هيهات يا معاوية! فضح الصبح فحمة الدجى، وبهرت الشمس أنوار السرج، ولقد فضّلت حتى أفرطت، واستأثرت حتى أجحفت، ومنعت حتى بخلت[٢]، وجُرت حتى جاوزت، ما بذلت لذي حقّ من اسم حقّه من نصيب، حتى أخذ الشيطان حظه الأوفر، ونصيبه الأكمل، وفهمت ما ذكرته عن يزيد من اكتماله وسياسته لأمّة محمّد، تريد أن توهم الناس في يزيد، كأنك تصف محجوباً، أو تنعت غائباً، أو تخبر عمّا كان مما احتويته بعلم خاص، وقد دلّ يزيد من نفسه على موقع رأيه. فخذ ليزيد فيما أخذ به، من استقرائه الكلاب المهارشة عند التحارش[٣]، والحَمام السُّبّق لأترابهن، والقينات ذوات المعازف وضروب الملاهي تجده ناصراً[٤]، ودع عنك ما تحاول، فما أغناك أن تلقى الله بوزر هذا الخلق بأكثر مما أنت لاقيه، فوالله ما برحت تقدح باطلاً في جور، وحنقاً في ظلم حتى ملأت الأسقية، وما بينك وبين الموت إلّا غمضة، فتقدم على عمل محفوظ، في يوم مشهود، ولات حين مناص، ورأيتك عرّضت بنا بعد هذا الأمر، ومنعتنا عن آبائنا تراثاً، ولقد لعمر الله أورثنا الرسول عليه الصلاة والسلام ولادة وجئت لنا بما حججتم[٥] به القائم عند موت الرسول ﷺ، فاذعن للحجة بذلك، ورده الإيمان الى النصف، فركبتم الأعاليل، وفعلتم الأفاعيل، وقلتم كان ويكون، حتى أتاك الأمر يا معاوية من طريق كان قصدها لغيرك، فهناك فاعتبروا يا أولي الأبصار، وذكرت قيادة الرجل القوم بعهد رسول الله ﷺ وتأميره له، وقد كان ذلك، ولعمرو بن العاص يومئذ فضيلة بصحبة الرسول، وببعثه له، وما صار لعمرو يومئذٍ حتى أنف القوم

---

(١) في المصدر [النعت].

(٢) في المصدر [محلت].

(٣) في المصدر [التهارش].

(٤) في المصدر [باحرا].

(٥) في المصدر [وجئت لنا بها، أما حججتم به].

إمرته، وكرهوا تقديمه، وعدوا عليه أفعاله، فقالﷺ: لا جرم معشر المهاجرين، لا يعمل عليكم بعد اليوم، فكيف تحتجّ بالمنسوخ من فعل الرسول، في أوكد الأحوال، وأولاها بالمجتمع عليه من الصواب؟ أم كيف ضاهيت بصاحب تابعاً، وحولك من يؤمن[1] في صحبته، ويعتمد[2] في دينه، وقرابته، وتتخطاهم الى مسرف مفتون، تريد أن تلبس الناس شبهة يسعد بها الباقي في دنياه، وتشقى بها في آخرتك. إن هذا لهو الخسران المبين، واستغفر الله لي ولكم».

قال: فنظر معاوية الى ابن عباس فقال: ما هذا يابن عباس؟ ولما عندك أهدى وأمرّ. فقال ابن عباس: لعمر الله إنّها لذرية الرسول، وأحد أصحاب الكساء، ومن البيت المطهّر، فاسأله عمّا تريد، فإن لك في الناس مقنعاً حتى يحكم الله بأمره وهو خير الحاكمين[3].

إقامة الذكرى لقتل الحسين عليه السلام والبكاء عليه كلّ عام

قد قضى العقل والدين باحترام عظماء الرجال أحياءً وأمواتاً، وتجديد الذكرى لوفاتهم وشهادتهم، وإظهار الحزن عليهم ـ لا سيّما من بذل نفسه، وجاهد حتى قتل ـ لمقصد سام وغاية نبيلة.

وقد جرت على ذلك الأُمم في كل عصر وزمان، وجعلته من أفضل أعمالها، وأسنى مفاخرها.

فحقيق بالمسلمين بل جميع الأُمم أن يقيموا الذكرى في كل عام للحسين بن علي بن أبي طالب عليهما السلام، فإنه من عظماء الرجال وأعاظمهم في نفسه، ومن

(١) في المصدر [من لا يؤمن].

(٢) في المصدر [لا يعتمد].

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٥٩ ـ ١٦١ باختصار.

الطراز الأول. جمع أكرم الصفات، وأحسن الأخلاق، وأعظم الأفعال، وأجل الفضائل، والمناقب علماً وفضلاً، وزهادة، وعبادة، وشجاعة، وسخاء، وسماحة، وفصاحة، ومكارم أخلاق، وإباء للضيم، ومقاومة للظلم، وقد جمع الى كرم الحسب شرف العنصر والنسب، فهو أشرف الناس أباً وأمّاً وجدّاً وجدّة وعمّاً وعمّة وخالاً وخالة. جدّه رسول الله ﷺ سيّد النبيّين، وأبوه عليّ أميرالمؤمنين وسيّد الوصيّين، وأمّه فاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، وأخوه الحسن المجتبى، وعمّه جعفر الطيار، وعمّ أبيه حمزة سيّد الشهداء، وجدّته خديجة بنت خويلد أوّل نساء هذه الأمّة إسلاماً، وعمّته أمّ هانيء، وخاله إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وخالته زينب بنت رسول الله ﷺ، وقد جاهد لنيل أسمى المقاصد، وأنبل الغايات، وقام بما لم يقم بمثله أحدٌ قبله، ولا بعده، فبذل نفسه وماله وآله في سبيل إحياء الدين، وإظهار فضائح المنافقين، واختار المنية على الدنية، وميتة العزّ على حياة الذل، ومصارع الكرام على طاعة اللئام، وأظهر من إباء الضيم، وعزّة النفس، والشجاعة، والبسالة، والصبر، والثبات ما بهر العقول، وحيّر الألباب، واقتدى به في ذلك كل من جاء بعده حتى قال القائل:

وإن الأولى بالطفّ من آل هاشم تآسوا فسنّوا للكرام التآسيا(١)

وحتى قال آخر: كأنّ أبيات أبي تمام ما قيلت إلّا في الحسين عليه السلام وهي قوله:

وقد كان فوت الموت سهلاً فردّه إليه الحفاظ المرّ والخلق الوعر(٢)

...الأبيات المتقدّمة

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٣: ٢٤٩، بحار الأنوار ٤٥: ٢٤٦ / ح٤٢.

(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبي‌الحديد ٣: ٢٤٩.

وحقيق بمن كان كذلك أن تقام له الذكرى في كل عام، وتبكي له العيون دماً بدل الدموع.

الحسين عليه السلام معظّم حتى عند الخوارج أعداء أبيه، وأخيه.

وليس أعجب ممّن يتخذ يوم عاشوراء يوم فرح وسرور واكتحال وتوسعة على العيال لأخبار وضعت في زمن الملك العضوض اعترف بوضعها النقّاد وسنّها الحجّاج بن يوسف عدوّ الله، وعدوّ رسوله. وأي مسلم تطاوعه نفسه أو يساعده قلبه على الفرح في يوم قتل ابن بنت نبيّه، وريحانته، وابن وصيّه؟! وبماذا يواجه رسول الله وبماذا يعتذر إليه وهو مع ذلك يدعي محبّة رسول الله صلى الله عليه وآله وآله؟ ومن شروط المحبّة الفرح لفرح المحبوب والحزن لحزنه.

ولو أنصف باقي المسلمين ما عَدَوْا طريقة الشيعة في إقامة الذكرى للحسين عليه السلام كل عام، وإقامة مراسم الحزن يوم عاشوراء.

فهل كان الحسين عليه السلام دون جاندارك التي يقيم لها الإفرنسيون الذكرى في كل عام؟! وهل عملت لأُمّتها ما عمله الحسين لأُمّته أو دونه؟!

الحسين عليه السلام سن للناس درساً نافعاً، ونهج لهم سبيلاً مهيعاً في تعلّم الإباء والشمم وطلب الحرية والاستقلال، ومقاومة الظلم، ومعاندة الجور، وطلب العزّ ونبذ الذلّ، وعدم المبالاة بالموت في سبيل نيل الغايات السامية، والمقاصد العالية، وأبان فضائح المنافقين، ونبّه الأفكار الى التحلّي بمحاسن الصفات، وسلوك طريق الأُباة والاقتداء بهم وعدم الخنوع للظلم والجور والاستعباد.

وبكى زين العابدين على مصيبة أبيه عليهما السلام أربعين سنة .

وكان الصادق عليه السلام يبكي لتذكر مصيبة الحسين عليه السلام ويستنشد الشعر في

رثائه ويبكي.

وكان الكاظم عليه السلام إذا دخل شهر المحرم لا يُرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام منه، فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه.

وقال الرضا عليه السلام : «إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسال دموعنا، وأورثنا الكرب والبلاء الى يوم الانقضاء»[١] .

وقد حثّوا شيعتهم وأتباعهم على إقامة الذكرى لهذه الفاجعة الأليمة في كل عام، وهم نعم القدوة وخير من اتّبع وأفضل من اقتفى أثره وأخذت منه سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله .

وقال السيّد عليّ جلال الحسيني المصري المعاصر في كلام له في مقدمة كتاب «الحسين» التقطنا منه هذه الكلمات، وفيها جملة من صفات الحسين عليه السلام واستحسان إقامة الذكرى له:

«إنّ الأمّة التي تعنى بسير عظمائها، ومن امتاز منها بأمر في الدين أو تفرّد بعمل من أعمال الدنيا وتعرف أخبارهم تحفظ تاريخ حياتها وتستفيد منه، والسيّد الإمام أبو عبدالله الحسين عليه السلام ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، وريحانته وابن أميرالمؤمنين عليّ عليه السلام، ونشأة بيت النبوّة له أشرف نسب وأكمل نفس، جمع الفضائل ومكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال من علو الهمّة ومنتهى الشجاعة وأقصى غاية الجود وأسرار العلم وفصاحة اللسان ونصرة الحقّ والنهي عن المنكر وجهاد الظلم والتواضع عن عزّ والعدل والصبر والحلم والعفاف والمروءة والورع وغيرها، واختصّ بسلامة الفطرة وجمال الخلقة

(١) إقبال الأعمال للسيّد ابن طاووس ٣: ٢٨.

ورجاحة العقل وقوة الجسم. وأضاف الى هذه المحامد كثرة العبادة وأفعال الخير، كالصلاة والصوم والحج والجهاد في سبيل الله والإحسان. وكان إذا أقام بالمدينة أو غيرها مفيداً بعلمه مرشداً بعمله مهذباً بكريم أخلاقه، مؤدِّباً ببليغ بيانه سخياً بماله متواضعاً للفقراء مُعظَّماً عند الخلفاء مواصلاً للصدقة على الأيتام والمساكين منتصفاً للمظلومين مشتغلاً بعبادته، مشى من المدينة على قدميه الى مكة حاجاً خمساً وعشرين مرّة، وعاش مدة يقاتل مع أبيه أصحاب الجمل، فجنود معاوية فالخوارج. فكان الحسين في وقته عَلَم المهتدين ونور الأرض، فأخبار حياته فيها هدى للمسترشدين بأنوار محاسنه المقتفين آثار فضله، ولا شك أن الأُمّة تنفعها ذكرى ما أصابها من الشدائد في زمن بؤسها كما يفيدها تذكر ماكسبته من المآثر أيام عزها. ومقتل الحسين من الحوادث العظيمة وذكراه نافعة وإن كان حديثه يحزن كل مسلم ويسخط كل عاقل»[1].

وقال في الكتاب المذكور:

«ومن عجيب أمره عليه السلام أن يقتله شيعته ثم يجدّدون الحزن عليه في جميع بلاد المسلمين كل عام من يوم قتله الى الآن»[2].

أقول: حاش لله أن يكون الذين قتلوه هم شيعته، بل الذين قتلوه بعضهم أهل طمع لا يرجع الى دين، وبعضهم أجلاف أشرار، وبعضهم اتبعوا رؤساءهم الذين قادهم حب الدنيا الى قتاله، ولم يكن فيهم من شيعته ومحبّيه أحد، أمّا شيعته المخلصون فكانوا له أنصاراً، وما برحوا حتى قتلوا دونه ونصروه بكل ما في جهدهم الى آخر ساعة من حياتهم، وكثير منهم لم يتمكن من نصره أو

(١) الحسين للسيّد علي جلال الحسيني المصري.

(٢) المصدر السابق.

لم يكن عالماً بأن الأمر سينتهي الى ما انتهى إليه، وبعضهم خاطر بنفسه وخرق الحصار الذي ضربه ابن زياد على الكوفة وجاء لنصره حتى قُتل معه. أمّا أن أحداً من شيعته ومحبّيه قاتله فذلك لم يكن. وهل يعتقد السيّد علي جلال إن شيعته الخُلّص كانت لهم كثرة مفرطة؟ كلا، فما زال أتباع الحقّ في كل زمان أقل قليل ويعلم ذلك بالعيان وبقوله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾[1] ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[2].

ومن ذلك تعلم الخطأ في قوله: «ثم يجدّدون الحزن عليه... الخ». وهذه هفوة من هذا السيّد الذي أجاد في أكثر ما كتبه عن الحسين عليه السلام في كتابه المذكور لكنه تبع في هذا الكلام ـ عن سلامة نيّة ـ من يريد عيب الشيعة بكل وسيلة، ويستنكر تجديد الحزن على الحسين عليه السلام في كل عام.

ثم قال ـ ونعم ما قال ـ: كما إنّ حياة الحسين عليه السلام منار المهتدين فمصرعه عظة المعتبرين وقدوة المستبسلين. ألم تر كيف اضطره نكد الدنيا الى إيثار الموت على الحياة، وهو أعظم رجل في وقته لا نظير له في شرقها ولا غربها. وأبت نفسه الكريمة الضيم واختار السلّة على الذلّة فكان كما قال فيه أبو نصر بن نباتة:

والحسين الذي رأى الموت في العزّ ... حياة والعيش في الذل قتلا[3]

ومع التفاوت الذي بلغ أقصى ما يتصور بين فئته القليلة وجيش ابن زياد في العدد والمدد قد كان ثباته ورباطة جأشه وشجاعته تحير الألباب، ولا عهد للبشر بمثلها كما كانت دناءة أخصامه لا شبيه لها. وما سمع منذ خلق العالم ولن

---

(١) سورة صٓ: ٢٤.

(٢) سبأ: ١٣.

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٤٥.

يسمع حتى يفنى أفظع من ضرب ابن مرجانة من ابن سمية بقضيب ثغر ابن بنت رسول الله ورأسه بين يديه بعد أن كان سيّد الخلق عليه الصلاة والسلام يلثمه.

ومن آثار العدل الإلهي قتل عبيدالله بن زياد يوم عاشوراء، كما قتل الحسين يوم عاشوراء، وأن يبعث برأسه الى عليّ بن الحسين، كما بعث برأس الحسين الى ابن زياد.

وهل أُمهل يزيد بن معاوية بعد الحسين إلّا ثلاث سنين أو أقل؟ وأي موعظة أبلغ من أن كل من اشترك في دم الحسين اقتصّ الله تعالى منه فقتل أو نكب.

وأي عبرة لأُولي الأبصار أعظم من كون ضريح الحسين حرماً معظماً، وقبر يزيد بن معاوية مزبلة.

وتأمل عناية الله بالبيت النبوي الكريم يقتل أبناء الحسين ولا يترك منهم إلّا صبي مريض أشرف على الهلاك، فيبارك الله في أولاده، فيكثر عددهم ويعظم شأنهم.

والذين قتلوا مع الحسين من أهل بيته رجال ما على وجه الأرض يومئذ لهم شبه، كما قال الحسن البصري: وكانوا جرثومة الشهامة والشمم والقدوة في الصبر والحرب والكرم:

وإن الأُولى بالطف من آل هاشم تآسوا فسنّوا للكرام التآسيا[1]

وكل من أصابته الشدائد جعل رئيس هؤلاء الكرام أُسوة كمصعب بن الزبير وبني المهلب وغيرهم.

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٣: ٢٤٩، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠٠ / ح٤٢.

ومقتل الحسين عليه السلام بَغّض بني أُمية الى الناس وأيّد حجّة أعدائهم وزعزع أوتاد ملكهم وكان أكبر أسباب زوال دولتهم.

والحسين عليه السلام هو الذي عبّد للأُمم طريق الخروج على وُلاة الفسق والجور ودعا الى جهاد الظلم من استطاع إليه سبيلاً فجاد بنفسه وبذل مهجته لإقامة الحقّ والعدل والسنّة مقام الباطل والاستبداد والأهواء.

ولو قُدّرت ولاية الحسين عليه السلام لكانت خيراً للأُمة في حكومتها وحياتها وأخلاقها وجهادها، وشتان ما بين السبط الزكي، والظالم السكّير يزيد القرود والطنابير، وهل يستوي الفاسق الجائر، والعادل الإمام، وأين الذهب من الرغام؟ لكن اقتضت الحكمة الإلهية سير الحوادث بخلاف ذلك وإذا أراد الله أمراً فلا مرّد له، واقتضت أيضاً أن يبقى أثر جهاد الحسين عليه السلام على ممر الدهور، كلما أرهق الناس الظلم تذكره من ندب نفسه لخدمة الأُمّة، فلم يحجم عن بذل حياته متى كانت فيه مصلحة لها(١) .

الاعتذار عمّن خذله

قال السيّد عليّ جلال الحسيني في كتاب الحسين:

الصحابة الموجودون في عصر الحسين كانوا يعلمون فسق يزيد وظلمه، فمنهم من رأى الخروج عليه: كابن الزبير، ومنهم من امتنع عن مبايعته: كعبدالله بن عمرو بن العاص، حتى دعا نائب أمير مصر بالنار ليحرق عليه بابه، ومنهم من أبى الخروج عليه، وقعدوا عن نصرة الحسين، وهؤلاء كان عدم خروجهم اجتهاداً منهم، وهم إن قعدوا عمّا رآه الحسين حقاً، فلم ينصروا

---

(١) انظر كتاب الحسين للسيّد عليّ جلال الحسيني المصري.

الباطل ولا لوم عليهم فيما فعلوا.

أقول: بل اللوم عليهم حاصل والاجتهاد في مقابل النص باطل، ومن خذل الحقّ فهو كمن نصر الباطل، وكلاهما عن الصواب مائل لا يعذره عاقل، أما ابن الزبير فما كان خروجه إلّا طلباً للملك، ولو كان لنصر الحقّ لنصر الحسين، وقد كان الحسين أثقل الناس عليه بمكة.

قال: واللوم على أهل العراق فهم المسؤولون عمّا صنعوا لأنهم أخلفوا الحسين ما وعدوه ثم خذلوه وقاتلوه وقتلوه.

أقول: إذا كان الحسين على الحقّ، وهو على الحقّ، فنصرته واجبة على كل أحد سواء من وعده النصرة وغيرهم، أهل العراق وغيرهم.

قال: ومن غريب أمر شيعة الحسين إنهم خذلوه حيّاً ونصروه ميتاً، فإنهم بعد قتله ندموا على ما فرطوا في حقّه وسمّوا أنفسهم التوّابين، وقاموا لأخذ ثأره فلم يستبينوا الرشد إلّا ضحى الغد .

أقول: وأعجب منهم عموم أُمة جدّه الذين خذلوه حياً وميتاً، ولم ينصروه ولم يستبينوا الرشد، لا في ضحى الغد ولا في غيره، فمن خذله حيّاً ثم ندم وتاب وطلب بثأره، أحسن حالاً ممن خذله وبقي مصرّاً على ذنبه، ولم يتب ولم يندم وأقام على طاعة أعداء الله، على أن هؤلاء التوّابين أكثرهم لم يكن مخلى السرب لنصره بل كان محجوراً عليه من قبل ابن زياد وأتباعه، وكان لا يمكنه الوصول إليه إلّا بشدّة.

بكاء عليّ بن الحسين زين العابدين على أبيه عليهما السلام

روى ابن شهرآشوب في المناقب عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام أنه قال: بكى عليّ بن الحسين عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى،

حتى قال له مولى له: جعلت فداك يابن رسول الله إني أخاف أن تكون من الهالكين، قال عليه السلام: «﴿إنّما أشكو بثّي وحزني الى الله واعلم من الله ما لا تعلمون﴾[1] إني لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة»[2].

ورواه ابن قولويه في الكامل بسنده عن الصادق عليه السلام، مثله إلّا أنه زاد بعد عشرين سنة (أو أربعين سنة[3]).

قال ابن شهرآشوب: وفي رواية: أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له: «ويحك إن يعقوب النبيّ عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً، فغيّب الله واحداً منهم، فابيضت عيناه من كثرة بكائه، واحدودب ظهره من الغمّ، وكان ابنه حياً في دار الدنيا، وأنا نظرت الى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر رجلاً من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني»؟!.

قال: وقد ذكر في الحلية[4] نحوه وقيل: إنه بكى حتى خيف على عينيه، وقيل له: إنك لتبكي دهرك فلو قتلت نفسك لما زدت على هذا فقال: «نفسي قتلتها وعليها أبكي»[5].

بكاء أبي عبدالله جعفر بن محمّد الصادق على مصيبة جدّه الحسين عليه السلام

روى ابن قولويه في الكامل بسنده عن ابن خارجة قال: كنّا عند أبي عبدالله جعفر الصادق عليه السلام فذكرنا الحسين بن علي عليه السلام، فبكى أبو عبدالله وبكينا، ثم رفع رأسه فقال: «قال الحسين بن عليّ: أنا قتيل العبرة لا يذكرني مؤمن إلّا بكى»[6].

---

(١) يوسف: ٨٦.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٣) كامل الزيارات لابن قولويه: ٢١٣ / ح٣٠٦.

(٤) حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٣٨.

(٥) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٦٦.

(٦) كامل الزيارات لابن قولويه: ٢١٥ ـ ٢١٦ / ح٣١٢ ط. مؤسسة نشر الفقاهة.

وروى في الكتاب المذكور بسنده عن مسمع كردين قال: قال لي أبوعبدالله: «يا مسمع أنت من أهل العراق أما تأتي قبر الحسين»؟ قلت: لا أنا رجل مشهور من أهل البصرة، وعندنا من يتبع هوى هذا الخليفة، وأعداؤنا كثيرة من أهل القبائل من النصّاب وغيرهم، ولست آمنهم أن يرفعوا حالي عند ولد سليمان [فيميلوا عليّ][١] قال: «أفما تذكر ما صنع به»؟ قلت: بلى، قال: «فتجزع»؟ قلت:[٢] والله واستعبر لذلك حتى يرى أهلي أثر ذلك عليَّ، فامتنع من الطعام حتى يستبين ذلك في وجهي. قال: «رحم الله دمعتك، أما إنك من الذين يعدون في أهل الجزع لنا والذين يفرحون لفرحنا ويحزنون لحزننا، ويخافون لخوفنا ويأمنون إذا أمنا...» الى أن قال: ثم استعبر واستعبرت معه فقال: «الحمد لله الذي فضّلنا على خلقه بالرحمة وخصّنا أهل البيت بالرحمة، يا مسمع إن الأرض والسماء لتبكي منذ قتل أميرالمؤمنين رحمة لنا، وما بكى أحد رحمة لنا وما لقينا إلّا رحمه الله»[٣].

وروى الشيخ الطوسي في مصباح المتهجد عن عبدالله بن سنان، قال: دخلت على سيّدي أبي عبدالله جعفر بن محمّد عليه السلام، في يوم عاشوراء، فلقيته كاسف اللون ظاهر الحزن، ودموعه تنحدر من عينيه كاللؤلؤ المتساقط، فقلت: يابن رسول الله مِمّ بكاؤك؟ لا أبكى الله عينيك، فقال لي: «أو في غفلة أنت؟ أما علمت أن الحسين بن عليّ أصيب في مثل هذا اليوم؟» فقلت: يا سيّدي فما قولك في صومه؟ فقال لي: «صمه من غير تبييت، وأفطره من غير تشميت، ولا تجعله يوم صوم كاملا[٤]، وليكن إفطارك بعد صلاة العصر بساعة على شربة من ماء، فإنه في مثل ذلك

(١) في المصدر [فيمثلوا بي].

(٢) في المصدر زيادة [إي].

(٣) كامل الزيارات: ٢٠٣ ـ ٢٠٤ / ح ٢٩١.

(٤) في المصدر [كملاً].

الوقت من اليوم تجلّت الهيجاء عن آل رسول الله ﷺ، وانكشفت الملحمة عنهم، وفي الأرض منهم ثلاثون رجلاً[١] صريعاً في مواليهم، يعزّ على رسول الله ﷺ مصرعهم، ولو كان في الدنيا يومئذٍ حياً لكان صلوات الله عليه وآله هو المعزّى بهم» قال: وبكى أبو عبدالله عليه السلام حتى اخضلّت لحيته بدموعه[٢].

وروى ابن قولويه في الكامل بسنده عن أبي بصير، قال: كنت عند أبي عبدالله الصادق عليه السلام ـ الى أن قال ـ : «يا أبا بصير إذا نظرت الى ولد الحسين أتاني ما لا أملكه بما أُوتي إلى أبيهم وإليهم، يا أبا بصير إن فاطمة لتبكيه ـ الى أن قال ـ : أما تحبّ أن تكون فيمن يسعد فاطمة»؟ فبكيت حين قالها فما قدرت على النطق من البكاء[٣].

وقال الكاظم عليه السلام: «كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً، وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام منه، فإذا كان اليوم العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته، وحزنه وبكائه، ويقول: هو اليوم الذي قُتل فيه الحسين عليه السلام»[٤].

وروى أبو الفرج الاصبهاني ـ وهو من عظماء المؤرّخين الموثوق بهم والمعترف بفضلهم وسعة اطلاعهم عند جميع المسلمين ـ في كتاب الأغاني ـ بسنده عن علي بن إسماعيل التميمي عن أبيه قال: كنت عند أبي عبدالله جعفر ابن محمّد عليه السلام فاستأذن آذنه للسيد الحميري، فأمر بإيصاله، وأقعد حُرَمه خلف ستر، ودخل فسلّم وجلس، فاستنشده فأنشد قوله:

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) مصباح المتهجد: ٧٨٢.

(٣) كامل الزيارات: ١٦٩ ـ ١٧١ / ح ٢٢٠.

(٤) أمالي الشيخ الصدوق: ١٩١ / ح ١٩٩، وروضة الواعظين: ١٦٩، الوسائل ١٤: ٥٠٥، أبواب المزار، باب ٦٦، ح٨، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٤ / ح١٧ وفيها (قال الرضا عليه السلام كان أبي عليه السلام) بدل (قال الكاظم عليه السلام).

أمرُرْ على جَدثَ الحسين فقل لأعظُمِه الزكيّه
يا أعظُماً لازلتِ من وَطفَاءَ ساكبةٍ رويّه
وإذا مررت بقبره فأطل به وقف المطيّه
وابْكِ المُطهّر للمطهّر والمطهّرة النقيّه
كبُكاء مُعْولةٍ أتت يوماً لواحدها المنيّه

قال: فرأيت دموع جعفر بن محمّد تتحدر على خديه وارتفع الصراخ من داره، حتى أمره بالإمساك فأمسك[١].

بكاء الرضا على الحسين عليه السلام

روى الصدوق في الأمالي بسنده عن الرضا عليه السلام أنه قال: «إن المحرم شهر كان أهل الجاهلية يُحرّمون فيه [الظلم][٢] والقتال، فاستُحلّت فيه دماؤنا، وهُتكت فيه حرمتنا، وسبي فيه ذرارينا، ونساؤنا، وأُضرمت النار في مضاربنا، وأُنهب[٣] ما فيه من ثقلنا، ولم ترع لرسول الله صلى الله عليه وآله حرمة في أمرنا. إن يوم الحسين أقرح جفوننا، وأسبل دموعنا، وأذل عزيزنا، بأرض كرب وبلاء، وأورثنا الكرب والبلاء، الى يوم الانقضاء، فعلى مثل الحسين فليبك الباكون»[٤].

روى الصدوق في عيون أخبار الرضا بسنده عن عبدالسلام بن صالح الهروي قال: دخل دعبل بن علي الخزاعي رحمه الله على أبي الحسن عليّ بن موسى

---

(١) الأغاني ٧: ٢٦٠.
(٢) ليست في المصدر.
(٣) في المصدر [وانتهب].
(٤) أمالي الشيخ الصدوق: ١٩٠ / ح١٩٩.

الرضاﷺ بمرو فقال له: يابن رسول الله إني قد قلت فيكم قصيدة وآليت على نفسي أن لا أنشدها أحداً قبلك فقال ﷺ: «هاتها» فأنشده:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات

فلما بلغ الى قوله:

أرى فيأهم في غيرهم متقسّماً وأيديهم من فيئهم صفرات

بكى أبوالحسن الرضاﷺ وقال له: «صدقت يا خزاعي»(١)

جِداد بني هاشم ونسائهم على الحسينﷺ حتى قتل ابن زياد

عن الصادقﷺ أنه قال: «ما اكتحلت هاشمية ولا اختضبت، ولا رئي في دار هاشمي دخان خمس سنين، حتى قتل عبيدالله بن زياد»(٢).

وعن فاطمة بنت عليّ أميرالمؤمنينﷺ أنها قالت: «ما تحنأت امرأة، منّا، ولا أجالت في عينها مروداً ولا امتشطت حتى بعث المختار برأس عبيدالله بن زياد»(٣).

وروى ابن قولويه في كامل الزيارات بسنده عن أبي‌عبدالله جعفر الصادقﷺ أنه قال: «ما اختضبت منّا امرأة، ولا ادهنت ولا اكتحلت ولا رجّلت حتى أتانا رأس عبيدالله بن زياد، وما زلنا في عبرة بعده، وكان جدي ـ يعني علي بن الحسينﷺ ـ إذا ذكره بكى، حتى تملأ عيناه لحيته، وحتى يبكي لبكائه رحمة له من رآه»(٤).

---

(١) عيون أخبار الرضا ﷺ ٢: ٢٦٣ / ح٣٤.

(٢) ذوب النضار في شرح الثار: ١٤٤، بحار الأنوار ٤٥: ٣٨٦.

(٣) المصدر السابق.

(٤) كامل الزيارات: ١٦٧ ـ ١٦٨ / ح٢١٩.

الحزن يوم عاشوراء سُنّة وَجعْلَهُ عيداً أقبح البدع

من السنّة يوم عاشوراء إظهار الحزن والجزع والبكاء والجلوس لذلك.

أوّلاً: لأنه فيه مواساة لرسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا شك في أنه حزين في ذلك اليوم، جزعاً على ولده وفلذة كبده، ومن كان في حياته يحبّه أشد الحبّ، ويعزّه ويكرمه ويلاعبه ويداعبه ويحمله على كتفه، والذي كان بكاؤه يؤذيه ولم يرض من أُم الفضل أن تناله بشيء يبكيه، وأي مسلم يرغب عن مواساة نبيّه في حزنه على حبيبه وولده وفلذة كبده أم أي طاعة أعظم وأجل وأفضل عند الله تعالى وأحبّ إليه وأشد تقريباً لديه من مواساة أفضل رسله في حزنه على ولده، الذي بذل نفسه لإحياء دينه ؟

ثانياً: إنه ثبت عن أئمة أهل البيت النبوي أنهم أقاموا المآتم في مثل هذا اليوم بل في كل وقت، وحزنوا وبكوا لهذه الفاجعة وحثوا أتباعهم على ذلك فقد ثبت عن الإمام الرضا عليه السلام أنه قال: «كان أبي إذا دخل شهر المحرم لا يرى ضاحكاً وكانت الكآبة تغلب عليه حتى تمضي عشرة أيام منه فإذا كان العاشر كان ذلك اليوم يوم مصيبته وحزنه»(١) .

وقد مرّ بكاء الصادق عليه السلام لما أنشده السيد الحميري حتى بكى حرمه من خلف الستر(٢) .

ومرّ بكاء زين العابدين بعد قتل أبيه عليه السلام طول حياته واحتجاجه لمّا أليم في ذلك: بأن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم كان نبيّاً ابن نبي وقد بكى على

---

(١) أمالي الشيخ الصدوق: ١٩١ / ح١٩٩، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٤ / ح١٧.

(٢) الأغاني ٧: ٢٦٠ .

فراق ولده يوسف حتى ذهب بصره واحدودب ظهره وابنه حيّ في دار الدنيا قال: «وأنا رأيت أبي وأخي وسبعة عشر رجلاً من أهل بيتي صرعى مقتولين فكيف ينقضي حزني ويقل بكائي»؟![1] .

وتقدّم بكاء سائر ائمة أهل البيت عليهم السلام لذلك وهم نعم القدوة ولنا بهم أحسن الأُسوة.

أما اتخاذ يوم عاشوراء يوم عيد وفرح وسرور، وإجراء مراسيم الأعياد فيه من طبخ الحبوب وشراء الألبان والاكتحال والزينة والتوسعة على العيال، فهي سُنّة أُمويّة حجّاجيّة، وهي من أقبح البدع وأشنعها، وإن كان قد اختلق فيها علماء السوء وأعوان الظلمة شيئاً من الأحاديث، فإنما ذاك في عهد الملك العضوض عداوة لرسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته عليهم السلام ومراغمة لشيعتهم ومحبّيهم وتبعهم من تبعهم غفلة عن حقيقة الحال، وكيف يرضى المسلم لنفسه أن يفرح في يوم قُتل ابن بنت نبيّه، وفي يوم يحزن فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وأهل بيته كما مرّ في مطاوي ما تقدم.

ولم يكن جعل يوم عاشوراء عيداً معروفاً في الديار المصرية، وأوّل من أدخله إليها صلاح الدين الأيوبي كما حكاه المقريزي في خططه[2]، والظاهر أن الباعث عليه كان أمراً سياسياً وهو مراغمة الفاطميين الذين سلبهم صلاح الدين ملكهم فقصد الى محو كل أثر لهم.

ومن السنّة في يوم عاشوراء ترك السعي في الحوائج وترك ادّخار شيء فيه.

---

(١) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٦٦، حلية الأولياء لأبي نعيم ٣: ١٣٨.

(٢) الخطط للمقريزي ٢: ٤٣٧.

خروجه من المدينة

قال المفيد: روى الكلبي، والمدائني، وغيرهما من أصحاب السير قالوا: لما مات الحسن عليه السلام تحرّكت الشيعه بالعراق، وكتبوا الى الحسين عليه السلام في خلع معاوية والبيعة له، فامتنع عليهم وذكر أن بينه وبين معاوية عهداً وعقداً لا يجوز له نقضه حتى تمضي المدة، فإذا مات معاوية نظر في ذلك(١) .

فلما مات معاوية منتصف رجب سنة ستين من الهجرة، وتخلّف بعده ولده يزيد وكان الوالي في ذلك الوقت على المدينة الوليد بن عتبة بن أبي‌سفيان وعلى مكة عمرو بن سعيد بن العاص المعروف بالأشدق من بني‌أُمية وعلى الكوفة النعمان بن بشير الأنصاري وعلى البصرة عبيدالله بن زياد كتب يزيد الى ابن عمّه الوليد بن عتبة والي المدينة مع مولى لمعاوية يقال له: ابن أبي زريق يأمره بأخذ البيعة على أهلها، وخاصة على الحسين عليه السلام، ولا يرخص له في التأخر عن ذلك ويقول: إن أبى عليك فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه. وكان معاوية قبل وفاته قد حذّر يزيد من أربعة: الحسين بن علي، وعبدالله بن الزبير، وعبدالله بن عمر، وعبدالرحمن بن أبي‌بكر، ولا سيما من الحسين وابن الزبير.

أما ابن الزبير فهرب الى مكة على طريق الفرع هو وأخوه جعفر ليس معهما ثالث وأرسل الوليد خلفه أحد وثمانين راكباً فلم يدركوه وكان ابن عمر بمكة.

وأما الحسين عليه السلام فأحضر الوليد مروان بن الحكم واستشاره في أمره.

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٢.

فقال: إنه لا يقبل ولو كنت مكانك لضربت عنقه، فقال الوليد: ليتني لم أك شيئاً مذكوراً، ثم بعث الى الحسين عليه السلام في الليل فاستدعاه فعرف الحسين عليه السلام الذي أراد فدعا بجماعة من أهل بيته ومواليه وكانوا ثلاثين رجلاً وأمرهم بحمل السلاح، وقال لهم: «إنّ الوليد قد استدعاني في هذا الوقت، ولست آمن أن يُكلّفني فيه أمراً لا أجيبه إليه، وهو غير مأمون، فكونوا معي، فإذا دخلت فاجلسوا على الباب، فإن سمعتم صوتي قد علا فادخلوا عليه لتمنعوه عني».

فصار الحسين عليه السلام الى الوليد فوجد عنده مروان بن الحكم فنعى إليه الوليد معاوية، فاسترجع الحسين عليه السلام، ثم قرأ عليه كتاب يزيد وما أمره فيه من أخذ البيعة منه ليزيد، فلم يرد الحسين عليه السلام أن يصارحه بالامتناع من البيعة وأراد التخلّص منه بوجه سلمي، فورّىٰ عن مراده وقال: «إني أراك لا تقنع ببيعتي سرّاً حتى أبايعه جهراً فيعرف ذلك الناس»، فقال له الوليد: أجل؛ فقال الحسين عليه السلام: «تصبح وترى رأيك في ذلك».

فقال له الوليد: انصرف على اسم الله حتى تأتينا مع جماعة الناس.

فقال له مروان والله لئن فارقك الحسين الساعة ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، ولكن احبس الرجل فلا يخرج من عندك حتى يبايع أو تضرب عنقه.

فلما سمع الحسين عليه السلام هذه المجابهة القاسية من مروان الوزغ ابن الوزغ صارحهما حينئذٍ بالامتناع من البيعة وأنّه لا يمكن أن يبايع ليزيد أبداً، فوثب الحسين عليه السلام عند ذلك، وقال لمروان: «ويلي عليك يا ابن الزرقاء أنت تأمر بضرب عنقي كذّبت والله ولؤمت».

ثم أقبل على الوليد فقال: «أيها الأمير إنّا أهل بيت النبوّة ومعدن الرسالة ومختلف الملائكة بنا فتح الله وبنا ختم، ويزيد فاسق شارب الخمر قاتل النفس المحترمة معلن

بالفسق، ومثلي لا يبايع مثله، ولكن نصبح وتصبحون وننظر وتنظرون أيّنا أحقّ بالخلافة والبيعة»، ثم خرج يتهادى بين مواليه وهو يتمثّل بقول يزيد بن المفرغ:

لا ذعرت السوام في غسق الصبح مغيراً ولا دعيت يزيدا
يوم أُعطي مخافة الموت ضيماً والمنايا يرصدنني أنْ أحيدا[١]

حتى أتى منزله.وقيل: إنّه أنشدهما لما خرج من المسجد الحرام متوجهاً الى العراق[٢]، وقيل: غير ذلك.

فقال مروان للوليد: عصيتني لا والله لا يمكنك مثلها من نفسه أبداً، فقال له الوليد: ويحك! إنّك أشرت عليّ بذهاب ديني ودنياي، والله ما أحبّ أن أملك الدنيا بأسرها، وإنّي قتلت حسيناً، سبحان الله أقتل حسيناً لمّا أنْ قال: لا أبايع؟ والله ما أظن أحداً يلقى الله بدم الحسين إلّا وهو خفيف الميزان لا ينظر الله إليه يوم القيامة، ولا يزكّيه وله عذاب أليم.

فقال مروان: فإذا كان هذا رأيك فقد أصبت فيما صنعت، يقول هذا وهو غير حامد له على رأيه[٣] .

قال المؤرّخون: وكان الوليد يحب العافية[٤]. والحقيقة إنّه كان متورعاً عن أن ينال الحسين عليه السلام منه سوء لمعرفته بمكانته لا مجرد حب العافية.

ولما بلغ يزيد ما صنع الوليد عزله عن المدينة وولّاها عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق فقدمها في رمضان[٥].

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٢ ـ ٣٣، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٥٠ ـ ٢٥٣، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٦٢ ـ ٢٧١، الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٦ ـ ٩٨، والكامل في تاريخ ٤: ١٤ ـ ١٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر: ١٤: ٢٠٤ .

(٣) الإرشاد ٢: ٣٣ ـ ٣٤.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٥١ ، الكامل في التاريخ ٤: ١٥.

(٥) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٥٤ ، الكامل في التاريخ ٤: ١٨ .

وأقام الحسين عليه السلام في منزله تلك الليلة، وهي ليلة السبت لثلاث بقين من رجب سنة ستين، فلمّا أصبح خرج من منزله يستمع الأخبار، فلقيه مروان، فقال له: يا أبا عبدالله إني لك ناصح فأطعني ترشد، فقال الحسين عليه السلام: «وما ذاك؟ قل حتى أسمع»، فقال مروان: إني آمرك ببيعة يزيد بن معاوية، فإنّه خير لك في دينك ودنياك، فقال الحسين عليه السلام: «إنا لله وإنا إليه راجعون وعلى الإسلام السلام إذ قد بُليت الأمّة براعٍ مثل يزيد».

وطال الحديث بينه وبين مروان حتى انصرف وهو غضبان(١).

فلمّا كان آخر نهار السبت بعث الوليد الرجال الى الحسين عليه السلام ليحضر فيبايع، فقال لهم الحسين عليه السلام: «اصبحوا ثم ترون ونرى» فكفّوا تلك الليلة عنه، ولم يلحّوا عليه فخرج في تلك الليلة(٢)، وقيل في غداتها وهي ليلة الأحد ليومين بقيا من رجب متوجهاً نحو مكة(٣).

ولمّا علم ابن الحنفية عزمه على الخروج من المدينة لم يدرِ أين يتوجّه، فقال له: يا أخي أنت أحبّ الناس إليّ وأعزّهم عليّ ولست والله أدّخر النصيحة لأحد من الخلق، وليس أحدٌ من الخلق أحقّ بها منك، لأنك مزاج مائي، ونفسي، وروحي، وبصري، وكبير أهل بيتي، ومن وجبت طاعته في عنقي، لأن الله قد شرّفك عليّ وجعلك من سادات أهل الجنة تنحّ ببيعتك عن يزيد وعن الأمصار ما استطعت، ثم ابعث رسلك الى الناس فادعهم الى نفسك فإنْ تابعك الناس وبايعوا لك حمدت الله على ذلك. وإنْ اجتمع الناس على غيرك

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٨ ـ ٩٩.

(٢) الإرشاد ٢: ٣٤.

(٣) قال السيد ابن طاووس في الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠١ (فلمّا كان الغداة توجه الحسين عليه السلام الى مكة، لثلاث مضين من شعبان) ولعلّه اشتباه في تاريخ وصول الكتاب وسفر الحسين عليه السلام الى مكة.

لم ينقص الله بذلك دينك ولا عقلك ولا تذهب به مروءتك ولا فضلك وإني أخاف عليك أنْ تدخل مصراً من هذه الأمصار فيختلف الناس بينهم فمنهم طائفة معك وأُخرىٰ عليك فيقتتلون، فتكون لأوّل الأسنّة غرضاً فإذا خير هذه الأُمّة كلها نفساً وأباً وأُماً أضيعها دماً وأذلّها أهلاً.

فقال له الحسين عليه السلام: «فأين أذهب يا أخي؟» قال: تخرج الى مكة فإن اطمأنت بك الدار بها فذاك، وان تكن الأُخرىٰ خرجت الى بلاد اليمن فإنهم أنصار جدك وأبيك وهم أرأف الناس وأرقّهم قلوباً وأوسع الناس بلاداً، فإن أطمأنت بك الدار وإلّا لحقت بالرمال وشعف الجبال وجزت من بلد الى بلد حتى تنظر ما يؤول إليه أمر الناس، ويحكم الله بيننا وبين القوم الفاسقين فإنّك أصوب ما تكون رأياً حين تستقبل الأمر استقبالاً.

فقال الحسين عليه السلام: «يا أخي والله لو لم يكن في الدنيا ملجأ ولا مأوىٰ لما بايعت يزيد بن معاوية»، فقطع محمّد ابن الحنفية عليه الكلام وبكى، فبكى الحسين عليه السلام معه ساعة، ثم قال: «يا أخي جزاك الله خيراً فقد نصحت وأشفقت وأرجو أن يكون رأيك سديداً موفقاً، وأنا عازم على الخروج الى مكة وقد تهيأت لذلك أنا وإخوتي وبنو أخي وشيعتي أمرهم أمري ورأيهم رأيي، وأما أنت يا أخي فلا عليك أن تقيم بالمدينة فتكون لي عيناً عليهم لا تُخفي عنّي شيئاً من أمورهم»(١).

وأقبلت نساء بني عبد المطلب فاجتمعن للنياحة لما بلغهن أن الحسين يريد الشخوص من المدينة، حتى مشى فيهن الحسين عليه السلام فقال: «أنشدكنّ الله أن تبدين هذا الأمر، معصية لله ولرسوله»، قالت له نساء بني عبدالمطلب: فلمن

---

(١) الإرشاد ٢: ٣٤ـ ٣٥ ولم يذكر آخر الرواية، وذكرها المجلسي عن محمد بن أبي‌طالب في بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩، والبحراني في عوالم الحسين عليه السلام: ١٧٨ ـ ١٧٩ عن محمد بن أبي‌طالب أيضاً وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

نستبقي النياحة والبكاء، فهو عندنا كيوم مات فيه رسول الله، وعليّ، وفاطمة، والحسن، ورقية، وزينب، وأم كلثوم جعلنا الله فداك من الموت يا حبيب الأبرار من أهل القبور(١).

ولمّا عزم الحسين عليه السلام على الخروج من المدينة مضى في جوف الليل الى قبر أمّه فودعها ثم مضى الى قبر أخيه الحسن عليه السلام ففعل كذلك(٢).

وخرج معه بنو أخيه وإخوته وجل أهل بيته إلّا محمّد ابن الحنفية وعبدالله ابن جعفر.

وخرج عليه السلام من المدينة في جوف الليل وهو يقرأ: ﴿فخرج منها خائفاً يترقّب قال ربِّ نجّني من القوم الظالمين﴾(٣) ولزم الطريق الأعظم، فقال له أهل بيته: لو تنكّبت الطريق الأعظم كما فعل ابن الزبير كيلا يلحقك الطلب. فقال: «لا والله لا أفارقه حتى يقضي الله ما هو قاض»(٤).

فلقيه عبدالله بن مطيع فقال له: جعلت فداك أين تريد؟ قال: «أما الآن فمكة، وأما بعد فإنّي أستخير الله». قال: خار الله لك وجعلنا فداك، فإذا أتيت مكة فإيّاك أن تقرب الكوفة، فإنّها بلدة مشؤومة بها قُتل أبوك وخُذل أخوك واغتيل بطعنة كادت تأتي على نفسه، إلزم الحرم فأنت سيّد العرب لا يعدل بك أهل الحجاز أحداً ويتداعى إليك الناس من كل جانب لا تفارق الحرم، فداك عمّي وخالي، فوالله لئن هلكت لنسترقّنّ بعدك(٥).

---

(١) كامل الزيارات: ١٩٥ / ح ٢٧٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٢٩.

(٣) القصص: ٢١.

(٤) الإرشاد ٢: ٣٤ـ ٣٥.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٦٠ ـ ٢٦١، الكامل في التاريخ ٤: ١٩ ـ ٢٠.

وكان دخوله عليه السلام الى مكة يوم الجمعة لثلاث مضين من شعبان ـ فيكون مقامه في الطريق نحواً من خمسة أيّام لأنّه خرج من المدينة لليلتين بقيتا من رجب ـ كما مرّ ـ.

ودخلها وهو يقرأ: ﴿ولمّا توجّه تلقاء مدين قال عسى ربّي أن يهديني سواء السبيل﴾(١) ، فأقام بمكة باقي شعبان، وشهر رمضان وشوالاً وذا القعدة، وثماني ليال من ذي الحجة .

وأقبل أهل مكة ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق يختلفون إليه وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة، فهو قائم يصلّي عندها عامّة النهار ويطوف ويأتي الحسين عليه السلام فيمن يأتيه اليومين المتواليين وبين كلّ يوم مرّة، ولا يزال يشير عليه بالرأي وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير، لأنّه قد علم أنّ أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين عليه السلام باقياً في البلد، وأنّ الحسين عليه السلام أطوع في الناس منه وأجلّ(٢).

دعوة أهل الكوفة

ولمّا بلغ أهل الكوفة موت معاوية، وامتناع الحسين عليه السلام من البيعة ارجفوا بيزيد، وعُقِد اجتماع في منزل سليمان بن صرد الخزاعي، فلمّا تكاملوا، قام سليمان فيهم خطيباً، وقال في آخر خطبته: إنّكم قد علمتم بأنّ معاوية قد هلك وصار الى ربّه، وقدم على عمله، وقد قعد في موضعه ابنه يزيد، وهذا الحسين ابن عليّ قد خالفه، وصار الى مكة هارباً من طواغيت آل سفيان وأنتم شيعته

---

(١) القصص: ٢٢.

(٢) الإرشاد ٢: ٣٦، الكامل في التاريخ ٤: ٢٠ .

وشيعة أبيه من قبله وقد احتاج الى نصرتكم اليوم، فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه ومجاهدو عدوّه فاكتبوا إليه، وإنْ خفتم الوهن والفشل فلا تغرّوا الرجل من نفسه.

قالوا: بل نقاتل عدوّه، ونقتل أنفسنا دونه، فأرسلوا وفداً من قبلهم وعليهم أبو عبدالله الجدلي.

وكتبوا إليه معهم بسم الله الرحمن الرحيم:

للحسين بن عليّ، من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شدّاد البجلي، وحبيب بن مظاهر، وعبدالله بن وال، وشيعته من المؤمنين والمسلمين. سلام عليك، أما بعد فالحمدلله الذي قصم عدوّك وعدوّ أبيك من قبل، الجبار العنيد الغشوم الظلوم الذي انتزى على هذه الأُمّة فابتزّها أمرها، وغصبها فيأها، وتأمّر عليها بغير رضا منها، ثم قتل خيارها واستبقى شرارها، وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وعتاتها، فبعداً له كما بعدت ثمود، وأنه ليس علينا إمام غيرك، فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحقّ، والنعمان بن بشير في قصر الامارة، ولسنا نجتمع معه في جمعة ولا نخرج معه الى عيد، ولو قد بلغنا أنك أقبلت أخرجناه حتى يلحق بالشام، إن شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله يا بن رسول الله، وعلى أبيك من قبلك ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم(١).

وقيل: إنّهم سرّحوا الكتاب مع عبدالله بن مسمع الهمذاني وعبدالله بن وال وأمروهما بالنجاء، فخرجا مسرعين، حتى قدما على الحسين عليه السلام بمكة لعشر مضين من شهر رمضان، ثم لبثوا يومين، وانفذوا قيس بن مسهر

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٣ بتفاوت يسير، مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ١٥ بتلخيص.

الصيداوي، وعبدالرحمن بن عبدالله بن شدّاد الأرحبي، وعمارة بن عبدالله السلولي الى الحسين عليه السلام، ومعهم نحو مائةٍ وخمسين صحيفة من الرجل، والاثنين، والأربعة[١] وهو مع ذلك يتأنّى ولا يجيبهم .

فورد عليه في يوم واحد ستمائة كتاب وتواترت الكتب حتى اجتمع عنده في نوب متفرقة اثنا عشر ألف كتاب .

ثم لبثوا يومين آخرين، وسرّحوا إليه هانئ بن هانئ السبيعي، وسعيد بن عبدالله الحنفي، وكانا آخر الرسل، وكتبوا إليه:

بسم الله الرحمن الرحيم: للحسين بن عليّ من شيعته من المؤمنين والمسلمين. أما بعد فحيهلا فإنّ الناس ينتظرونك لا رأي لهم غيرك، فالعجل العجل، ثم العجل العجل والسلام.

ثمّ كتب معهما أيضاً شبث بن ربعي التميمي، وحجّار بن أبجر العجلي، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم الشيباني، وعزرة بن قيس الأحمسي، وعمرو بن الحجاج الزبيدي، ومحمّد بن عمير بن عطارد بن حاجب ابن زرارة التميمي: أما بعد فقد اخضرّ الجناب وأينعت الثمار فإذا شئت فأقبل على جند لك مجنّدة والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى أبيك من قبلك[٢].

وفي رواية: إنّ أهل الكوفة كتبوا إليه: إنّ لك هنا مائة ألف سيف فلا تتأخر[٣]. وتلاقت الرسل كلها عنده.

فقال الحسين عليه السلام لهانئ، وسعيد: «خبّراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي سُيّر

(١) الإرشاد ٢: ٣٧ ـ ٣٨. وفيه إختلاف يسير باللفظ.

(٢) الإرشاد ٢: ٣٨، والملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٥ ـ ١٠٦ وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

(٣) الإرشاد ٢: ٧١.

إليّ معكما؟» فقالا: يا بن رسول الله شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث بن يزيد بن رويم، وعزرة بن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمّد بن عمير بن عطارد ـ وكل هؤلاء خرج لقتال الحسين عليه السلام، وهم من أعيان الكوفة ووجوهها ـ فعندها قام الحسين عليه السلام فصلى ركعتين بين الركن والمقام وسأل الله الخيرة في ذلك(١).

ثم كتب مع هانئ بن هانئ وسعيد بن عبدالله: «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ الى الملأ من المؤمنين والمسلمين، أما بعد فإنّ هانياً وسعيداً قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلكم، وقد فهمت كل الذي اقتصصتم وذكرتم، ومقالة جلّكم انه ليس علينا إمام فأقبل لعل الله يجمعنا بك على الحق والهدى. وأنا باعث إليكم أخي وابن عمّي وثقتي من أهل بيتي، مسلم بن عقيل، فإن كتب إليّ أنّه قد اجتمع رأي ملئكم وذوي الحجى والفضل منكم على مثل ما قدمت به رسلكم وقرأت في كتبكم، فإني أقدم إليكم وشيكاً إن شاء الله تعالى، فلعمري ما الإمام إلّا الحاكم بالكتاب، القائم بالقسط، الدائن بدين الحقّ، الحابس نفسه على ذلك لله، والسلام».

ودعا الحسين عليه السلام ابن عمه مسلم بن عقيل وقيل: إنّه كتب معه جواب كتبهم فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي ورجلين آخرين وأمره بالتقوى، وكتمان أمره، واللطف فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك، فأقبل مسلم رحمه الله حتى أتى المدينة، واستأجر دليلين من قيس، فأقبلا به يتنكبان الطريق وأصابهما عطش شديد فعجزا عن السير فأومآ له الى سنن الطريق، ومات الدليلان عطشاً.

فكتب مسلم الى الحسين عليه السلام من الموضع المعروف بالمضيق ـ وهو ماء

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٠٦ ـ ١٠٧، مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ١٦ وفيه تفاوت يسير باللفظ.

لبني كلب ـ مع قيس بن مسهر : أما بعد فإنّي أقبلت من المدينة مع دليلين فجارا عن الطريق فضلّا واشتدّ علينا العطش فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا الى الماء، فلم ننج إلّا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبت[١]، وقد تطيرت من توجهي هذا فإن رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري، والسلام.

فكتب إليه الحسين عليه السلام: **«قد خشيتُ أن لا يكون حملك لي الاستعفاء إلّا الجبن فامض لوجهك الذي وجهتك فيه»**.

فقال مسلم: أما هذا فلست أتخوّفه على نفسي. فاقبل حتى مرّ بماء لطيء فنزل، ثم ارتحل عنه، فإذا برجل يرمي الصيد، فنظر إليه وقد رمى ظبياً حين أشرف له فصرعه، فقال مسلم: نقتل عدوّنا إن شاء الله.

ثم أقبل حتى دخل الكوفة، فنزل دار المختار وأقبلت الناس تختلف إليه، فكلّما اجتمع إليه منهم جماعة قرأ عليهم كتاب الحسين وهم يبكون، وبايعه الناس حتى بايعه منهم ثمانية عشر ألفاً[٢] .

فكتب الى الحسين عليه السلام : أما بعد، فإن الرائد لا يكذب أهله، وإنّ جميع أهل الكوفة معك وقد بايعني منهم ثمانية عشر ألفاً فعجّل الإقبال حين تقرأ كتابي هذا والسلام[٣] .

وجعل الناس يختلفون إليه حتى علم بمكانه فبلغ النعمان بن بشير ذلك، وكان والياً على الكوفة من قبل معاوية فأقرّه يزيد عليها، وكان صحابياً حضر

---

(١) الخبت: ماء لقبيلة كلب. معجم البلدان ٢: ٣٤٣.

(٢) الإرشاد ٢: ٣٩ ـ ٤١ وفيه تفاوت يسير باللفظ، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٦٢ ـ ٢٦٤ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٣) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٢١، مقتل الحسين لأبي مخنف: ٥١.

مع معاوية حرب صفّين، وكان من أتباعه وقتله أهل حمص في فتنة ابن الزبير ـ وكان والياً عليها ـ فصعد المنبر وخطب الناس، وحذّرهم الفتنة، فقام إليه عبدالله بن مسلم بن سعيد الحضرمي حليف بني أُمية فقال له : إنه لا يصلح ما ترىٰ إلّا الغشم، إنّ هذا الذي أنت عليه رأي المستضعفين. فقال له النعمان : أن أكون من المستضعفين في طاعة الله أحبّ اليّ من أن أكون من الأعزّين في معصية الله. ثم نزل.

فكتب عبدالله بن مسلم الى يزيد يخبره بقدوم مسلم بن عقيل الكوفة، ومبايعة الناس له ويقول : إن كان لك في الكوفة حاجة فابعث إليها رجلاً قوياً ينفذ أمرك، ويعمل مثل عملك، في عدوّك فإن النعمان بن بشير رجل ضعيف، أو هو يتضعّف، وكتب إليه عمارة بن الوليد بن عقبة، وعمر بن سعد بنحو ذلك، فدعا يزيد سرجون الرومي مولى معاوية ـ وكان سرجون مستولياً على معاوية في حياته ـ ، واستشاره فيمن يولّي على الكوفة، وكان يزيد عاتباً على عبيد الله بن زياد، وهو يومئذٍ والٍ على البصرة، وكان معاوية قد كتب لابن زياد عهداً بولاية الكوفة، ومات قبل إنفاذه، فقال سرجون ليزيد: لو نشر لك معاوية ماكنت آخذاً برأيه؟ قال: بلى قال: هذا عهده لعبيدالله على الكوفة. فضمّ يزيد البصرة والكوفة الى عبيد الله، وكتب إليه بعهده وسيّره مع مسلم بن عمرو الباهلي وكتب الى عبيد الله معه: أما بعد، فإنه كتب إليّ شيعتي من أهل الكوفة يخبرونني أن ابن عقيل فيها يجمع الجموع ليشق عصا المسلمين، فسر حين تقرأ كتابي هذا حتى تأتي الكوفة فتطلب ابن عقيل طلب الخرزة، حتى تثقفه فتوثقه، أو تقتله أو تنفيه والسلام. فخرج مسلم بن عمرو حتى قدم على عبيدالله بالبصرة فأمر عبيد الله بالجهاز من وقته والتهيؤ والمسير الى الكوفة من الغد[١].

---

(١) الإرشاد ٢: ٤١ ـ ٤٣، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، الكامل في التاريخ ٤: ٢٢ ـ ٢٣ وفيها إختلاف يسير باللفظ وتفاوت.

كتاب الحسين عليه السلام الى أهل البصرة

وكتب الحسين عليه السلام الى رؤساء الأخماس بالبصرة، والى أشرافها مع ذراع السدوسي، ومع مولى للحسين عليه السلام اسمه سليمان، ويكنّى أبا رزين، فكتب الى مالك بن مسمع البكري، والأحنف بن قيس، ويزيد بن مسعود النهشلي، والمنذر بن الجارود العبدي، ومسعود بن عمر الأزدي بنسخة واحدة: «أما بعد فإنّ الله اصطفى محمداً صلى الله عليه وآله على خلقه، وأكرمه بنبوّته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه وقد نصح لعباده، وبلّغ ما أُرسل به صلى الله عليه وآله، وكنا أهله وأولياءه وأوصياءه وورثته وأحقّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا فأغضينا كراهية للفرقة محبة للعافية، ونحن نعلم أنا أحقّ بذلك الحق المستحق علينا ممن تولّاه، وقد بعثت رسولي إليكم بهذا الكتاب وأنا أدعوكم الى كتاب الله وسنة نبيّه، فإنّ السنة قد أُميتت، وإنّ البدعة قد أُحييت، فإن تجيبوا دعوتي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد»(١).

فجمع يزيد بن مسعود بني تميم، وبني حنظلة، وبني سعد فلمّا حضروا قال: يا بني تميم كيف ترون موضعي فيكم وحسبي منكم؟ فقالوا: بخ بخ، أنت والله فقرة الظهر ورأس الفخر حللت في الشرف وسطاً، وتقدمت فيه فرطاً. قال: فإنّي قد جمعتكم لأمر أُريد أن أُشاوركم فيه واستعين بكم عليه. فقالوا: إذاً والله نمنحك النصيحة، ونجهد لك الرأي، فقل نسمع.

فقال: إن معاوية قد مات فأهون به والله هالكاً ومفقوداً ألا وإنه قد انكسر باب الجور والإثم، وتضعضعت أركان الظلم، وقد كان أحدث بيعة عقد بها أمراً ظنّ أن قد أحكمه، وهيهات الذي أراد، اجتهد والله ففشل، وشاور فخذل،

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٦٥ ـ ٢٦٦ بتفاوت يسير باللفظ.

وقد قام ابنه يزيد شارب الخمور، ورأس الفجور يدعي الخلافة على المسلمين، ويتأمّر عليهم بغير رضى منهم، مع قصر حلم وقلّة علم، لا يعرف من الحقّ موطئ قدمه، فأقسم الله قسماً مبروراً لجهاده على الدين أفضل من جهاد المشركين، وهذا الحسين بن عليّ ابن رسول الله ذوالشرف الأصيل والرأي الأثيل، له فضل لا يوصف، وعلم لا ينزف، وهو أولى بهذا الأمر لسابقته وسنّه وقدمه وقرابته، يعطف على الصغير، ويحنو على الكبير، فأكرم به راعي رعية وإمام قوم، وجبت لله به الحجة، وبلغت به الموعظة، وقد كان صخر بن قيس ـ وهو الأحنف ـ انخذل بكم يوم الجمل، فاغسلوها بخروجكم الى ابن رسول الله ﷺ ونصرته؛ والله لا يقصّر أحد عن نصرته إلّا أورثه الله تعالى الذلّ في ولده، والقلّة في عشيرته، وها آنذا قد لبست للحرب لامتها، وادّرعتُ لها بدرعها، مَن لم يُقتل يمت، ومَن يهرب لم يفت ،فاحسنوا رحمكم الله ردّ الجواب.

فتكلّمت بنو حنظلة، فقالوا: أبا خالد نحن نبل كنانتك، وفرسان عشيرتك إن رميت بنا أصبت، وإن غزوت بنا فتحت، لا تخوض والله غمرة إلّا خضناها، لا تلقى والله شدة إلّا لقيناها، [ننصرك والله بأيدينا، ونفديك بدمائنا إذا شئت فافعل.][1]

وتكلّمت بنو سعد بن يزيد، فقالوا: أبا خالد إنّ أبغض الأشياء إلينا خلافك، والخروج عن رأيك، وقد كان صخر بن قيس الأحنف أمرنا بترك القتال [يوم الجمل][2] فحمدنا رأيه فأمهلنا نراجع الرأي فنأتيك برأينا.

---

(١) في المصدر [ننصرك بأسيافنا ونفديك بأبداننا، فانهض لما شئت.]

(٢) ليست في المصدر.

وتكلّمت بنو عامر بن تميم فقالوا: يا أبا خالد نحن بنو أبيك، وحلفاؤك لا نرضى إن غضبت، ولا نوطن[١] إن ظعنت، والأمر إليك فادعنا نجبك، ومرنا نطعك، والأمر لك إذا شئت.

فقال: والله يا بني سعد، لئن فعلتموها لا رفع الله السيف عنكم أبداً، ولا زال سيفكم فيكم.

ثم كتب الى الحسين عليه السلام: وصل إليّ كتابك، وفهمت ما ندبتني، إليه ودعوتني له، من الأخذ بحظّي من طاعتك والفوز بنصيبي من نصرتك، وأنّ الله لم يخل الأرض قط من عامل عليها بخير أو دليل على سبيل النجاة، وأنتم حجّة الله على خلقه، ووديعته في أرضه، تفرّعتم من زيتونة أحمدية هو أصلها وأنتم فرعها، فاقدم سعدت بأسعد طائر، فقد ذلّلت لك أعناق بني تميم لورود، وتركتهم أشد تتابعاً في طاعتك من الإبل الظماء لورود الماء يوم خمسها[٢] وكظها، وقد ذلّلت لك رقاب بني سعد، وغسلت درن صدورها بماء سحابة حين[٣] استهل برقها فلمع.

فلما قرأ الحسين عليه السلام، الكتاب قال: «ما لك آمنك الله يوم الخوف، وأعزّك وأرواك يوم العطش الأكبر».

فلما تجهّز المشار إليه للخروج الى الحسين عليه السلام، بلغه قتله قبل أن يسير، فجزع من انقطاعه عنه[٤].

---

(١) في المصدر [نقطن].

(٢) في المصدر [يوم خِمسها لورود الماء].

(٣) في المصدر [حتى].

(٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ١١٠ ـ ١١٣، مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ١٧ ـ ١٩ وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

وممّا يلاحظ هنا أنّ بني حنظلة، وبني عامر الذين أجابوا يزيد بن مسعود الى القيام معه، لم يكن في كلامهم كلمة واحدة تدل على أنّ قيامهم لنصرة الحق، ولكون الحسين عليه السلام إمام حق تجب نصرته والجهاد معه نصرة للدين والحق، بل يلوح من كلامهم أنّ إطاعتهم له لكونه رئيساً لهم، فبنو حنظلة لا يخوض غمرة إلّا خاضوها، ولا يلقي شدّة إلّا لقوها، وبنو عامر لا يرضون إنْ غضب، ولا يوطنون إن ظعن، وهكذا حال أكثر الناس، أما هو فكلامه يدلّ على معرفته بحقّ الحسين عليه السلام، وأنّ قيامه معه لمحض نصرة الحق والدين.

وكتب إليه الأحنف: أما بعد، فاصبر ﴿إن وعد الله حقّ ولا يستخفنّك الذين لا يوقنون﴾[1])[2].

وأما المنذر بن الجارود، فإنه جاء بالكتاب والرسول الى عبيدالله بن زياد في عشية الليلة التي يريد ابن زياد أن يذهب في صبيحتها الى الكوفة؛ لأنّ المنذر خاف أن يكون دسيساً من عبيدالله، وبئس ما فعل، وكانت بحرية بنت المنذر زوجة عبيدالله، فأخذ عبيد الله الرسول فصلبه، ثم إنّه خطب الناس وتوعّدهم على الخلاف، وخرج من البصرة واستخلف عليها أخاه عثمان[3].

---

(١) الروم: ٦٠.

(٢) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ١٧.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ١١٣ ـ ١١٤ بتفاوت يسير باللفظ.

مجيء ابن زياد الى الكوفة

وأقبل الى الكوفة، ومعه مسلم بن عمرو الباهلي رسول يزيد، وشريك بن الأعور الحارثي، وقيل[١] :كان معه خمسمائة فتأخّروا عنه رجاء ان يقف عليهم، ويسبقه الحسين عليه السلام الى الكوفة، فلم يقف على أحد منهم. وسار فلمّا أشرف على الكوفة نزل حتى أمسى ودخلها ليلاً ممّا يلي النجف، وعليه عمامة سوداء، وهو متلثم، فدخلها من جهة البادي، في زي أهل الحجاز ليوهمهم أنه الحسين عليه السلام، والناس قد بلغهم إقبال الحسين عليه السلام ، فهم ينتظرونه فظنوا حين رأوا عبيد الله إنّه الحسين عليه السلام ، فقالت امرأة : الله أكبر ابن رسول الله، فتصايح الناس، وقالوا : إنّا معك أكثر من أربعين ألفاً، وأخذ لا يمرّ على جماعة من الناس إلّا سلّموا عليه، وقالوا : مرحباً بك يا ابن رسول الله، قدمت خير مقدم فرأى من تباشرهم بالحسين عليه السلام ما ساءه، وازدحموا عليه حتى أخذوا بذنب دابّته، فقال لهم عبدالله بن مسلم الباهلي لماكثروا : تأخّروا هذا الأمير عبيدالله بن زياد ، وحسر اللثام عن وجهه، وقال : أنا عبيدالله. فتساقط القوم ووطيء بعضهم بعضاً، وسار حتى وافى القصر باللّيل ، فأغلق النعمان بن بشير عليه وعلى خاصته، فناداه بعض من كان مع ابن زياد ليفتح لهم الباب، فاطلع عليه النعمان وهو يظنه الحسين عليه السلام ، فقال :انشدك الله إلّا تنحيت، والله ما أنا بُمسلِّم إليه أمانتي، وما لي في قتالك من أرب، فجعل لا يكلّمه، ثم إنه دنا فتدلى النعمان من شرف القصر ، فجعل يكلّمه، فقال ابن زياد : افتح لا فتحت فقد طال ليلك يا نعيم، ففتح له النعمان فدخل وضربوا الباب في وجوه الناس،

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٦٧.

وانفضوا وأصبح ابن زياد فنادى في الناس الصلاة جامعة، فاجتمعوا فخطبهم، وتوعّد العاصي بالعقوبة، والمطيع بالاحسان، وقال: الصدق ينبئ عنك لا الوعيد، ونزل وأخذ العرفاء والناس أخذاً شديداً، فقال: اكتبوا لي الغرباء، ومن فيكم من طلبة أميرالمؤمنين، فمن لم يفعل برئت منه الذمة وحلال لنا دمه وماله، وأيّما عريف وجد في عرافته من بغية أميرالمؤمنين أحد لم يرفعه إلينا صلب على باب داره، والغيت تلك العرافة من العطاء .

ولمّا سمع مسلم بن عقيل مجيء عبيد الله الى الكوفة، ومقالته التي قالها، خرج من دار المختار الى دار هانيء بن عروة في جوف الليل، فأخذ أنصاره يختلفون إليه في دار هانيء على تستر واستخفاء.

وألحّ عبيدالله في طلب مسلم، ولا يعلم أين هو، وكان شريك بن الحارث الهمداني لمّا جاء من البصرة مع عبيدالله بن زياد نزل دار هاني فمرض، فأرسل إليه ابن زياد أنه يريد أن يعوده، فقال لمسلم: إذا جلس أُخرج إليه فاقتله، ونهاه هاني، ولمّا أراد الخروج تعلقت به أمرأة لهاني وبكت في وجهه، وناشدته الله أن يفعل، وخرج ابن زياد، ومات شريك من مرضه ذلك.

ولمّا خفي على ابن زياد أمر مسلم عمد الى التجسس، فدعا غلاماً له اسمه معقل، ودفع إليه أربعة آلاف درهم، وأمره بحسن التوصّل الى أصحاب مسلم، وأن يدفع إليهم المال ليستعينوا به، ويظهر لهم أنّه منهم من أهل حمص، فجاء الى مسلم بن عوسجة، فاغترّ بكلامه وأدخله على مسلم بن عقيل، فأخبر ابن زياد بكل ما أراد، وبلغ الذين بايعوا مسلماً خمسة وعشرين ألف رجل فعزم على الخروج، فقال هاني: لا تعجل.

وخاف هاني عبيدالله على نفسه، فانقطع عن مجلسه وتمارض، فدعا ابن زياد محمّد بن الأشعث، وحسان بن أسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجاج

الزبيدي، وكان هانيء متزوجاً رويحة بنت عمرو هذا، فقال لهم : ما يمنع هانيء من زيارتنا؟ قالوا : إنّه مريض. قال : بلغني أنه برئ وأنه يجلس على باب داره، فألقوه ومروه أن لا يدع ما عليه من حقّنا، فإنّي لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب، وقالوا : ما يمنعك من لقاء الأمير فإنّه قد ذكرك؟ قال: المرض. قالوا : بلغه أنّك برئت، وأقسموا عليه أن يذهب معهم، فذهب، ولم يكن حسّان يعلم بشيء ممّا كان، وكان محمّد بن الأشعث عالماً به .

فلما دخل على ابن زياد قال: ايه يا هانيء! ما هذه الأُمور التي تربص في دارك لأمير المؤمنين وعامة المسلمين؟ جئت بمسلم بن عقيل فأدخلته دارك، وجمعت له الجموع والسلاح في الدور حولك، وظننت أنّ ذلك يخفى عليَّ؟ فأنكر هانيء أن يكون قد فعل، فدعا ابن زياد معقلاً، فعلم هانيء أنه كان عيناً عليهم، فسقط في يده ساعة، ثم راجعته نفسه، وجعل يعتذر الى ابن زياد، بأنه ما دعا مسلماً الى منزله، وإنّما جاءه يسأله النزول، فاستحيا من ردّه، وداخله من ذلك ذمام، وإنّه يذهب الآن فيخرجه، فقال ابن زياد: والله لا تفارقني حتى تأتيني به، فقال : لا والله لا أجيئك به، أجيئك بضيفي تقتله؟!

وخلا به مسلم بن عمرو الباهلي، ليقنعه بأن يأتي به فأبى، فقال ابن زياد: والله لتأتيني به أو لأضربنّ عنقك. قال: إذا تكثر البارقة حول دارك. فقال: وا لهفاه عليك أبالبارقة تخوّفني؟ وهانيء يظن أنّ عشيرته سيمنعونه، ثم قال: أدنوه مني، فاستعرض وجهه بالقضيب حتى كسر أنفه، وشقّ حاجبه ونثر لحم جبينه وخده على لحيته، وسالت الدماء على ثيابه ووجهه ولحيته، وكسر القضيب، وضرب هانيء يده على قائم سيف شرطي، وجاذبه الشرطي ومنعه، فقال عبيد الله: أحروري سائر اليوم؟ قد حلّ دمك، جرّوه. فجرّوه فألقوه في

بيت من بيوت الدار، وأغلقوا عليه بابه، وجعلوا عليه حرساً.

فقام إليه حسان بن خارجة فقال: أرسل غدر سائر اليوم ؟! أمرتنا أن نجيئك بالرجل حتى إذا جئناك به فعلت به هذا! فقال عبيد الله: وإنّك لهاهنا، فأمر به فضرب وتعتع وأُجلس ناحية، فقال محمّد بن الأشعث: رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا إنّما الأمير مؤدّب.

وبلغ عمرو بن الحجّاج، أن هانياً قد قُتل، فأقبل في مذحج حتى أحاط بالقصر، فقال ابن زياد، لشريح القاضي: ادخل على صاحبهم فانظر إليه، ثم أعلمهم أنّه حيّ. ففعل فقالوا : أمّا إذا لم يقتل فالحمد لله وانصرفوا.

وهكذا يتمكّن الظالم من ظلمه بأمثال محمّد بن الأشعث من أعوان الظلمة، وأمثال شريح من قضاة السوء المظهرين للدين المصانعين الظلمة اللابسين جلود الكباش، وقلوبهم قلوب الذئاب، وبأمثال مذحج الذين اغتروا بكلام شريح، وانصرفوا ولم يأخذوا بالحزم .

ولمّا ضرب عبيد الله هانئاً وحبسه، خاف أن يثب به الناس، فخرج فصعد المنبر ومعه أشراف الناس وشرطه وحشمه، وخطب خطبة موجزة وحذر الناس وهددهم(١).

خروج مسلم في الكوفة

وكان مسلم أرسل الى القصر من يأتيه بخبر هانيء، فلمّا أخبر أنه ضُرب وحبس، قال لمناديه: ناد يا منصور أمت ـ وكان ذلك شعارهم ـ فنادى،

---

(١) الإرشاد ٢: ٤٣ ـ ٥١، مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ١٩ ـ ٢٣، تاريخ الأُمم والملوك ٤:٢٦٧ ـ ٢٧٥ ، الكامل في التاريخ ٤: ٢٤ ـ ٣٠. وقد أخذ المصنف رواياتهم وروايات غيرهم من أرباب التاريخ والمقاتل، وجمعها بتفاوت وإختصار.

فاجتمع إليه أربعة آلاف كانوا في الدور حوله(١).

وقال المسعودي: اجتمع إليه في وقت واحد ثمانية عشر ألف رجل(٢)، فسار الى ابن زياد، فما نزل ابن زياد حتى دخلت النظارة المسجد، يقولون: جاء ابن عقيل. فدخل عبيد الله القصر مسرعاً، وأغلق أبوابه، وقدّم مسلم مقدّمته، وعبّأ أصحابه ميمنة وميسرة، ووقف هو في القلب وأقبل نحو القصر وتداعى الناس واجتمعوا حتى امتلأ المسجد والسوق، وضاق بعبيد الله أمره، وبعث الى وجوه أهل الكوفة فجمعهم عنده، وليس معه إلّا ثلاثون رجلاً من الشرط، وعشرون رجلاً من أشراف الناس وخاصته، وجعل مَن في القصر مع ابن زياد يشرفون على أصحاب مسلم، وأصحاب مسلم يرمونهم بالحجارة ويشتمونهم ويفترون على عبيد الله وأُمّه وأبيه.

فدعا ابن زياد كثير بن شهاب وأمره أن يخرج فيمن أطاعه من مذحج، ويخذّل الناس عن ابن عقيل ويخوّفهم، وأمر محمّد بن الأشعث أن يخرج فيمن أطاعه من كندة وحضرموت، فيرفع راية أمان، وأمر جماعة من الأشراف بمثل ذلك، وحبس باقي وجوه الناس عنده استيحاشاً إليهم لقلة من معه.

وأقام الناس مع ابن عقيل يكثرون حتى المساء وأمرُهم شديد.

وأمر ابن زياد من عنده من الأشراف أن يشرفوا على الناس فيُمَنّوا أهل الطاعة الزيادة والكرامة، ويخوّفوا أهلَ المعصية الحرمان والعقوبة وجعل كثير يُخذّل الناس ويُخوّفهم بأجناد الشام، فأخذوا يتفرقون، وكانت المرأة

---

(١) الإرشاد ٢: ٥١ ـ ٥٢، الكامل في التاريخ ٤: ٣٠.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٥٨.

تأتي ابنها وأخاها فتقول: انصرف، الناس يكفونك. ويجيء الرجل الى ابنه وأخيه ويقول: غداً يأتيك أهل الشام، فما تصنع بالحرب؟! حتى أمسى ابن عقيل في خمسمائة فلما اختلط الظلام جعلوا يتفرّقون فصلّى المغرب وما معه إلّا ثلاثون نفساً فتوجّه نحو باب المسجد، فلم يبلغه إلّا ومعه عشرة أنفس فخرج من الباب فإذا ليس معه أحد.

ومن هنا يعلم أنّ مسلماً ـ رضوان الله عليه ـ لم يقصر في حزم ولا تدبير، وأنه أُصيب من جهة خذلان أهل الكوفة . فمضى على وجهه متلدداً في أزقّة الكوفة حتى باب امرأة اسمها طوعة، ولها ولد اسمه بلال، كان قد خرج مع الناس وأُمّه قائمة تنتظره، فسلّم عليها ابن عقيل فردّت عليه السلام، وطلب منها ماء فسقته، وجلس ودخلت، ثم خرجت فقالت : يا عبدالله ألم تشرب؟ قال: بلى. قالت: فاذهب الى أهلك. فسكت، ثم أعادت مثل ذلك، فسكت فقالت: سبحان الله! يا عبدالله ثم عافاك الله اذهب الى أهلك. فإنّه لا يصلح لك الجلوس على بابي، ولا أُحلّه لك، فقام وقال : يا أمة الله ما لي في هذا المصر أهل ولا عشيرة، فهل لك في أجر ومعروف، ولعلّي مكافيك بعد اليوم. قالت: وما ذاك؟ قال : أنا مسلم بن عقيل. قالت :أنت مسلم؟ قال: نعم. قالت: اُدخل. فدخل الى بيت في دارها غير الذي تكون فيه، وفرشت له وعرضت عليه العشاء، فلم يتعش، وجاء ابنها فرآها تكثر الدخول في البيت والخروج منه، فاستراب بذلك ولم يزل بها حتى أخبرته.

وجعل ابن زياد لا يسمع لأصحاب ابن عقيل صوتاً كما كان يسمع، فقال لأصحابه: أن يشرفوا فينظروا هل يرون أحداً؟ فلم يروا أحداً، ونزعوا الخشب من سقف المسجد، ودلّوا شعل النار والقناديل فلم يروا أحداً، فأخبروه بتفرّق القوم، فخرج بأصحابه الى المسجد، ونادى مناديه: برئت الذمّة من رجل من

الشرط والعرفاء والمناكب والمقاتلة صلّى العتمة إلّا في المسجد، فامتلأ المسجد من الناس، فصلّى بهم وأقام الحرس خلفه، ثم صعد المنبر وقال : إن ابن عقيل السفيه الجاهل قد أتى ما رأيتم من الخلاف والشقاق ، فبرئت ذمّة الله من رجل وجدناه في داره، ومن جاء به فله ديته اتّقوا الله عباد الله، ولا تجعلوا على أنفسكم سبيلاً.

يا حصين بن تميم ـ وهو صاحب شرطته ـ ثكلتك أُمّك إن ضاع باب من سكك الكوفة، وخرج هذا الرجل ولم تأتني به، وقد سلّطتك على دور أهل الكوفة، ثم دخل القصر .

فلمّا أصبح جلس مجلسه، وأَذِنَ للناس فدخلوا عليه، وأقبل محمّد بن الأشعث، فقال له : مرحباً بمن لا يستغش ولا يتّهم، وأقعده الى جنبه، وجاء ابن تلك المرأة، فأخبر عبدالرحمن بن محمّد بن الأشعث بمكان مسلم من أُمّه، وكانت أُمّه أُمّ ولد للأشعث بن قيس، فاعتقها وتزوّجها أسيد الحضرمي، فولدت له بلالاً فبين بلال وأولاد الأشعث علاقة بسبب تلك المرأة ، ولعلّ بعضهم كان أخا بلال لأُمّه، فجاء عبدالرحمن فأخبر أباه سرّاً وهو عند ابن زياد، فعرف ابن زياد سراره فبعث سبعين رجلاً، حتى أتوا الدار التي فيها مسلم.

فلمّا سمع مسلم وقع حوافر الخيل وأصوات الرجال علم أنه قد أُتي، فخرج إليهم بسيفه، واقتحموا عليه الدار فشدّ عليهم يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من الدار، ثم عادوا إليه فشدّ عليهم كذلك فأخرجهم مراراً، وقتل منهم جماعة، واختلف هو وبكر بن حمران ضربتين فضرب بكر فم مسلم فقطع شفته العليا وأسرع السيف في السفلى وفصلت له ثنيتاه، وضربه في رأسه ضربة منكرة وثنّاه بأُخرى على حبل العاتق كادت تطلع الى جوفه،

فأشرفوا عليه من فوق البيوت يرمونه بالحجارة، ويلهبون النار في أطنان القصب ويلقونها عليه، فلما رأى ذلك قال : أكل ما أرى من الأجلاب لقتل مسلم بن عقيل؟! يا نفس أُخرجي الى الموت الذي ليس عنه محيص. فخرج عليهم مصلتاً سيفاً في السكة فقاتلهم، فناداه ابن الأشعث : لك الأمان. وهو يقاتلهم ويتمثل:

أقسمت لا أقتل إلّا حراً وإن رأيت الموت شيئاً نكرا
أخاف أن أُكذب أو أُغرا أو أخلط البارد سخن مرّا
رد شعاع الشمس فاستقرا كل أمرئٍ يوماً ملاق شرّا
أضربكم ولا أخاف ضرّا

فقال له ابن الأشعث: إنّك لا تكذب ولا تغرّ. وكان قد أُثخن بالحجارة، وعجز عن القتال فأسند ظهره الى جنب تلك الدار، وأعاد عليه ابن الأشعث لك الأمان. وقيل[١]: إنهم تكاثروا عليه بعد أن أُثخن بالجراح فطعنه رجل من خلفه، فخرّ الى الأرض فأُخذ أسيراً . وحمل على بغلة، وانتزع ابن الأشعث سيفه وسلاحه. وفي ذلك يقول بعض الشعراء يهجو ابن الأشعث:

وتركت عمّك أن تقاتل دونه فشلا ولو لا أنت كان منيعا
وقتلت وافد آل بيت محمّد وسلبت أسيافاً له ودروعا[٢]

فيئس عند ذلك من نفسه ودمعت عيناه وبكى، فقيل له: إنّ الذي يطلب مثل الذي تطلب إذا نزل به مثلما نزل بك لم يبك، فقال: والله ما لنفسي بكيت ولا لها من القتل أرثي، وإن كنت لم أحبّ لها طرفة عين تلفاً، ولكنّي أبكي

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٠.

(٢) مروج الذهب ٣: ٥٩.

لأهلي المقبلين إليَّ، أبكي لحسين وآل حسين.

ثم قال لابن الأشعث: هل عندك خير؟ تستطيع أن تبعث من عندك رجلاً على لساني يبلغ حسيناً؟ فإني لا أراه إلّا وقد خرج اليوم أو هو خارج غداً وأهل بيته، ويقول له: إنّ ابن عقيل بعثني إليك وهو أسير في أيدي القوم لا يرى أنه يمسي حتى يقتل وهو يقول لك : ارجع فداك أبي وأمّي بأهل بيتك، ولا يغررك أهل الكوفة فإنهم أصحاب أبيك الذي كان يتمنّى فراقهم بالموت أو القتل.

قال ابن الأشعث والله لأفعلن. وكذب، وجيء به الى باب القصر وقد اشتد به العطش، وعلى الباب قلّة فيها ماء بارد فقال : اسقوني من هذا الماء. فقال له مسلم بن عمرو الباهلي والد قتيبة أمير خراسان : أتراها؟ ما أبردها! لا والله لا تذوق منها قطرة حتى تذوق الحميم .

ومنعهم أن يسقوه فقال له ابن عقيل : لأمّك الثكل ما أجفاك وأفظّك وأقسى قلبك، أنت يا ابن باهلة أولى بالحميم والخلود في نار جهنم مني.

وأرسل عمرو بن حريث غلاماً له فأتاه بقلّة عليها منديل وقدح، فصب فيه ماء وقال له : اشرب. فأخذ كلمّا شرب امتلأ القدح دماً من فمه، فلا يقدر أن يشرب، فعل ذلك مرّة أو مرّتين فلمّا ذهب في الثالثة ليشرب سقطت ثناياه في القدح، فقال : الحمد لله، لو كان لي من الرزق المقسوم لشربته.

ثم أُدخل على ابن زياد فلم يُسلّم عليه بالامرة، فقال له الحرسي : سلّم على الأمير فقال : اسكت ويحك! والله ما هو لي بأمير.

فقال ابن زياد: لا عليك سلمت أم لم تُسلّم فإنك مقتول. قال : إن قتلتني فلقد قتَل مَن هو شرّ منك من هو خير مني. قال : قتلني الله إن لم أقتلك قتلة لم يقتلها أحد في الإسلام. فقال: أما إنك أحق من أحدث في الإسلام ما لم يكن،

وإنك لا تدع سوء القتلة وقبح المثلة وخبث السريرة ولَوم الغلبة لأحد أولى بها منك.

فقال : يا عاق يا شاق شققت عصا المسلمين وألقحت الفتنة.

قال: كذبت إنّما شقّ عصا المسلمين معاوية وابنه يزيد، وأما الفتنة فإنّما ألقحتها أنت وأبوك زياد بن عبيد عبد بني علاج من ثقيف.

قال: ايه ابن عقيل أتيت الناس وهم جميع وأمرهم ملتئم فشتت أمرهم وفرّقت كلمتهم.

قال : كلا لست لذلك أتيت ولكنكم أظهرتم المنكر ودفنتم المعروف وتأمّرتم على الناس بغير رضا منهم وعملتم فيهم بأعمال كسرى وقيصر فأتيناهم لنأمر فيهم بالمعروف وننهى عن المنكر وندعهم الى حكم الكتاب والسنة وكنا أهل ذلك.

فأقبل ابن زياد يشتمه ويشتم علياً والحسن والحسين وعقيلاً، فقال له مسلم: أنت وأبوك أحق بالشتيمة فاقض ما أنت قاض يا عدوالله. فقال ابن زياد: اصعدوا به فوق القصر فاضربوا عنقه، ثم أتبعوه جسده، فصُعد به وهو يكبّر ويستغفر الله ويسبحه ويصلّي على رسوله ﷺ ، فضُرب عنقه وأتبع رأسه جثته.

وقام ابن الأشعث فشفع في هانيء فوعده ابن زياد ثم بدا له فأمر بهانيء بعد قتل مسلم، فقال : أخرجوه الى السوق فاضربوا عنقه، أخرجوه وهو مكتوف فجعل يقول: وامذحجاه ولا مذحج لي اليوم، ثم جذب يده فنزعها من الكتاف، ووثبوا إليه فشدّوه وثاقاً وضربه مولى تركي لعبيد الله بن زياد

ـ يقال له رشيد ـ فقتله(١).

قال المسعودي: وهو يصيح يا آل مراد وهو شيخها وزعيمها وهو يومئذٍ يقرب في أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع، فلم يجد زعيمهم منهم أحداً شللاً وخذلاناً.

وقال الشاعر يرثي هانئاً ومسلماً ويذكر ما نالهما:

إذا كنت لا تدرين ما الموت فانظري ... الى هانيء في السوق وابن عقيلِ
الى بطل قد هشم السيفُ وجهه ... وآخر يهوي في طمار قتيلِ
أصابهما [فرخ البغي](٢) فاصبحا ... أحاديث من يسعى بكل سبيل
ترى جسداً قد غيّر الموت لونه ... ونضح دم قد سال كل مسيل
فتى كان أحيا من فتاة حيّية ... وأقطع من ذي شفرتين صقيلِ
أيركب(٣) أسماء(٤) الهماليج(٥) آمنا ... وقد طلبته مذحج بذحولِ

وكان خروج مسلم في الكوفة يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، وقتله يوم الأربعاء يوم عرفة لتسع خلون منه(٦).

(١) الإرشاد ٢: ٥١ ـ ٦٤، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٩٧ ـ ٣٠٧ ح ١، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٧٥ ـ ٢٨٤، الكامل في التاريخ ٤: ٣٠ ـ ٣٦. وقد جمع المصنف رواياتهم بتفاوت واختصار وتقديم وتأخير.

(٢) في المصدر [أمر الأمير].

(٣) في المصدر [أيترك].

(٤) هذا يدل على أن الذي جاء بهانيء الى ابن زياد هو أسماء بن حسّان بن أسماء بن خارجة كما هو أحد الروايتين لاحسان بن أسماء.

(٥) في المصدر [المهايج].

(٦) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٥٩ ـ ٦٠.

خروج الحسين الى العراق

وأمر ابن زياد بجثة مسلم، وهانيء فصلبتا بالكناسة[١]. وبعث برأسيهما الى يزيد بن معاوية وأخبره بأمرهما، فأعاد يزيد الجواب إليه يشكره على فعله وسطوته، ويقول له: قد بلغني أنّ حسيناً قد سار الى الكوفة، فضع المناظر والمسالح واحبس على الظنّة وخذ على التهمة، واكتب إليَّ في كل ما يحدث[٢].

وكان يزيد بن معاوية قد أنفذ عمرو بن سعيد بن العاص من المدينة الى مكة في عسكر عظيم وولّاه أمر الموسم، وأمره على الحاج كلهم فحجّ بالناس، وأوصاه بقبض الحسين عليه السلام سرّاً. وإنْ لم يتمكن منه يقتله غيلة. وأمره أن يناجز الحسين عليه السلام القتال إن هو ناجزه.

فلمّا كان يوم التروية قدم عمرو بن سعيد الى مكة في جند كثيف، فلما علم الحسين عليه السلام بذلك عزم على التوجه الى العراق، وكان قد أحرم بالحج[٣]، وقد وصله قبل ذلك كتاب مسلم بن عقيل، ببيعة أهل الكوفة له، فطاف بالبيت، وسعى بين الصفا والمروة، وقصر من شعره، وأحلّ من إحرام الحجّ، وجعلها عمرة مفردة لأنّه لم يتمكن من إتمام الحج مخافة أن يُقبض عليه، فخرج من مكة يوم الثلاثاء، وقيل[٤]: يوم الاربعاء يوم التروية لثمان مضين

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٢٦.

(٢) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٠٨ـ ٣٠٩ ح٣.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: هامش ص١٢٧، المنتخب للطريحي ٢: ٤٢٤. وفيهما تقديم وتأخير واختصار.

(٤) مقتل الحسين لأبي مخنف: ٦٠ ـ ٦١.

من ذي الحجة، فكان الناس يخرجون الى منى، والحسين عليه السلام خارج الى العراق، ولم يكن علم بقتل مسلم بن عقيل لأنّ مسلماً قتل في ذلك اليوم الذي خرج فيه الحسين عليه السلام الى العراق(١).

ولما عزم الحسين عليه السلام على الخروج من مكة الى العراق قام خطيباً في أصحابه فكان ممّا قال: «الحمد لله، وما شاء الله، ولا قوّة إلّا بالله وصلّى الله على رسوله، رضا الله رضانا أهل البيت، نصبر على بلائه، ويوفّينا أُجور الصابرين، لن تشذّ عن رسول الله لحمته، بل هي مجموعة له في حظيرة القدس تقرّ بهم عينه، وينجز بهم وعده.

من كان باذلاً فينا مهجته وموطناً على لقاء الله نفسه فليرحل معنا، إني راحل مصبحاً إن شاء الله تعالى»(٢) .

وجاءه أبو بكر عمر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي، فنهاه عن الخروج الى العراق، فقال له الحسين عليه السلام : «جزاك الله خيراً يا ابن عمّ قد اجتهدت رأيك ومهما يقض الله يكن».

وجاءه عبدالله بن عباس، فنهاه عن الخروج أيضاً، فقال: «أستخير الله، وأنظر ما يكون» .

ثم أتاه مرّة ثانية فأعاد عليه النهي، وقال: إن أبيت إلّا الخروج، فاخرج الى اليمن. فقال الحسين عليه السلام : «يا ابن عمّ إني والله لأعلم إنّك ناصح مشفق، وقد أزمعت وأجمعت المسير»، ثم خرج ابن عبّاس فمرّ بابن الزبير وأنشد:

يا لك من قبّرة بمعمر   خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقّري ما شئت أن تنقري   هذا حسين خارج فأبشري

---

(١) الإرشاد ٢: ٦٦ ـ ٦٧.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٦ ـ ١٢٧ .

وجاءه عبدالله بن الزبير فأشار عليه بالعراق، ثم خشي أن يتهمه، فقال: لو أقمت لما خالفنا عليك. فلما خرج ابن الزبير قال الحسين عليه السلام: «إنّ هذا ليس شيء أحبّ إليه من أن أخرج من الحجاز»[١].

ثم جاءه عبدالله بن عمر فأشار عليه بصلح أهل الضلال، وحذّره من القتل والقتال، فقال له: «يا أبا عبدالرحمن أما علمت أنّ من هوان الدنيا على الله أن رأس يحيى بن زكريا أُهديَ الى بغيٍّ من بغايا بني إسرائيل؟ أما تعلم أنّ بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس سبعين نبيّاً، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كأن لم يصنعوا شيئاً، فلم يُعجّل الله عليهم، بل أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز ذي انتقام؟ اتّق الله ياأباعبدالرحمن ولا تدع نصرتي»[٢].

وكان الحسين عليه السلام يقول: «وأيّم الله لو كنت في جحر هامّة من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقتلوني، والله ليُعتدن عليّ كما اعتدت اليهود في السبت، والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا ذلك سلّط الله عليهم من يذلّهم، حتى يكونوا أذلّ من فرام[٣] المرأة»[٤].

وجاءه محمّد ابن الحنفية في الليلة التي أراد الحسين عليه السلام الخروج في صبيحتها عن مكة، فقال له: يا أخي إنّ أهل الكوفة قد عرفت غدرهم بأبيك وأخيك، وقد خفت أنْ يكون حالك كحال من مضى فإن رأيت أن تقيم فإنك أعزّ من بالحرم وأمنعه. فقال: «يا أخي قد خفت أن يغتالني يزيد بن معاوية بالحرم

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٠٩ ـ ٣١١ /ح٣، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٨٦ ـ ٢٨٨، الكامل في التاريخ ٤: ٣٧ ـ ٣٩. وفيها تفاوت يسير واختصار باللفظ.

(٢) مقتل الحسين لابن نما الحلّي: ٢٩، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٨٠/ ح١.

(٣) الفرام: خرقة الحيض ـ المؤلّف .

(٤) الكامل في التاريخ ٤: ٣٨ و ٣٩.

فأكون الذي يستباح به حرمة هذا البيت» فقال له ابن الحنفية: فإن خفت ذلك فصر الى اليمن، أو بعض نواحي البر، فإنك أمنع الناس به، ولا يقدر عليك أحد، فقال: «أنظر فيما قلت»، فلمّا كان السحر ارتحل الحسين عليه السلام فبلغ ذلك ابن الحنفية فأتاه فأخذ بزمام ناقته وقد ركبها فقال يا أخي: ألم تعدني النظر فيما سألتك؟ قال: «بلى» قال: فما حداك على الخروج عاجلاً؟ قال: «أتاني رسول الله بعدما فارقتك فقال: يا حسين أخرج فإنّ الله قد شاء أن يراك قتيلاً» فقال محمّد ابن الحنفية: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، فما معنى حملك هؤلاء النسوة معك وأنت تخرج على مثل هذا الحال؟ فقال: «إنّ الله قد شاء أن يراهن سبايا». فسلّم عليه ومضى(١).

وسمع عبدالله بن عمر بخروجه، فقدم راحلته وخرج خلفه مسرعاً، فأدركه في بعض المنازل فقال: أين تريد يا بن رسول الله؟ قال: «العراق» قال: مهلاً ارجع الى حرم جدك، فأبى الحسين عليه السلام، فلمّا رأى ابن عمر إباءه، قال: يا أبا عبدالله اكشف لي عن الموضع الذي كان رسول الله صلى الله عليه وآله يقبّله منك. فكشف الحسين عليه السلام عن سرّته، فقبّلها ابن عمر ثلاثاً وبكى، وقال: استودعك الله يا أبا عبدالله فإنّك مقتول في وجهك هذا(٢).

ولمّا خرج الحسين عليه السلام من مكة اعترضته رسل عمرو بن سعيد بن العاص أمير الحجاز من قبل يزيد، عليهم أخوه يحيى بن سعيد ليردّوه فأبى عليهم، وتدافع الفريقان وتضاربوا بالسياط، ثم امتنع عليهم الحسين وأصحابه امتناعاً شديداً، ومضى الحسين عليه السلام على وجهه فبادروا وقالوا: يا حسين ألا تتقي الله

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٧ ـ ١٢٨.

(٢) أمالي الشيخ الصدوق: ٢١٧ / ح٢٣٩، بحار الأنوار ٤٤: ٣١٣ / ح١.

تخرج من الجماعة، وتفرّق بين هذه الأُمّة؟! فقال: ﴿لي عملي ولكم عملكم، أنتم بريئون مما أعمل، وأنا بريء ممّا تعملون﴾[(١)] .

وعن عليّ بن الحسين عليه‌السلام ، قال : «خرجنا مع الحسين عليه‌السلام، فما نزل منزلاً ولا ارتحل منه، إلّا ذكر يحيى بن زكريا، وقتله»[(٢)] .

وكتب عمرو بن سعيد ـ وهو والي المدينة ـ بأمر الحسين الى يزيد، فلما قرأ الكتاب تمثّل بهذا البيت:

فإن لا تزر أرض العدوّ وتأته يزرك عدواً أو يلومنّك كاشح[(٣)]

ثم سار عليه‌السلام حتى مرّ بالتنعيم فلقي هناك عِيراً تحمل هدية قد بعث بها بحير بن ريسان الحميري عامل اليمن الى يزيد بن معاوية، وعليها الورس والحلل فأخذ الهدية، وقال لأصحاب الجمال : «من أحبّ ان ينطلق معنا الى العراق وفّينا كراه وأحسنا معه صحبته، ومن أحبّ أن يفارقنا أعطيناه كراه ما قطع من الطريق» فمضى معه قوم، وامتنع آخرون، فمن فارقه أعطاه حقّه، ومن سار معه أعطاه كراه وكساه وإنّما أخذها لأنّها من مال المسلمين، ومرجع أُمورهم إليه لا الى يزيد الذي ليس أهلاً للخلافة.

ثم سار عليه‌السلام حتى أتى الصفاح فلقيه الفرزدق الشاعر، وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص : إنّه لقيه ببستان بني عامر[(٤)] .

قال الفرزدق: حججت بأُمّي سنة ستين فبينما أنا أسوق بعيرها حتى دخلت الحرم، إذ لقيت الحسين عليه‌السلام خارجاً من مكة معه أسيافه، وأتراسه،

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٨٩، والآية في سورة يونس: ٤١ .

(٢) الإرشاد ٢: ١٣٢، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٨٥

(٣) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٣٢.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٤١.

فقلت : لمن هذا القطار؟ فقيل: للحسين بن عليّ، فأتيته وسلّمت عليه، وقلت له : أعطاك الله سؤالك وأملك فيما تحب، بأبي أنت وأُمّي يابن رسول الله! ما أعجلك عن الحج؟! فقال : «لو لم أعجل لأُخذت». ثم قال لي: «أخبرني عن الناس خلفك» فقلت : الخبير سألت، قلوب الناس معك، وأسيافهم عليك، والقضاء ينزل من السماء، والله يفعل ما يشاء. فقال: «صدقت لله الأمر من قبل ومن بعد ﴿كلّ يوم هو في شأن﴾[1] إن نزل القضاء بما نحبّ فنحمد الله على نعمائه وهو المستعان على أداء الشكر، وإن حال القضاء دون الرجاء، فلم يبعد من كان الحقّ نيّته، والتقوى سيرته» فقلت له : أجل بلّغك الله ما تحبّ، وكفاك ما تحذر. وسألته عن أشياء من نذور ومناسك، فأخبرني بها، وحرّك راحلته، وقال: «السلام عليك»[2] .

وألحق عبدالله بن جعفر الحسين عليه السلام بأبنيه عون ومحمّد، وكتب على أيديهما كتاباً يقسم عليه فيه بالرجوع، ويقول : إنّي مشفق عليك من هذا الوجه، أن يكون فيه هلاكك، وإن هلكت اليوم طفئ نور الأرض، فإنّك عَلَم المهتدين .

وصار عبدالله الى عمرو بن سعيد أمير المدينة فسأله أن يكتب للحسين عليه السلام ، أماناً ويمنّيه البرّ والصلة، فكتب له وأنفذه مع أخيه يحيى بن سعيد، فلحقه يحيى وعبدالله بن جعفر، وجهدا به في الرجوع، فقال : «إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام، وأمرني بما أنا ماض له». فقالا له : فما تلك الرؤيا؟ قال : «ما حدّثت بها أحداً، وما أنا مُحدّث بها أحداً حتى ألقى ربّي عزّ وجلّ» فلما أيس منه عبدالله بن جعفر، أمر ابنيه عوناً ومحمّداً بلزومه والمسير معه والجهاد

---

(١) الرحمن: ٢٩.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

دونه، ورجع هو الى مكة.

وسار الحسين عليه السلام نحو العراق مسرعاً لا يلوي على شيء حتى بلغ وادي العقيق[١]، فنزل ذات عرق، فلقيه رجل من بني أسد يسمى بشر بن غالب، وارداً من العراق، فسأله عن أهلها، فقال : خلفت القلوب معك والسيوف مع بني أُمية، فقال : «صدق أخو بني أسد، إنّ الله يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد» .

ولما بلغ الحسين عليه السلام الى الحاجر[٢] من بطن الرمّة، كتب كتاباً الى جماعة من أهل الكوفة، منهم سليمان بن صرد الخزاعي، والمسيب بن نجبة، ورفاعة بن شداد، وغيرهم، وأرسله مع قيس بن مسهر الصيداوي، وذلك قبل ان يعلم بقتل مسلم، يقول فيه : «بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن عليّ الى إخوانه من المؤمنين والمسلمين، سلام عليكم، فإني أحمدُ إليكم الله الذي لا إله إلّا هو أما بعد، فإنّ كتاب مسلم بن عقيل جاءني يخبرني بحسن رأيكم، واجتماع ملئكم على نصرنا، والطلب بحقّنا، فسألت الله أنْ يحسن لنا الصنيع، وأن يثيبكم على ذلك أعظم الأجر، وقد شخصت إليكم من مكة، يوم الثلاثاء لثمان مضين من ذي الحجة يوم التروية، فإذا قدم عليكم رسولي فانكمشوا في أمركم وجدّوا، فإنّي قادم عليكم في أيامي هذه إن شاء الله تعالى والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته» وكان مسلم بن عقيل قد كتب إليه قبل ان يُقتل بسبع وعشرين ليلة.

فأقبل قيس بكتاب الحسين عليه السلام ـ وكان ابن زياد لما بلغه مسير الحسين من مكة الى الكوفة بعث الحصين بن تميم صاحب شرطته حتى نزل

---

(١) الإرشاد ٢: ٦٨ ـ ٦٩، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٩١ ـ ٢٩٢، الكامل في التاريخ ٤: ٤٠ ـ ٤١. وفيها تفاوت يسير باللفظ.

(٢) في المصدر [الحاجز].

القادسية ونظم الخيل ما بين القادسية الى خفان وما بين القادسية الى القطقطانة والى جبل لعلع ـ قال الناس: هذا الحسين يريد العراق، فلما انتهى قيس الى القادسية، اعترضه الحصين بن تميم ليفتّشه، فأخرج قيس الكتاب وخرقه، فحمله الحصين الى ابن زياد، فلمّا مَثُل بين يديه، قال له : من أنت؟ قال : أنا رجل من شيعة أميرالمؤمنين عليّ بن أبي طالب وابنه. قال : فلماذا خرقت الكتاب؟ قال : لئلا تعلم ما فيه. قال : وممّن الكتاب؟ والى مَن؟ قال : من الحسين الى جماعة من أهل الكوفة، لا أعرف أسماءهم. فغضب ابن زياد، وقال : والله لا تفارقني حتى تخبرني بأسماء هؤلاء القوم، أو تصعد المنبر فتسبّ الحسين بن عليّ وأباه وأخاه، وإلّا قطّعتك إرباً إرباً. فقال قيس : أما القوم فلا أُخبرك بأسمائهم، وأما سبّ الحسين وأبيه وأخيه فافعل. وكان قصده أن يبلّغ رسالة الحسين عليه السلام الى أهل الكوفة .

فصعد قيس فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على النبيّ صلى الله عليه وآله وأكثر من الترحّم على علي والحسن والحسين، ولعن عبيد الله بن زياد وأباه، ولعن عتاة بني أُمية، ثم قال : أيها الناس إنّ هذا الحسين بن عليّ، خير خلق الله ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنا رسوله إليكم وقد خلّفته بالحاجر فأجيبوه.

فأمر به ابن زياد فَرُمي من أعلى القصر، فتقطّع فمات، فبلغ الحسين عليه السلام قتله، فاسترجع واستعبر بالبكاء، ولم يملك دمعته، ثم قرأ : ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا﴾[١] ثم قال : «جعل الله له الجنة ثواباً، اللهمّ اجعل لنا ولشيعتنا منزلاً كريماً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك، ورغائب مذخور ثوابك،

(١) هذه العبارة، لم ترد في المصدر والموضع المذكور فيه. بل أوردها الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٠٦. وأوردها المصنّف ضمن هذا المورد. والآية في سورة الأحزاب: ٢٣.

إنّك على كل شيء قدير»(١).

ثم أقبل الحسينعليه السلام من الحاجر، حتى انتهى الى ماء من مياه العرب، فإذا عليه عبدالله بن مطيع العدوي، وهو نازل به، فلما رأى الحسينعليه السلام قام إليه فقال: بأبي أنت وأمي يابن رسول الله، ما أقدمك؟ واحتمله فأنزله، فقال له الحسينعليه السلام: «كان من موت معاوية ما قد بلغك، فكتب إليّ أهل العراق يدعونني الى أنفسهم» فقال له عبدالله: أذكّرك الله يابن رسول الله وحرمة الإسلام أن تنتهك، أنشدك الله في حرمة قريش، أنشدك الله في حرمة العرب، فوالله لئن طلبت ما في أيدي بني أمية ليقتلنّك، ولئن قتلوك لا يهابوا بعدك أحداً أبداً، والله إنّها لحرمة الإسلام تُنتهك، وحرمة قريش وحرمة العرب، فلا تفعل ولا تأت الكوفة، ولا تعرّض نفسك لبني أُمية.

وكان عبيدالله بن زياد أمر فأخذ ما بين واقصة* الى طريق الشام الى طريق البصرة، فلا يدعون أحداً يلج، ولا أحد يخرج، وأقبل الحسينعليه السلام لا يشعر بشيء حتى لقي الأعراب، فسألهم، فقالوا: لا والله ما ندري غير أنّا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج، فسار تلقاء وجهه.

وكان زهير بن القين البجلي قد حجّ في تلك السنة، وكان عثمانياً، فلما رجع من الحجّ جمعه الطريق مع الحسينعليه السلام، فحدّث جماعة من فزارة، وبجيلة، قالوا: كنّا مع زهير بن القين حين أقبلنا من مكة، فكنّا نساير

---

(١) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٣٠ـ ٣١، وانظر الإرشاد ٢: ٧٠ ـ ٧١ باختصار، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٥.

(*) واقصة: منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة لبني شهاب من طيء، ويقال لها: واقصة الحزون، وهي دون زبالة بمرحلتين. معجم البلدان ٥: ٣٥٤.

الحسين عليه السلام، فلم يكن شيء أبغض إلينا من أن نسير معه الى مكان واحد، أو ننزل معه في منزل واحد، فإذا سار الحسين تخلّف زهير بن القين، وإذا نزل الحسين تقدّم زهير، فنزلنا يوماً في منزل لم نجد بداً من أن ننزل معه فيه، فنزل هو في جانب، ونزلنا في جانب آخر، فبينا نحن جلوس نتغدىٰ من طعام لنا إذ أقبل رسول الحسين عليه السلام حتى سلّم ثم دخل، فقال : يا زهير إنّ أبا عبدالله بعثني إليك لتأتيه. فطرح كل إنسان منّا ما في يده كأنّ على رؤوسنا الطير[1]، [كراهة أن يذهب زهير الى الحسين عليه السلام][2]. قال أبو مخنف : فحدثتني دلهم بنت عمرو وهي امرأة زهير قالت: فقلت له: الله![3] أيبعث إليك ابن رسول الله ثم لا تأتيه؟! سبحان الله! لو أتيته فسمعت من كلامه، ثم انصرفت! فأتاه زهير [على كره][4]، فما لبث أن جاء مستبشراً قد أشرق[5] وجهه [فأمر بفسطاطه وثقله ورحله، فحول الى الحسين عليه السلام ، ثم قال لامرأته : أنتِ طالق الحقي بأهلك، فإنّي لا أحبّ أن يصيبك بسببي إلّا خير، وقد عزمت على صحبة الحسين عليه السلام لأفديه بروحي وأقيه بنفسي، ثم أعطاها مالها، وسلّمها الى بعض بني عمّها ليوصلها الى أهلها، فقامت إليه وبكت وودّعته، وقالت: خار الله لك أسالك أن تذكرني في القيامة عند جد الحسين عليه السلام.][6] وقال لأصحابه: من

---

(١) الإرشاد ٢: ٧١ ـ ٧٣، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٩٨ ـ بيروت. وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٢) ما بين المعقوفتين لم يرد في المصادر الأخرى وهذين المصدرين. وإنّما ورد في لواعج الأشجان: ٨٣ للمصنف، ولعلّ العبارة له.

(٣) ليست في المصدر.

(٤) ليست في المصدر.

(٥) في المصدر [أسفر].

(٦) ما بين المعقوفتين لم يرد في المصدر. وقد ذكره السيّد ابن طاووس في الملهوف: ١٣٣، وابن نما الحلّي في مثير الأحزان: ٣٣، المجلسي في بحار الأنوار ٤٤: ٣٧١ ـ ٣٧٢.

أحبّ منكم أن يتبعني وإلاّ فهو آخر العهد منّي! إنّي سأحدثكم حديثاً: إنا غزونا بلنجر وهي بلدة ببلاد الخزر ففتح الله علينا وأصبنا غنائم ففرحنا فقال لنا سلمان الفارسي: إذا أدركتم قتال شباب آل محمّد، فكونوا أشد فرحاً بقتالكم معهم ممّا أصبتم من الغنائم، فأما أنا فأستودعكم الله[1]. [ولزم الحسين عليه السلام حتى قتل معه][2].

ولما نزل الحسين عليه السلام الخزيمية أقام بها يوماً وليلة، ثم سار حتى نزل الثعلبية، فبات بها، فلما أصبح إذا برجل من أهل الكوفة يكنّى أبا هرّة الأزدي قد أتاه فسلّم عليه، ثم قال : يابن رسول الله ما الذي أخرجك عن حرم الله وحرم جدّك محمّد صلى الله عليه وآله؟ فقال الحسين عليه السلام : «ويحك يا أبا هرّة، إن بني أميّة أخذوا مالي فصبرت، وشتموا عرضي فصبرت، وطلبوا دمي فهربت، وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية، وليلبسهم الله ذُلاً شاملاً، وسيفاً قاطعاً، وليسلطنّ الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من قوم سبأ، إذ ملكتهم امرأة، فحكمت في أموالهم ودمائهم»[3] .

وروى [عبدالله بن سليم، والمذري بن المشعل][4] الأسديان، قالا: لما قضينا حجّنا لم يكن لنا همّة إلاّ اللحاق بالحسين عليه السلام، لننظر ما يكون من أمره، فأقبلنا تَرْقل بنا ناقتانا مسرعين حتى لحقناه بزرود*، فلما دنونا منه إذا نحن برجل من أهل الكوفة قد عدل عن الطريق حين رأى الحسين عليه السلام، فوقف الحسين كأنّه يريده، ثم تركه ومضى، فقال: أحدنا لصاحبه إذهب بنا الى هذا

---

(١) وقعة الطف لأبي مخنف: ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٢) ما بين المعقوفتين لم ترد في المصدر. أوردها ابن الأثير في الكامل في التاريخ ٤: ٤٢.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣١ ـ ١٣٢، مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٣٣. وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

(٤) في الإرشاد ٢: ٧٣ [عبدالله بن سليمان والمنذر بن المشمعلّ] وفي تاريخ الأُمم والملوك [المشمل].

(*) زرود: موضع على طريق حاج الكوفة بين الثعلبية والخزيمية. معجم البلدان ٣: ١٣٩.

لنسأله، فإن عنده خبر الكوفة فمضينا إليه، فقلنا: ممّن الرجل؟ قال : أسدي. قلنا له: ونحن أسديان، ثم قلنا له: أخبرنا عن الناس من ورائك. قال : لم أخرج من الكوفة حتى قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، ورأيتهما يُجرّان بأرجلهما في السوق، فأقبلنا حتى لحقنا الحسين عليه السلام، فسايرناه حتى نزل الثعلبية ممسياً، فجئنا فقلنا له : رحمك الله إنّ عندنا خبراً إن شئت حدّثناك علانية، وان شئت سراً، فنظر إلينا والى أصحابه ثم قال : «ما دون هؤلاء سرّ»، فقلنا: قد والله استبرأنا لك خبره، وكفيناك مسألته، وهو أمروٌ منّا ذو رأي وصدق وعقل، وأنّه حدّثنا أنّه لم يخرج من الكوفة حتى قُتل مسلم وهانيء ورآهما يُجرّان في السوق بأرجلهما؛ فقال : «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، رحمة الله عليهما». يردّد ذلك مراراً، فقلنا له : ننشدك الله في نفسك وأهل بيتك إلّا انصرفت من مكانك هذا، فإنه ليس لك بالكوفة ناصر ولا شيعة ، بل نتخوّف أن يكونوا عليك. فنظر الى بني عقيل فقال : «ما ترون؟ فقد قُتل مسلم» فقالوا : والله لا نرجع حتى نصيب ثأرنا، أو نذوق ما ذاق؛ فأقبل علينا الحسين عليه السلام ، وقال : «لا خير في العيش بعد هؤلاء»، فعلمنا انه قد عزم رأيه على المسير، فقلنا له : خار الله لك، فقال: «رحمكما الله» [وارتجّ الموضع بالبكاء لقتل مسلم بن عقيل، وسالت الدموع عليه كل مسيل][١].

فلمّا كان السحر قال لفتيانه وغلمانه : «أكثروا من الماء»، فاستقوا وأكثروا، وكان لا يمرّ بماء إلّا اتبعه من عليه، ثم ارتحلوا فسار حتى انتهى الى زبالة[٢]،

---

(١) ما بين المعقوفتين لم يذكرها، المفيد في الإرشاد ولا الطبري في تاريخ الأُمم والملوك. وإنّما أوردها السيد ابن طاووس في الملهوف: ١٣٤.

(٢) زبالة: منزل بطريق مكة من الكوفة. معجم البلدان ٣: ١٢٩. بالباء الموحدة كما ضبطه ابن الأثير.

فأتاه بها خبر عبدالله بن بقطر[١]، وهو أخو الحسين عليه السلام من الرضاعة[٢].

قال الطبري: وكان سرحه الى مسلم بن عقيل من الطريق وهو لا يعلم بقتله، فأخذته خيل الحصين فسيره من القادسية الى ابن زياد. وقيل: بل أرسله الحسين عليه السلام مع مسلم، فلما رأى مسلم الخذلان بعثه الى الحسين يخبره بما إنتهى إليه الأمر. فقبض عليه الحصين وأرسله الى ابن زياد فقال له ابن زياد: اصعد فوق القصر والعن الكذّاب ابن الكذّاب، ثم إنزل حتى أرى فيك؛ فصعد فأعلم الناس بقدوم الحسين عليه السلام، ولعن ابن زياد وأباه، فألقاه من القصر فتكسرت عظامه، وبقي به رمق فأتاه عبدالملك بن عمير اللحمي، قاضي الكوفة فذبحه بمديته، فعيب عليه فقال: أردت أن أريحه[٣].

فلما أبلغ الحسين عليه السلام خبره أخرج الى الناس كتاباً فقرأه عليهم وفيه: «بسم الله الرحمن الرحيم، أما بعد فإنّه قد أتاني خبر فظيع قُتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، وعبدالله بن بقطر، وقد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف في غير حرج ليس عليه ذمام».

فتفرّق الناس عنه وأخذوا يميناً وشمالاً، حتى بقيَ في أصحابه الذين جاءوا معه من المدينة، ونفر يسير ممّن انضمّوا إليه. وكان اجتمع إليه مدّة مقامه بمكة نفر من أهل الحجاز، ونفر من أهل البصرة، وإنّما فعل ذلك لعلمه بأن أكثر من اتّبعوه إنّما اتّبعوه ظنّاً أنه يقدم بلداً قد استقامت له طاعة أهله، فكره أن يسيروا معه إلّا وهم يعلمون ما يقدمون عليه، وقد علم أنّه إذا بيّن لهم

(١) بالباء الموحدة كما ضبطه ابن الأثير في كتابه الكامل في التاريخ.

(٢) قيل كانت أمّه حاضنة للحسين عليه السلام ولم يكن رضع منها ولكنه سمي رضيعاً له لحضانة أمّه له.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٠٠.

لم يصحبه إلّا مَن يُريد مواساته والموت معه[١]. وقيل[٢]: إن خبر مسلم وهاني‌ء أتاه في زبالة أيضاً.

ولقيه الفرزدق بعدما رجع من الحجّ، فسلّم عليه، وقال: يا بن رسول‌الله كيف تركن الى أهل الكوفة؟ وهم الذين قتلوا ابن عمّك مسلم بن عقيل وشيعته! فاستعبر الحسين عليه السلام باكياً، ثم قال: «رحم الله مسلماً فلقد صار الى رَوْح الله وريحانه وتحياته ورضوانه، أما إنه قد قضى ما عليه وبقيَ ما علينا». وأنشا يقول:

لئن تكن الدنيا تُعدّ نفيسة فإن ثواب الله أعلى وأنبل
وإن تكن الأبدان للموت أُنشئت فقتل امرئ بالسيف في الله أفضل
وإن تكن الأرزاق قسماً مقدراً فقلّة حرص المرء في السعي أجمل
وإن تكن الأموال للترك جمعها فما بال متروك به المرء يبخل[٣]

فلما كان وقت السحر أمر الحسين عليه السلام أصحابه، فاستقوا ماء وأكثروا، ثم سار من زبالة حتى مر ببطن العقبة، فنزل عليها فلقيه شيخ من بني عكرمة وهو لوذان[٤] فسأله: أين تريد؟ فقال له الحسين عليه السلام: «الكوفة» فقال الشيخ: أُنشدك الله لمّا انصرفت، فوالله ما تَقدم إلّا على الأسنّة وحدّ السيوف، وإنّ هؤلاء الذين بعثوا إليك لوكانوا كفوك مؤونة القتال، ووطؤوا لك الأشياء فقدمت عليهم كان

(١) الإرشاد ٢: ٧٣ ـ ٧٥، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٩٩ ـ ٣٠١ وفيهما اختلاف يسير باللفظ واختصار.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٤.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٤ ـ ١٣٥، بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٤.

(٤) الذي في إرشاد المفيد: يقال له عمرو بن لوذان، والذي في تاريخ الأُمم والملوك (ثم صار حتى مرّ ببطن العقبة فنزل بها أبو مخنف فحدثني لوذان أن أحد بني عكرمة أن أحد عمومته سأل الحسين عليه السلام أين تريد الى آخر ما ذكره المفيد. وعليه فالظاهر أن صواب العبارة (فلقيه شيخ من بني عكرمة وهو عمّ لوذان كما ذكرناه فصحف عمّ بعمرو وزيد عليه. يقال له عمرو والله أعلم. (المؤلّف)

ذلك رأياً، فأما على هذه الحال التي تذكر فإنّي لا أرى لك أن تفعل. فقال له الحسين عليه السلام : «يا عبدالله ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يُغلب على أمره»، ثم قال عليه السلام : «والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي، فإذا فعلوا سلّط الله عليهم من يذلّهم حتى يكونوا أذلّ من فرق الأمّة» ثم سار حتى نزلوا شراف، فلما كان في السحر أمر فتيانه فاستقوا من الماء فأكثروا[١].

التقاؤه بالحرّ

ثم سار منها حتى انتصف النهار، فبينا هو يسير إذ كبّر رجل من أصحابه، فقال الحسين عليه السلام: «الله اكبر، لم كبّرت؟» قال: رأيت النخل. فقال له جماعة من أصحابه: والله إنّ هذا المكان ما رأينا به نخلة قط، فقال لهم الحسين عليه السلام : «فما ترونه؟» قالوا : نراه والله أسنّة الرماح وآذان الخيل، قال : «وأنا والله أرى ذلك»، ثم قال عليه السلام : «ما لنا ملجأ نلجأ إليه فنجعله في ظهورنا ونستقبل القوم بوجه واحد؟» فقالوا له: بلى هذا ذوحسم، وهو جبل الى جنبك فمل إليه عن يسارك، فإن سبقت إليه فهو كما تريد، فأخذ إليه ذات اليسار وملنا معه، فما كان بأسرع من أن طلعت علينا (هوادي الخيل)[٢] فتبيناها وعدلنا عن الطريق، فلما رأونا عدلنا عدلوا إلينا ـ كأنّ أسنتهم اليعاسيب[٣]، وكأنّ راياتهم أجنحة الطير ـ فاستبقنا الى ذي حسم، فسبقناهم إليه، وذلك على مرحلتين من الكوفة، وأمر

---

(١) الإرشاد ٢: ٧٦، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٠١ وفيهما اختلاف يسير باللفظ، وإعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٤٧ ـ ٤٤٨.

(٢) أقبلت هوادي الخيل: إذا بدت أعناقها. الصحاح ٦: ٢٥٣٤ (مادة هدى).

(٣) اليعسوب: طائر أطول من الجرادة لا يُضم. الصحاح ١: ١٨١ (مادة عسب) وفي الأصل اليعسوب فحل النحل.

الحسين عليه السلام بأبنيته فضربت .

وجاء القوم زهاء ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي حتى وقف هو وخيله مقابل الحسين في حرّ الظهيرة، والحسين وأصحابه معتمون متقلّدو أسيافهم، فقال الحسين عليه السلام لفتيانه : «اسقوا القوم وارووهم من الماء، ورشّفوا الخيل ترشيفاً ـ أي اسقوها قليلاً ـ» فأقبلوا يملؤون القصاع والطّساس[1] من الماء، ثم يدنونها من الفرس، فإذا عبّ فيها ثلاثاً أو أربعاً أو خمساً عزلت عنه وسقوا آخر، حتى سقوها عن آخرها.

قال عليّ بن الطعّان المحاربي: كنت مع الحرّ يومئذٍ، فجئت في آخر من جاء من أصحابه، فلمّا رأى الحسين عليه السلام ما بي وبفرسي من العطش قال : «أنخ الراوية» ـ والراوية عندي السقاء ـ ثم قال : «يا ابن الأخ أنخ الجمل»[2] فأنختـه فقال : «اشرب»، فجعلت كلّما شربت سال الماء من السقاء، فقال الحسين عليه السلام : «اخنث السقاء» أي اعطفه، فلم أدرِ كيف أفعل، فقام فخنثه بيده فشربت وسقيت فرسي، وقال الحسين عليه السلام للحر : «ألنا أم علينا؟» فقال : بل عليك يا أبا عبدالله. فقال الحسين عليه السلام: «لا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم» وكان مجيء الحرّ من القادسية، وكان عبيدالله بن زياد بعث الحصين بن تميم، وأمره أن ينزل القادسية ويقدّم الحر بين يديه في ألف فارس يستقبل بهم الحسين، فلم يزل الحُرّ مواقفاً للحسين عليه السلام حتى حضرت صلاة الظهر، فأمر الحسين عليه السلام الحجاج ابن مسروق أن يُؤذّن، فلما حضرت الإقامة خرج الحسين عليه السلام في إزار ورداء

---

(١) الطّساس: جمع طس، وهو معرّب طست. وهو إناء معروف. مجمع البحرين ٢: ٢١٠ (مادة طست).

(٢) الراوية في لسان أهل الحجاز اسم للجمل، وفي لسان أهل العراق اسم للسقاء الذي فيه الماء فلذلك لم يفهم مراد الحسين عليه السلام حتى قال له أنخ الجمل.

ونعلين، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال : «[أيها الناس! إنّها معذرة الى الله وإليكم](١) إنّي لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رسلكم: أن أقدم علينا فإنّه ليس لنا إمام، لعلّ الله أن يجمعنا بك على الهدى والحقّ، فإن كنتم على ذلك فقد جئتكم، فاعطوني ما أطمئنّ إليه من عهودكم ومواثيقكم، وإن لم تفعلوا وكنتم لقدومي كارهين، انصرفت عنكم الى المكان الذي جئت منه إليكم» فسكتوا فقال للمؤذن: «أقِم» فأقام الصلاة فقال للحر : «أتريد أن تصلّي بأصحابك؟» قال : لا، بل تصلي أنت ونصلّي بصلاتك، فصلى بهم الحسين عليه السلام ، ثم دخل فاجتمع إليه أصحابه، وانصرف الحُرّ الى مكانه الذي كان فيه، فدخل خيمةً قد ضربت له، واجتمع إليه جماعة من أصحابه، وعاد الباقون الى صفهم الذي كانوا فيه، فأعادوه، ثم أخذ كل رجل منهم بعنان دابته وجلس في ظلّها، فلمّا كان وقت العصر أمر الحسين عليه السلام أن يتهيّأوا للرحيل ،ففعلوا، ثم أمر مناديه فنادى بالعصر وأقام، فاستقدم الحسين عليه السلام، وقام فصلّى، ثم سلّم وانصرف إليهم بوجهه، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : «أما بعد أيها الناس! فإنّكم إن تتّقوا الله، وتعرفوا الحقّ لأهله، يكن ارضى لله عنكم، ونحن أهل بيت محمّد أولى بولاية هذا الأمر عليكم، من هؤلاء المدعين ما ليس لهم، والسائرين فيكم بالجور والعدوان؛ وإن أبيتم إلّا الكراهية لنا والجهل بحقّنا، وكان رأيكم الآن غير ما أتتني به كتبكم، وقدمت به عليّ رسلكم انصرفت عنكم».

فقال له الحر : أنا والله ما أدري ما هذه الكتب والرسل التي تذكر؟! فقال الحسين عليه السلام لبعض أصحابه : «يا عقبة بن سمعان! أخرج الخرجين اللّذين فيهما كتبهم إليّ» فأخرج خرجين مملوءين صحفاً فنثرت بين يديه، فقال له الحرّ: إنّا لسنا

(١) ما بين المعقوفتين لم ترد في الإرشاد. والخوارزمي ذكرها في مقتل الحسين عليه السلام هكذا: [أيها الناس! معذرة إليكم أقدمها الى الله، وإلى من حضر من المسلمين].

من هؤلاء الذين كتبوا إليك، وقد أُمرنا إذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله. فقال له الحسين عليه السلام: «الموت أدنى إليك من ذلك»، ثم قال لأصحابه : «قوموا فاركبوا» فركبوا وانتظر هو حتى ركبت نساؤه، فقال لأصحابه : «انصرفوا»، فلما ذهبوا لينصرفوا حال القوم بينهم وبين الانصراف، فقال الحسين عليه السلام للحر: «ثكلتك أمّك ما تُريد؟» فقال له الحر: أما لو غيرك من العرب يقولها لي، وهو على مثل الحال التي أنت عليها؛ ما تركت ذكر أُمّه بالثكل كائناً من كان، ولكن ما لي إلى ذكر أُمّك من سبيل إلّا بأحسن ما أقدر عليه؛ فقال له الحسين عليه السلام : «فما تريد؟» قال : أُريد أن أنطلق بك الى الأمير عبيدالله بن زياد؛ فقال : «إذاً والله لا اتبعك»، فقال : إذاً والله لا أدعك؛ فترادّا القول ثلاث مرات فلما كثر الكلام بينهما، قال له الحرّ: إنّي لم أُؤمر بقتالك، إنّما أُمرت أن لا أُفارقك حتى أقدمك الكوفة، فإذا أبيت فخذ طريقاً لا يدخلك الكوفة ولا يردك الى المدينة، بيني وبينك نصفاً حتى أكتب الى الأمير عبيدالله بن زياد، فلعل الله أن يرزقني العافية من أن أُبتلى بشيء من أمرك، فخذ ههنا .

فتياسر عن طريق العذيب والقادسية ، فتياسر الحسين وسار، والحرّ يسايره، فقال الحسين عليه السلام : «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى سلطاناً جائراً، مستحلاً لحُرم الله، ناكثاً لعهد الله، مخالفاً لسنّة رسول الله صلى الله عليه وآله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر بقول ولا فعل، كان حقّاً على الله أن يدخله مدخله، ألا وإنّ هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتولّوا عن طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحرّموا حلاله، وإنّي أحقّ بهذا الأمر وقد أتتني كتبكم، وقدمت عليّ رُسلكم ببيعتكم إنّكم لا تسلموني ولا تخذلوني، فإن وفيتم لي ببيعتكم فقد أصبتم حظّكم ورشدكم، وأنا الحسين بن عليّ ابن فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، ونفسي مع أنفسكم وأهلي

وولدي مع أهاليكم، وأولادكم، ولكم بي أسوة وإن لم تفعلوا ونقضتم عهدي وخلعتم بيعتي، فلعمري ما هي منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي وأخي وابن عمّي مسلم بن عقيل، والمغرور من اغترّ بكم، فحظكم أخطأتم، ونصيبكم ضيّعتم ﴿فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه﴾[١] وسيغني الله عنكم والسلام».

فقال له الحرّ: أذكرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتُقتلَنّ؛ فقال له الحسين عليه السلام: «أفبالموت تخوّفني؟ وهل يعدوبكم الخطب أن تقتلوني؟ وسأقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه، وهو يريد نصرة رسول الله صلى الله عليه وآله، فخوّفه ابن عمّه وقال:

أين تذهب؟ إنّك مقتول.فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوىٰ حقّاً وجاهد مسلما
وواسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق مثبوراً وودّع مجرما
أقدم نفسي لا أريد بقاءها لتلقى خميساً في الوغى وعرمرما
فإن عشت لم أندم وإن مت لم أُلَم كفى بك ذُلاً أن تعيش وترغما

فلما سمع الحرّ ذلك تنحّى عنه، وجعل يسير ناحية عن الحسين عليه السلام، ولم يزل الحسين سائراً حتى انتهوا الى عذيب الهجانات*[٢]، فإذا هم بأربعة نفر قد أقبلوا من الكوفة لنصرة الحسين على رواحلهم، وهم عمرو بن خالد الصيداوي، ومجمع العائذي وابنه، وجنادة بن الحارث السلماني، ومعهم غلام لنافع بن هلال الجملي، وهو يجنب فرساً لنافع يقال له: الكامل، وكان نافع

---

(١) الفتح: ١٠.

(*) عذيب الهجانات: موضع في العراق قرب القادسية. معجم البلدان ٤: ٩٢.

(٢) الإرشاد ٢: ٧٦ ـ ٨١، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٢٩ ـ ٣٣٥. وقد جمع المصنف بين روايتيهما بتفاوت واختصار. وتاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٠٢ ـ ٣٠٥، الكامل في التاريخ ٤: ٤٦ ـ ٤٩. وفيهما تفاوت يسير واختصار باللفظ.

خرج الى الحسين عليه السلام قبلهم، فلقيه في الطريق وأوصى أن يتبع بفرسه المسمّى بالكامل، ومعهم دليل يقال له: الطرماح بن عدي الطائي على فرسه، وكان قد امتار لأهله من الكوفة ميرة فخرج بهم على غير الطريق حتى إذا قاربوا الحسين عليه السلام ، حدا بهم الطرماح فقال:

يا ناقتي لا تذعري من زجري   وشمّري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفرِ   حتى تَحلي بكريم النجر
الماجد الحرّ الرحيب الصدر   أتى به الله لخير أمرِ
ثمة أبقاه بقاء الدهر

فلمّا وصلوا الى الحسين عليه السلام، أراد الحرّ حبسهم أو ردّهم الى الكوفة، فمنعه الحسين من ذلك وقال: «لأمنعنّهم ممّا أمنع منه نفسي إنّما هؤلاء أنصاري، وهم بمنزلة من جاء معي، فإن بقيت على ماكان بيني وبينك، وإلا ناجزتك» فكفّ الحرّ عنهم، ثم سألهم الحسين عليه السلام ؛ عن خبر الناس؟ فقالوا : أما الأشراف فقد استمالهم ابن زياد بالأموال، فهم ألب واحد عليك، وأما سائر الناس فأفئدتهم لك وسيوفهم مشهورة عليك ؛ قال : «فهل لكم علم برسولي قيس بن مسهر؟» قالوا : نعم قتله ابن زياد، فترقرقت عينا الحسين عليه السلام ولم يملك دمعته، ثم قال : ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدّلوا تبديلا﴾[1] اللهمّ اجعل لنا ولهم الجنة نزلاً، واجمع بيننا وبينهم في مستقر من رحمتك، ورغائب مذخور ثوابك»؛ وقال له الطرماح بن عدي : أُذكرك الله في نفسك، لا يغرنّك أهل الكوفة فوالله إن دخلتها لتقتلن، وإني لأخاف أن لا تصل إليها، وما أرى معك كثير أحد، ولو لم يقاتلك إلّا هؤلاء لكفى، ولقد رأيت قبل خروجي من الكوفة جمعاً عظيماً يريدون المسير

(١) الأحزاب: ٢٣.

إليك، فأُنشدك الله إن قدرت أن لا تقدم إليهم شبراً فافعل، وطلب منه أن يذهب معه الى بلاد قومه حتى يرى رأيه، وأن ينزل جبلهم بأجأ، ويبعثُ الى من بأجأ، وسلمى ـ وهما جبلان لطيء ـ فجزاه الحسين عليه السلام ، وقومه خيراً، وقال له : «إنّ بيننا وبين القوم قولاً لا نقدر معه على الانصراف، فان يدفع الله عنّا، فقديماً ما أنعم علينا وكفى، وإن يكن ما لابد منه ففوز وشهادة إن شاء الله» .

وسار الطرماح مع الحسين عليه السلام، ثم ودّعه ووعده أن يوصل الميرة لأهله ويعود لنصره، فلمّا عاد بلغه خبر قتله في عذيب الهجانات فرجع[١] .

وفي رواية: إنّ الحسين عليه السلام قال لأصحابه : «هل فيكم أحد يعرف الطريق على غير الجادة؟» فقال الطرماح بن عدي : نعم يا بن رسول الله! أنا أخبر الطريق؛ قال : «سر بين أيدينا» فسار الطرماح أمامهم وجعل يرتجز:

يا ناقتي لا تذعري من زجر	وأمضي بنا قبل طلوع الفجر
بخير فتيان وخير سفر	آل رسول الله آل[٢] الفخر
السادة البيض الوجوه الزهر	الطاعنين بالرماح السمر
الضاربين بالسيوف[٣] البتر	حتى تحلي بكريم النجر
الماجد الجدّ[٤] الرحيب الصدر	أصابه[٥] الله بخير[٦] أمر
عمره الله بقاء الدّهر	يا مالك النفع معاً والضر

(١) وقعة الطف لأبي مخنف: ١٧٣ ـ ١٧٥، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٠٥ ـ ٣٠٧، الكامل في التاريخ ٤: ٤٩ ـ ٥٠، وقد جمع المصنّف بين رواياتهم باختلاف واختصار يسير.

(٢) في المصدر [أهل].

(٣) في المصدر [بالصفاح].

(٤) في المصدر [الحرّ].

(٥) في المصدر [أتى به].

(٦) في المصدر [بخير].

أيّد حسيناً سيّدي بالنصر على الطغاة من بقايا الكفر
على اللعينين سليلي صخر يزيد لا زال حليف الخمر(١)
وابن زياد العهر(٢) ابن العهر(٣)

روائع البطولة

ولم يزل الحسين عليه السلام سائراً، حتى انتهى الى قصر بني مقاتل، فنزل به، فلما كان آخر الليل أمر فتيانه فاستقوا من الماء، ثم أمر بالرحيل فارتحل من قصر بني مقاتل ليلاً.

قال عقبة بن سمعان: فسرنا معه ساعة فخفق وهو على ظهر فرسه خفقةً ثم انتبه، وهو يقول: «إنّا لله وإنّا إليه راجعون، والحمد لله ربّ العالمين» ففعل ذلك مرّتين أو ثلاثاً، فأقبل إليه ابنه عليّ الأكبر فقال: يا أبه! جُعلت فداك، مِمّ حمدت واسترجعت؟ قال: «يا بني إنّي خفقت خفقة فعنّ لي فارس على فرس، وهو يقول: القوم يسيرون، والمنايا تسير إليهم، فعلمت أنّها أنفسنا نعيت إلينا» فقال له: يا أبه! لا أراك الله سوءاً. ألسنا على الحقّ؟! قال: «بلى، والذي إليه مرجع العباد»، قال: إذاً لا نبالي أن نموت محقّين.

فقال له الحسين عليه السلام: «جزاك الله من ولد خير ما جزى ولداً عن والده».

فلما أصبح نزل فصلّى الغداة، ثم عجّل الركوب، فأخذ يتياسر بأصحابه

---

(١) هذا الشطر لم يرد في المصدر.

(٢) في المصدر [العاهر].

(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٢٣٣.

يريد أن يفرّ بهم[١]، فيأتيه الحرّ فيردّه وأصحابه، فجعل إذا ردّهم نحو الكوفة ردّاً شديداً امتنعوا عليه وارتفعوا، فلم يزالوا يتياسرون كذلك حتى انتهوا الى نينوى، فإذا راكب على نجيب له عليه السلاح متنكب قوساً مقبل من الكوفة ـ وهو مالك بن النسر الكندي ـ فوقفوا جميعاً ينتظرونه، فلما انتهى إليهم سلّم على الحرّ وأصحابه، ولم يسلّم على الحسينعليه السلام وأصحابه، ودفع الى الحر كتاباً من ابن زياد فإذا فيه: أما بعد، فجعجع بالحسين ـ أي ضيّق عليه ـ حين يبلغك كتابي ويقدم عليك رسولي، فلا تنزله إلّا بالعراء في غير حصن وعلى غير ماء، وقد أمرت رسولي أن يلزمك فلا يفارقك حتى يأتيني بإنفاذك أمري، والسلام.

فعرض لهم الحر أصحابه، ومنعوهم من السير وأخذهم الحر بالنزول في ذلك المكان على غير ماء ولا قرية، فقال له الحسينعليه السلام : «ألم تأمرنا بالعدول عن الطريق»؟! قال : بلى، ولكن كتاب الأمير عبيد الله قد وصل يأمرني فيه بالتضييق عليك، وقد جعل عليّ عيناً يطالبني بذلك[٢] .

فنظر يزيد بن زياد بن مهاصر الكندي ـ وكان خرج الى الحسينعليه السلام من الكوفة قبل أن يلاقيه الحرّ ـ الى رسول ابن زياد، فعرفه فقال له : ثكلتك اُمّك ماذا جئت به؟ قال : أطعت إمامي ووفيت ببيعتي. فقال له ابن مهاصر : بل عصيت ربّك وأطعت إمامك في هلاك نفسك وكسبت العار والنار، وبئس الإمام إمامك، قال الله تعالى ﴿وجعلناهم أئمة يدعون الى النار﴾[٣] فإمامك منهم،

---

(١) في المصدر [يفرقهم].

(٢) لم ترد هذه العبارة في المصدر. وردت في الملهوف على قتلى الطفوف للسيّد ابن طاووس: ١٣٨.

(٣) القصص: ٤١.

فقال الحسين عليه السلام للحرّ: «دعنا ويحك ننزل هذه القرية، أو هذه ـ يعني نينوى والغاضرية ـ أو هذه ـ يعني شفية ـ» فقال: لا أستطيع، هذا رجل قد بعث عليّ عيناً.

فقال زهير بن القين للحسين عليه السلام: إنّي والله لا أرى أن يكون بعد الذي ترون إلّا أشد ممّا ترون، يا بن رسول الله! إنّ قتال هؤلاء الساعة أهون علينا من قتال من يأتينا بعدهم، فلعمري ليأتينا من بعدهم ما لا قبل لنا به! فقال الحسين عليه السلام: «ما كنت لأبدأهم بالقتال» فقال له: سر بنا الى هذه القرية حتى ننزلها فإنّها حصينة وهي على شاطئ الفرات، فإن منعونا قاتلناهم، فقتالهم أهون علينا من قتال مَن يجيء بعدهم. فقال الحسين عليه السلام: «ما هي؟» قال: العقر، قال: «اللهمّ إنّي أعوذ بك من العقر»[1]، [قال له: فسر بنا يابن رسول الله حتى ننزل كربلاء فإنّها على شاطئ الفرات فنكون هناك، فإن قاتلونا قاتلناهم واستعنا الله عليهم، قال: فدمعت عينا الحسين عليه السلام ثم قال: «اللهمّ إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء»][2].

ثم خطب أصحابه وقيل: إنّه خطب هذه الخطبة بذي حسم[3]. وقيل: في كربلاء فحمد الله وأثنى عليه وقال: «إنّه قد نزل بنا من الأمر ما قد ترون، وإنّ الدنيا تغيّرت وتنكّرت وأدبر معروفها واستمرت حَذّاء، ولم يبق منها إلّا صبابة كصبابة الإناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون الى الحقّ لا يُعمل به، والى الباطل لا يتناهى عنه،

(١) الإرشاد ٢: ٨١ ـ ٨٤، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٠٧ ـ ٣٠٩، الكامل في التاريخ ٤: ٥٠ ـ ٥٢. وفيها تفاوت باللفظ.

(٢) ما بين المعقوفتين لم ترد في المصادر أعلاه. وذكرها الخوارزمي في كتابه، مقتل الحسين عليه السلام ١: ٣٣٤.

(٣) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٣١ ـ ٣٢، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٠٥.

ليرغب المؤمن في لقاء ربه محقاً، فإني لا أرى الموت إلّا سعادة، والحياة مع الظالمين إلّا برما».

فقام زهير بن القين فقال: قد سمعنا هداك الله يابن رسول الله مقالتك، ولو كانت الدنيا لنا باقية وكنا فيها مخلّدين، لآثرنا النهوض معك على الإقامة فيها.

ووثب نافع بن هلال الجملي فقال : والله ما كرهنا لقاء ربّنا، وإنا على نياتنا وبصائرنا، نوالي مَن والاك، ونعادي مَن عاداك.

وقام برير بن خضير فقال : والله يابن رسول الله، لقد مَنّ الله بك علينا أن نقاتل بين يديك، وتقطع فيك أعضاؤنا، ثم يكون جدّك شفيعنا يوم القيامة.

وصوله كربلاء

ثم إن الحسين عليه السلام قام وركب، وكلّما أراد المسير يمنعونه تارة ويسايرونه أُخرى، حتى بلغ كربلاء يوم الخميس الثاني من المحرم سنة إحدى وستين فلما وصلها قال : «ما اسم هذه الأرض؟» فقيل :كربلاء، فقال : «اللهمّ إنّي أعوذ بك من الكرب والبلاء»[١].

ثم أقبل على أصحابه فقال عليه السلام: «الناس عبيد الدنيا والدين لعق على ألسنتهم، يحوطونه ما درّت معايشهم، فإذا محّصوا بالبلاء قلّ الديّانون».

ثم قال: «أهذه كربلاء؟! قالوا نعم يابن رسول الله» فقال: «هذا موضع كرب وبلاء، انزلوا، هاهنا مناخ ركابنا ومحط رحالنا ومقتل رجالنا ومسفك دمائنا»، فنزلوا جميعاً ونزل الحرّ وأصحابه ناحية.

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٨ ـ ١٣٩ .

ثم إنّ الحسين عليه السلام جمع ولده وإخوته وأهل بيته، ثم نظر إليهم فدمعت عيناه ثم قال: «اللهمّ إنا عترة نبيك محمّد صلى الله عليه وآله، وقد أزعجنا وطردنا واخرجنا عن حرّم جدّنا، وتعدّت بنو أُمية علينا، اللهمّ فخذ لنا بحقّنا، وانصرنا على القوم الظالمين» .

وكتب الحرّ الى عبيد الله بن زياد يعلمه بنزول الحسين بكربلاء، فكتب ابن زياد الى الحسين: أما بعد فقد بلغني يا حسين نزولك بكربلاء، وقد كتب إليّ أميرالمؤمنين يزيد: أن لا أتوسد الوثير؛ ولا أشبع من الخمير، أو أُلحقك باللطيف الخبير، أو ترجع الى حكمي وحكم يزيد، والسلام.

فلما قرأ الحسين الكتاب ألقاه من يده، وقال : «لا أفلح قوم اشتروا مرضاة المخلوق بسخط الخالق»، فقال له الرسول : الجواب يا أبا عبدالله. فقال له : «ما عندي جواب» .

فرجع الرسول الى ابن زياد فأخبره فاشتدّ غضبه[1]. وجهّز إليه العساكر، وجمع الناس في مسجد الكوفة، وخطبهم ومدح يزيد وأباه، وذكر حسن سيرتهما، ووعد بتوفير العطاء وزادهم في عطائهم مائة مائة، وأمر بالخروج الى حرب الحسين عليه السلام[2].

مجيء ابن سعد لقتاله

فلما كان من الغد وهو اليوم الثالث من المحرم قدم عمر بن سعد بن أبي وقاص في أربعة آلاف، وكان ابن زياد قد ولّاه الري وأرسل معه أربعة

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٣٧ ـ ٣٤٠ وفيه تقديم وتأخير وتفاوت يسير باللفظ. وانظر بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٣ ـ ٣٨٤ وأيضاً فيه تقديم وتأخير بالنص.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٥، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ٢٣٦. وذكراه نقلاً عن محمّد بن أبي طالب.

آلاف لقتال الديلم، فلما جاء الحسين عليه السلام، قال له : سر إليه فإذا فرغت فسر الى عملك فاستعفاه فقال : نعم إلّا أن تردّ إلينا عهدنا. فاستمهله واستشار نصحاءه، فنهوه عن ذلك، فبات ليلته مفكراً[١] فسمعوه وهو يقول:

دعاني عبيد الله من دون قومه ... الى خطة فيها خرجت لحيني
فوالله لا أدري وإنّي لواقف ... أفكر في أمري على خطرين
أأترك ملك الري والري رغبة ... أم أرجع مذموماً بقتل حسين
وفي قتله النار التي ليس دونها ... حجاب وملك الري قرّة عين[٢]

وجاءه حمزة بن المغيرة بن شعبة، وهو ابن أُخته فقال له : أُنشدك الله يا خال أن تسير الى الحسين فتأثم عند ربّك، وتقطع رحمك! فوالله لئن تخرج من دنياك ومالك وسلطان الأرض كلّها، لو كان لك، خير لك من أن تلقى الله بدم الحسين! فقال له ابن سعد: إنّي أفعل إن شاء الله . وجاء ابن سعد الى ابن زياد فقال: إنّك ولّيتني هذا العمل ـ يعني الري ـ وتسامع به الناس، فإن رأيت أن تنفذ لي ذلك، وتبعث الى الحسين من أشراف الكوفة من لست خيراً منه. وسمّى له أُناساً، فقال له ابن زياد : لست استشيرك في مَن أبعث، إن سرت بجندنا وإلّا فابعث إلينا بعهدنا! قال : فإني سائر[٣] وقَبِل أن يحارب الحسين عليه السلام.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٠٨، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٤٠.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٩٨، نور العين في مشهد الحسين عليه السلام: ٣٤ باختلاف في لفظ الأبيات وترتيبها، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٤: ٥٣ وذكر بيتين فقط.
وذكر الأبيات السيّد ابن طاووس في الملهوف: ١٩٣ ـ ١٩٤ في المسلك الثالث ـ باب حكاية المختار في الأخذ بالثأر، ولم ترد هذه الأبيات ولا العنوان في نفس الكتاب بتحقيق الشيخ فارس الحسون.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٠٩ ـ ٣١٠، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٤٠ ـ ٣٤١. وفيهما اختلاف في اللفظ.

وسار ابن سعد الى قتال الحسين عليه السلام بالأربعة الآلاف التي كانت معه وانضم إليه الحر وأصحابه، فصار في خمسة آلاف، ثم جاءه شمر في أربعة آلاف، ثم أتبعه ابن زياد بيزيد بن ركاب الكلبي في ألفين، والحصين بن تميم السكوني في أربعة آلاف، وفلان المازني في ثلاثة آلاف، ونصر ابن فلان في ألفين، فذلك عشرون ألف فارس تكملت عنده الى ستّ ليال خلون من المحرم، وبعث كعب بن طلحة في ثلاثة آلاف، وشبث بن ربعي الرياحي في ألف، وحجّار بن أبجر في ألف، فذلك خمسة وعشرون ألفاً، وما زال يرسل إليه بالعساكر حتى تكامل عنده ثلاثون ألفاً ما بين فارس وراجل.

هكذا ذكره المفيد في الإرشاد[١] وهو المروي عن الصادق[٢] عليه السلام وقال الطبري في التاريخ: أقبل ابن سعد في أربعة آلاف من أهل الكوفة حتى نزل بالحسين[٣].

وقال سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص: كان ابن زياد قد جهز عمر بن سعد، لقتال الحسين في أربعة آلاف، وجهّز خمسمائة فارس، فنزلوا على الشرائع[٤] وقال المسعودي: كان جميع من حضر مقتل الحسين من أهل الكوفة خاصة[٥].

(١) لم نعثر عليه في الإرشاد الموجود بأيدينا، وذكره ابن شهرآشوب في المناقب: ٩٧ ـ ٩٨. ونقله المجلسي في بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٥ ـ ٣٨٦ والبحراني في (العوالم) (الإمام الحسين عليه السلام): ٢٣٦ ـ ٢٣٧ عن محمد بن أبي طالب.

(٢) أمالي الصدوق: ١٧٧ / ح١٧٩، بحار الأنوار ٤٥: ٢١٨ / ح٤٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣١٠.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٤٦.

(٥) مروج الذهب ٣: ٦١.

ثم قال الطبري: إنّ أصحاب ابن سعد كانوا ستة آلاف مقاتل[١].

أقول: كلام سبط ابن الجوزي ليس فيه دلالة على أن جميع أصحاب ابن سعد كانوا أربعة آلاف، لأنّ الذين جاءوا معه كانوا أربعة آلاف، في جميع الروايات. ثم أتبعه ابن زياد ببقية العسكر كما قال المفيد. وانضمّ إليه الحرّ بمن معه، والقول بأنّهم كانوا ستة آلاف، مردود بما مر عن المفيد، والمثبت مقدم على النافي، ثم كتب إليه : إنّي لم اجعل لك علة في كثرة الخيل والرجال، فانظر لا أُصبح ولا أُمسي إلّا وخبرك عندي غدوة وعشية، وكان يستحثه لستة أيّام مضين من المحرم[٢] .

وأراد ابن سعد، أن يبعث الى الحسين رسولاً يسأله ما الذي جاء به؟ فعرض ذلك على جماعة من الرؤساء، فكلهم أبى استحياء من الحسين عليه السلام، لأنهم كاتبوه، فقام إليه كثير بن عبدالله الشعبي، وكان فارساً شجاعاً لا يرد وجهه شيء، فقال : أنا اذهب إليه، والله إن شئت لأفتكنّ به! فقال عمر : ما أُريد أن تفتك به، ولكن اذهب فسله ما الذي جاء به؟ فأقبل ،فلما رآه أبو ثمامة الصائدي، قال للحسين عليه السلام، أصلحك الله يا أبا عبدالله، قد جاءك شر أهل الأرض، وأجرأه[٣] على دم، وأفتكه[٤] .

وقام إليه، فقال له: ضع سيفك، قال: لا والله ولا كرامة، إنّما أنا رسول، فإن سمعتم منّي وإلّا انصرفت؛ قال : فآخُذ بقائم سيفك، ثم تكلّم، قال : لا والله

(١) لم أعثر عليه في تاريخ الأُمم والملوك.

(٢) بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٦، عوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ٢٣٧. نقلاً عن محمّد بن أبي‌طالب. وأوردها أيضاً الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ١: ٣٤٤ ـ ٣٤٥ بتفاوت يسير باللفظ.

(٣) في المصدر [اجرؤهم].

(٤) في المصدر [وأفتكهم].

لا تمسه، قال: أخبرني بما جئت به وأنا أبلغه عنك، ولا أدعك تدنو منه، فإنك فاجر، فاستبا وانصرف الى عمر بن سعد، فأخبره.

فأرسل قرّة بن قيس الحنظلي، فلما رآه الحسين عليه السلام مقبلاً قال: «أتعرفون هذا؟» قال حبيب بن مظاهر: نعم، هذا رجل من حنظلة تميم وهو ابن أُختنا، وقد كنت أعرفه بحسن الرأي، وماكنت أراه يشهد هذا المشهد.

فجاء حتى سلّم على الحسين عليه السلام، وبلّغه رسالة عمر بن سعد، فقال له الحسين عليه السلام: «كتب إليّ أهل مصركم هذا أن أقدم، فأما إذا كرهتموني فإنّي أنصرف عنكم» فقال له حبيب بن مظاهر: ويحك يا قرّة! أين ترجع؟! الى القوم الظالمين؟! انصر هذا الرجل الذي بآبائه أيدك الله بالكرامة؛ فقال له: ارجع الى صاحبي بجواب رسالته، وأرى رأيي. فانصرف الى ابن سعد فأخبره، فقال: أرجو أن يعافيني الله من أمره.

وكتب الى ابن زياد بذلك؛ فلمّا قرأ الكتاب قال:

الآن إذ علقت مخالبنا به ... يرجو النجاة ولات حين مناص

ثم كتب الى ابن سعد: أن اعرض على الحسين أن يبايع ليزيد هو وجميع أصحابه فإذا هو فعل ذلك رأينا رأينا. فقال ابن سعد: قد خشيت أن لا يقبل ابن زياد العافية.

منعه من الماء

وورد كتاب ابن زياد في الأثر الى ابن سعد: أن حُل بين الحسين وأصحابه وبين الماء فلا يذوقوا منه قطرة كما صُنِع بالتقي الزكي عثمان بن عفان!

فبعث عمر في الوقت عمرو بن الحجاج في خمسمائة فارس، فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين عليه السلام وأصحابه وبين الماء، ومنعوهم أن يستقوا منه قطرة، وذلك قبل قتل الحسين عليه السلام بثلاثة أيّام(١).

فلما اشتدّ العطش على الحسين عليه السلام وأصحابه، أمر أخاه العباس بن عليّ فسار في عشرين رجلاً يحملون القِرب، وثلاثين فارساً فجاءوا حتى دنوا من الماء ليلاً، وأمامهم نافع بن هلال الجملي يحمل اللواء، فقال عمرو بن الحجاج: مَن الرجل ؟ قال: نافع، قال: ما جاء بك؟ قال: جئنا نشرب من هذا الماء الذي حلأتمونا عنه قال : فاشرب هنيئاً، قال : لا والله لا أشرب منه قطرة والحسين عطشان هو وأصحابه! فقالوا : لا سبيل الى سقي هؤلاء، إنّما وضعنا بهذا المكان لنمنعهم الماء؛ فقال نافع لرجاله : املؤوا قِرَبكم فملئوها، وثار إليهم عمرو بن الحجاج وأصحابه، فحمل عليهم العبّاس ونافع بن هلال فكشفوهم، وأقبلوا بالماء، ثم عاد عمرو بن الحجاج وأصحابه، وأرادوا أن يقطعوا عليهم الطريق فقاتلهم العبّاس وأصحابه حتى ردّوهم وجاءوا بالماء الى الحسين عليه السلام(٢) .

وقال سبط ابن الجوزي: إنّهم اقتتلوا على الماء ولم يمكنوهم من الوصول إليه(٣)، وضيّق القوم على الحسين عليه السلام حتى نال منه العطش ومن أصحابه، فقال له برير بن خضير الهمداني: يابن رسول الله أتاذن لي أن أخرج الى القوم؟ فأذِن له فخرج إليهم فقال: يا معشر الناس، إنّ الله عزّ وجلّ بعث محمّداً بالحقّ

(١) الإرشاد ٢: ٨٥ ـ ٨٧، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣١٠ ـ ٣١٢ . وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣١٢، مقتل الحسين للخوارزمي ١: ٣٤٦. وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٤٨ ط. مكتبة نينوى ـ طهران.

بشيراً ونذيراً وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً، وهذا ماء الفرات تقع فيه خنازير السواد وكلابه، وقد حيل بينه وبين ابنه. فقالوا: يا برير قد أكثرت الكلام فاكفف، والله ليعطش الحسين كما عطش من كان قبله، فقال الحسين عليه السلام: «اقعد يا برير».

ثم وثب الحسين عليه السلام متوكئاً على قائم سيفه، ونادى بأعلى صوته، فقال: «أنشدكم الله هل تعرفونني؟ قالوا: نعم أنت ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسبطه. قال: أُنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالوا : اللهمّ نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنّ أُمي فاطمة بنت محمّد صلى الله عليه وآله؟ قالوا : اللهمّ نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنّ أبي عليّ بن أبي طالب عليه السلام ؟ قالوا : اللهمّ نعم. قال : أنشدكم الله هل تعلمون أنّ جدتي خديجة بنت خويلد أوّل نساء هذه الأُمّة إسلاماً؟ قالوا : اللهمّ نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنّ سيد الشهداء حمزة عمّ أبي؟ قالوا : اللهمّ نعم. قال: فأنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذا سيف رسول الله صلى الله عليه وآله أنا متقلّده؟ قالوا : اللهمّ نعم. قال: أنشدكم الله هل تعلمون أنّ هذه عمامة رسول الله صلى الله عليه وآله أنا لابسها؟ قالوا : اللهمّ نعم. قال : أنشدكم الله هل تعلمون أنّ عليّاً كان أوّل القوم إسلاماً، وأعلمهم علماً، واعظمهم حلماً، وإنّه وليّ كل مؤمن ومؤمنة؟ قالوا : اللهمّ نعم. قال: فيم تستحلون دمي؟! وأبي الذائد عن الحوض يذود عنه رجالاً كما يذاد البعير الصاد[1] عن الماء، ولواء الحمد في يد أبي[2] يوم القيامة؟ قالوا : قد علمنا ذلك كله، ونحن غير تاركيك حتى تذوق الموت عطشاً»[3] .

---

(١) الصاد: بلفظ حرف الهجاء، البعير الذي أصابه الصيد، وهو داءٌ يلوي العنق، كذا في الفائق للزمخشري.

(٢) في المصدر [جدي].

(٣) أمالي الصدوق: ٢٢٢ ـ ٢٢٣ / ح٢٣٩، بحار الأنوار ٤٤: ٣١٨ وذكر إنه (يزيد) بدل (برير) ولم يرد في المصدرين ذيل الرواية.

فلمّا خطب هذه الخطبة وسمع بناته وأخواتـه كـلامه بكـين، وارتـفعت أصواتهن، فوجّه إليهن أخاه العباس، وعليّاً ابنه، وقال لهما: «اسكتاهن، فلعمري ليكثرن بكاؤهن».

المراسلة بينه وبين ابن سعد

وأرسل الحسين عليه السلام الى عمر بن سعد مع عمرو بن قرظة الأنصاري: «إنّي أُريد أن أكلمك فالقني الليلة بين عسكري وعسكرك» فخرج إليه ابن سعد في عشرين، وخرج الحسين عليه السلام في مثلها، فأمر الحسين عليه السلام أصحابه فتنحّوا، وبقي معه أخوه العباس وابنه علي الأكبر، وأمر ابن سعد أصحابه فتنحّوا وبقي معه ابنه حفص وغلام له، فقال له الحسين عليه السلام: «ويلك يا ابن سعد! أما تتّقي الله الذي إليه معادك؟! أتقاتلني وأنا ابن من علمت؟! ذَرْ هؤلاء القوم، وكن معي، فإنّه أقرب لك الى الله»، فقال ابن سعد: أخاف أن تُهدم داري. فقال الحسين عليه السلام: «أنا أبنيها لك» فقال: أخاف أن تؤخذ ضيعتي. فقال الحسين عليه السلام: «أنا أخلف عليك خيراً منها من مالي بالحجاز» فقال: لي عيال وأخاف عليهم، ثم سكت ولم يجبه الى شيء، فانصرف عنه الحسين عليه السلام وهو يقول: «ما لك؟! ذبحك الله على فراشك عاجلاً، ولا غفر لك يوم حشرك، فوالله إنّي لأرجو أن لا تأكل من برّ العراق إلّا يسيراً» فقال: في الشعير كفاية عن البر، مستهزئاً بذلك القول(١).

وأرسل إليه مرة أُخرى: «إنّي أُريد أن ألقاك» فاجتمعا ليلاً بـين العسكـرين

---

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٨٨ ـ ٣٨٩، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ٢٣٩. نقلاه عن محمّد بن أبي‌طالب، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٤٧ ـ ٣٤٨.

وتناجيا طويلاً[١]. والتقى الحسين عليه السلام وعمر بن سعد مراراً ثلاثاً أو أربعاً، ثم كتب عمر الى ابن زياد: أما بعد، فإنّ الله قد أطفأ النائرة، وجمع الكلمة، وأصلح أمر الأُمّة، هذا الحسين قد أعطاني أن يرجع الى المكان الذي منه أتى، أو أن يسير الى ثغر من الثغور فيكون رجلاً من المسلمين، له ما لهم وعليه ما عليهم، أو أن يأتي أميرالمؤمنين يزيد فيضع يده في يده، فيرى فيما بينه وبينه رأيه، وفي هذا لك رضا وللأُمّة صلاح.

وعن عقبة بن سمعان: إنّه قال: والله ما أعطاهم الحسين عليه السلام، أن يضع يده في يد يزيد، ولا أن يسير الى ثغر من الثغور، ولكنّه قال: «دعوني أرجع الى المكان الذي أقبلت منه، أو أذهب في هذه الأرض العريضة».

قال: فلما قرأ ابن زياد الكتاب، قال: هذا كتاب ناصح لأميره مشفق على قومه.

فقام إليه شمر بن ذي الجوشن، وقال: أتقبل هذا منه؟ وقد نزل بأرضك والى جنبك، والله لئن رحل من بلادك ولم يضع يده في يدك، ليكونن أولى بالقوّة والعزّة، ولتكونن أولى بالضعف والعجز، ولكن لينزل على حكمك هو وأصحابه، فإن عاقبت فأنت أولى بالعقوبة، وإن عفوت كان ذلك لك. فقال له ابن زياد: نعم ما رأيت، الرأي رأيك، اخرج بهذا الكتاب الى عمر بن سعد فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمي، فإذا فعلوا فليبعث بهم إليّ سلماً، وإن هم أبوا فليقاتلهم، فإن فعل فاسمع له وأطع، وإن أبى فأنت أمير الجيش، فاضرب عنقه وابعث إليّ برأسه.

---

(١) الإرشاد ٢: ٨٧.

وكتب الى ابن سعد: إني لم أبعثك الى الحسين لتكفّ عنه، ولا لتطاوله، ولا لتمنّيه السلامة والبقاء، ولا لتعتذر عنه، ولا لتكون له عندي شافعاً، انظر فإن نزل حسين وأصحابه على حكمي واستسلموا فابعث بهم لي سلماً، وإن أبوا فازحف إليهم حتى تقتلهم وتمثّل بهم، فإنّهم لذلك مستحقّون، فإن قتلت حسيناً فأوطيء الخيل صدره وظهره، فإنّه عاق شاقّ قاطع ظلوم، ولست أرى أنّ هذا يضرّ بعد الموت شيئاً، ولكن عليّ قول قد قلته: لو قد قتلته لفعلت هذا به، فإن أنت مضيت لأمرنا جزيناك جزاء السامع المطيع، وإن أبيت فاعتزل عملنا وجندنا، وخلّ بين شمر بن ذي الجوشن وبين العسكر، فإنا قد أمرناه بأمرنا والسلام.

فلمّا قرأ ابن سعد الكتاب، قال له: ما لك؟! ويلك! لا قرّب الله دارك، وقبّح الله ما قدمت به عليّ، والله إنّي لأظنّك أنت نهيته أن يقبل ما كتبت به إليه، وأفسدت علينا أمراً كنا قد رجونا أن يصلح، لا يستسلم والله حسينٌ إنّ نفس أبيه لبين جنبيه.

فقال له شمر بن ذي الجوشن: اخبرني بما أنت صانع. أتمضي لأمر أميرك وتقاتل عدوّه، وإلّا فخلّ بيني وبين الجند والعسكر؛ قال: لا ولا كرامة لك، ولكن أنا أتولّى ذلك، فدونك فكن أنت على الرجّالة. ونهض عمر ابن سعد الى الحسين عليه السلام عشيّة يوم الخميس لتسع مضين من المحرم[1].

وجاء شمر حتى وقف على أصحاب الحسين عليه السلام فقال: أين بنو أُختنا؟ - يعني العبّاس وجعفر، وعبدالله وعثمان أبناء عليّ عليه السلام - فقال الحسين عليه السلام :

---

(١) الارشاد ٢: ٨٧ - ٨٩ وتاريخ الأمم والملوك ٤: ٣١٣ - ٣١٥. وقد جمع المصنف بين روايتهما بتفاوت وتقديم وتأخير باللفظ.

«أجيبوه وإن كان فاسقاً فإنّه بعض أخوالكم» ـ وذلك أن أُمّهم أمّ البنين كانت من بني كلاب، وشمر من بني كلاب ـ فقالوا له: ما تريد؟ فقال لهم: أنتم يا بني أُختي آمنون؛ فلا تقتلوا أنفسكم مع أخيكم الحسين، والزموا طاعة يزيد؛ فقالوا له : لعنك الله ولعن أمانك، أتؤمننا وابن رسول الله لا أمان له؟! وناداه العباس ابن أميرالمؤمنين عليه السلام : تبّت يداك، ولعن ما جئتنا به من أمانك ياعدوّ الله أتامرنا أن نترك أخانا وسيّدنا الحسين بن فاطمة وندخل في طاعة اللعناء وأولاد اللعناء، فرجع الشمر الى عسكره مغضباً[١].

وكان ابن خالهم عبدالله بن أبي المحل بن حزام، وقيل[٢] : جرير بن عبدالله بن مخلد الكلابي؛ قد أخذ لهم أماناً من ابن زياد وأرسله إليهم مع مولى له ـ وذلك أنّ أمّهم أمّ البنين بنت حزام زوجة علي عليه السلام هي عمّة عبدالله هذا ـ فلما رأوا الكتاب قالوا : لا حاجة لنا في أمانكم، أمان الله خير من أمان ابن سُميّة[٣] .

ثم نادىٰ عمر بن سعد: يا خيل الله اركبي، وبالجنة أبشري؛ فركب الناس، ثم زحف نحوهم بعد العصر، والحسين عليه السلام جالس أمام بيته محتب بسيفه إذ خفق برأسه على ركبتيه، فسمعت أُخته زينب الصيحة، فدنت من أخيها، فقالت : يا أخي أما تسمع هذه الأصوات قد اقتربتْ؟! فرفع الحسين عليه السلام رأسه، فقال : «إنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله الساعة في المنام، فقال : إنّك تروح إلينا»؛ فلطمت

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١:٣٤٩.

(٢) لم أعثر على قائله. ولكن قال المجلسي في هامش (١) من الجزء: ٤٤، وذكره ابن جرير، انه جرير بن عبدالله بن مخلد الكلابي... الخ.

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٤٨ ـ ٣٤٩، الكامل في التاريخ ٤: ٥٦ . وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

أُخته وجهها، ونادت بالويل فقال لها الحسين عليه السلام : «ليس لك الويل يا أُخية أُسكتي رحمك الله». وفي رواية إنّه عليه السلام جلس فرقد ثم استيقظ وقال : «يا اخـتاه رأيت الساعة جدّي محمّداً، وأبي عليّاً، وأمّي فاطمة، وأخي الحسن وهم يقولون: يا حسين إنك رائح إلينا عن قريب»(١) .

وقال له العبّاس : يا أخي أتاك القوم فنهض، ثم قال : «يا عبّاس اركب أنت حتى تلقاهم وتقول لهم : ما بالكم؟ وما بدا لكم؟! وتسألهم عمّا جاء بهم؟» فأتاهم في نحو عشرين فارساً فيهم زهير بن القين، وحبيب بن مظاهر، فسألهم؛ فقالوا : قد جاء أمر الأمير أن نعرض عليكم أن تنزلوا على حكمه، أو نناجزكم. قال : فلا تعجلوا حتى أرجع الى أبي عبدالله، فأعرض عليه ما ذكرتم، فوقفوا ورجع العباس إليه بالخبر ووقف أصحابه يخاطبون القوم، ويعظونهم ويكفّونهم عن قتال الحسين عليه السلام ، فلمّا أخبره العباس بقولهم قال له : «ارجع إليهم فإن استطعت أن تؤخّرهم الى غدوة، وتدفعهم عنّا العشية، لعلّنا نصلّي لربّنا الليلة، وندعوه ونستغفره، فهو يعلم أنّي كنت أحبّ الصلاة له، وتلاوة كتابه، وكثرة الدعاء والاستغفار» ـ وأراد الحسين عليه السلام أيضاً أن يوصي أهله ـ فسألهم العباس ذلك فتوقف ابن سعد . فقال له عمرو بن الحجاج الزبيدي : سبحان الله! والله لو أنّهم من الترك أو الديلم وسألونا مثل ذلك لأجبناهم، فكيف وهم آل محمّد؟! وقال له قيس بن الأشعث ابن قيس: أجبهم لعمري ليصبحنّك بالقتال(٢).

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٥٣، والملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) الإرشاد ٢: ٨٩ ـ ٩١، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣١٥ ـ ٣١٧، الكامل في التاريخ ٤: ٥٦ ـ ٥٧ . وفيها تفاوت واختلاف يسير باللفظ.

الأبطال

فأجابوهم الى ذلك، فجمع الحسين عليه السلام أصحابه عند قرب المساء قال: زين العابدين عليه السلام: «فدنوت منه لأسمع ما يقول لهم، وأنا إذ ذاك مريض، فسمعت أبي يقول لأصحابه: أثني على الله أحسن الثناء وأحمده على السرّاء والضرّاء، اللهمّ إنّي أحمدك على أن أكرمتنا بالنبوّة وعلّمتنا القرآن وفقّهتنا في الدين، وجعل[1] لنا أسماعا وأبصاراً وأفئدة، فاجعلنا لك من الشاكرين .

أما بعد فإنّي لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهل بيت أبرّ ولا أوصل من أهل بيتي فجزاكم الله عنّي خيراً، ألا وإنّي لأظنّ يوماً لنا من هؤلاء، ألا وإنّي قد أذنت لكم فانطلقوا جميعاً في حلٍّ ليس عليكم منّي ذِمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتّخذوه جَمَلاً.

وليأخذ كلّ واحد منكم بيد رجل من أهل بيتي، وتفرّقوا في سواد هذا الليل، وذروني وهؤلاء القوم، فإنّهم لا يريدون غيري» قال له إخوته وأبناؤه وبنو أخيه وأبناء عبدالله بن جعفر؟ ولِمَ نفعل ذلك لنبقى بعدك! لا أرانا الله ذلك أبداً. بدأهم بهذا القول أخوه العباس بن أميرالمؤمنين، واتّبعه الجماعة عليه فتكلموا بمثله ، ونحوه.

ثم نظر الى بني عقيل فقال : «حسبكم من القتل بصاحبكم مسلم، اذهبوا قد أذنت لكم» قالوا: سبحان الله! فما يقول الناس لنا؟ وما نقول لهم؟ إنّا تركنا شيخنا وسيّدنا وبني عمومتنا خير الأعمام، ولم نرم معهم بسهم، ولم نطعن معهم برمح، ولم نضرب معهم بسيف، ولا ندري ما صنعوا! لا والله ما نفعل

---

(١) [وجعلت].

ذلك، ولكننا نفديك بأنفسنا وأموالنا وأهلينا، ونقاتل معك حتى نرد موردك، فقبّح الله العيش بعدك .

وقام إليه مسلم بن عوسجة الأسدي فقال : أنحن نخلّي عنك وقد أحاط بك هذا العدوّ؟! وبم نعتذر الى الله في أداء حقّك؟ ولا والله لا يراني الله أبداً وأنا افعل ذلك، حتى أكسر في صدورهم رمحي، وأُضار بهم بسيفي ما ثبت قائمه بيدي، ولو لم يكن معي سلاح أُقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة، ولم أُفارقك أو أموت معك.

وقام سعيد بن عبدالله الحنفي فقال : لا الله يابن رسول الله، لا نخلّيك أبداً حتى يعلم الله إنّا قد حفظنا فيك وصية رسوله محمّدﷺ ، والله لو علمت أنّي أُقتل فيك، ثم أحيا ثم أُحرق ثم أُذرى، يفعل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حمامي دونك، وكيف لا أفعل ذلك وإنّما هي قتلة واحدة، ثم أنال الكرامة التي لا انقضاء لها أبداً .

وقام زهير بن القين وقال: والله يابن رسول، لوددت أنّي قتلت ثم نُشرت ألف مرة وأنّ الله تعالى يدفع بذلك القتل عن نفسك وعن نفس هؤلاء الفتيان من إخوانك وولدك وأهل بيتك .

وتكلّم جماعة أصحابه بكلام يشبه بعضه بعضاً، وقالوا : أنفسنا لك الفداء، نقيك بأيدينا ووجوهنا فإذا نحن قُتلنا بين يديك نكون قد وفينا لربّنا وقضينا ما علينا.

ووصل الخبر الى محمّد بن بشير الحضرمي في تلك الحال بأنّ ابنه قد أُسر بثغر الريّ، فقال: عند الله أحتسبه ونفسي، ما كنت أُحبّ أن يؤسر وأبقى بعده. فسمع الحسين عليه السلام قوله، فقال : «رحمك الله أنت في حلّ من بيعتي، فاعمل في

فكاك ابنك» فقال : أكلتني السباع حياً إن فارقتك. قال : «فأعط ابنك هذا هذه الأثواب البرود يستعين بها في فداء أخيه» فأعطاه خمسة أثواب برود قيمتها ألف دينار، فحملها مع ولده(١).

وأمر الحسين عليه السلام ، أصحابه ان يُقرّبوا بين بيوتهم، ويدخلوا الأطناب بعضها في بعض، ويكونوا بين يدي البيوت، فيستقبلون القوم من وجهٍ واحد والبيوت من ورائهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، قد حفت بهم إلّا الوجه الذي يأتيهم منه عدوهم(٢) .

وروى أبو مخنف عن عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام ، قال : «إني لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها، وعمّتي زينب عندي تمرضني إذ اعتزل أبي في خباء له، وعنده جون(٣) مولى أبي ذر وهو يعالج سيفه ويصلحه، وأبي يقول(٤):

يا دهر أُف لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل

من صاحب أو طالب قتيل والدّهر لا يقنع بالبديل

وكلّ حي سالكُ السبيل ما أقرب الوعد من الرحيل

وإنّما الأمر الى الجليل

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥١ ـ ١٥٤ وفيه اختلاف يسير باللفظ. وأورد الرواية الشيخ المفيد في الإرشاد ٢: ٩١ ـ ٩٣، والطبري في تاريخه ٤: ٣١٧ ـ ٣١٨، الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام : ٣٤٩ ـ ٣٥١، باختصار وتفاوت في اللفظ.

(٢) الإرشاد ٢: ٩٤، الكامل في التاريخ ٤: ٥٩.

(٣) في المصدر [حُوَى].

(٤) في بعض الروايات: إنّ الحسين عليه السلام جلس يصلح سيفه ويقول (يا دهر أف لك من خليل) الأبيات، والصواب ما رواه أبومخنف من أن جوناً، هو الذي كان يصلح سيف الحسين عليه السلام . ولم يكن الحسين عليه السلام ليتعاطى إصلاح سيفه بنفسه، ولم يكن أصحابه وخدمه وحشمه ليدعوه، يفعل ذلك؛ فإنّ هذه الرواية اشتباه نشأ من قول الراوي، وهو يصلح سيفه، فظنّ أن الضمير راجع الى الحسين عليه السلام ، وإنّما هو راجع الى جون. منه رحمه الله.

فأعادها مرّتين أو ثلاثاً حتى فهمتها وعرفت ما أراد، فخنقتني العبرة، فرددتها[١]، ولزمت السكوت[٢]، وعلمت أنّ البلاء قد نزل، وأما عمّتي فإنّها لما سمعت ـ وهي امرأة ومن شأن النساء[٣] الرقة والجزع ـ لم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها، حتى انتهت إليه، ونادت[٤]: وا ثكلاه! ليت الموت أعدمني الحياة، اليوم ماتت أمّي فاطمة، وأبي عليّ، وأخي الحسن، يا خليفة الماضي وثمال الباقي!

فنظر إليها الحسين عليه السلام فقال لها : يا أُخيّة! لا يذهبنّ بحلمك الشيطان! فقالت : بأبي وأمّي تستقل[٥]؟ نفسي فداك . فردّ غصته وترقرقت عيناه بالدموع[٦]، ثم قال : لو تُرك القطا ليلاً لنام ، فقالت : يا ويلتاه! أفتغتصب نفسك اغتصاباً؟! فذلك أقرح لقلبي وأشدّ على نفسي، ولطمت وجهها، وأهوت الى جيبها فشقّته وخرّت مغشياً عليها! فقام إليها الحسين عليه السلام فصبّ على وجهها الماء حتى أفاقت[٧] وقال لها : يا أُخيّة اتّقي الله وتعزّي بعزاء الله، واعلمي أنّ أهل الأرض يموتون، وأنّ أهل السماء لا يبقون، وأنّ كلّ شيء هالك إلّا وجهه الذي خلق الخلق بقدرته ويبعث الخلق ويعيدهم[٨]، وهو فرد وحده، جدّي خير منّي وأبي خير منّي، وأمّي خير منّي، وأخي خير منّي، ولي ولكل مسلم برسول الله صلى الله عليه وآله أُسوة.

---

(١) في المصدر [فرددت دمعي].

(٢) في المصدر [السكون].

(٣) في المصدر [وفي النساء].

(٤) في المصدر [فقالت].

(٥) في المصدر [يا أبا عبدالله استقتلت].

(٦) ليست في المصدر.

(٧) ليست في المصدر.

(٨) في المصدر [فيعودون].

فعزّاها بهذا ونحوه وقال لها: يا أُخيّة إنّي أقسمت[1] عليك فأبري قسمي: لا تشقّي عليّ جيباً ولا تخمشي عليّ وجهاً، ولا تدعي عليّ بالويل والثبور، إذا أنا هلكت»[2].

وفي رواية: إنّها لما سمعت الأبيات قالت: يا أخي! هذا كلام من أيقن بالقتل. فقال: «نعم يا أُختاه» فقالت زينب: وا ثكلاه ينعى إليّ الحسين نفسه، وبكى النسوة ولطمن الخدود وشققن الجيوب، وجعلت أُم كلثوم تنادي: وا محمّداه! وا علياه! وا أُمّاه! وا أخاه! وا حسيناه! وا ضيعتنا بعدك يا أبا عبدالله[3].

وقام الحسين وأصحابه الليل كلّه يصلّون ويستغفرون ويدعون، وباتوا ولهم دويّ كدويّ النحل، ما بين راكع وساجد وقائم وقاعد، فعبر إليهم في تلك الليلة من عسكر ابن سعد اثنان وثلاثون رجلاً[4].

قال بعض أصحاب الحسين عليه السلام: مرّت بنا خيل لابن سعد تحرسنا، وكان الحسين عليه السلام يقرأ: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنّما نُملي لهم خير لأنفسهم إنّما نُملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين* ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يَميزَ الخبيث من الطيب﴾[5] فسمعها رجل من تلك الخيل يقال له عبدالله بن سمير، فقال: نحن وربّ الكعبة الطيّبون ميّزنا منكم. فقال له برير بن خضير: يافاسق أنت يجعلك الله من الطيبين؟! فقال له: من أنت؟ ويلك! قال: أنا برير

(١) في المصدر [أُقسم].
(٢) وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٠٠ ـ ٢٠١. ونقلها عنه الطبري في تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣١٨ ـ ٣١٩.
(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٤٠ ـ ١٤١. وذكرها الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ١: ٢٣٨ ـ ٢٣٩ باختلاف يسير في اللفظ.
(٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٤، بحار الأنوار ٤٤: ٣٩٤.
(٥) آل عمران: ١٧٨ ـ ١٧٩.

بن خضير. فتسابّا[١] .

فلمّا كان وقت السحر خفق الحسين برأسه خفقة، ثم استيقظ فقال : «رأيت كأنّ كلاباً قد جهدت لتنهشني، وفيها كلب أبقع رأيته أشدّها عليّ وأظن أنّ الذي يتولّى قتلي رجل أبرص»[٢].

صفة القتال

وأصبح الحسين عليه السلام فعبّأ أصحابه بعد صلاة الغداة، وكان معه اثنان و ثلاثون فارساً، وأربعون راجلاً ـ وقيل: ثمانية وأربعون راجلاً[٣] ، وفي رواية ثمانون راجلاً[٤]، وعن الباقر عليه السلام : «إنّهم كانوا خمسة وأربعين فارساً، ومائة راجل»[٥] . وقيل: كانوا سبعين فارساً، ومائة راجل[٦].

فجعل زهير بن القين في الميمنة، وحبيب بن مظاهر في الميسرة، وأعطى رايته العباس أخاه، وجعلوا البيوت في ظهورهم، وأمر بحطب وقصب كان من وراء البيوت أن يترك في خندقٍ كانوا قد حفروه هناك في ساعة من الليل، وأن يحرق بالنار مخافة أن يأتوهم من ورائهم فنفعهم ذلك.

وأصبح ابن سعد في ذلك اليوم، وهو يوم الجمعة أو يوم السبت، فعبّأ أصحابه، فجعل على ميمنته عمرو بن الحجاج، وعلى ميسرته شمر بن

---

(١) الإرشاد ٢: ٩٥، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣١٩ ـ ٣٢٠. وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٥٦، بحار الأنوار ٤٥: ٣. وفيهما اختلاف في يسير باللفظ.

(٣) لم نعثر على هذا القول في كتب المقاتل والتاريخ التي بين أيدينا. وقد ذكر المصنف هذه الأقوال في لواعج الأشجان: ١٢١ ـ ١٢٢.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦. وفيه اثنان وثمانون.

(٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٨ .

(٦) تذكرة الخواص: ٢٥١ .

الجوشن، وعلى الخيل عزرة بن قيس، وعلى الرجّالة شبث بن ربعي، وأعطى الراية دُريداً مولاه، وجعل على رَبع أهل المدينة عبدالله الأزدي، وعلى رَبع ربيعة وكندة قيس بن الأشعث، وعلى رَبع مذحج وأسد عبدالرحمن الجحفي، وعلى ربع تميم وهمدان الحر بن يزيد الرياحي.

وأمر الحسين عليه السلام بفسطاط ، فضرب وأمر بجفنة فيها مسك كثير، وجعل عندها نورة، ثم دخل ليطلي، فروي أنّ برير بن خضير الهمداني، وعبدالرحمن بن عبدربّه الأنصاري، وقفا على باب الفسطاط ليطليا بعده، فجعل برير يضاحك عبدالرحمن، فقال له عبدالرحمن : يا برير! ما هذه ساعة باطل. فقال برير: لقد علم قومي أنّي ما أحببت الباطل كهلاً ولا شاباً، وإنّما أفعل ذلك استبشاراً بما نصير إليه، فوالله ما هو إلّا أن نلقى هؤلاء القوم بأسيافنا نعالجهم بها ساعة، ثم نعانق الحور العين(١) .

ثم ركب الحسين عليه السلام دابته ودعا بمصحف فوضعه أمامه، وركب أصحاب عمر بن سعد، وأقبلوا يجولون حول بيوت الحسين عليه السلام ، فيرون الخندق في ظهورهم، والنار تضطرم في الحطب والقصب الذي كان أُلقي فيه، فنادى شمر بأعلى صوته : أتعجلت النار قبل يوم القيامة؟! فقال الحسين عليه السلام : «من هذا؟ كأنّه شمر» قالوا نعم، قال : «أنت أولى بها صلياً» ورام مسلم بن عوسجة أن يرميه بسهم، فمنعه الحسين عليه السلام من ذلك ، فقال : دعني حتى أرميه فإنّه الفاسق من أعداء الله، وعظماء الجبارين، وقد أمكن الله منه. فقال له الحسين عليه السلام : «لا ترمه فإنّي أكره أن أبدأهم بقتال»(٢) .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٢٠ ـ ٣٢١، الكامل في التاريخ ٤: ٥٩ ـ ٦٠ . وفيهما اختلاف يسير باللفظ، الإرشاد : ٩٥ ـ ٩٦ ولكنه لم يروِ آخر الرواية.

(٢) الإرشاد ٢: ٩٦، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٢١ ـ ٣٢٢، وفيهما تفاوت يسيرٍ باللفظ.

وأقبل رجل من عسكر ابن سعد يقال له: ابن أبي جويرية المزني، فلمّا رأى النار تتقد نادىٰ: يا حسين أبشروا بالنار فقد تعجلتموها في الدنيا، ثم برز تميم بن حصين الفزاري فنادىٰ: يا حسين، ويا أصحاب حسين، أما ترون ماء الفرات يلوح كأنّه بطون الحيات والله لا ذقتم منه قطرة، حتى تذوقوا الموت جرعاً[١].

ولما ركب أصحاب ابن سعد قُرّب الى الحسين عليه السلام فرسه فاستولى[٢] عليه ـ وكان اسم فرسه اليحموم ـ وتقدم نحو القوم في نفر من أصحابه، وبين يديه برير بن خضير، فقال له الحسين عليه السلام : «كلّم القوم» فتقدّم برير فقال : يا قوم اتّقوا الله فإنّ ثقل محمّد صلى الله عليه وآله قد أصبح بين أظهركم، هؤلاء ذرّيته وعترته وبناته وحرمه، فهاتوا ما عندكم وما الذي تريدون أن تصنعوه بهم ؟ فقالوا : نريد أن نمكن منهم الأمير ابن زياد، فيرىٰ رأيه فيهم. فقال لهم برير : أفلا تقبلون منهم أن يرجعوا الى المكان الذي جاءوا منه؟ ويلكم! أنسيتم كتبكم وعهودكم التي أعطيتموها وأشهدتم الله عليها، يا ويلكم دعوتم أهل بيت نبيّكم، وزعمتم أنكم تقتلون أنفسكم دونهم، حتى إذا أتوكم أسلمتموهم! وحَلّأتموهم عن ماء الفرات! بئس ما خلفتم نبيّكم في ذريّته، ما لكم؟! لا سقاكم الله يوم القيامة، فبئس القوم أنتم. فقال له نفر منهم : يا هذا ما ندري ما تقول! فقال : الحمد لله الذي زادني فيكم بصيرة اللهمّ إني ابرأ إليك من فعال هؤلاء القوم، اللهمّ ألقِ بأسهم بينهم، حتى يلقوك وأنت عليهم غضبان . فجعل القوم يرمونه بالسهام، فرجع الى ورائه، وتقدّم الحسين عليه السلام حتى وقف بأزاءِ

(١) أمالي الشيخ الصدوق ٢٢١ / ح٢٣٩، الثاقب في المناقب: ٣٤٠ ـ ٣٤١ / ح٢٨٥ ـ ٢٨٦. وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٢) في المصدر [فاستوى].

القوم، فجعل ينظر الى صفوفهم كأنّهم السيل، ونظر الى ابن سعد واقفاً في صناديد الكوفة، فقال: «الحمد لله الذي خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال، متصرّفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمغرور من غرّته، والشقي من فتنته، فلا تغرّنكم هذه الدنيا فإنّها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيّب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطتم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحلّ بكم نقمته، وجنّبكم رحمته، فنعم الربّ ربّنا، وبئس العبيد أنتم، أقررتم بالطاعة، وآمنتم بالرسول محمدﷺ، ثم إنّكم زحفتم الى ذرّيته وعترته تريدون قتلهم، لقد استحوذ عليكم الشيطان، فأنساكم ذكر الله العظيم، فتباً لكم ولما تريدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، هؤلاء قوم كفروا بعد إيمانهم فبعداً للقوم الظالمين».

فقال ابن سعد: ويلكم كلّموه فإنّه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر. فتقدّم شمر فقال: يا حسين ما هذا الذي تقول؟ أفهمنا حتى نفهم، فقال: «أقول اتقوا الله ربّكم ولا تقتلوني، فإنّه لا يحلّ لكم قتلي، ولا انتهاك حرمتي، فإنّي ابن بنت نبيّكم، وجدّتي خديجة زوجة نبيّكم، ولعله قد بلغكم قول نبيّكم: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»[١].

قال المفيد: ثم دعا الحسين عليه السلام براحلته فركبها، ونادى بأعلى صوته، وكلّهم أو جلّهم يسمعون فقال: «أيها الناس اسمعوا قولي ولا تعجلوا حتى أعظكم بما يحق لكم عليّ وحتى أعذر إليكم، فإن أعطيتموني النصف كنتم بذلك أسعد، وان لم تعطوني النصف من أنفسكم فاجمعوا أمركم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة، ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون، ﴿إنّ وليّي الله الذي نزّل الكتاب وهو يتولّى الصالحين﴾[٢].

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٥ ـ ٦، العوالم (الإمام الحسين): ٢٤٩ ـ ٢٥٠. ذكراه نقلاً عن محمد بن أبي طالب.

(٢) الأعراف: ١٩٦.

ثم حمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله وصلّى على النبيّ ﷺ وعلى ملائكته وأنبيائه، فلم يسمع متكلّم قط قبله ولا بعده أبلغ في منطق منه، ثم قال: «أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا؟ ثم ارجعوا الى أنفسكم وعاتبوها، فانظروا هل يصلح ويحلّ[١] لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟ ألست ابن بنت نبيّكم، وابن وصيّه وابن عمّه؟ وأوّل المؤمنين [بالله و][٢] المصدق برسول[٣] الله ﷺ [و][٤] بما جاء به من عند ربّه أوليس حمزة سيّد الشهداء عمّي؟ أوليس جعفر الطيّار في الجنة بجناحين عمّي؟ أولم يبلغكم ما قال رسول الله ﷺ لي ولأخي: هذان سيّدا شباب أهل الجنة؟! فإن صدقتموني بما أقول وهو الحقّ، والله ما تعمّدت كذباً مُذ علمت أنّ الله يمقت عليه أهله، وإن كذبتموني فإنّ فيكم [من إذا][٥] سألتموه عن ذلك أخبركم، سَلوا جابر بن عبدالله الأنصاري، وأبا سعيد الخدري، وسهل بن سعد الساعدي، وزيد بن أرقم، وأنس بن مالك، يخبروكم انهم سمعوا هذه المقالة من رسول الله ﷺ لي ولأخي، أما في هذا حاجز لكم عن سفك دمي؟!» فقال له شمر بن ذي‌الجوشن : هو يعبدُ الله على حرف إن كان يدري ما يقول[٦]. فقال له حبيب ابن مظاهر: والله إنّي لا أراك[٧] تعبد الله على سبعين حرفاً، وأنا أشهد أنّك صادقٌ ما تدري ما يقول ، قد طبع الله على قلبك .

ثم قال لهم الحسين عليه السلام : «فإن كنتم في شكٍّ من هذا، أفتشكّون في أنّي ابن بنت نبيّكم، فوالله ما بين المشرق والمغرب ابن بنت نبيّ غيري فيكم ولا في غيركم، ويحكم!

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) ليست في المصدر.

(٣) في المصدر [لرسول].

(٤) ليست في المصدر.

(٥) في المصدر [مَن لو].

(٦) في النسخ المطبوعة للأعيان ولواعج الأشجان: (ما تقول). والصحيح: (ما يقول) كما في تاريخ الطبري .

(٧) في المصدر [لأراك].

أتطلبوني بقتيل منكم قتلته؟ أو مال لكم استهلكته؟ أو بقصاص من جراحة؟!».

فأخذوا لا يُكلّمونه، فنادى: «يا شبث بن ربعي، ويا حجّار بن أبجر، ويا قيس بن الأشعث، ويا يزيد بن الحارث، ألم تكتبوا إليّ أن قد أينعت الثمار [واخضرّت الجنان][(١)] وإنّما تقدم على جند لك مجنّدة؟!» فقال له قيس بن الأشعث: ما ندري ما تقول، ولكن انزل على حكم بني عمّك، فإنّهم لن يروك إلّا ما تحب. فقال له الحسين عليه السلام: «لا والله لا أُعطيكم بيدي إعطاء الذليل، ولا أفرّ فرار العبيد، أو «لا أقرّ إقرار العبيد» ثم نادى: «يا عباد الله ﴿إنّي عذت بربّي وربّكم أن تُرجمون﴾[(٢)] ﴿أعوذ بربّي وربّكم من كل متكبّر لا يؤمن بيوم الحساب﴾[(٣)] ثم إنّه أناخ راحلته، وأمر عقبة بن سمعان فعقلها، فأقبلوا يزحفون نحوه[(٤)].

وقال غير المفيد: أنّه عليه السلام ركب ناقته، أو فرسه، وخرج الى الناس فاستنصتهم، فأبوا أن ينصتوا، حتى قال: «ويلكم! ما عليكم أن تنصتوا لي، فتسمعوا قولي، وإنّما أدعوكم الى سبيل الرشاد، فمن أطاعني كان من المرشدين، ومن عصاني كان من المهلكين، وكلكم عاص لأمري، غير مستمع قولي، فقد مُلئت بطونكم من الحرام، وطُبع على قلوبكم، ويلكم ألا تنصتون؟! ألا تسمعون؟!».

فتلاوم أصحاب عمر بن سعد بينهم وقالوا: انصتوا له فحمد الله وأثنى عليه وذكره بما هو أهله وصلّى على محمّد صلى الله عليه وآله وعلى الملائكة والأنبياء والرسل وأبلغ في المقال ثم قال: «تبّاً[(٥)] لكم أيّتها الجماعة وترحاً[(٦)]، حين استصرختمونا

(١) في المصدر [واخضرّ الجَنابُ].

(٢) الدخان: ٢٠.

(٣) غافر: ٢٧.

(٤) الإرشاد ٢: ٩٧ ـ ٩٩.

(٥) التب: الهلاك.

(٦) الترح: الهمّ.

والهين[١]، فأصرخناكم موجفين[٢]، سللتم علينا سيفاً لنا في أيمانكم، وحششتم[٣] علينا ناراً قدحناها[٤] على عدوّكم وعدوّنا، فأصبحتم إلباً[٥] على أوليائكم، ويداً عليهم لأعدائكم، بغير عدلٍ أفشوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، إلّا الحرام من الدنيا أنالوكم، وخسيس عيش طمعتم فيه من غير حدث منّا، ولا رأي تفيل[٦] لنا، فهلّا لكم الويلات إذ كرهتمونا وتركتمونا، تجهزتموها والسيف مشيم[٧] والجأش طامن[٨]، والرأي لما يستحصف[٩]، ولكن اسرعتم إليها كطيرة الدّبا[١٠]، وتداعيتم إليها كتداعي الفراش، فسحقاً لكم يا عبيد الأمّة وشُذّاذ الأحزاب، ونبذة الكتاب، ونفثة الشيطان، وعصبة الآثام، ومحرّفي الكتاب، ومطفئي السُنن، وقتلة أولاد الأنبياء، ومبيدي عترة الأوصياء، وملحقي العهار بالنسب، ومؤذي المؤمنين، وصراخ أئمة المستهزئين، ﴿الذين جعلوا القرآن عِضين﴾ و﴿لبئس ما قدّمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون﴾[١١] وأنتم، ابن حرب وأشياعه تعضدون، وعنّا تخاذلون، أجل! والله الخذل فيكم معروف، وشجت عليه أصولكم، وتأزّرت عليه فروعكم، وثبتت عليه قلوبكم، وغُشيت صدوركم، فكنتم أخبث ثمر شجي للناظر وأكلة للغاصب، ألا لعنة الله على الناكثين الذين ينقضون الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً، فأنتم والله

---

(١) الوله: الحزن.
(٢) وجيف الفرس عدوّه.
(٣) أوقدتم.
(٤) أججناها.
(٥) مجتمعين.
(٦) ضعيف أو خطأ.
(٧) معمد لم يُشهر.
(٨) مطمئن.
(٩) في لواعج الأشجان: لما يستحف أي يستحكم.
(١٠) الجراد قبل أن يطير.
(١١) المائدة: ٨٠

هم، ألا وإنّ الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلّة، والذلّة، وهيهات منّا الذلّة، يأبى الله ذلك لنا، ورسوله والمؤمنون، وجدود طابت، وحجور طهُرت، وأنوف حمية، ونفوس أبيّة، لا تؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام، ألا قد أعذرت وأنذرت، ألا وإنّي زاحف بهذه الأُسرة مع قلة العدد وكثرة العدوّ وخذلان النصر[1]»، ثم وصل عليه السلام كلامه بأبيات فروة بن مسيك المرادي فقال:

فإن نهزم فهزّامون قُدماً ... وإن نغلب فغير مغلّبينا
وما أن طِبّنا[2] جُبنٌ ولكن ... منايانا ودولة آخرينا
فأفنى ذلكم سروات قومي ... كما أفنى القرون الأوّلينا
فلو خلد الملوك إذاً خلدنا ... ولو بقي الكرام إذاً بقينا
فقل للشامتين بنا أفيقوا ... سيلقى الشامتون كما لقينا

ثم قال: «أما والله لا تلبثون بعدها إلّا كريث ما يركب الفرس حتى تدور بكم دور الرحى، وتقلق بكم قلق المحور، ﴿فأجمعوا أمركم وشركاءكم، ثم لا يكن أمركم عليكم غمّة ثم اقضوا إليّ ولا تنظرون﴾[3] ﴿إني توكلت على الله ربّي وربّكم ما من دابّة إلّا هو آخذ بناصيتها إنّ ربّي على صراط مستقيم[4]﴾[5].

وخرج زهير بن القين على فرس له ذنوب، شاك في السلاح فوعظهم فسبّوه، وأثنوا على ابن زياد، فقال لهم: يا عباد الله إنّ ولد فاطمة أحقّ بالود والنصر من ابن سميّة، فإن كنتم لم تنصروهم، فأعيذكم بالله أن تقتلوهم. فرماه

---

(١) [الناصر].

(٢) عادتنا.

(٣) يونس: ٧١.

(٤) هود: ٥٦.

(٥) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٨ ـ ١٠، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٥ ـ ١٥٧، مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٣٩ ـ ٤١، بحار الأنوار ٤٥: ٨ ـ ١٠. وقد جمع المصنف بين رواياتهم بتفاوت واختلاف يسير باللفظ.

شمر بسهم وتسابّا، وقال له شمر : إنّ الله قاتلك وصاحبك عن ساعة، قال: أفبالموت تخوّفني؟! والله للموت أحبّ إليّ من الخلد معكم، فأمره الحسين فرجع[1].

ولما رأى الحرّ بن يزيد أنّ القوم قد صمّموا على قتال الحسين عليه السلام، قال لعمر بن سعد : أمقاتل أنت هذا الرجل؟ قال : إي والله قتالاً أيسره أن تسقط الرؤوس وتطيح الأيدي. قال : فما لكم فيما عرضه عليكم رضىً؟ قال : أما لو كان الأمر إليّ لفعلت، ولكن أميرك قد أبى .

فأقبل الحرّ حتى وقف من الناس موقفاً، ومعه رجل من قومه، يقال له: قرّة ابن قيس، فقال له : يا قرّة هل سقيت فرسك اليوم؟ قال: لا، قال: فما تريد أن تسقيه؟ قال قرة: فظننت والله أنه يريد أن يتنحّى فلا يشهد القتال، فكره أن أراه حين يصنع ذلك، فقلت له : لم أسقه وأنا منطلق فأسقيه ، فاعتزلت ذلك المكان الذي كان فيه، فوالله لو أطلعني على الذي يريد لخرجت معه الى الحسين عليه السلام؛ فأخذ الحر يدنو من الحسين عليه السلام قليلاً قليلاً، فقال له المهاجر بن أوس: ما تريد يا ابن يزيد؟ أتريد أن تحمل؟ فلم يجبه وأخذه مثل الأفكل ـ وهي الرعدة ـ فقال له المهاجر : إن أمرك لمريب، والله ما رأيت منك في موقف قطّ مثل هذا، ولو قيل لي: من أشجع أهل الكوفة؟ ما عَدوْتُك، فما هذا الذي أرى منك؟! فقال الحر: إنّي والله أُخيّر نفسي بين الجنّة والنار، فوالله إنّي لا أختار على الجنة شيئاً ولو قُطّعت وحرقت .

ثم ضرب فرسه قاصداً الى الحسين عليه السلام ويده على رأسه وهو يقول: اللهمّ إليك أُنيب فتبْ عليّ، فقد أرعبت قلوب أوليائك وأولاد بنت نبيّك .

---

(١) وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٠٩ ـ ٢١٣، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٢٣ ـ ٣٢٤ . باختلاف يسير واختصار.

وقال للحسين عليه السلام : جعلت فداك يا بن رسول الله أنا صاحبك الذي حبستك عن الرجوع، وسايرتك في الطريق، وجعجعت بك الى هذا المكان، وما ظننت أنّ القوم يردُّون عليك ما عرضته عليهم، ولا يبلغون منك هذه المنزلة، والله لو علمت أنهم ينتهون بك الى ما أرىٰ ما ركبت مثل الذي ركبت، وإنّي قد جئتك تائباً مما كان منّي الى ربّي مواسياً لك بنفسي، حتى أموت بين يديك، فهل ترى لي من توبة ؟ فقال الحسين عليه السلام: «نعم يتوب الله عليك فانزل»، قال: أنا لك فارساً خير منّي راجلاً، أُقاتلهم على فرسي ساعة والى النزول يصير آخر أمري، فقال له الحسين عليه السلام : «فاصنع يرحمك الله ما بدا لك»، فاستقدم أمام الحسين عليه السلام ، ونادى أهل الكوفة ووعظهم وأنّبهم، فحمل عليه رجال يرمونه بالنبل فرجع حتى وقف أمام الحسين عليه السلام(١).

ونادى عمر بن سعد: يا دُريد! أدنِ رايتك، فأدناها ثم وضع سهماً في كبد قوسه، فرمى به نحو عسكر الحسين عليه السلام ، وقال: اشهدوا لي عند الأمير إنّي أوّل من رمى. وأقبلت السهام من القوم كأنّها القطر. فلم يبق من أصحاب الحسين عليه السلام أحد إلّا أصابه من سهامهم، فقال عليه السلام لأصحابه : «قوموا رحمكم الله الى الموت الذي لابدّ منه، فإنّ هذه السهام رسل القوم إليكم»، فاقتتلوا ساعة من النهار حملةً وحملة، حتى قتل من أصحاب الحسين عليه السلام جماعة(٢).

ثم صاح الحسين عليه السلام : «أما من مغيث يغيثنا لوجه الله أما من ذابٍ يذبّ عن حرم

---

(١) الإرشاد ٢: ٩٩ ـ ١٠١، وقعة الطف لأبي مخنف: ٢١٣ ـ ٢١٦، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٩ ـ ١٦٠ وقد جمع المصنف بين رواياتهم بتفاوت واختصار.

(٢) الإرشاد ٢: ١٠١، مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١١، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٨ . وفيهما اختلاف واختصار باللفظ.

رسول الله ﷺ؟»[١].

وكان يزيد بن زياد بن مهاصر الكندي ـ ويكنى أبا الشعثاء ـ في أصحاب ابن سعد، فلما ردّوا على الحسين عليه السلام ما عرضه عليهم عدل إليه فقاتل بين يديه وجعل يرتجز ويقول:

أنا يزيد وأبي مهاصر أشجع من ليث بغيل خادر
يا ربّ إنّي للحسين ناصر ولابن سعد تارك وهاجر

وجثا بين يدي الحسين عليه السلام، فرمى بمائة سهم ما سقط منها خمسة أسهم، وكان رامياً وكلّما رمى يقول له الحسين عليه السلام: «اللهمّ سدّد رميته واجعل ثوابه الجنة» فقتل خمسة من أصحاب عمر بالنشاب، وكان أوّل من قتل[٢].

ثم ارتمى الناس وتبارزوا ـ فكان أصحاب الحسين عليه السلام كما قيل فيهم:

قوم إذا نودوا لدفع ملمّة والخيل بين مدعس ومكردس
لبسوا القلوب على الدروع وأقبلوا يتهافتون على ذهاب الأنفس

فبرز يسار مولى زياد، وسالم مولى عبيد الله بن زياد، وقالا: مَن يبارز؟ فقام عبدالله بن عمير بن جناب الكلبي فاستأذن الحسين عليه السلام في مبارزتهما، وكان طويلاً بعيد ما بين المنكبين، فنظر إليه الحسين عليه السلام، وقال: «إنّي أحسبه للأقران قتالاً»[٣] وأذن له ـ وكان قد خرج من الكوفة ليلاً ومعه امرأته أمّ وهب الى الحسين عليه السلام، لأنّه لما رأى العساكر تعرض بالنخيلة، لتسير الى حرب الحسين، قال: والله لقد كنت على جهاد أهل الشرك حريصاً، وإنّي لأرجو أن لا يكون جهاد هؤلاء الذين يغزون ابن بنت نبيهم أقلّ ثواباً عند الله من جهاد

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٥٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٢.
(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٣٩ ـ ٣٤٠ بتقديم وتأخير واختصار.
(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٦.

المشركين. فأخبر زوجته، فقالت: أصبت أخرج. وأخرجني معك ـ فشدّ على يسار فضربه بسيفه حتى برد ـ وهو أوّل من قتل من أصحاب ابن سعد ـ فإنه لمشتغل بضربه إذ شدّ عليه سالم مولى عبيد الله، فصاحوا به: قد رهقك العبد. فلم يعبأ به حتى غشيه فبدره بضربة اتّقاها ابن عمير بيده اليسرى، فأطارت أصابع كفه، ثم شد عليه ابن عمير فضربه حتى قتله، فرجع وقد قتلهما جميعاً، وهو يرتجز ويقول[١]:

حسبي بيتي في عليم حسبي إنّي امرؤ ذو مرة وعصب[٢]
ولست بالخوّار عند النكب إنّي زعيم لك أمّ وهب
بالطعن فيهم صادقاً والضرب ضرب غلام مؤمن بالربّ

فأخذت امرأته أمّ وهب عمود خيمة، وأقبلت نحو زوجها تقول له :فداك أبي وأمّي قاتل دون الطيّبين، ذريّة محمّد، فأقبل إليها يردّها نحو النساء، فأخذت بجانب ثوبه، ثم قالت : إنّي لن أدعك دون أن أموت معك، فناداها الحسين عليه السلام: «جزيتم من أهل بيت خيراً ارجعي رحمك الله الى النساء فاجلسي معهن فإنّه ليس على النساء قتال» فانصرفت إليهن[٣].

ثم قاتل زوجها قتالاً شديداً حتى قتل رجلين آخرين، فقتله هانيء بن ثبيت الحضرمي، وبكير بن حي التيمي[٤] .

وخرجت امرأته فجلست عند رأسه تمسح التراب عن وجهه، وتقول:

---

(١) وبداية الرجز كما في لواجع الأشجان وغيره من المصار هكذا:
إن تنكروني فأنا ابن كلب

(٢) العصب: بالصاد المهملة وبالضاد المعجمة: الطعن والضراب. منه قدس سره

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٢٦ ـ ٣٢٧ وفيه تقديم وتأخير .

(٤) في لواعج الأشجان: التميمي.

هنيئاً لك الجنّة فأمر شمر غلاماً له يقال له : رستم، فضرب رأسها بالعمود فماتت مكانها(١) .

وبرز عمر بن خالد الصيداوي، فقال له الحسين عليه السلام : «تقدّم فإنّا لاحقون بك عن ساعة»، فحمل هو وسعد مولاه، وجبار بن الحارث السلماني، ومجمع بن عبيدالله العائذي، فأوغلوا في أصحاب عمر بن سعد، فعطف عليهم أصحاب ابن سعد، فقطعوهم عن أصحابهم، فحمل العباس بن علي عليه السلام فاستنقذهم وقد جرحوا، ثم حملوا فقاتلوا حتى قتلوا في مكان واحد(٢).

وحمل عمرو بن الحجاج، على ميمنة أصحاب الحسين فيمن كان معه من أهل الكوفة، فلمّا دنا من أصحاب الحسين عليه السلام ، جثوا له على الركب، وأشرعوا الرماح نحوهم، فلم تقدم خيلهم على الرماح، فذهبت الخيل ترجع، فرشقهم أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل فصرعوا منهم رجالاً وجرحوا آخرين، وجاء رجل من بني تميم يقال له : عبدالله بن حوزة، فقال : يا حسين أبشر بالنار! فقال له الحسين عليه السلام : «كذبت، بل أقدم على ربٍّ رحيم وشفيع مطاع»، ثم رفع الحسين عليه السلام يديه فقال : «اللهمّ حُزه الى النار!» فاضطرب به فرسه في جدول فوقع وتعلقت رجله اليسرى بالركاب، وارتفعت اليمنى، فشدّ عليه مسلم بن عوسجة فضرب رجله اليمنى فطارت، وعدا به فرسه يضرب رأسه بكلّ حجر ومدر(٣) حتى مات، وعجل الله بروحه الى النار(٤) .

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٣٢ و٣٣٣ ـ ٣٣٤. وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٣ ـ ١٦٤، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤٠، الكامل في التاريخ ٤: ٧٤ . وقد جمع المصنف بين رواياتهم بتفاوت واختصار.

(٣) في المصدر [وكل شجر] .

(٤) الإرشاد ٢: ١٠٢.

وكان مسروق بن وائل الحضرمي قد خرج مع ابن سعد، وقال: لَعلّي أُصيب رأس الحسين، فأُصيب به منزلة عند ابن زياد، فلما رأى ما صُنع بابن حوزة بدعاء الحسين عليه السلام، رجع وقال: لقد رأيت من أهل هذا البيت عليهم السلام شيئاً لا أُقاتلهم أبداً[١].

ونشب القتال فخرج برير بن خضير الهمداني ـ وكان زاهداً عابداً، وكان أقرأ أهل زمانه، وكان يقال له: سيّد القرّاء، وهو يقول:

أنـــا بـــرير وأبـــي خُـــضير لا خـــير فـــيمن ليس فـــيه خـير

فخرج إليه يزيد بن معقل، فقال له برير: هلمّ أباهلك، ولندع الله أن يلعن الكاذب منّا، وأن يقتل المحق منا المبطل، فتباهلا ثم تبارزا، فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بريراً ضربة خفيفة فلم يضره شيئاً، وضربه برير ضربة قدّت المغفر ووصلت الى دماغه فسقط، فحمل كعب بن جابر الأزدي على برير وطعنه بالرمح في ظهره، وضربه بسيفه حتى قتله رضوان الله عليه.

وفي بعض الروايات: أنّ بريراً قتل ثلاثين رجلاً[٢]. فلمّا رجع كعب بن جابر، قالت له امرأته: أعنت على ابن فاطمة، وقتلت بريراً سيّد القرّاء لا أكلّمك أبداً[٣].

ثمّ برز وهب بن حباب الكلبي[٤]، وكانت معه أُمّه وزوجته، فقالت أُمّه:

(١) الكامل في التاريخ ٤: ٦٦.

(٢) بحار الأنوار ٤٥: ١٥، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ٢٥٩.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٢٨ ـ ٣٢٩، الكامل في التاريخ ٤: ٦٦ ـ ٦٧. ولم يذكر الرجز، وذكره الشيخ الصدوق في الأمالي: ٢٢٤ /ح٢٣٩.

(٤) هذا ذكره ابن طاووس، ولم يذكره الطبري، وابن الأثير، والمفيد. وقد بيّنا في حاشية لواعج الأشجان وقوع خلط من المؤرّخين، بين قصة عبدالله بن جناب الكلبي المتقدمة، وقصة وهب هذا. والصواب ما ذكرناه هنا، ويحتمل كونهما رجلاً واحداً، وإنّ وهب تصحيف أبو وهب، وحباب تصحيف جناب. منه رحمه الله.

قم يا بني! فانصر ابن بنت رسول الله ﷺ، فقال: أفعل يا أُمّاه! ولا أُقصر، فبرز وهو يقول[١]:

سوف تروني وترون ضربي   وحملتي وصولتي في الحرب
أدرك ثأري بعد ثأر صحبي   وأدفع الكرب أمام الكرب
ليس جهادي في الوغى باللعب

ثم حمل ولم يزل يقاتل حتى قتل جماعة، ثم رجع الى امرأته وأُمّه وقال: يا أُمّاه! أرضيت؟ فقالت: ما رضيت حتى تقتل بين يدي الحسين عليه السلام، فقالت امرأته: بالله عليك لا تفجعني بنفسك. فقالت له أُمّه: يا بني اعزب عن قولها، وارجع فقاتل بين يدي ابن بنت نبيّك، تنل شفاعة جدّه يوم القيامة. فرجع فلم يزل يقاتل حتى قطعت يداه، ثم قُتل رضوان الله عليه[٢].

وقال الحرّ للحسين عليه السلام: فإذا كنت أوّل من خرج عليك، فائذن لي أن أكون أوّل قتيل بين يديك[٣]، لَعلّي أن أكون ممن يصافح جدّك محمّداً ﷺ غداً في القيامة، فحمل على أصحاب عمر بن سعد، وهو يتمثّل بقول عنترة:

ما زلت أرميهم بغرّة وجهه   ولبانه حتى تسربل بالدم

ثم جعل يرتجز ويقول:

إنّي أنا الحرّ ومأوى الضيف   أضرب في أعراضكم بالسيف
عن خير من حلّ بأرض الخيف   أضربكم ولا أرى من حيف

---

(١) وقد بدأ الرجز ـ كما في لواعج الأشجان ـ بقوله: إن تنكروني فأنا ابن الكلبي.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦١. باختصار، ولم يذكر الرجز، وانظر الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ٢: ١٥ ـ ١٦، والمجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ١٦ ـ ١٧ وفيهما تفاوت باللفظ.

(٣) مقتضى الروايات أنه قتل جماعة قبل الحر، وهو المستفاد من تأريخ ابن الأثير، فلذلك حمل على أنّ المراد أوّل قتيل من المبارزين، ويمكن كون الحرّ أوّل المقتولين، وعدم صحة ما دلّ على خلاف ذلك، كما لعلّه يفهم من إرشاد المفيد، فإنه لم يذكر أنّ أحداً تقدم الحرّ، سوى أنّ مسلم بن عوسجة صرع قبله. منه قدس سره.

وقاتل قتالاً شديداً وقال:

إنّــــي أنــــا الحــــرّ ونــجل الحــرّ أشـــجع مـــن ذي لبـــد هـــزبر
ولست بـــالجبان عـــند الكـــر لكـــنّني الوقّـــاف عـــند الفـــرّ

وجعل يضربهم بسيفه حتى قتل نيفاً وأربعين رجلاً، وكان يحمل هو وزهير بن القين، فاذا حمل أحدهما وغاص فيهم، حمل الآخر حتى يخلصه، ففعلا ذلك ساعة، ثم حملت الرجّالة على الحر وتكاثروا عليه فقتلوه، فاحتمله أصحاب الحسين عليه السلام حتى وضعوه بين يدي الحسين عليه السلام ، وبه رمق فجعل يمسح التراب عن وجهه ، ويقول: «أنت الحرّ كما سمّتك أُمّك»[١] .

وخرج من أصحاب الحسين عليه السلام نافع بن هلال الجملي فقاتل قتالاً شديداً وجعل يقول:

أنـــا ابـــن هـــلال الجـــملي أنـــــا عـــلى ديـــن عـــليّ
ودينه دين النبيّ

فبرز إليه رجل يقال له : مزاحم بن حريث فحمل عليه نافع فقتله. وكان قد كتب اسمه على فوق نبله وكانت مسمومة فقتل بها اثني عشر أو ثلاثة عشر رجلاً سوى من جرح.

فلم يزل يرميهم حتى فنيت سهامه ثم ضرب يده الى سيفه وجعل يقول:

أنـــا الغـــلام اليـــمني الجـــملي ديـنى عــلى ديـن حسـين وعـليّ
أضـــربكم ضـــرب غـــلام بـطل إن أُقـــتل اليـــوم فـــهذا أمـــلي
فذاك رأيي وأُلاقي عملي

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٣ ـ ١٤، بحار الأنوار ٤٥: ١٣ ـ ١٤ نقلاً عن محمد بن أبي طالب بتفاوت يسير. ولم يذكرا بيت الشعر الذي استشهد به. وقد ذكره الطبري في تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٣٠ وذكر باقي القصة في ص٣٣٣ و٣٣٦ وفيه اختلاف باللفظ .

فكسروا عضديه وأُخذ أسيراً، فأخذه شمر وأتى به الى ابن سعد، فقال له ابن سعد: ويحك يا نافع! ما حملك على ما صنعت بنفسك؟ قال : إن ربّي يعلم ما أردت؛ والدماء تسيل على وجهه ولحيته، وهو يقول : لقد قتلت منكم اثني‌عشر رجلاً سوى من جرحت، ولو بقيت لي عضد وساعد ما أسرتموني! فانتضى شمر سيفه ليقتله، فقال له نافع : والله لو كنت من المسلمين لعظم عليك أن تلقى الله بدمائنا، فالحمد لله الذي جعل منايانا على يدي شرار خلقه. فقتله شمر[١].

وخرج عمرو بن قرظة الأنصاري، فاستأذن الحسين عليه السلام، فأذن له فبرز وهو يرتجز ويقول:

قد علمت كتيبة الأنصار أنّي سأحمي حوزة الذمار
ضرب غلام غير نكس شاري دون حسين مهجتي وداري[٢]

فقاتل قتال المشتاقين الى الجزاء وبالغ في خدمة سلطان السماء حتى قتل جمعاً كثيراً من حزب ابن زياد، وجمع بين سداد وجهاد، وكان لا يأتي الى الحسين عليه السلام سهم إلّا اتّقاه بيده، ولا سيف إلّا تلقّاه بمهجته، فلم يكن يصل الى الحسين عليه السلام سوء حتى أثخن بالجراح فالتفت الى الحسين عليه السلام، وقال : يابن رسول الله أوفيت ؟ قال : «نعم أنت أمامي في الجنّة فاقرأ رسول الله صلى الله عليه وآله عنّي السلام وأعلمه أنّي في الأثر» فقاتل حتى قتل رضوان الله عليه[٣].

---

(١) الإرشاد ٢: ١٠٣، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٢٦ ـ ٣٢٧، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٨ و ٢٤ ـ ٢٥، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ١٩٩ ـ ٢٠٠، بحار الأنوار ٤٥: ١٩، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ٢٦٢. وقد جمع المصنف بين رواياتهم باختلاف واختصار.

(٢) قال ابن نما عليه الرحمة: قوله: وداري. إشارة الى عمر بن سعد لمّا إلتمس منه الحسين عليه السلام المهادنة. فقال: تهدم داري. انتهى. وهو استنباط حسن، مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٤٥.

(٣) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٤٥. وفيه تفاوت يسير باللفظ. وأورده السيّد ابن طاووس في الملهوف: ١٦٢ ولم يذكر الرجز.

وبرز جون مولى أبي ذر الغفاري ـ وكان عبداً أسود ـ فقال له الحسين عليه السلام : «أنت في إذنٍ منّي فإنّما تبعتنا للعافية، فلا تبتلِ بطريقتنا» فقال : يا ابن رسول الله أنا في الرخاء ألحس قصاعكم، وفي الشدّة أخذلكم، والله أنّ ريحي لنتن وإن حسبي للئيم، وأن لوني لأسود، فتنفس عليَّ بالجنّة فيطيب ريحي، ويشرف حسبي، ويبيض وجهي، لا والله لا أُفارقكم حتى يختلط هذا الدم الأسود مع دمائكم، ثم برز وهو يقول:

كيف ترى الكفار ضرب الأسود ... بالسيف ضرباً عن بني محمّد

أذبّ عنهم باللسان واليد ... أرجو به الجنّة يوم المورد

ثم قاتل حتى قتل فوقف عليه الحسين عليه السلام ، فقال : «اللهمّ بيض وجهه، وطيّب ريحه، واحشره مع الأبرار، وعرّف بينه وبين محمّد وآل محمّد صلى الله عليه وآله»[(١)] .

وبرز عمرو بن خالد الصيداوي، فقال للحسين عليه السلام : يا أبا عبدالله قد هممت أن ألحق بأصحابي، وكرهت أن أتخلّف وأراك وحيداً من أهلك قتيلاً. فقال له الحسين عليه السلام: «تقدم فإنّا لاحقون بك عن ساعة» فتقدّم فقاتل حتى قُتل[(٢)] .

وجاء حنظلة بن أسعد الشبامي، فوقف بين يدي الحسين عليه السلام يقيه السهام والرماح والسيوف بوجهه ونحره . فما أحقّه بقول عرقلة بن حسان الدمشقي:

ويردّ صدر السمهريّ بصدره ... ماذا يؤثر ذابل في يذبل

وكأنّه والمشرفيّ بكفّه ... بحر يكر على الكماة بجدول[(٣)]

وأخذ ينادي : ﴿ يَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُم مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ * مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٣ ، بحار الأنوار ٤٥: ٢٢ ـ ٢٣ نقلاً عن محمد بن أبي طالب وقد جمع المصنف بين الروايتين بتفاوت يسير باللفظ.

(٢) المصدر السابق: ١٦٣ ـ ١٦٤ .

(٣) ذكر البيتين ابن نما الحلّي في مثير الأحزان: ٤٣، وقد ذكره في حقّ أبو عمر النهشلي أو الخثعمي.

وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلْعِبَادِ* وَيَاقَوْمِ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ* يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ﴾[1] يا قوم لا تقتلوا حسيناً ﴿فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ ٱفْتَرَىٰ﴾[2].

فقال له الحسين عليه السلام: «يا ابن أسعد رحمك الله، إنّهم قد استوجبوا العذاب حين ردّوا عليك ما دعوتهم إليه من الحقّ، ونهضوا إليك يشتمونك وأصحابك، فكيف بهم الآن وقد قتلوا إخوانك الصالحين» قال: صدقت جعلت فداك، أفلا نروح الى ربّنا ونلحق بإخواننا؟ قال: «بلى رُح الى ما هو لك خير من الدنيا وما فيها، والى ملك لا يبلى» فقال: السلام عليك يا ابن رسول الله صلى الله عليك وعلى أهل بيتك، وعرّف بيننا وبينك في الجنة. فقال الحسين عليه السلام: «آمين آمين» وتقدم فقاتل قتالاً شديداً فحملوا عليه فقتلوه[3].

وبرز مسلم بن عوسجة وهو يرتجز ويقول:

إن تسألوا عنّي فإنّي ذو لبد   من فرع قوم من ذرى بني أسد
فمن بغانا حائد عن الرشد   وكافر بدين جبّار صمد

فقاتل قتالاً شديداً وصاح عمرو بن الحجاج بالناس: يا حمقاء أتدرون من تقاتلون؟ تقاتلون فرسان أهل المصر، وأهل البصائر وقوماً مستميتين، لا يبرز إليهم منكم واحد، والله لو لم ترموهم إلّا بالحجارة لقتلتموهم، فقال ابن سعد: صدقت ثم أرسل الى الناس من يعزم عليهم: أن لا يبارز رجل منكم، رجلاً منهم.

---

(١) غافر: ٣٠ ـ ٣٣.

(٢) طه: ٦١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٣٧ ـ ٣٣٨ وفيه اختلاف يسير باللفظ، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢٨ ـ ٢٩. وذكر الرواية السيد ابن طاووس في الملهوف: ١٦٤ ـ ١٦٥ باختصار.

ثم حمل عمرو بن الحجاج في أصحابه على الحسين عليه السلام من نحو الفرات، فاضطربوا ساعة فصرع مسلم بن عوسجة الأسدي رحمة الله عليه، وبقي به رمق، وانصرف عمرو بن الحجاج وأصحابه.

وانقطعت الغبرة فإذا مسلم صريع، فمشى إليه الحسين عليه السلام، ومعه حبيب بن مظاهر، فقال الحسين عليه السلام : رحمك الله يا مسلم ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1] ودنا منه حبيب بن مظاهر فقال: عزّ عليَّ مصرعك يا مسلم! أبشر بالجنّة، فقال له مسلم قولاً ضعيفاً: بشّرك الله بخير، ثم قال له حبيب: لو لا أنّي أعلم إنّي في الأثر من ساعتي هذه لأحببت أن توصيني بكل ما أهمّك، فقال له مسلم: فإنّي أُوصيك بهذا، وأشار الى الحسين عليه السلام، فقاتل دونه حتى تموت، فقال له حبيب لأنعمنك عيناً، ثم مات رضوان الله عليه، وصاحت جارية له : يا سيداه! يا ابن عوسجتاه! فنادىٰ أصحاب ابن سعد مستبشرين، قتلنا مسلم بن عوسجة، فقال شبث بن ربعي: ثكلتكم أُمهاتكم! أما إنكم تقتلون أنفسكم بأيديكم، وتذلّون أنفسكم لغيركم، أتفرحون بقتل مسلم بن عوسجة؟ والذي أسلمت له لربّ موقف له في المسلمين كريم، لقد رأيته يوم آذربايجان قتل ستة من المشركين قبل أن تلتئم[2] خيول المسلمين[3].

ثم تراجع القوم الى الحسين عليه السلام فحمل شمر في الميسرة على ميسرة أصحاب الحسين عليه السلام، فثبتوا له وطاعنوه، وحملوا على الحسين عليه السلام وأصحابه من كل جانب، وقاتلهم أصحاب الحسين عليه السلام قتالاً شديداً، فأخذت خيلهم

---

(١) الأحزاب: ٢٣.

(٢) في جملة من المقاتل: قبل تمام خيول المسلمين.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٣١ ـ ٣٣٢، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٧ ـ ١٩.

تحمل وإنّما هي اثنان وثلاثون فارساً، فلا تحمل على جانب من خيل الأعداء إلّا كشفته فلمّا رأى ذلك عزرة[1] بن قيس، وهو على الخيل بعث الى ابن سعد: أما ترى ما تلقى خيلي هذا اليوم من هذه العدة اليسيرة؟ ابعث إليهم الرجال والرماة.

وقاتل أصحاب الحسين عليه السلام القوم أشد قتال خلقه الله، حتى انتصف النهار؛ فبعث ابن سعد الحصين بن تميم[2] في خمسمائة من الرماة، فاقتتلوا حتى دنوا من الحسين عليه السلام وأصحابه، فلما رأوا صبر أصحاب الحسين عليه السلام ، تقدم الحصين الى أصحابه أن يرشقوا أصحاب الحسين عليه السلام بالنبل، فرشقوهم، فلم يلبثوا أن عقروا خيولهم وجرحوا الرجال، وبقي الحسين عليه السلام وليس معه فارس.

وحمل شمر بن ذي الجوشن في أصحابه على أصحاب الحسين عليه السلام ، فحمل عليهم زهير بن القين في عشرة رجال من أصحاب الحسين عليه السلام، فكشفوهم عن البيوت وقتلوا منهم، وعطف عليهم شمر فقتل منهم، وردّ الباقين الى مواضعهم؛ وكان يقتل من أصحاب الحسين عليه السلام الواحد والاثنان، فيبين ذلك فيهم لقلّتهم، ويقتل من أصحاب ابن سعد العشرة، فلا يبين ذلك فيهم لكثرتهم[3].

وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين عليه السلام فطعنه بالرمح، ونادى: عليَّ بالنار حتى أُحرق هذا البيت على أهله. فصاحت النساء وخرجن، وصاح

---

(١) في المصدر [عروة].

(٢) في الإرشاد نُمير ٢: ١٠٤.

(٣) الإرشاد ٢: ١٠٤ ـ ١٠٥، وفيه اختلاف يسير باللفظ، الكامل في التاريخ ٤: ٦٨ ـ ٧٠ بتفاوت يسير. وقد مع المصنف بين روايتيهم.

الحسين: «أنت تحرق بيتي على أهلي؟ أحرقك الله بالنار!»، فقال حميد بن مسلم: أتقتل الولدان والنساء، والله إنّ في قتل الرجال لما يرضى به أميرك! فلم يقبل، فأتاه شبث بن ربعي، فقال: أفزعنا النساء ثكلتك أمّك! فاستحيا وانصرف[١].

واشتدّ القتال بينهم، ولم يقدروا أن يأتوهم إلّا من جانب واحد، لاجتماع أبنيتهم وتقارب بعضها من بعض، فأرسل عمر بن سعد الرجال ليقوّضوها عن أيمانهم وشمائلهم ليحيطوا بهم، وأخذ الثلاثة والأربعة من أصحاب الحسين يتخللون البيوت، فيقتلون الرجل وهو يقوّض وينهب، فيرمونه عن قريب فيصرعونه فيقتلونه، فقال ابن سعد: إحرقوها بالنار. فأحرقت، فقال لهم الحسين عليه السلام: «دعوهم يحرقوها فإنّهم إذا فعلوا ذلك لم يجوزوا إليكم» فكان كما قال.

وحضر وقت صلاة الظهر فقال أبو ثمامة الصيداوي للحسين عليه السلام: يا أبا عبدالله نفسي لنفسك الفداء! هؤلاء اقتربوا منك، لا والله لا تقتل حتى أُقتل دونك، وأُحبّ أن ألقى الله ربّي وقد صلّيت هذه الصلاة! فرفع الحسين عليه السلام رأسه الى السماء، وقال: «ذكرت الصلاة جعلك الله من المصلين الذاكرين، نعم هذا أوّل وقتها»، ثم قال: «سلوهم أن يكفّوا عنّا حتى نصلّي» ففعلوا فقال لهم الحصين بن تميم[٢]: إنّها لا تقبل. فقال له حبيب بن مظاهر: زعمت لا تقبل الصلاة من آل رسول الله وتقبل منكم يا حمار[٣]! فحمل عليه الحصين، وحمل عليه حبيب، فضرب وجه فرسه بالسيف فشبّ به الفرس ووقع عنه الحصين، فاستنقذه أصحابه وشدّوا على حبيب فقتل رجلاً منهم.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٣٤، الكامل في التاريخ ٤: ٦٩. وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٢) في المصدر [نمير].

(٣) في المصدر [ختار].

وقال الحسين عليه السلام لزهير بن القين، وسعيد بن عبدالله : «تقدّما أمامي حتى أصلي الظهر» فتقدّما أمامه في نحو من نصف أصحابه حتى صلّى بهم صلاة الخوف، فوصل الى الحسين عليه السلام سهم، فتقدم سعيد بن عبدالله ووقف يقيه النبال بنفسه ما زال ولا تخطى، فما زال يُرمى بالنبل حتى سقط الى الأرض، وهو يقول : اللهمّ العنهم لعن عاد وثمود، اللهمّ أبلغ نبيّك عنّي السلام، وأبلغه ما لقيت من ألم الجراح، فإنّي أردت ثوابك في نصر ذريّة نبيّك، ثم قضى نحبه رضوان الله عليه، فوجد فيه ثلاثة عشر سهماً سوى ما به من ضرب السيوف وطعن الرماح(١) .

وقيل صلى الحسين عليه السلام وأصحابه فرادى بالإيماء(٢) وتقدم سويد بن عمرو بن أبي المطاع، وكان شريفاً كثير الصلاة، ثم جعل يرتجز ويقول:

أقدم حسين اليوم تلقى أحمدا   وشيخك الحبر علياً ذا الندى
وحسناً كالبدر وافى الأسعدا   وعمّك القرم الهمام الأرشدا
حمزة ليث الله يدعى أسدا   وذا الجناحين تبوأ مقعدا
في جنّة الفردوس يعلو صعدا

فقاتل قتال الأسد الباسل وبالغ في الصبر على الخطب النازل حتى سقط بين القتلى، وقد أثخن بالجراح، فلم يزل كذلك وليس به حراك حتى سمعهم يقولون: قتل الحسين، فتحامل وأخرج سكيناً من خفّه، وجعل يقاتل حتى قتل رضوان الله عليه، فكان آخر من بقي من أصحاب الحسين عليه السلام(٣).

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٩ ـ ٢١، بحار الأنوار ٤٥: ٢٠ ـ ٢١، وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ٤٩، بحار الأنوار ٤٥: ٢٢ .

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٥ ـ ١٦٦ ولم يذكر الأبيات. وقد ذكر هذه الأبيات الخوارزمي في قتل ←

وخرج زهير بن القين وهو يرتجز ويقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أذودكم بالسيف عن حسين
إنّ حسيناً أحد السبطين من عترة البر التقي الزين
ذاك رسول الله غير المين أضربكم ولا أرى من شين
يا ليت نفسي قسمت قسمين

فقاتل قتالاً شديداً، حتى قتل جماعة، فشدّ عليه كثير بن عبدالله الشعبي ومهاجر بن أوس التميمي، فقتلاه فقال الحسين عليه السلام حين صرع زهير: «لا يبعدك الله يا زهير»[(١)] .

وجاء عابس بن أبي شبيب الشاكري ومعه شوذب مولى بني شاكر فقال: يا شوذب ما في نفسك أن تصنع؟ قال : ما أصنع؟ أُقاتل معك دون ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى أُقتل. قال : ذلك الظن بك، فتقدّم بين يدي أبي عبدالله فإن هذا يوم ينبغي لنا أن نطلب فيه الأجر بكلّ ما نقدر عليه، فإنه لا عمل بعد اليوم وإنما هو الحساب .

وتقدّم شوذب فقال : السلام عليك يا أبا عبدالله ورحمة الله وبركاته أستودعك الله، ثم قاتل حتى قُتل .

وتقدّم عابس فقال : يا أبا عبدالله! أما والله ما أمسى على وجه الأرض قريب ولا بعيد أعزّ عليّ ولا أحبّ اليّ منك ولو قدرت أن أدفع عنك الضيم أو

← الحسين عليه السلام ٢: ٢٤. عن سعيد بن عبدالله الحنفي، ثم قال: وروي أن هذه الأبيات لسويد... الخ. وكذلك المجلسي في بحار الأنوار ٤: ٢٦ نقلاً عن محمّد بن أبي‌طالب ثم قال: وقال في المناقب: وقيل: بل القائل لهذه الأبيات هو سويد... الخ.

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢٣ ـ ٢٤. ولم يذكر الشطر الأخير من الرجز، بحار الأنوار ٤٥: ٢٥ ـ ٢٦ نقلاً عن محمّد بن أبي‌طالب، وكذلك عبدالله البحراني في عوالم الإمام الحسين عليه السلام : ٢٦٩.

القتل بشيء أعزّ من نفسي ودمي لفعلت، السلام عليك يا أبا عبدالله! أشهد الله إنّي على هداك وهدىٰ أبيك، ثم مضى بالسيف مصلتاً نحوهم، وبه ضربة على جبينه، وكان من أشجع الناس وأخذ ينادي: ألا رجل لرجل؟ فتحاماه الناس لشجاعته، فقال لهم ابن سعد: ارضخوه بالحجارة. فرموه بالحجارة من كل جانب، فلمّا رأى ذلك ألقى درعه ومغفره، وشدّ على الناس فهزمهم بين يديه، قال الراوي: فوالله لقد رأيته يطرد أكثر من مائتين من الناس. ثم أحاطوا به من كل جانب فقتلوه[١].

وبرز حبيب بن مظاهر الأسدي، فقاتل قتالاً شديداً فقتل رجلاً من بني تميم اسمه بديل بن صريم، وحمل عليه آخر من تميم فطعنه، فذهب ليقوم فضربه الحصين بن تميم على رأسه بالسيف، فوقع ونزل إليه التميمي فاحتزّ رأسه، فهدّ مقتله الحسين عليه السلام وقال: «عند الله أحتسب نفسي وحماة أصحابي» وقال الحصين للتميمي: أنا شريك في قتله. قال: لا والله قال: أعطني الرأس أُعلّقه في عنق فرسي ليرىٰ الناس أنّي شاركتك في قتله، ثم خذه فلا حاجة لي فيما يعطيك ابن زياد. فأعطاه الرأس فجال به في الناس، ثم ردّه إليه، فلما رجع الى الكوفة علّقه في عنق فرسه[٢].

فلينظر الناظر الى أي درجة بلغت رداءة النفوس وسقوطها بهؤلاء القوم! وكان لحبيب ابن يسمّى القاسم، قد راهق، فجعل يتبع الفارس الذي معه رأس أبيه، فارتاب به فقال: ما لك تتبعني؟ قال: إنّ هذا الرأس الذي معك رأس أبي، فأعطني إيّاه حتى أدفنه فقال: إنّ الأمير لا يرضى أن يدفن، وأرجو أن يثيبني.

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٣٨ ـ ٣٣٩، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢٦ ـ ٢٧، بحار الأنوار ٤٥: ٢٨ ـ ٢٩ نقلاً عن محمّد بن أبي‌طالب. وفيها تفاوت واختصار.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٣٤ ـ ٣٣٥، الكامل في التاريخ ٤: ٧٠ ـ ٧١. وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

فقال : لكن الله لا يثيبك إلّا أسوأ الثواب. وبكى الغلام ثم لم يزل يتبع أثر قاتل أبيه بعد ما أدرك حتى قتله، وأخذ بثأر أبيه، وذلك أنه كان في عسكر فهجم عليه، وهو في خيمة له نصف النهار فقتله، وأخذ رأسه(١) .

وخرج جنادة بن الحارث السلماني وكان خرج بعياله وولده الى الحسين عليه السلام ، فقاتل حتى قتل، فلما قتل أمرت زوجته ولدها عَمْرو وهو شاب أن ينصر الحسين عليه السلام ، فقالت: أُخرج يا بني وقاتل بين يدي ابن رسول الله، فخرج واستأذن الحسين، فقال الحسين عليه السلام : «هذا شاب قتل أبوه ولعلّ أُمّه تكره خروجه» فقال الشاب : أمّي أمرتني بذلك. وهذا منتهى علوّ النفس وصدق الولاء من هذه المرأة وابنها، أن يكون زوجها قد قتل وهي تنظر إليه، ثم تأمر ولدها الشاب بنصرة الحسين عليه السلام ، وهي تعلم أنه مقتول فتسوقه الى القتل مختارة طائعة ويطيعها ابنها في ذلك، فيقدم على القتل غير مبال ولا وجل، ثم يرخص له الحسين عليه السلام في ترك القتال، مخافة أن تكون أُمّه تكره قتاله بعد ما قتل أبوه زوجها في المعركة، فيأبى ويقول : أمّي أمرتني بذلك. حقاً إنّه لمقام عظيم، وموقف جليل تزل فيه الأقدام وتذهل فيه الألباب، ولثبات امرأة فيه وولد شاب يدل على سموّ عظيم في نفسيهما.

فبرز ذلك الشاب وهو يقول ولله درّه:

أميري حسين ونعم الأمير ... سرور فؤاد البشير النذير
عليّ وفاطمة والداه ... فهل تعلمون له من نظير؟
له طلعة مثل شمس الضحى ... له غرّة مثل بدر منير

قال المؤلف: قد شطرت هذه الأبيات استحساناً لها فقلت:

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٣٥، الكامل في التاريخ ٤: ٧١. وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

أميري حسين ونعم الأمير أمير عظيم جليل خطير
حبيب الوصي عزيز البتول سرور فؤاد البشير النذير
عليّ وفاطمة والداه ومشبهه في البرايا شبير
سما قدره فوق كلّ الأنام فهل تعلمون له من نظير؟
له طلعة مثل شمس الضحى تردّ الشموس بطرف حسير
له راحة مثل غيث همى له غرة مثل بدر منير

وقاتل حتى قتل، وحزّ رأسه ورُمي به الى عسكر الحسين عليه السلام، فحملت أمّه رأسه وقالت: أحسنت يا بني يا سرور قلبي ويا قرّة عيني، ثم رمت برأس ابنها رجلاً، وأخذت عمود خيمة وحملت عليهم وهي تقول:

أنا عجوز سيّدي ضعيفه خاوية بالية نحيفه
أضربكم بضربة عنيفه دون بني فاطمة الشريفه

وضربت رجلين فأمر الحسين عليه السلام بصرفها ودعا لها(١).

ولما رأى أصحاب الحسين عليه السلام أنهم قد غُلبوا، وأنّهم لا يقدرون أن يمنعوا الحسين عليه السلام ولا أنفسهم، تنافسوا في أن يُقتلوا بين يديه، فجاءه عبدالله وعبدالرحمن ابنا عروة(٢) الغفاريان، فقالا: يا أبا عبدالله عليك السلام، قد حازنا الناس إليك، فأحببنا أن نُقتل بين يديك، قال: «مرحباً بكما ادنوا منّي»

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢٥ ـ ٢٦، بحار الأنوار ٤٥: ٢٧ ـ ٢٨، وقد ذكر القصتين بتفاوت. قال الخوارزمي: ثم خرج من بعده جنادة الى أن قال: ثم خرج من بعد عمرو بن جنادة الى أن قال: ثم خرج من بعده شاب قتل أبوه في المعركة... الى آخر القصة.

وقال المجلسي: ثم خرج شاب... الخ الى أن قال: ثم خرج جنادة. الى أن قال: ثم خرج من بعده عمرو بن جنادة.. الخ. هكذا ورد في باقي المصادر التي بين أيدينا... والمصنف في لواعج الأشجان: ١٦٤ ـ ١٦٥ ط. مكتبة بصيرتي مثل المجلسي والخوارزمي.

(٢) في تاريخ الأمم والملوك [عزرة]. وفي الكامل في التاريخ [عزودة].

فدنوا منه وجعلا يقاتلان حتى قتلا.

وأتاه فتيان وهما سيف بن الحارث بن سريع، ومالك بن عبدالله بن سريع الجابريان، وهما ابنا عمّ وأخوان لأم، وهما يبكيان، فقال لهما : «ما يبكيكما؟ فوالله إنّي لأرجو أن تكونا بعد ساعة قريري العين» فقالا: جعلنا الله فداك والله ما على أنفسنا نبكي ولكن نبكي عليك، نراك وقد أُحيط بك ولا نقدر على أن نمنعك! فقال: «جزاكما الله يا ابني أخي بوجدكما من ذلك ومواساتكما إيّاي بأنفسكما أحسن جزاء المتّقين» ثم استقدما وقالا : السلام عليك يا ابن رسول الله، فقال : «وعليكما السلام ورحمة الله وبركاته» فقاتلا حتى قُتلا[١] .

وخرج غلام تركي ـ كان للحسين عليه السلام اسمه أسلم ـ وكان قارئاً للقرآن، فجعل يقاتل حتى قتل جماعة ثم سقط صريعاً فجاء إليه الحسين عليه السلام فبكى، ففتح عينيه فرأى الحسين عليه السلام فتبسّم ثم صار الى ربّه[٢].

وكان يأتي الرجل بعد الرجل الى الحسين فيقول: السلام عليك يا ابن رسول الله فيجيبه الحسين عليه السلام ويقول عليك السلام ونحن خلفك، ثم يقرأ ﴿فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر﴾[٣] حتى قتلوا عن آخرهم ولم يبق مع الحسين عليه السلام سوى أهل بيته .

[مقتل بني هاشم]

وهم: ولد عليّ، وولد جعفر، وولد عقيل، وولد الحسن، وولد الحسين،

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٣٧، الكامل في التاريخ ٤: ٧٢، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢٧ ـ ٢٨. وقد جمع المصنف بين رواياتهم بتفاوت واختصار.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢٨، بحار الأنوار ٤٥: ٣٠ وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٣) الأحزاب: ٢٣.

فاجتمعوا يودع بعضهم بعضاً، وعزموا على الحرب[١] . وكانوا سبعة عشر رجلاً ـ في المتفق عليه ـ وفي حديث الرضاعليه السلام مع ابن شبيب وقُتل معه من أهل بيته ثمانية عشر رجلاً[٢] ، فيمكن أن يكون عدّ معهم مسلم بن عقيل، فإنه وإن لم يُقتل مع الحسينعليه السلام فكأنه قتل معه، وإذا عددنا جميع من ذكره المؤرّخون ومنهم مسلم كانوا ثلاثين أو أكثر، ويأتي سرد أسمائهم وفيهم يقول سراقة الباهلي ، وفي مروج الذهب[٣] إنّها لمسلم بن قتيبة مولى بني هاشم:

عين ابكي بعبرة وعويل   واندبي إن ندبت آل الرسول
تسعة منهم لصلب عليّ   قد أبيدوا وسبعة لعقيل
وابن عمّ النبيّ عوناً أخاهم   ليس فيما ينوبهم بخذول
وسَميُّ النبيّ غودر فيهم   قد علوه بصارم مسلول[٤]

[مقتل عليّ الأكبر]

فأوّل من خرج منهم علي بن الحسين الأكبر، وكان عليّ من أصبح الناس وجهاً وأحسنهم خُلقاً ـ وكان عمره تسع عشرة سنة، أو ثماني عشرة سنة، أو خمساً وعشرين سنة ـ وهو أوّل قتيل يوم كربلاء من آل أبي طالب، فاستأذن أباه بالقتال فأذن له، ثم نظر إليه نظر آيس منه وأرخى عينيه فبكى، ثم رفع سبابتيه نحو السماء وقال : «اللهمّ كن أنت الشهيد عليهم، فقد برز إليهم غلام أشبه الناس

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٣١ ـ ٣٢ نقلاً عن محمّد ابن أبي طالب. والخوارزمي في مقتل الحسينعليه السلام ٢: ٢٩ ـ ٣٠.

(٢) عيون أخبار الرضاعليه السلام ٢: ٢٦٨ / ح٥٨، بحار الأنوار ٤٤: ٢٨٦ / ح٢٣.

(٣) مروج الذهب ٣: ٦٢، وفيه اختلاف باللفظ.

(٤) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٥٥، جواهر العقدين: ٤٢٢ ، وفيهما اختصار واختلاف في اللفظ. [سبعة] بدل [تسعة] وأورد الأبيات المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ٢٩١ عن بعض أو أحد الشعراء.

خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً برسولك، وكنّا إذا اشتقنا الى نبيّك نظرنا إليه»، ثم رفع صوته، وتلا: ﴿إنّ الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين* ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾(١).

فشد عليّ على الناس وهو يقول:

أنا عليّ بن الحسين بن علي نحن وبيت الله أولى بالنبيّ
تالله لا يحكم فينا ابن الدّعي أضرب بالسيف أُحامي عن أبي
ضرب غلام هاشميّ علوي

فجعل يشدّ عليهم ثم يرجع الى أبيه فيقول: يا أباه العطش! فيقول له الحسين عليه السلام: «إصبر حبيبي فإنّك لا تمسي حتى يسقيك رسول الله صلى الله عليه وآله بكأسه»، فجعل يكرّ كرّة بعد كرة والاعداء يتقون قتله، فقتل جماعة فنظر إليه مُرّة بن منقذ العَبدي فقال: عليَّ آثام العرب إن هو فعل مثل ما أراه يفعل ومرّ بي إن لم أُثكله أُمّه. فمرّ يشدّ على الناس كما كان يفعل، فاعترضه مرّة بن منقذ وطعنه بالرمح، وقيل: بل رماه بسهم فصرعه، فنادى: يا أبتاه عليك السلام! هذا جدّي يقرئك السلام، ويقول لك: عجّل القدوم علينا.

واعتوره الناس فقطّعوه بأسيافهم فجاء الحسين عليه السلام حتى وقف عليه، وقال: «قتل الله قوماً قتلوك يا بني! ما أجرأهم على الرحمن، وعلى انتهاك حرمة الرسول! على الدنيا بعدك العفا».

وخرجت زينب بنت عليّ عليه السلام، وهي تنادي: يا حبيباه، ويا ابن أخاه. وجاءت فأكبّت عليه، فجاء الحسين عليه السلام، فأخذ بيدها وردّها الى الفسطاط، وأقبل بفتيانه وقال: «احملوا أخاكم» فحملوه من مصرعه حتى وضعوه بين

(١) آل عمران: ٣٣ ـ ٣٤.

يدي الفسطاط الذي كانوا يقاتلون أمامه[١].

وبرز عبدالله بن مسلم بن عقيل بن أبي طالب ـ وفي مناقب ابن شهرآشوب[٢]: إنّه أوّل من برز، وأُمّه رقية بنت عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ وهو يرتجز ويقول:

اليوم ألقى مسلماً وهو أبي وفتية بادوا على دين النبيّ
ليسوا بقوم عرفوا بالكذب لكن خيار وكرام النسب
من هاشم السادات أهل الحسب

فقتل عدّة رجال في ثلاث حملات، فرماه عمير بن صبيح الصدائي. ـ وقيل[٣] غيره ـ بسهم فوضع عبدالله يده على جبهته يتّقيه فأصاب السهم كفّه، ونفذ الى جبهته فسمرها، فلم يستطيع أن يحركها، ثم طعنه أسيد بن مالك بالرّمح في قلبه فقتله.

وحمل الناس على الحسين عليه السلام وأهل بيته من كل جانب[٤] فخرج محمّد ابن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب وأُمّه زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام، ثم قاتل حتى قتل عشرة أنفس، فحمل عليه عامر بن نهشل التميمي فقتله.

---

(١) الإرشاد ٢: ١٠٦ ـ ١٠٧، مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ٣٤ ـ ٣٦، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٦ ـ ١٦٧، مقاتل الطالبيين: ١١٤ ـ ١١٦، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٠٩ باختصار، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤٠ ـ ٣٤١، الكامل في التاريخ ٤: ٧٤ باختصار، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٦٤ ـ ٤٦٥، بحار الأنوار ٤٥: ٤٢ ـ ٤٤ نقلاً عن محمّد بن أبي‌طالب. وقد جمع المصنف بين رواياتهم، والخوارزمي والمجلسي وابن شهرآشوب: لم يذكروا أن علياً هو أوّل من برز من آل أبي‌طالب، وأهل بيت الحسين عليه السلام وتاريخ الأُمم والملوك ومقاتل الطالبيين والكامل في التاريخ: قالوا هو أوّل قتيل من آل أبي‌طالب عليه السلام.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٠٥.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٣: ٤٠٦.

(٤) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٤١ ـ بيروت، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٠، بحار الأنوار ٤٥: ٣٢ نقلاً عن محمّد بن أبي طالب. وفيها تفاوت واختصار.

وخرج أخوه عون بن عبدالله بن جعفر عليه السلام ، وأُمّه أيضاً زينب بنت أميرالمؤمنين عليه السلام وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفر شهيد صدق في الجنان أزهر
يطير فيها بجناح أخضر كفى بهذا شرفاً في المحشر

ثم قاتل حتى قتل جماعة كثيرة، فحمل عليه عبدالله بن قطبة[١] الطائي فقتله[٢]، وخرج القاسم بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ـ وأُمّه أمّ ولد[٣]، وهو غلام لم يبلغ الحلم ـ فلما نظر الحسين عليه السلام إليه قد برز اعتنقه وجعلا يبكيان ثم استأذن عمّه في المبارزة فأبى أن يأذن له، فلم يزل الغلام يقبّل يديه ورجليه حتى أذن له، ودموعه تسيل على خدّيه وهو يقول:

إن تنكروني فأنا ابن الحسن سبط النبيّ المصطفى والمؤتمن
هذا حسين كالأسير المرتهن بين أُناس لا سقوا صوب المزن

فقاتل قتالاً شديداً ، حتى قتل على صغر سنّه ثلاثة منهم[٤] وقيل: أكثر[٥].

قال حميد بن مسلم: خرج علينا غلام كأنّ وجهه شقّة قمر وفي يده سيف، وعليه قميص وإزار ونعلان قد انقطع شسع إحداهما، ما أنسى أنّها كانت اليسرى، فقال لي عمرو بن سعد بن نفيل الأزدي: والله لأشدنّ عليه.

---

(١) في تاريخ الأُمم والملوك: أنّ قاتله عامر بن نهشل، وقاتل أخيه عبدالله بن قطبة عكس ما ذكرناه.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٠٦، بحار الأنوار ٤٥: ٣٤ نقلاً عن محمّد بن أبي‌طالب. وفيهما اختلاف في اللفظ.

(٣) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٩٢ .

(٤) قال الشيخ الصدوق في الأمالي: ٢٢٦ / ح٢٣٩: وبرز من بعده القاسم بن الحسن الى أن قال: وهو يقول: لا تجزعي نفسي الى أن قال: فقتل منهم ثلاثة.

(٥) وهذا هو الذي ذكره الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ٢: ٣١ والمجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ٣٤ـ ٣٥.

فقلت: سبحان الله! وما تريد بذلك؟ والله لو ضربني ما بسطت إليه يدي، دَعْه يَكفِكَهُ هؤلاء الذين تراهم قد احتوشوه، فقال : والله لأشدنّ عليه. فشدّ عليه فما ولّى حتى ضرب رأسه بالسيف، ففلقه ووقع الغلام الى الأرض لوجهه، ونادى : يا عمّاه! فجلّى الحسين عليه السلام كما يُجلّي الصقر، ثم شدّ شدّة ليث أغضب، فضرب عمروبن سعد بن نفيل بالسيف، فاتّقاها بالساعد فقطعها من لدن المرفق، فصاح صيحة سمعها أهل العسكر، ثم تنحّى عنه الحسين عليه السلام، وحمل الأعداء ليستنقذوه فوطئت الخيل عمراً بأرجلها حتى مات، وانجلت الغبرة فإذا بالحسين عليه السلام قائم على رأس الغلام وهو يفحص برجليه والحسين يقول: «بُعداً لقوم قتلوك ومن خصمهم يوم القيامة فيك جدّك وأبوك»، ثم قال عليه السلام: «عزّ والله على عمّك أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفعك، صوت والله كثر واتره وقلّ ناصره»، ثم حمله ووضع صدره على صدره، وكأني أنظر الى رجلي الغلام يخطّان الأرض فجاء به حتى ألقاه مع ابنه عليّ والقتلى من أهل بيته، فسألت عنه؟ فقيل لي : هو القاسم بن الحسن بن على بن أبي طالب عليه السلام[1] .

وصاح الحسين عليه السلام في تلك الحال: «صبراً يا بني عمومتي، صبراً يا أهل بيتي، فوالله لا رأيتم هواناً بعد هذا اليوم أبداً»[2] .

وتقدّمت إخوة الحسين عليه السلام عازمين على أن يموتوا دونه.

فأوّل من خرج منهم أبو بكر بن عليّ[3]، واسمه عبيد الله وأُمّه ليلى بنت مسعود من بني نهشل، فتقدّم وهو يرتجز ويقول:

---

(١) الإرشاد ٢: ١٠٧ ـ ١٠٨، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤١ ـ ٣٤٢، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣١ ـ ٣٢، بحار الأنوار ٤٥: ٣٤ ـ ٣٦. وفيها اختلاف وتفاوت باللفظ.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٧ .

(٣) قال الطبري في تاريخ الأُمم والملوك وابن الأثير في الكامل في التاريخ: وقد شك في قتله.

شيخي علـيّ ذو الفخار الأطول من هاشم الصدق الكريم المفضل
هذا حسين ابن النبيّ المرسل عنه نحامي بالحسام المصقل
تفديه نفسي من أخ مُبجَّل

فلم يزل يقاتل حتى قتله زحر بن بدر النخعي .

ثم برز من بعده أخوه عمر ابن عليّ، فحمل على زحر قاتل أخيه فقتله واستقبل القوم وجعل يضرب بسيفه ضرباً منكراً وهو يقول:

خلوا عِداة الله خلوا عن عمر خلوا عن الليث الهَصور المكفَهِر
يضربكم بسيفه ولا يفرُّ وليس فيها كالجبان المنحجر

فلم يزل يقاتل حتى قُتل[١] .

ولما رأى العباس بن عليّ كثرة القتلى من أهله، قال لإخوته من أبيه وأُمّه ـ وهم: عبدالله وعمره خمس وعشرون سنة، وجعفر وعمره تسع عشرة سنة، وعثمان وعمره إحدى وعشرون سنة، وأمّهم أمّ البنين بنت خالد بن حزام الكلابية، واسمها فاطمة ـ: يا بني أُمّي تقدموا حتى أراكم قد نصحتم لله ولرسوله فإنه لا ولد لكم. فتقدّموا فقاتلوا حتى قُتلوا[٢] .

وبرز من بعدهم أخوهم العباس بن عليّ ـ وهو أكبرهم ويكنّى أبا الفضل، ويلقب بالسقا ،وقمر بني هاشم، وهو صاحب لواء الحسين ـ وكان العباس وسيماً جميلاً يركب الفرس المطهّم ورجلاه يخطّان في الأرض، فيروى أنه خرج يطلب الماء، وحمل على القوم وهو يقول:

لا أرهب الموت إذا الموت رقا حتى أوارى في المصاليت لقا

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٥٨، الكامل في التاريخ ٤: ٩٢ .

(٢) الإرشاد ٢: ١٠٩.

نفسي لسبط المصطفى الطهر وقا إنّي أنا العباس أغدو بالسقا
ولا أخاف الشرّ يوم الملتقى

ففرّقهم، وضربه زيد بن ورقاء على يمينه فقطعها، فأخذ السيف بشماله وحمل وهو يرتجز ويقول:

والله إن قطعتم يميني إني أحامي دائماً[١] عن ديني
وعن إمام صادق اليقين نجل النبيّ الطاهر الأمين

فضربه حكيم بن الطفيل على شماله فقطعها، فقال:

يا نفس لا تخشي من الكفّار وأبشري برحمة الجبّار
مع النبيّ السيّد المختار قد قطعوا ببغيهم يساري
فأصلِهم يا ربّ حرّ النار

فضربه آخر بعمود من حديد فقتله[٢].

ويروى في كيفية قتله غير ذلك، وهو أنّ الحسين لمّا اشتدّ به العطش ركب المسنّاة يريد الفرات، وبين يديه العباس أخوه فاعترضتهما خيل ابن سعد وأحاطوا بالعباس فاقتطعوه عنه، فجعل العباس يقاتلهم وحده، حتى قُتل، قَتَلَهُ زيد بن ورقاء الحنفي، وحكيم بن الطفيل السنبسي بعد أن أُثخن بالجراح فلم يستطع حراكا. فبكى الحسين عليه السلام لقتله بكاء شديداً[٣]، ولنعم ما قال القائل:

أحقّ الناس أن يبكى عليه فتى أبكى الحسين بكربلاء
أخوه وابن والده عليّ أبو الفضل المضرّج بالدماء
ومن واساه لا يُثنيه شيء وجاد له على عطش بماء[٤]

---

(١) في المناقب والبحار «أبداً».

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٠٨، بحار الأنوار ٤٥: ٣٩ ـ ٤١.

(٣) الإرشاد ٢: ١٠٩ ـ ١١٠، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠، ولم يذكر أسماء القتلة.

(٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٠ ومقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ٨٩.

ثم إن الحسين عليه السلام دعا الناس الى البراز، فلم يزل يقتل كل من برز إليه، حتى قتل مقتلة عظيمة، ثم حمل على الميمنة وهو يقول:

القتل أولى من ركوب العار والعار أولى من دخول النار
والله من هذا وهذا جاري[١]

ثم حمل على الميسرة وهو يقول:

أنا الحسين بن علي آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي أمضي على دين النبي[٢]

وخرج غلام من خباء من أخبية الحسين عليه السلام، وهو محمّد بن أبي سعيد بن عقيل وفي أُذنيه درّتان، فأخذ بعود من عيدانه وهو مذعور، فجعل يلتفت يميناً وشمالاً وقرطاه يتذبذبان، فحمل عليه هانيء بن ثبيت الحضرمي فضربه بالسيف فقتله، فصارت أُمّه شهربانويه تنظر إليه ولا تتكلم كالمدهوشة.

ونادى الحسين عليه السلام : «هل من ذابّ يذبّ عن حرم رسول الله صلى الله عليه وآله؟ هل من موحّد يخاف الله فينا؟ هل من مغيث يرجو الله في إغاثتنا؟ هل من معين يرجو ما عند الله في إعانتنا؟» فارتفعت أصوات النساء بالعويل فتقدم الى باب الخيمة، وقال لزينب : «ناوليني ولدي الصغير حتى أُودّعه» فأُتي بابنه عبدالله ـ وأُمّه الرباب بنت أمرئ القيس ـ فأخذه وأجلسه في حجره وأومأ إليه ليقبّله، فرماه حرملة بن كاهل الأسدي بسهم فوقع في نحره فذبحه، فقال لزينب: «خذيه» ثم تلقّى الدم بكفّيه فلما امتلأتا رمى بالدم نحو السماء، ثم قال : «هوّن عليّ ما نزل به، إنّه بعين

---

(١) أورده الإربلي في كشف الغمة ٢: ٢٤٤، حيث قال: وكان عليه السلام يرتجز ويقول وذكر الأبيات الثلاثة.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١١٠.

الله» ثم حمله حتى وضعه مع قتلى أهل بيته[١] .

وفي رواية[٢]: إنّه حفر له بجفن سيفه ورمّله بدمه فدفنه .

وعطش الحسين عليه السلام حتى اشتد عليه العطش فدنا ليشرب من الماء فرماه الحصين بن تميم بسهم، فوقع في فمه الشريف، فجعل يتلقّى الدمّ من فمه ويرمي به الى السماء، وحمل القوم على الحسين عليه السلام ، فغلبوه على معسكره، وقد اشتدّ به العطش، فركب المسنّاة يريد الفرات فاعترضته خيل ابن سعد، وفيهم رجل من بني أبان بن دارم، فقال لهم : ويلكم! حُولوا بينه وبين الفرات، ولا تمكّنوه من الماء. فحالوا بينه وبين الفرات فقال الحسين عليه السلام : «اللهمّ أظمئه». وفي رواية : «اللهمّ اقتله عطشا ولا تغفر له»[٣] فغضب الدارمي ورماه بسهم، فأثبته في حنكه الشريف، فانتزع الحسين عليه السلام السهم وبسط يديه تحت حنكه، فامتلأت راحتاه من الدم، فرمى به نحو السماء، ثم حمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «اللهمّ إنّي أشكو إليك ما يفعل بابن بنت نبيّك».

ثم إنّ الحسين عليه السلام عاد الى مكانه وقد اشتد به العطش، وأقبل شمر في جماعةٍ من أصحابه فأحاطوا به، فأسرع منهم رجل يقال له : مالك بن النسر الكندي، فشتم الحسين عليه السلام ، وضربه على رأسه الشريف بالسيف، وكان على رأسه برنس، وقيل : قلنسوة، فقطع البرنس ووصل السيف الى رأسه فامتلأ البرنس دماً، ثم القى البرنس أو القلنسوة، ودعا بخرقة فشدّ بها رأسه

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٦٨ ـ ١٦٩ ، بحار الأنوار ٤٥: ٤٥ ـ ٤٦، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ٢٨٨ ـ ٢٨٩. وقد جمع المصنف بين رواياتهم.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٧.

(٣) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٥٣.

واستدعى بقلنسوة أُخرى، فلبسها واعتمّ عليها[١] ـ وأخذ الكندي البرنس، وكان من خزّ، فلما قدم على أهله أخذ يغسل عنه الدمّ، فقالت له امرأته : أسلب ابن رسول الله يدخل بيتي؟! أخرجه عنّي[٢].

ورجع شمر ومن معه عن الحسين عليه السلام الى مواضعهم فمكثوا هنيهة، ثم عادوا إليه فأخذ الحسين يشد عليهم فينكشفون عنه.

ثم إنّهم أحاطوا به فخرج عبدالله بن الحسن بن عليّ عليه السلام من عند النساء، وهو غلام لم يراهق، فلحقته زينب بنت عليّ عليه السلام لتحبسه، فقال لها الحسين عليه السلام : «احبسيه أختي[٣]» فامتنع عليها امتناعا شديداً، وجاء يشتد الى عمّه الحسين، حتى وقف الى جنبه وقال: لا أُفارق عمّي، فأهوى أبجر بن كعب الى الحسين عليه السلام بالسيف، فقال له الغلام: ويلك! يا ابن الخبيثة! أتقتل عمّي؟! فضربه أبجر بالسيف فاتّقاها الغلام بيده فاطنّها الى الجلد فإذا هي معلقة، فنادى الغلام : يا عمّاه! أو يا أُمّاه! فأخذه الحسين عليه السلام فضمّه الى صدره وقال : «**يا ابن أخي، اصبر على ما نزلّ بك، واحتسب في ذلك الخير، فإنّ الله يلحقك بآبائك الصالحين، برسول الله صلى الله عليه وآله، وعليّ وحمزة وجعفر والحسن، صلّى الله عليهم أجمعين**»، فرماه حرملة بسهم فذبحه وهو في حجر عمّه[٤].

ولما بقي الحسين عليه السلام ، في ثلاثة أو أربعة من أصحابه ـ وفي رواية رهط من أهله[٥] ـ قال : «**ابغوني ثوباً لا يرغب فيه أحد أجعله تحت ثيابي لئلا أُجرّد منه بعد**

---

(١) الإرشاد ٢: ١٠٩ ـ ١١٠، وتاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٢) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤٢، الكامل في التاريخ ٤: ٧٥.

(٣) في المصدر: [يا أختي].

(٤) الإرشاد ٢: ١١٠، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤٤. ولم يذكر أن القاتل هو حرملة عليه لعائن الله، وقد أورد السيّد ابن طاووس في الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٣.

(٥) الإرشاد ٢: ١١١.

قتلي، فإنّي مقتول مسلوب» فأُتي بتبّان، قال : «لا،ذاك لباس من ضربت عليه الذلّة، ولا ينبغي لي أن ألبسه» وفي رواية إنّه قال : «هذا لباس أهل الذمّة»(١)، فأخذ ثوباً خلقاً فخرّقه وجعله تحت ثيابه، وفي رواية: إنّه أُتي بشيء أوسع منه دون السراويل وفوق التبّان فلبسه(٢)، فلما قتل جرّدوه منه، ثم استدعى بسراويل من حبرة يمانية يلمع فيها البصر، ففزرها ولبسها وإنّما فزرها لئلّا يُسلبها بعد قتله، فلما قتل سلبها منه أبجر بن كعب وتركه مجرّداً(٣) .

وأقبل الحسين عليه السلام على القوم يدفعهم عن نفسه والثلاثة الذين معه يحمونه حتى قتل الثلاثة، وبقي وحده وقد أُثخن بالجراح، في رأسه وبدنه، فجعل يضاربهم بسيفه، وحمل الناس عليه عن يمينه وشماله، فحمل على الذين عن يمينه فتفرقوا، ثم حمل على الذين عن يساره فتفرقوا. قال بعض الرواة : فوالله ما رأيت مكثوراً قط، قد قتل ولده وأهل بيته وأصحابه، أربط جأشاً ولا أمضى جناناً ولا أجرأ مقدماً منه، والله ما رأيت قبله ولا بعده مثله، وإن كانت الرجّالة لتشد عليه فيشد عليها بسيفه، فتنكشف عن يمينه وعن شماله انكشاف المعزى إذا شدّ فيها الذئب(٤) .

ولقد كان يحمل فيهم، وقد تكمّلوا ثلاثين ألفاً، فينهزمون من بين يديه كأنّهم الجراد المنتشر، ثم يرجع الى مركزه وهو يقول : «لا حول ولا قوة إلّا بالله»(٥) .

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٠٩.

(٢) المصدر السابق ٤: ١٠٩.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٤، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٤٥، والكامل في التاريخ ٤: ٧٧. وفيها اختلاف يسير باللفظ واختصار.

(٤) الإرشاد ٢: ١١١، الكامل في التاريخ ٢: ٧٧. وفيهما اختلاف يسير باللفظ واختصار.

(٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧١.

فلما رأى شمر ذلك استدعى الفرسان فصاروا في ظهور الرجّالة، وأمر الرماة أن يرموه، فرشقوه بالسّهام حتى صار كالقنفذ فأحجم عنهم، فوقفوا بإزائه(١) .

وجاء شمر في جماعة من أصحابه، فحالوا بينه وبين رحله الذي فيه ثقله وعياله، فصاح الحسين عليه السلام : «ويلكم! يا شيعة آل أبي سفيان! إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم هذه، وارجعوا الى أحسابكم إن كنتم عرباً كما تزعمون»، فناداه شمر: ما تقول يا ابن فاطمة؟ فقال : «أقول إنّي أُقاتلكم وتقاتلونني والنساء ليس عليهن جناح، فامنعوا عتاتكم وجهّالكم وطغاتكم من التعرّض لحرمي ما دمت حيّاً»، فقال شمر : لك ذلك يا ابن فاطمة، ثم صاح: إليكم عن حرم الرجل واقصدوه بنفسه، فلعمري هو كفؤ كريم، فقصدوه بالحرب وجعل شمر يحرضهم على الحسين عليه السلام، والحسين يحمل عليهم فينكشفون عنه، وهو في ذلك يطلب شربة من ماء فلا يجد ، وكلّما حمل بفرسه على الفرات حملوا عليه بأجمعهم، حتى أجلوه عنه، ولما أثخن بالجراح وبقي كالقنفذ، طعنه صالح بن وهب المزني على خاصرته طعنة فسقط عن فرسه على الأرض على خده الأيمن ثم قام وخرجت أُخته زينب الى باب الفسطاط وهي تنادي : وا أخاه وا سيداه! وا أهل بيتاه!(٢) .

وقد دنا عمر بن سعد فقالت : يا عمر! أيقتل أبو عبدالله وأنت تنظر إليه؟! فدمعت عيناه حتى سالت دموعه على خديه ولحيته، وصرف وجهه عنها، ولم يُجبها بشيء، فنادت : ويلكم! أما فيكم مسلم؟! فلم يجبها أحد بشيء(٣) .

---

(١) الإرشاد ٢: ١١١ ـ ١١٢.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧١ ـ ١٧٢ و ١٧٤ ـ ١٧٥ .

(٣) الإرشاد ٢: ١١٢، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٠. وقد جمع المصنف بين روايتيهم باختلاف واختصار.

وقاتل راجلاً، قتال الفارس الشجاع يتّقي الرمية، ويفترص العورة، ويشد على الخيل، وهو يقول: «أعلىٰ قتلي تجتمعون؟! أمَا والله لا تقتلون بعدي عبداً من عباد الله، الله أسخط عليكم لقتله منّي! وأيم الله إنّي لأرجو أن يكرمني الله بهوانكم، ثم ينتقم لي منكم من حيث لا تشعرون! أما والله لو قتلتموني لألقى الله بأسكم بينكم وسفك دماءكم، ثم لا يرضى لكم بذلك حتى يضاعف لكم العذاب الأليم»(١) .

ولم يزل يقاتل حتى أصابه اثنان وسبعون جراحة. فوقف يستريح ساعة وقد ضعف عن القتال، فبينا هو واقف إذ أتاه حجر فوقع على جبهته، فأخذ الثوب ليمسح الدم عن جبهته، فأتاه سهم مسموم له ثلاث شعب، فوقع على قلبه، فقال : «بسم الله وبالله وعلى ملّة رسول الله ﷺ» ثم رفع رأسه الى السماء وقال : «إلهي تعلم أنّهم يقتلون رجلاً ليس على وجه الأرض ابن بنت نبيّ غيره»، ثم أخذ السهم فأخرجه من وراء ظهره، فانبعث الدم كأنّه ميزاب، فضعف ووقف، وتحاماه الناس فمكث طويلاً من النهار، وكلّما جاءه أحد انصرف عنه، كراهية أن يلقى الله بدمه(٢) .

وصاح شمر بالفرسان والرجّالة، ويحكم! ما تنتظرون بالرجل؟! اقتلوه ثكلتكم أُمهاتكم! فحملوا عليه من كل جانب، فضربه زرعة بن شريك على كتفه اليسرىٰ وضرب الحسين عليه السلام زرعة فصرعه، وضربه آخر على عاتقه المقدس ضربة كبا بها لوجهه، وكان قد أعيا وجعل يقوم ويكبو، وطعنه سنان ابن أنس النخعي في ترقوته، ثم انتزع الرمح فطعنه في بواني صدره، ورماه بسهم فوقع في نحره فسقط وجلس قاعداً، فنزع السهم من نحره، وقرن كفيه

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤٥ ـ ٣٤٦، الكامل في التاريخ ٤: ٧٨.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٣٩، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٢، بحار الأنوار ٤٥: ٥٣.

جميعاً، فكلّما امتلأتا من دمائه خضب بها رأسه ولحيته وهو يقول: «هكذا ألقى الله مخضباً بدمي مغصوباً عليَّ حقّي»(١).

مقتله

قال هلال بن نافع إنّي لواقف مع أصحاب عمر بن سعد إذ صرخ صارخ: أبشر أيها الأمير فهذا شمر قد قتل الحسين. فخرجت بين الصفين، فوقفت عليه، وإنّه ليجود بنفسه، فوالله ما رأيت قتيلاً مخضباً بدمه أحسن منه ولا أنور وجهاً، ولقد شغلني نور وجهه وجمال هيأته عن الفكرة في قتله .

فاستسقى في تلك الحال، فسمعت رجلاً يقول : والله لا تذوق الماء حتى ترد الحامية فتشرب من حميمها، فسمعته يقول : «أنا أرد الحامية فأشرب من حميمها؟! [لا والله](٢) بل أرد على جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله، فأسكن معه في داره ﴿في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾(٣) وأشرب ﴿من ماء غير آسن﴾(٤) وأشكو إليه ما ارتكبتم منّي، وفعلتم بي» فغضبوا بأجمعهم حتى كأنّ الله لم يجعل في قلب أحد منهم من الرحمة شيئاً(٥).

وقال عمر بن سعد لرجل عن يمينه: إنزل ويحك الى الحسين فأرحه(٦)،

---

(١) الإرشاد ٢: ١١٢، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٠ ـ ٤١، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٥ ـ ١٧٦ وقد جمع المصنف بين رواياتهم باختصار.

(٢) ليست في المصدر.

(٣) القمر: ٥٥.

(٤) سورة محمّد: ١٥.

(٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٧ وفيه تفاوت يسير باللفظ. وحكاه عنه المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ٥٧.

(٦) المصدر السابق : ١٧٦ .

وقيل: بل قال سنان لخولّي بن يزيد : احتز رأسه، فبدر خولي ليحتزّ رأسه فضعف، وارعد فقال له سنان ، وقيل[١] شمر : فتّ الله في عضدك ما لك تُرعد؟ ونزل سنان، وقيل[٢]: شمر إليه فذبحه، ثم احتزّ رأسه الشريف وهو يقول: إني لأحتزّ رأسك وأعلم أنّك السيّد المقدّم، وابن رسول الله وخير الناس أباً وأُمّاً، ثم دفع الرأس الشريف الى خولي فقال : احمله الى الأمير عمر بن سعد[٣] .

وفي ذلك يقول الشاعر:

فأي رزية عدلت حسيناً غداة تبيره كفا سنان[٤]

وجاءت جارية من ناحية خيم الحسين عليه السلام، فقال رجل : يا أمَة الله إنّ سيدك قتل. قالت الجارية : فأسرعتُ الى سيداتي وأنا أصيح، فقمن في وجهي وصحن[٥].

أسماء من اتّصلت بنا أسماؤهم من أنصار الحسين عليه السلام الذين قتلوا معه من بني هاشم

أولاد أميرالمؤمنين عليه السلام

١ ـ أبو بكر بن علي شكّ في قتله .

٢ ـ عمر بن علي .

---

(١) الإرشاد ٢: ١١٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٦ ، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤٦ ، الكامل في التاريخ ٤: ٧٨ . وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٦ ، كشف الغمة ٢: ٢٦٦.

(٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠ .

٣ ـ محمّد الأصغر بن عليّ.

٤ ـ عبدالله بن عليّ.

٥ ـ العباس بن عليّ.

٦ ـ محمّد بن العبّاس بن عليّ.

٧ ـ عبدالله بن العبّاس بن علي.

٨ ـ عبدالله الأصغر .

٩ ـ جعفر بن عليّ.

١٠ ـ عثمان بن عليّ وفي بعضهم خلاف.

أولاد الحسن عليه السلام

١١ ـ القاسم بن الحسن.

١٢ ـ أبو بكر بن الحسن .

١٣ ـ عبدالله بن الحسن .

١٤ ـ بشر بن الحسن.

أولاد الحسين عليه السلام

١٥ ـ عليّ بن الحسين الأكبر .

١٦ ـ عبدالله الرضيع .

١٧ ـ إبراهيم بن الحسين ذكره ابن شهرآشوب وذكر زيادة عن ذلك.

أولاد عبدالله بن جعفر

١٨ ـ محمّد بن عبدالله بن جعفر .

١٩ ـ عون بن عبدالله بن جعفر .

٢٠ ـ عبيد الله بن عبدالله بن جعفر.

أولاد عقيل بن أبي طالب

٢١ ـ مسلم بن عقيل .

٢٢ ـ جعفر بن عقيل .

٢٣ ـ جعفر بن محمّد بن عقيل ذكره ابن شهرآشوب.

٢٤ ـ عبدالرحمن بن عقيل .

٢٥ ـ عبدالله الأكبر بن عقيل .

٢٦ ـ عبدالله بن مسلم بن عقيل .

٢٧ ـ عون بن مسلم بن عقيل.

٢٨ ـ محمّد بن مسلم بن عقيل .

٢٩ ـ محمّد بن أبي سعيد بن عقيل من لم يعرف بعينه.

٣٠ ـ أحمد بن محمّد الهاشمي ذكره ابن شهرآشوب[١].

ويلاحظ أنه لم يكن معه من ولد العباس ولا غيرهم أحد إلّا أحمد هذا.

أسماء من اتّصلت بنا أسماؤهم من أنصار الحسين عليه السلام من غير بني هاشم

مرتبة على حروف المعجم

١ ـ إبراهيم بن الحصين الأسدي.

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١١٢ ـ ١١٣. وذكر هذه الأسماء بزيادة ونقصان الشيخ المفيد في الإرشاد ٢: ١٢٥ ـ ١٢٦، وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٤: ٩٢ ـ ٩٣، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٢٠٥ ـ ٢٠٦.

٢ ـ أبو الحتوف بن الحارث الأنصاري.

٣ ـ أبو عامر النهشلي.

٤ ـ الأدهم بن أُمية العبدي.

٥ ـ أسلم التركي مولى الحسين عليه السلام.

٦ ـ أُمية بن سعد الطائي.

٧ ـ أنس بن الحارث الكاهلي صحابي.

٨ ـ أنيس بن معقل الأصبحي.

٩ ـ برير بن خضير الهمداني.

١٠ ـ بشر بن عبدالله الحضرمي.

١١ بكر بن حي التيمي.

١٢ ـ جابر بن الحجاج التيمي.

١٣ ـ جبلة بن عليّ الشيباني.

١٤ ـ جنادة بن الحارث السلماني.

١٥ ـ جنادة بن كعب الأنصاري.

١٦ ـ جندب بن حجير الخولاني.

١٧ ـ جون مولى أبي ذر.

١٨ ـ جوين بن مالك التميمي.

١٩ ـ الحارث بن أمرئ القيس الكندي.

٢٠ ـ الحارث بن نبهان مولى حمزة.

٢١ ـ الحباب بن الحارث.

٢٢ ـ الحباب بن عامر الشعبي.

٢٣ ـ حبشي بن قاسم النهمي.

٢٤ ـ حبيب بن مظاهر الأسدي.

٢٥ ـ الحجاج بن بدر السعدي.

٢٦ ـ الحجاج بن مسروق الجعفي.

٢٧ ـ الحرّ بن يزيد الرياحي.

٢٨ ـ الحلاس بن عمرو الراسبي.

٢٩ ـ حنظلة بن أسعد الشبامي.

٣٠ ـ حنظلة بن عمرو الشيباني.

٣١ ـ رافع مولى مسلم الأزدي.

٣٢ ـ زاهر بن عمرو الكندي مولى عمرو بن الحمق.

٣٣ ـ زهير بن بشر الخثعمي.

٣٤ ـ زهير بن سليم الأزدي.

٣٥ ـ زهير بن القين البجلي.

٣٦ ـ زياد بن عريب الصائدي.

٣٧ ـ سالم مولى بني المدينة الكلبي.

٣٨ ـ سالم مولى عامر العبدي.

٣٩ ـ سعد بن الحارث الأنصاري.

٤٠ ـ سعد مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

٤١ ـ سعد مولى عمرو بن خالد الصيداوي.

٤٢ ـ سعيد بن عبدالله الحنفي.

٤٣ ـ سلمان بن مضارب البجلي.

٤٤ ـ سليمان مولى الحسين عليه السلام.

٤٥ ـ سوار بن منعم النهمي.

٤٦ ـ سويد بن عمرو بن أبي المطاع.

٤٧ ـ سيف بن الحارث بن سريع الجابري.

٤٨ ـ سيف بن مالك العبدي.

٤٩ ـ شبيب مولى الحارث الجابري.

٥٠ ـ شوذب مولى بني شاكر.

٥١ ـ الضرغامة بن مالك.

٥٢ ـ عائذ بن مجمع العائذي.

٥٣ ـ عابس بن أبي شبيب الشاكري.

٥٤ ـ عامر بن حسان بن شريح بن سعد بن حارثة بن لام بن عمرو بن طريف بن عمرو بن بشامة بن ذهل بن جدعان بن سعد بن قطرة بن طيء.

ذكر النجاشي في ترجمة حفيده أحمد بن عامر إنّه قُتل مع الحسين عليه السلام[1] وهو غير عامر بن مسلم العبدي الآتي، فذاك ابن مسلم، وهذا ابن حسان، وذاك عبدي، وهذا طائي.

٥٥ ـ عامر بن مسلم العبدي.

٥٦ ـ عباد بن المهاجر الجهني.

٥٧ ـ عبد الأعلى بن يزيد الكلبي.

٥٨ ـ عبدالرحمن الأرحبي.

٥٩ ـ عبدالرحمن بن عبد ربّه الأنصاري.

٦٠ ـ عبدالرحمن بن عروة الغفاري.

٦١ ـ عبدالرحمن بن مسعود التيمي.

(١) رجال النجاشي: ١٠٠ / ترجمة ٢٥٠.

٦٢ ـ عبدالرحمن بن أبي بكر.

قال الجاحظ في كتاب الحيوان: وهو شهيد من شهداء يوم الطف [١].

٦٣ ـ عبدالله بن بشر الخثعمي.

٦٤ ـ عبدالله بن عروة الغفاري .

٦٥ ـ عبدالله بن عمير بن جناب الكلبي.

٦٦ ـ عبدالله بن يزيد العبدي.

٦٧ ـ عبيد الله بن يزيد العبدي.

٦٨ ـ عقبة بن سمعان.

٦٩ ـ عقبة بن الصلت الجهني.

٧٠ ـ عمارة بن صلخب الأزدي.

٧١ ـ عمران بن كعب بن حارثة الأشجعي.

٧٢ ـ عمار بن حسان الطائي.

٧٣ ـ عمار بن سلامة الدالاني.

٧٤ ـ عمروبن عبدالله الجندعي.

٧٥ ـ عمروبن خالد الأزدي .

٧٦ ـ عمروبن خالد الصيداوي .

٧٧ ـ عمروبن قرظة الأنصاري.

٧٨ ـ عمروبن مطاع الجعفي.

٧٩ ـ عمروبن جنادة الأنصاري.

٨٠ ـ عمروبن ضبيعة الضبعي.

---

(١) الحيوان للجاحظ لم أعثر عليه في النسخة الموجودة لدينا.

٨١ـ عمرو بن كعب أبو ثمامة الصائدي.

٨٢ـ قارب مولى الحسين عليه السلام .

٨٣ـ قاسط بن زهير التغلبي.

٨٤ـ القاسم بن حبيب الأزدي .

٨٥ـ كردوس التغلبي.

٨٦ـ كنانة بن عتيق التغلبي.

٨٧ـ مالك بن ذودان .

٨٨ـ مالك بن عبدالله بن سريع الجابري .

٨٩ـ مجمع الجهني.

٩٠ـ مجمع بن عبيد الله العائذي .

٩١ـ محمّد بن بشير الحضرمي.

٩٢ـ مسعود بن الحجاج التيمي.

٩٣ـ مسلم بن عوسجة الأسدي صحابي.

٩٤ـ مسلم بن كثير الأزدي.

٩٥ـ مقسط بن زهير التغلبي.

٩٦ـ منجح مولى الحسن عليه السلام.

٩٧ـ الموقع بن ثمامة الأسدي.

٩٨ـ نافع بن هلال الجملي.

٩٩ـ نصر مولى عليّ عليه السلام.

١٠٠ـ النعمان بن عمرو الراسبي.

١٠١ـ نعيم بن عجلان الأنصاري.

١٠٢ـ واضح الرومي مولى الحارث السلماني.

١٠٣ ـ وهب بن حباب الكلبي.

١٠٤ ـ يزيد بن ثبيط العبدي .

١٠٥ ـ يزيد بن زياد بن مهاصر الكندي.

١٠٦ ـ يزيد بن مغفل الجعفي.

وإذا ضممناهم الى الثلاثين من بني هاشم كانوا (١٣٦)، وإذا ضممنا إليهم قيس بن مسهر الصيداوي، وعبدالله بن بقطر، وهانيء بن عروة كانوا (١٣٩)(١).

الأمور المتأخرة عن قتله

وأقبل القوم على سلب الحسين عليه السلام، فأخذ قميصه إسحاق بن حوية(٢) الحضرمي، ووجد في قميصه عليه السلام مائة وبضع عشرة ما بين رمية وطعنة وضربة، وقيل وجد في ثيابه مائة وعشرون رمية بسهم، وفي جسده الشريف ثلاث وثلاثون طعنة برمح وأربع وثلاثون ضربة بسيف. وعن الصادق عليه السلام : «إنّه وجد بالحسين عليه السلام ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وثلاثون ضربة» وعن الباقر عليه السلام : «إنّه وجد به ثلاثمائة وبضع وعشرون جراحة». وفي رواية : ثلاثمائة وستون جراحة، وأخذ سراويله أبجر بن كعب التميمي وأخذ ثوبه أخ لإسحاق بن حوية وأخذ قطيفة له كانت من خز قيس بن الأشعث بن قيس وأخذ عمامته الأخنس بن

---

(١) ذكر هذه الأسماء بنقصان واختلاف كثيرٌ من المؤرخين منهم: الفضل بن الزبير الأسدي الكوفي في كتابه المسمّى (تسمية من قتل مع الحسين عليه السلام). وابن سعد في الطبقات الكبرى القسم المخطوط: ج٨ ص ٦١/أ/ وعدّ بن شهرآشوب في المناقب قسماً منهم وقال: المقتولون من أصحاب الحسين في الحملة الأُولى. الى أن قال: وعشرة من موالي الحسين، وموليان من موالي أميرالمؤمنين عليه السلام ج٤: ١١٣. وغيرهم.

(٢) تصغير حياة، وفي بعض المواضع. إسحاق بن حياة.

مرثد وقيل : جابر بن يزيد، وأخذ برنسه مالك بن النسر وأخذ نعليه الأسود بن خالد وأخذ درعه البتراء عمر بن سعد فلما قتل عمر أعطاها المختار لقاتله وأخذ سيفه الفلافس النهشلي من بني دارم وقيل جميع بن الخلق الأودي وقيل : الأسود بن حنظلة التميمي، وأخذ القوس الرجيل بن خيثمة الجعفي، وأخذ خاتمه بجدل بن سليم الكلبي وقطع اصبعه مع الخاتم، ومال الناس على الفرش والورس والحلل والإبل فانتهبوها وانتهبوا رحله وثقله وسلبوا نساءه(١).

قال حميد بن مسلم: رأيت امرأة من بكر بن وائل كانت مع زوجها في أصحاب عمر بن سعد، فلما رأت القوم قد اقتحموا على نساء الحسين عليه السلام، في فسطاطهن وهم يسلبونهن، أخذت سيفاً وأقبلت نحو الفسطاط وقالت : يا آل بكر بن وائل أتسلب بنات رسول الله؟!! لا حكم إلّا لله يا لثارات رسول الله. فأخذها زوجها وردها الى رحله(٢).

وانتهوا الى عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، وهو منبسط على فراش وهو شديد المرض، وكان مريضاً بالذرب(٣)، وقد أشرف على الموت، ومع شمر جماعة من الرجّالة فقالوا له : ألا نقتل هذا العليل؟ فأراد شمر قتله، فقال له حميد بن مسلم: سبحان الله! أتقتل الصبيان؟ إنّما هو صبي وإنّه لما به، فلم يزل يدفعهم عنه حتى جاء عمر بن سعد فصاح النساء في وجهه وبكين، فقال

---

(١) انظر الملهوف على قتلى الطفوف: ١٧٧ ـ ١٨٠، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١١٠ ـ ١١١، الكامل في التاريخ ٤: ٧٨ ـ ٧٩.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠.

(٣) الذرب: هو الحاد من كل شيء. لسان العرب ١: ٣٨٥ (مادة ذرب).

وقال ابن إدريس الحلّي في السرائر ١: ١٥٨. الذرب: هو الإسهال. وكان زين العابدين عليه السلام يوم الطف مريضاً بالذرب. ط. جامعة المدرسين ـ قم.

لأصحابه : لا يدخل أحد منكم بيوت هؤلاء، ولا تتعرّضوا لهذا الغلام المريض. ومن أخذ من متاعهن شيئاً فليردده، فلم يرد أحد شيئاً[(١)] .

ثم إنهم أشعلوا النار في الفسطاط، فخرجت منه النساء باكيات مسلبات[(٢)] .

ونادى عمر بن سعد في أصحابه من ينتدب للحسين فيوطيء الخيل ظهره وصدره، فانتدب منهم عشرة وهم: إسحاق بن حوية الذي سلب قميص الحسين عليه السلام.

والأخنس بن مرثد الذي سلب عمامة الحسين عليه السلام.

وحكيم بن الطفيل الذي اشترك في قتل العباس عليه السلام.

وعمرو بن صبيح الصيداوي الذي رمى عبدالله بن مسلم بسهم فسمر يده في جبهته.

ورجاء بن منقذ العبدي.

وسالم بن خيثمة الجعفي.

وصالح بن وهب الجعفي.

الذي طعن الحسين على خاصرته فسقط عن فرسه.

وواحظ بن غانم وهانيء بن ثبيت الحضرمي الذي قتل جماعة من الطالبيين.

وأُسيد بن مالك.

فداسوا الحسين عليه السلام بحوافر خيلهم حتى رضّوا ظهره وصدره وجاء هؤلاء

---

(١) الإرشاد ٢: ١١٢ ـ ١١٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٣، الكامل في التاريخ ٤: ٧٩، بحار الأنوار ٤٥: ٦١. وفيها تفاوت واختصار باللفظ.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠، بحار الأنوار ٤٥: ٥٨.

العشرة حتى وقفوا على ابن زياد فقال أُسيد بن مالك أحدهم:

نحن رضضنا الصدر بعد الظهر بكل يعبوب شديد الأسر

فقال ابن زياد: من أنتم؟ قالوا : نحن الذين وطئنا بخيولنا ظهر الحسين حتى طحنّا جناجن[١] صدره فأمر لهم بجائزة يسيرة قال أبو عمرو الزاهد: فنظرنا في هؤلاء العشرة، فوجدناهم جميعاً أولاد زنا[٢] .

وسرح عمر بن سعد من يومه ذلك، وهو يوم عاشورا برأس الحسين عليه السلام، مع خولى بن يزيد الأصبحي، وحميد بن مسلم الأزدي الى عبيد الله بن زياد[٣] . قال الطبري، وابن الأثير : فوجد القصر مغلقاً فأتى بالرأس الى منزله فوضعه تحت إجانة، ودخل فراشه وقال لامرأته، النوار : جئتك بغنى الدّهر، هذا رأس الحسين عليه السلام معك في الدار. فقالت : ويلك جاء الناس بالذهب والفضة[٤] وجئت برأس ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله؟! والله لا يجمع رأسي ورأسك بيت! وقامت من الفراش فخرجت الى الدار[٥] وخولي هذا قتله أصحاب المختار وأحرقوه بالنار وكان مختفياً في مخرجه، فدلت عليه امرأته الأُخرىٰ العيوف بنت مالك، وكانت تعاديه منذ جاء برأس الحسين عليه السلام، فلما

(١) في المصدر [حناجر].

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٢ ـ ١٨٣ ، بحار الأنوار ٤: ٥٩ ـ ٦٠.

(٣) الإرشاد ٢: ١١٣، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٩ ، مثير الأحزان: ٨٤ ـ ٨٥.

(٤) مازال حب الذهب والفضة، وحب الدنيا رأس كل خطيئة. ومازال هلاك الناس بالدينار والدرهم، كما جاء في الحديث الشريف. فالنوار وإن غاظها مجيء زوجها اللعين برأس الحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وآله، إلّا أنها أسفت لعدم مجيئه بالذهب والفضة والنهب، من رحل ابن بنت رسول الله.

الكافي ٢: ٣١٥ /ح١، باب حب الدنيا، الجامع الصغير ١: ٥٦٦ / ح٣٦٦٢، كنز العمال ٣: ١٩٢ / ح ٦١١٤.

(٥) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٤٨، الكامل في التاريخ ٤: ٨٠. وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

سألوها عنه قالت: لا أدري، وأشارت بيدها الى المخرج[١] .

وأمر ابن سعد برؤوس الباقين من أصحاب الحسين وأهل بيته، فقطعت وسرح بها شمر بن ذي الجوشن، وقيس بن الأشعث بن قيس، وعمرو بن الحجاج، فأقبلوا حتى قدموا بها على ابن زياد[٢] . وروي أنّ الرؤوس كانت سبعين[٣] رأساً، وروي ثمانية وسبعين رأساً[٤] ، فاقتسمتها القبائل لتتقرب بها الى ابن زياد، والى يزيد لعنهما الله تعالى ؛ فجاءت كندة بثلاثة عشر رأساً وصاحبهم قيس بن الأشعث ،وجاءت هوازن باثني عشر رأساً.

وقيل : بعشرين وصاحبهم شمر بن ذي الجوشن[٥].

وجاءت تميم بسبعة عشرة رأساً.

وجاءت بنو أسد بستة عشر رأساً. وقيل : بستة أرؤس[٦].

وجاءت مذحج بسبعة أرؤس.

وجاء سائر الناس بثلاثة عشرة رأساً[٧] وقيل[٨] : بسبعة.

ثم إنّ ابن سعد صلى على القتلى من أصحابه ودفنهم، وترك الحسين عليه السلام وأصحابه بغير دفن، وأقام بقية اليوم العاشر واليوم الثاني الى زوال الشمس،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٥٣١ ، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢٥٠ ـ ٢٥١، الكامل في التاريخ ٤: ٢٤٠، وفيها اختلاف يسير باللفظ.

(٢) الإرشاد ٢: ١١٣، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٩ .

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٥٨.

(٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٠ .

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري ٣: ٤١٢ .

(٦) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٥٨.

(٧) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٠ .

(٨) مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ٢٣٣.

ثم نادى في الناس بالرحيل و توجه نحو الكوفة، وحمل معه نساء الحسين عليه السلام وبناته وأخواته ومن كان معه من الصبيان[١]، وفيهم عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام قد نهكته العلّة والحسن بن الحسن المثنى، وكان قد واسى عمّه في القتال، ونقل من المعركة وقد اثخن بالجراح وبه رمق فبريء، وقال ابن شهرآشوب : أُسر مقطوعة يده[٢] .وأخواه زيد وعمر أبناء الحسن السبط عليه السلام[٣]، وتدل بعض الروايات على وجود الباقر عليه السلام معهم[٤]. وساقوهم كما يُساق سَبي الروم[٥] .

فقال النسوة: بحقّ الله إلّا ما مررتم بنا على مصرع الحسين عليه السلام، فمرّوا بهم على الحسين عليه السلام وأصحابه، وهم صرعى، فلمّا نظر النسوة الى القتلى صحن وضربن وجوههن. ثم إنّ سكينة بنت الحسين اعتنقت جسد أبيها، فاجتمع عدة من الأعراب حتى جرّوها عنه[٦].

ولما رحل ابن سعد عن كربلاء خرج قوم من بني أسد، كانوا نزولاً بالغاضرية الى الحسين عليه السلام وأصحابه، فصلّوا على تلك الجثث الطواهر ودفنوها. فدفنوا الحسين عليه السلام حيث قبره الآن، ودفنوا ابنه علياً الأكبر عند رجليه، وحفروا للشّهداء من أهل بيته ولأصحابه الذين صُرِعوا حوله ممّا يلي رجلي الحسين، فجمعوهم فدفنوهم جميعاً في حفيرة واحدة وسووا

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٤، الكامل في التاريخ ٤: ٨١.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب: ١١٣.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩١ ، بحار الأنوار ٤٥: ١٠٨ /ح١ وفيهما تفاوت يسير .

(٤) إثبات الوصية: ١٤٥.

(٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٩ .

(٦) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨٠ و ١٨١ .

عليهم التراب[١] .

قال المسعودي : ودفن أهل الغاضرية، وهم قوم من بني عامر[٢] من بني أسد، الحسين وأصحابه بعد قتلهم بيوم[٣]... الخ. أي في اليوم الذي ارتحل فيه ابن سعد من كربلاء، فإنّه بقي في كربلاء الى زوال اليوم الحادي عشر كما مرّ، أما إذا كانوا جاءوا في اليوم الثاني من رحلته، فيكون الدفن من بعد القتل بيومين، ويقال : إنّ أقربهم دفناً الى الحسين ولده الأكبرعليه السلام، فيزورهم الزائر من عند قبر الحسينعليه السلام ويومىء الى الأرض التي نحو رجليه بالسلام عليهم[٤] ، ودفنوا العباس بن عليّعليه السلام في موضعه الذي قتل فيه، على المسناة بطريق الغاضرية حيث قبره الآن[٥]، ودفنوا بقية الشهداء حول الحسينعليه السلام في الحائر، قال المفيد عليه الرحمة : ولسنا نحصل لهم أجداثاً على التحقيق والتفصيل، إلّا أنّا لا نشك أن الحائر محيط بهم رضي الله عنهم وأرضاهم[٦]، ويقال: إنّ بني أسد دفنوا حبيب بن مظاهر في قبر وحده عند رأس الحسينعليه السلام حيث قبره الآن، إعتناءً به لأنّه أسدي. وإنّ بني تميم حملوا الحرّبن يزيد الرياحي على نحو ميل من الحسينعليه السلام، ودفنوه هناك حيث قبره الآن، إعتناء به أيضاً. ولم يذكر ذلك المفيد، ولكن اشتهار ذلك، وعمل الناس عليه ليس بدون مستند .

وسار ابن سعد بسبايا أهل بيت رسول اللهصلى الله عليه وآله ، فلما قاربوا الكوفة اجتمع

---

(١) الإرشاد ٢: ١١٤، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٧٠ ـ ٤٧١ .

(٢) في المصدر [عاضر].

(٣) مروج الذهب ٣: ٦٣.

(٤) الإرشاد ٢: ١٢٦.

(٥) الإرشاد ٢: ١١٤، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٧٠ ـ ٤٧١.

(٦) الإرشاد ٢: ١٢٦.

أهلها للنظر إليهن فأشرفت امرأة من الكوفيات، وقالت : من أي الأُسارى أنتنّ؟ فقلن لها : نحن أُسارى آل محمّد صلى الله عليه وآله ، فنزلت من سطحها فجمعت لهن ملاء، وإزراً ومقانع[١].

وهذه حال الزمان ونوائبه، فزينب العقيلة ومن معها من عقائل آل أبي طالب، كن بالأمس في الكوفة مقر خلافة أبيهن أميرالمؤمنين معززات مجلّلات، يدخلن اليوم الكوفة بزي الأُسارى وتجمع لهن إحدى الكوفيات الملاء والأُزر والمقانع، ليسترن بها عن أعين النظار:

لاأضحك الله سنّ الدهران ضحكت وآل أحمد مظلومون قد قُهروا[٢]

خطبة زينب عليها السلام بالكوفة

قال خزيم[٣] بن بشر الأسدي: نظرت الى زينب بنت عليّ عليه السلام يومئذٍ، فلم أرَ خفرة[٤] أنطق منها كأنها تفرغ عن لسان أميرالمؤمنين عليه السلام، وقد أومأت الى الناس أن اسكتوا! فارتدت الأنفاس، وسكنت الأجراس، ثم قالت: «الحمد لله والصلاة على محمّد وآله الطاهرين، أما بعد يا أهل الكوفة يا أهل الختل، والغدر! أتبكون؟ فلا رقأت الدمعة، ولا قطعت الرنّة، إنما مثلكم كمثل التي ﴿قضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً تتّخذون أيمانكم دخلاً بينكم﴾[٥] وهل فيكم إلّا

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٠، بحار الأنوار ٤٥: ١٠٨ / ح١.

(٢) ديوان دعبل الخزاعي: ٧٣.

(٣) في الاحتجاج [حذيم بن شريك]. وفي باقي المصادر [بشير بن خزيم].

(٤) الخفر: شدة الحياء.

(٥) إشارة الى الآية: ٩٢ من سورة النحل.

الصلف[١] النطف[٢]، والصدر الشنف[٣]، (إلّا الصّلف، والعجب، والشنف والكذب) وملق[٤] الإماء، وغمز[٥] الأعداء، أوكمرعى على دمنة[٦] أوكفضة على ملحودة[٧]! ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون.

أتبكون وتنتحبون؟! إي والله فابكوا كثيراً واضحكوا قليلاً، فلقد ذهبتم بعارها وشنارها[٨] ، ولن ترحضوها[٩] بغسل بعدها أبداً ، وأنّى ترحضون قتل سليل خاتم النبوّة؛ ومعدن الرسالة وسيد شباب أهل الجنة؛ وملاذ حيرتكم؛ ومفزع نازلتكم؛ ومنار حجتكم (محجتكم)، ومدرة[١٠] سنتكم، ألا ساء ما تزرون، وبعداً لكم وسحقاً: فلقد خاب السعي وتبت الأيدي وخسرت الصفقة، وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة. ويلكم يا أهل الكوفة! أتدرون أي كبد لرسول الله فريتم[١١] (فرثتم؟) وأي كريمة له أبرزتم؟! وأي دم له سفكتم؟! وأي حرمة له انتهكتم؟! لقد جئتم

---

(١) الصلف بفتحتين ادّعاء الإنسان فوق ما فيه تكبراً وهو صلف ككتف.

(٢) النطف بالتحريك التلطخ بالعيب وهو نطف أي متلطخ بالعيب.

(٣) الشنف بالتحريك البغض والتنكر وصدر شف أبي مبغض متنكر.

(٤) الملق الأعطاء باللسان ما ليس في القلب.

(٥) الغمز: الطعن.

(٦) الدمنة بالكسر الموضع القريب من الدار يضرب مثلاً لمن يروق منظره ويسوء مخبره.

(٧) أي ميتة موضوعة في اللحد.

(٨) الشنار: العيب.

(٩) تغسلوها.

(١٠) المدرة كمنبر زعيم القوم والمتكلم عنهم والذي يرجعون الى رأيه.

(١١) الفري القطع والفرث التفتيت.

بها، صلعاء[١]، عنقاء[٢]، سوآء[٣]، فقماء[٤] نأناء[٥] ـ وفي رواية خرقاء[٦] ـ شوهاء[٧] كطلاع[٨] الأرض، أو ملء السماء، أفعجبتم أن مطرت السماء دماً، فلعذاب الآخرة أخزى، وأنتم لا تنصرون، فلا يستخفنّكم المهل، فإنه لا يحفزه البدار[٩]، ولا يخاف فوت الثأر، وإن ربّكم لبالمرصاد».

قال : فوالله لقد رأيت الناس يومئذٍ حيارىٰ، يبكون، وقد وضعوا أيديهم في أفواههم، ورأيت شيخاً واقفاً الى جنبي يبكي حتى إخضلّت لحيته، وهو يقول: بأبي أنتم وأُمّي كهولكم خير الكهول، وشبابكم خير الشباب، ونساؤكم خير النساء، ونسلكم خير نسل لا يخزىٰ ولا يبزى[١٠].[١١]

خطبة عليّ بن الحسين عليه السلام بالكوفة

ثم إنّ زين العابدين عليه السلام أومأ الى الناس أن اسكتوا، فسكتوا، فقام قائماً فحمد الله وأثنى عليه وذكر النبيّ صلى الله عليه وآله بما هو أهله فصلى عليه، ثم قال: «أيها

---

(١) الصلعاء الداهية القبيحة المكشوفة.

(٢) العنقاء الداهية.

(٣) قبيحة.

(٤) عظيمة.

(٥) النأناة العجز والضعف.

(٦) الخرق ضد الرفق.

(٧) قبيحة.

(٨) أي ملؤها.

(٩) لا يعجله.

(١٠) أي لا يغلب ولا يقهر.

(١١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ١٠٩ ـ ١١٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٥ ـ ٤٧، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٢ ـ ١٩٤ ، بحار الأنوار ٤٥: ١٠٨ ـ ١١٠ /ح١، وقد جمع المصنف بين رواياتهم بتفاوت واختصار.

الناس! من عرفني فقد عرفني، ومن لم يعرفني فأنا أعرّفه بنفسي: أنا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، أنا ابن مَن انتُهك حريمه وسُلب نعيمه وانتهب ماله وسُبي عياله، أنا ابن المذبوح بشطّ الفرات من غير ذحل ولا ترات، أنا ابن من قُتل صبراً وكفى بذلك فخراً. أيها الناس! ناشدتكم بالله هل تعلمون أنكم كتبتم الى أبي وخدعتموه؟ وأعطيتموه من انفسكم العهد والميثاق والبيعة؟ وقتلتموه وخذلتموه؟! فتباً لما قدمتم لأنفسكم وسوأة لرأيكم، بأية عينٍ تنظرون الى رسول الله، إذ يقول لكم: قتلتم عترتي وانتهكتم حرمتي فلستم من أُمّتي؟!».

فارتفعت أصوات الناس بالبكاء من كل ناحية، وقال بعضهم لبعض: هلكتم وما تعلمون. فقال عليه السلام: «رحم الله امرئً قبل نصيحتي وحفظ وصيّتي في الله ورسوله وأهل بيته، فإنّ لنا في رسول الله أُسوة حسنة» .

فقالوا بأجمعهم: نحن كلنا سامعون مطيعون حافظون لذمامك، غير زاهدين فيك ولا راغبين عنك، فمرنا بأمرك يرحمك الله، فإنّا حرب لحربك وسلم لسلمك، لنأخذنّ يزيد ونبرأ ممّن ظلمك وظلمنا.

فقال عليه السلام : «هيهات هيهات! أيّتها الغدرة المكرة، حيل بينكم وبين شهوات أنفسكم، أتريدون أن تأتوا إليّ كما أتيتم الى آبائي من قبل؟! كلا وربّ الراقصات، فإنّ الجرح لما يندمل؟! قتل أبي بالأمس وأهل بيته معه، ولم يُنسني ثكل رسول الله صلى الله عليه وآله وثكل أبي وبني أبي، ووجده بين لهاتي[1]، ومرارته بين حناجري وحلقي، وغصصه تجري في فراش[2] صدري. ومسألتي أن لا تكونوا لنا ولا علينا» ثم قال:

«لا غرو إنْ قتل الحسين فشيخه قد كان خيراً من حسين وأكرما

(١) اللهاة اللحمة في أقصى الفم.

(٢) الفراش: كل عظم رقيق بالٍ. فراش وفراشة، كسحاب وسحابة.

فلا تفرحوا يا أهل كوفان بالذي ... أصاب حسيناً كان ذلك أعظما
قتيل بشط النهر روحي فداوه ... جزاء الذي أرداه نار جهنما»

ثم قال: «رضينا منكم رأساً برأس فلا لنا ولا علينا»(١).

عند ابن زياد

وجاء سنان بن أنس النخعي الى باب ابن زياد فقال:

أوقر ركابي فضة أو ذهبا ... إنّي قتلت السيّد المحجبا
قتلت خير الناس أمّاً وأبا ... وخيرهم إذ ينسبون نسباً

فلم يعطهِ ابن زياد شيئاً(٢).

وقيل: إنّ سناناً أنشد هذه الأبيات على باب فسطاط عمر بن سعد فحذفه بالقضيب وقال: أومجنون أنت؟ والله لو سمعك ابن زياد لضرب عنقك(٣). وقيل: المنشد لها عند ابن سعد وهو شمر(٤). وقيل: إنّ قاتل الحسين عليه السلام أنشدها عند يزيد لعنه الله(٥). والله أعلم.

ثم إنّ ابن زياد لعنه الله جلس في قصر الإمارة وأذن للناس إذناً عاماً وأمر بإحضار رأس الحسين عليه السلام، فوضع بين يديه فجعل ينظر إليه ويبتسم وكان في يده قضيب، فجعل يضرب به ثناياه ويقول: إنّه كان حسن الثغر. وقال: لقد

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢: ١١٧ /ح ١٧١، الملهوف على قتلى الطفوف: ١٩٩ ـ ٢٠٠، مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٦٩ ـ ٧٠ المكتبة الحيدرية، بحار الأنوار ٤٥: ١١٢ ـ ١١٣ /ح ١ وفيها اختلاف وتفاوت يسير باللفظ.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١١٣.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٤٧، الكامل في التاريخ ٤: ٧٩ ـ ٨٠.

(٤) رياض المصائب: ٤٣٧.

(٥) مقاتل الطالبيين لأبي الفرج: ١١٩.

أسرع الشيب إليك يا أبا عبدالله، ثم قال: يوم بيوم بدر[١] .

وكان عنده أنس بن مالك، فبكى وقال :كان أشبههم برسول الله[٢] .

وكان الى جانبه زيد بن أرقم صاحب رسول الله ﷺ ، وهو شيخ كبير، فلما رآه يضرب بالقضيب ثناياه، قال له : ارفع قضيبك عن هاتين الشفتين، فوالله الذي لا إله غيره لقد رأيت شفتي رسول الله ﷺ ما لا أُحصيه كثرة يقبلهما، ثم انتحب باكياً، فقال له ابن زياد : أبكى الله عينيك أتبكي لفتح الله؟ والله لولا أنك شيخ قد خرفت وذهب عقلك لضربت عنقك؛ فنهض وهو يقول: أيها الناس! أنتم العبيد بعد اليوم، قتلتم ابن فاطمة، وأمّرتم ابن مرجانة، والله ليقتلن خياركم وليستعبدن شراركم، فبعداً لمن يرضى بالذلّ والعار .

ثم قال : يا ابن زياد لأُحدثنك حديثاً أغلظ عليك من هذا، رأيت رسول الله ﷺ أقعد حسناً على فخذه اليمنى، وحسيناً على فخذه اليسرى، ثم وضع يديه على يافوخيهما، ثم قال : «اللهمّ إنّي أستودعك إيّاهما وصالح المؤمنين!» فكيف كانت وديعة رسول الله عندك يا ابن زياد؟![٣]

زينب وزين العابدين

وأُدخل نساء الحسين عليه السلام ، وصبيانه على ابن زياد فلبست زينب عليها السلام أرذل ثيابها، وتنكّرت ومضت حتى جلست ناحية من القصر وحف بها إماؤها،

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٢٩ / ح ٢٤٢، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٤٩ / ح١٢، مثير الأحزان: ٧٢، وقد جمع المصنف بين رواياتهم باختلاف.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٢١٦ / باب مناقب المهاجرين والأنصار، كتاب بدء الخلق. ، العمدة لابن بطريق: ٤٠١ و ٤٠٤ /ح ٨١٨ و ح ٨٣١، فتح الباري ٧: ٧٥ .

(٣) تذكرة الخواص : ٢٥٧.

فقال ابن زياد : مَن هذه؟ فلم تجبه فأعاد الكلام ثانياً وثالثاً يسأل عنها فلم تجبه، فقال له بعض إمائها : هذه زينب بنت فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فأقبل عليها ابن زياد، وخاطبها بما فيه الشماتة والجفاء والغلظة والجرأة على الله ورسوله، كما يقتضيه لؤم عنصره وخبث طينته، وأراد تصديق كونه دعياً ابن دعي، فقال لها: الحمد لله الذي فضحكم وقتلكم وأكذب أُحدوثتكم! فأجابته زينب عليها السلام بما أخرسه وأخزاه وفضحه فقالت: «الحمد لله الذي أكرمنا بنبيّه محمّد ﷺ، وطهّرنا من الرجس تطهيراً، إنّما يفتضح الفاسق، ويُكذّب الفاجر، وهو غيرنا» .

فقال :كيف رأيت فعل الله بأخيك وأهل بيتك؟ فقالت : «ما رأيت إلّا جميلاً، هؤلاء قوم كتب الله عليهم القتل فبرزوا الى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم، فتتحاجّون إليه وتختصمون عنده، فانظر لمن الفلج يومئذ هبلتك أُمّك يا ابن مرجانة».

فغضب واستشاط حين أعياه الجواب، وكأنه همّ بها، فقال له عمرو بن حريث: أيها الأمير إنّها امرأة والمرأة لا تؤاخذ بشيء من منطقها، ولا تذم على خطيئتها.

فلجأ ابن زياد حينئذٍ الى البذاءة وسوء القول مما هو جدير به فقال لها: لقد شفى الله نفسي من طاغيتك الحسين، والعصاة المردة من أهل بيتك!! فرقّت زينب وبكت، وقالت له: «لعمري لقد قتلت كهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي، فإن كان هذا شفاءك فقد اشتفيت» .

وعرض عليه زين العابدين عليّ بن الحسين عليه السلام فقال: من أنت ؟ قال : «عليّ بن الحسين» فقال: أليس قد قتل الله عليّ بن الحسين، فقال له عليّ: «قد كان لي أخ يسمّى عليّاً قتله الناس»، فقال : بل الله قتله، فقال عليّ بن الحسين: ﴿الله

يتوفّى الأنفس حين موتها﴾[١]، فغضب ابن زياد وقال : وَبِكَ جرأة لجوابي وفيك بقية للردّ عليّ؟! اذهبوا به فاضربوا عنقه. فتعلّقت به عمّته زينب، وقالت : «يا ابن زياد حسبك من دمائنا»؛ واعتنقته وقالت : «لا والله لا أُفارقه فإن قتلته فاقتلني معه» فقال لها عليّ : «أُسكتي يا عمّة حتى أُكلّمه»، ثم أقبل عليه فقال: «أبالقتل تهدّدني يا ابن زياد؟ أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة».

ثم أمر ابن زياد بعليّ بن الحسين عليه السلام وأهل بيته فحملوا الى دار بجنب المسجد الأعظم، فقالت زينب بنت عليّ عليه السلام : «لا تدخلنّ علينا عربية إلّا أُمّ ولد أو مملوكة فإنهنّ سُبينَ كما سُبينا»[٢] .

ولمّا أصبح ابن زياد أمر برأس الحسين فطيف به في سكك الكوفة كلّها وقبائلها، ولما فرغ القوم من التطواف به في الكوفة ردّوه الى باب القصر[٣] .

ثم إنّ ابن زياد نصب الرؤوس كلّها بالكوفة على الخشب، وهي أوّل رؤوس نصبت في الإسلام، بعد رأس مسلم بن عقيل بالكوفة[٤].

ابن زياد يبشّر يزيد وعمرو بن سعيد

وكتب ابن زياد الى يزيد يخبره بقتل الحسين عليه السلام وخبر أهل بيته[٥] .

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) الإرشاد ٢: ١١٥ ـ ١١٧، الكامل في التاريخ ٤: ٨١ ـ ٨٢، ولم يذكرا أو يوردا ما جاء في آخر الرواية والذي أورد الرواية بهذا النصّ مع تفاوت.

الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ٢: ٤٧ ـ ٤٨، والسيد ابن طاووس في الملهوف: ٢٠٠ ـ ٢٠٢.

(٣) الإرشاد ٢: ١١٧ و ١١٨.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٥٩.

(٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠٧ .

وتقدم الى عبد الملك بن الحارث[١] السلمي فقال: انطلق حتى تأتي عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة وكان أميراً عليها وهو من بني أُمية فتبشره بقتل الحسين عليه السلام، وقال: لا يسبقنّك الخبر إليه، قال عبد الملك: فركبت راحلتي وسرت نحو المدينة، فلقيني رجل من قريش، فقال: ما الخبر؟ قلت: الخبر عند الأمير تسمعه، قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون قتل والله الحسين، ولمّا دخلت على عمرو بن سعيد قال: ما وراءك؟ قلت: ما يسرّ الأمير، قُتل الحسين بن عليّ، فقال: اخرج فناد بقتله، فناديت، فلم أُسمع واعية قط مثل واعية بني هاشم في دورهم على الحسين بن علي حين سمعوا بقتله، فدخلت على عمرو بن سعيد، فلما رآني تبسم إليّ ضاحكاً، ثم تمثّل بقول عمرو بن معديكرب الزبيدي، وقيل[٢]: إنّه لما سمع أصوات نساء بني هاشم ضحك، وتمثل بذلك فقال:

عجّت نساء بني زياد عجّة كعجيج نسوتنا غداة الأرنب[٣]

ثم قال عمرو: هذه واعية بواعية عثمان، ثم صعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم قتل الحسين عليه السلام[٤]، وقال في خطبته: إنّها لدمة بلدمة، وصدمة بصدمة، [كم خطبة بعد خطبة][٥]، وموعظة بعد موعظة ﴿حكمة بالغة فما تغني النذر﴾[٦] والله لوددت أنّ رأسه في بدنه، وروحه في جسده، أحياناً كان يسبّنا،

---

(١) في الإرشاد [ابن أبي الحُديث].

(٢) الكامل في التاريخ ٤: ٨٩.

(٣) الأرنب: وقعة كانت لبني زيد على بني زياد بن الحارث بن كعب.
وهذه العبارة ذكرها ابن الأثير في الكامل ٤: ٨٩.

(٤) الإرشاد ٢: ١٣٢، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٥٦ ـ ٣٥٧.

(٥) ليست في المصدر.

(٦) القمر: ٥.

ونمدحه، ويقطعنا ونصله كعادتنا وعادته، ولم يكن من أمره ما كان، ولكن كيف نصنع بمن سل سيفه يريد قتلنا، إلّا أن ندفعه عن أنفسنا، فقام عبدالله بن السائب، فقال : لو كانت فاطمة حيّة فرأت رأس الحسين عليه السلام لبكت عليه! فجبهه عمروبن سعيد، وقال: نحن أحقّ بفاطمة منك، أبوها عمّنا، وزوجها أخونا، وابنها ابننا، لو كانت فاطمة حيّة لبكت عينها، وحرت[١] كبدها، وما[٢] لامت من قتله، ودفعه عن نفسه[٣].

الى يزيد

وأما يزيد فإنه لما وصله كتاب ابن زياد أجابه عليه يأمره بحمل رأس الحسين عليه السلام ورؤوس من قتل معه، وحمل أثقاله ونسائه وعياله[٤] . فأرسل ابن زياد الرؤوس مع زحر بن قيس وأنفذ معه أبا بردة بن عوف الأزدي، وطارق بن أبي ظبيان، في جماعة من أهل الكوفة الى يزيد.

ثم أمر ابن زياد بنساء الحسين عليه السلام، وصبيانه فجهزوا، وأمر بعليّ بن الحسين عليه السلام فغلّ بغلّ الى عنقه ـ وفي رواية : في يديه ورقبته[٥] ـ ثم سرّح بهم في أثر الرؤوس مع محفر بن ثعلبة العائذي، وشمر بن ذي الجوشن، وحملهم على الأقتاب [وساروا بهم كما يسار بسبايا الكفار][٦] فانطلقوا بهم

---

(١) في المصدر [حزن].

(٢) في المصدر [ولكن].

(٣) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٨٤ ـ ٨٥.

(٤) مدينة المعاجز ٤: ١٠٣.

(٥) الكامل في التاريخ ٤: ٨٣.

(٦) ما بين المعقوفتين لم ترد في المصادر. ذكرها السيد ابن طاووس في الملهوف: ٢٠٨ . وذكر أيضاً اسم محفر كما ذكره المصنف.

حتى لحقوا بالقوم الذين معهم الرؤوس فلم يكلّم عليّ بن الحسين عليه السلام أحداً منهم في الطريق بكلمة حتى بلغوا الشام.

فلما انتهوا الى باب يزيد، رفع محفر[١] بن ثعلبة صوته فقال : هذا محفر ابن ثعلبة أتى أميرالمؤمنين باللئام الفجرة. فأجابه[٢] عليّ بن الحسين عليه السلام : «ما ولدت أمّ محفر أشرّ وألأم»[٣].

قال الزهري : لما جاءت الرؤوس كان يزيد في منظرة له على جيرون فأنشد لنفسه:

لما بدت تلك الحمول وأشرقت   تلك الشموس على رُبىٰ جيرون[٤]
نعب الغراب فقلت صحْ أو لا تصح   فلقد قضيت من الغريم ديوني[٥]

وفي جواهر المطالب لأبي البركات شمس الدين محمّد الباغندي. كما في نسخة مخطوطة في المكتبة الرضوية المباركة: قال ابن القفطي في تاريخه: إنّ السبي لما ورد على يزيد بن معاوية، خرج لتلقيه فلقي الأطفال والنساء من ذرية علي والحسن والحسين، والرؤوس على أسنّة الرماح، وقد أشرفوا على ثنية العقاب، فلما رآهم أنشد:

لما بدت تلك الحمول وأشرفت   تلك الرؤوس على رُبى جيرون
نعب الغراب فقلت: قل أو لا تقل   فلقد قضيت[٦] من الرسول ديوني

يعنى بذلك أنّه قتل الحسين بمن قتله رسول الله صلى الله عليه وآله يوم بدر، مثل عتبة

---

(١) في الإرشاد [مجفر].

(٢) الطبري في تاريخ الأمم والملوك وغيره نسبوا الجواب ليزيد(لع).

(٣) الإرشاد ٢: ١١٨ ـ ١١٩، تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٤) جيرون: المعروف اليوم أن باباً من أبواب الجامع بدمشق، وهو بابه الشرقي. معجم البلدان ٢: ١٩٩.

(٥) تذكرة الخواص: ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٦) في المصدر [اقتضيت].

جده ومن مضى من أسلافه.

وقائل مثل هذا بريء من الإسلام ولا شك في كفره[١].

وقال في موضع آخر: قال بعض أهل التاريخ: هذا كفر صريح لا يقوله مقر بنبوّة محمّد ﷺ[٢]... الخ.

ولما قربوا من دمشق دنت أُم كلثوم من شمر، فقالت له: لي إليك حاجة. فقال: ما حاجتك؟ قالت: إذا دخلت بنا البلد فاحملنا في درب قليل النظّارة، وتقدم إليهم أن يخرجوا هذه الرؤوس من بين المحامل وينحّونا عنها، فقد خزينا من كثرة النظر إلينا، ونحن في هذه الحال. فأمر في جواب سؤالها: أن تُجعل الرؤوس على الرماح في أوساط المحامل. بغيا منه وكفراً، وسلك بهم بين النظّارة على تلك الصفة، حتى أتى بهم باب دمشق، فوقفوا على درج باب المسجد الجامع حيث يقام السبي.

وجاء شيخ فدنا من نساء الحسين وعياله، فظنّهم من سبايا الكفّار، وقال: الحمد لله الذي أهلككم وقتلكم وأراح البلاد من رجالكم وأمكن أميرالمؤمنين منكم؟!! فقال له عليّ بن الحسين: «يا شيخ هل قرأت القرآن؟قال: نعم، قال: فهل عرفت هذه الآية ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً إلّا المودة في القربى؟﴾[٣] قال: قد قرأت ذلك، فقال له علي: فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت: ﴿وآت ذا القربى حقّه؟﴾[٤] فقال: قد قرأت ذلك. فقال عليّ: فنحن القربى يا شيخ. فهل قرأت

---

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ٢: ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٢) المصدر السابق: ٣٠٠.

(٣) الشورى: ٢٣.

(٤) الإسراء: ٢٦.

هذه الآية: ﴿واعلموا أنّما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى؟﴾[١] قال : نعم. فقال له عليّ: فنحن القربى يا شيخ. ولكن هل قرأت: ﴿إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾[٢] قال : قد قرأت ذلك. فقال عليّ: فنحن أهل البيت الذين اختصنا الله بآية الطهارة يا شيخ» قال فبقي الشيخ ساكتاً نادماً على ما تكلّم به وقال : بالله إنّكم هم؟ فقال عليّ بن الحسين عليه السلام : «تالله إنّا لنحن هم من غير شكّ، وحقّ جدّنا رسول الله صلى الله عليه وآله، إنّا لنحن هم» فبكى الشيخ ورمى عمامته، ثم رفع رأسه الى السماء وقال : اللهمّ إنّي أبرأ إليك من عدوّ آل محمّد من جن وإنس، ثم قال : هل لي من توبة؟ فقال له : «نعم إن تبت تاب الله عليك وأنت معنا» فقال : أنا تائب. فبلغ يزيد خبره فأمر بقتله فقتل[٣] . ثم إنّ يزيد دعا بأشراف أهل الشام فأجلسهم حوله.

عند يزيد[٤]

ثم أُدخل ثقل الحسين عليه السلام ونساؤه ومن تخلّف من أهله على يزيد، وهم مقرنون في الحبال. وزين العابدين عليه السلام مغلول فلما وقفوا بين يديه على تلك الحال، قال له عليّ بن الحسين عليه السلام : «أنشدك الله يا يزيد ما ظنّك برسول الله صلى الله عليه وآله لو رآنا على هذه الصفة؟» فلم يبق في القوم أحد إلّا وبكى فأمر يزيد بالحبال فقطعت[٥]، وأمر بفك الغل عن زين العابدين[٦] عليه السلام.

---

(١) الأنفال: ٤١.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٠ ـ ٢١٣ .

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٥٢.

(٥) تذكرة الخواص : ٢٦٢، الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٣ ، الأنوار النعمانية ٣: ٢٥١. وقد جمع المصنف بين رواياتهم بتفاوت واختصار.

ثم وضع رأس الحسين عليه السلام بين يديه وأجلس النساء خلفه لئلّا ينظرن إليه فجعلت فاطمة وسكينة يتطاولان لينظرا الرأس، وجعل يزيد يتطاول ليستر عنهما الرأس، فلما رأين الرأس صحن فصاح نساء يزيد، وولولت بنات معاوية، فقالت فاطمة بنت الحسين عليه السلام : أبنات رسول الله سبايا يا يزيد؟! فبكى الناس وبكى أهل داره حتى علت الأصوات(١) .

وأما زينب فإنها لمّا رأته نادت بصوت حزين يقرح القلوب : «يا حسيناه! ياحبيب رسول الله! يا ابن مكة ومنى! يا ابن فاطمة الزهراء سيدة النساء! يا ابن بنت المصطفى!» فأبكت والله كلّ من كان حاضراً في المجلس، ويزيد ساكت، ثم جعلت امرأة من بني هاشم كانت في دار يزيد تندب الحسين عليه السلام وتنادي : يا حبيباه! يا سيّد أهل بيتاه! يا ابن محمّداه! يا ربيع الأرامل واليتامى! يا قتيل أولاد الأدعياء! فأبكت كل من سمعها(٢) .

ولما وضعت الرؤوس بين يدي يزيد وفيها رأس الحسين عليه السلام جعل يتمثل بقول الحصين ابن الحمام المري:

صبرنا وكان الصبر منّا سجية ... بأسيافنا تفرين هاماً ومعصما
أبى قومنا أن ينصفونا فأنصفت ... قواضب في أيماننا تقطر الدما
نفلّق هاماً من رجال أعزّة علينا ... وهم كانوا أعقّ وأظلما

ودعا بقضيب خيزران وجعل ينكت به ثنايا الحسين عليه السلام ، ثم قال : يوم

---

(٦) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ٢: ٢٩٤ ـ ٢٩٥ باختلاف يسير في اللفظ.

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ٢: ٢٩٥، مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٧٨ ـ ٧٩. وفيهما اختصار وتفاوت باللفظ.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٣ ـ ٢١٤ ، بحار الأنوار ٤٥: ١٣٢.

بيوم بدر(١).

وكان عنده أبو برزة الأسلمي فقال: ويحك يا يزيد! أتنكت بقضيبك ثغر الحسين بن فاطمة؟ أشهد لقد رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله يرشف ثناياه، وثنايا أخيه الحسن ويقول: «أنتما سيّدا شباب أهل الجنة، فقتل الله قاتلكما، ولعنه وأعدّ له جهنّم وساءت مصيرا». فغضب يزيد وأمر بإخراجه فأُخرج سحباً(٢).

وفي جواهر المطالب للباغندي: إنه لمّا وفد أهل الكوفة بالسبايا والرؤوس ودخلوا مسجد دمشق أتاهم مروان بن الحكم، فسألهم، كيف صنعوا؟ فأخبروه، ثم قام عنهم، فأتى يحيى بن الحكم أخو مروان فسألهم، فأعادوا له الكلام، فقال: حجبتم عن محمّد صلى الله عليه وآله يوم القيامة. وقال يحيى بن الحكم، وكان جالساً مع يزيد متمثلاً:

لهام بجنب الطف أدنى قرابة من ابن زياد العبد ذي الحسب(٣) الوغل
سميّة أضحى نسلها عدد الحصى وبنت رسول الله ليس لها نسل

فضرب يزيد في صدره وقال: أُسكت(٤).

وفي رواية أنه اسر إليه وقال: سبحان الله! أفي هذا الموضع؟! ما يسعك السكوت(٥). قال الباغندي: وذكر الحافظ ابن عساكر: أن يزيد لما وضع

(١) مرآة الجنان لليافعي ١: ١٣٥ ذكرها في حوادث سنة (٦١ هـ) أوفسيت الأعلمي، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١١٤ واقتصر على البيت الأخير، والكامل في التاريخ ٤: ٨٥ ولم يورد البيت الأوّل، ولا قول يزيد(لع) الأخير، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٥ / ح٢٩. ولم يذكر قوله يزيد(لع) (بيوم يوم بدر).

(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٦٤، الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٤.

(٣) في المصدر [النسب].

(٤) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ٢: ٢٩٤.

(٥) بحار الأنوار ٤٥: ١٣١ وفيه [أُسر الى عبدالرحمن].

الرأس بين يديه جعل يتمثّل بأبيات ابن الزبعري[١] .

وزاد يزيد فيها البيتين الأخيرين[٢] كما رواه سبط ابن الجوزي عن الشعبي، وينبغي أن يكون زاد فيها البيت الثاني أيضاً ولكنه غير مذكور في رواية ابن الجوزي:

ليت أشياخي ببدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل
فأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل
قد قتلنا القرم من ساداتهم وعدلناه ببدر فاعتدل
لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل
لست من خندف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل[٣]

خطبة زينب عليها السلام بالشام

فقامت زينب بنت علي عليه السلام فقالت:

«الحمد لله ربّ العالمين، وصلى الله على رسوله وآله أجمعين.

صدق الله سبحانه كذلك حيث يقول : ﴿ثم كان عاقبة الذين أساؤوا السوءى أن كذّبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون﴾[٤] أظننت يا يزيد، حيث أخذت علينا أقطار الأرض وآفاق السماء، فأصبحنا نساق كما تُساق الإماء، أنّ بنا هوانا على الله وبك عليه كرامة؟! وأن ذلك لعظم خطرك عنده؟! فشمخت بأنفك ونظرت في عطفك، جذلان مسرورا، حين رأيت الدنيا لك مستوسقة والأُمور متسقة،

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام: ٢٩٩.

(٢) أورد هذا البيت الخوارزمي في مقتل الحسين عليه السلام ٢: ٦٥، والسيد ابن طاووس في الملهوف: ٢١٤.

(٣) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٦١.

(٤) الروم: ١٠.

وحين صفا لك ملكنا وسلطاننا، فمهلاً لا تطش جهلاً، أنسيت قول الله تعالى: ﴿ولا يحسبن الذين كفروا أنّما نُملي لهم خيرٌ لأنفسهم إنّما نُملي لهم ليزدادوا إثماً ولهم عذاب مهين﴾[1] أمن العدل يا ابن الطلقاء! تخديرك حرائرك وإماءك، وسوقك بنات رسول الله ﷺ سبايا؟ قد هتكت ستورهن، وأبديت وجوههن، تحدو بهنّ الأعداء من بلد الى بلد، ويستشرفهنّ أهل المناهل والمناقل، ويتصفح وجوههنّ القريب والبعيد، والدني والشريف، ليس معهنّ من حماتهن حمي، ولا[2] رجالهن وليّ، وكيف ترتجى مراقبة ابن من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه بدماء الشهداء؟ وكيف يستبطأ في بغضنا أهل البيت، من نظر إلينا بالشنف والشنآن والإحن والأضغان؟! ثم تقول غير متأثم ولا مستعظم:

لأهلّوا واستهلّوا فرحاً ثم قالوا: يا يزيد لا تشل

منحنياً على ثنايا أبي عبدالله، ومكان مقبل رسول الله تنكتها بمخصرتك؟ وكيف لا تقول ذلك، وقد نكأت القرحة واستأصلت الشأفة، بإراقتك دماء ذريّة محمّد ﷺ ، ونجوم الأرض من آل عبدالمطلب؟ وتهتف بأشياخك زعمت أنك تناديهم! فلتردن وشيكاً موردهم، ولتودن أنّك شللت وبكمت، ولم تكن قلت ما قلت، وفعلت ما فعلت.

اللهمّ خُذ لنا بحقّنا وانتقم ممّن ظلمنا، وأحلل غضبك بمن سفك دماءنا، وقتل حماتنا، فوالله ما فريت إلّا جلدك، ولا حززت إلّا لحمتك، ولتردنّ على رسول الله ﷺ بما تحمّلت من سفك دماء ذريته، وانتهكت من حرمته في عترته ولحمته، حيث يجمع الله شملهم ويلم شعثهم، ويأخذ لهم بحقهم، ﴿ولا

---

(١) آل عمران: ١٧٨.

(٢) [من].

تحسبن الذين قُتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربّهم يرزقون﴾[١] وحسبك بالله حاكماً، وبمحمد خصيماً، وبجبرائيل ظهيراً، وسيعلم من سوّل لك ومكّنك من رقاب المسلمين، أن بئس للظالمين بدلاً، وأيكم شرّ مكاناً وأضعف جندا.

ولئن جرت عليّ الدواهي مخاطبتك، إنّي لأستصغر قدرك، واستعظم تقريعك، واستكبر توبيخك، لكن العيون عبرى، والصدور حرّى، ألا فالعجب كلّ العجب لقتل حزب الله النجباء، بحزب الشيطان الطلقاء، فهذه الأيدي تنطف[٢] من دمائنا، والأفواه تتحلب من لحومنا، وتلك الجثث الطواهر الزواكي تنتابها العواسل وتعفرها أُمّهات الفراعل ولئن اتخذتنا مغنماً، لتجدنّنا وشيكا مغرما حيث لا تجد إلّا ما قدّمت يداك، وما ربّك بظلّام للعبيد، فإلى الله المشتكى، وعليه المعول .

فكدكيدك، واسع سعيك، وناصب جهدك، فوالله لا تمحو ذكرنا، ولا تميت وحينا، ولا تدرك أمدنا ولا ترحض عنك عارها م وهل رأيك إلّا فند، وأيّامك إلّا عدد، وجمعك إلّا بدد يوم ينادي المنادي : ألا لعنة الله على الظالمين .

فالحمد لله الذي ختم لأوّلنا بالسعادة والمغفرة، ولآخرنا بالشهادة والرحمة، ونسأل الله أن يكمل لهم الثواب، ويوجب لهم المزيد، ويحسن علينا الخلافة، إنّه رحيم ودود، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

فقال يزيد مجيباً لها:

يا صيحة تحمد من صوائح ما أهون النوح على النوائح[٣]

---

(١) آل عمران: ١٦٩.

(٢) في الملهوف [تنضح].

(٣) بلاغات النساء: ٣١ ـ ٣٣، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٧١ ـ ٧٤ / ح٣٢، الاحتجاج للطبرسي ٢: ١٢٢

في مجلس يزيد

ثم قال يزيد لعليّ بن الحسين: يا ابن الحسين أبوك قطع رحمي، وجهل حقّي، ونازعني سلطاني، فصنع الله به ما قد رأيت، فقال له عليّ: «بل ما قال الله أولى: ﴿ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلّا في كتاب من قبل أن نبرأها إنّ ذلك على الله يسير * لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم والله لا يحبّ كلّ مختال فخور﴾(١)».

فقال يزيد لابنه خالد: اردد عليه، فلم يدر خالد ما يردّ عليه، فقال له يزيد: ﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾(٢).

فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: «يا ابن معاوية، وهند، وصخر! لقد كان جدي عليّ بن أبي طالب في يوم بدر، وأُحد، والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدّك في أيديهما رايات الكفّار»، ثم قال عليّ بن الحسين عليه السلام: «ويلك يا يزيد! إنّك لو تدري ماذا صنعت؟ وما الذي ارتكبت من أبي وأهل بيتي وأخي وعمومتي؟ إذاً لهربت في الجبال، وافترشت الرماد(٣)، ودعوت بالويل والثبور، أن يكون رأس أبي الحسين بن فاطمة وعليّ منصوباً على باب مدينتكم، وهو وديعة رسول الله صلى الله عليه وآله فيكم؟ فأبشر بالخزي والندامة»(٤).

← ـ ١٣١ /ح ١٧٣، الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٥ ـ ٢١٨، وقد جمع المصنف بين رواياتهم.

(١) الحديد: ٢٢ ـ ٢٣.

(٢) الشورى: ٣٠.

(٣) في المصدر [الرمال].

(٤) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٧٠ ـ ٧١ /ح ٣١، بحار الأنوار ٤٥: ١٣٥ ـ ١٣٦ ولم يذكر الآية الثانية من سورة الحديد. وروى هذه الرواية باختصار الشيخ المفيد في الإرشاد ٢: ١٢٠ وابن الأثير في الكامل في التاريخ ٤: ٨٦ ـ ٨٧.

قال ابن شهرآشوب : وموضع حبس زين العابدين هو اليوم مسجد[١]...الخ وقال ابن عساكر : مسجده بدمشق معروف وهو الذي يقال له: مشهد عليّ بجامع دمشق[٢]... الخ.

واستشار يزيد أهل الشام فيما يصنع بهم؟ فقال له بعضهم : لا تتخذ من كلب سوء جرواً، فقال له النعمان بن بشير : انظر ماكان رسول اللهﷺ يصنعه بهم فاصنعه بهم[٣].

في دمشق

ثم أمر لهم يزيد بدار تتصل بداره[٤] .

وكانوا مدّة مقامهم بالشام ينوحون على الحسينعليه السلام[٥]، ثم إنه نصب الرأس بدمشق ثلاثة أيّام فيما ذكره الباغندي[٦] وغيره[٧].

وعن ابن لهيعة عن أبي الأسود محمّد بن عبدالرحمن قال : لقيني رأس الجالوت، فقال : والله إنّ بيني وبين داود لسبعين أباً، وإن اليهود تلقاني فتُعظّمني وأنتم ليس بين ابن نبيّكم، وبينه إلّا أب واحد قتلتم ولده.

وعن زين العابدينعليه السلام قال : «لما أُتي برأس الحسينعليه السلام الى يزيد كان يتخذ

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٣.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٣٦٠ وفيه (وقدم دمشق بعد قتل أبيه الحسين بن عليّ، ومسجده المنسوب إليه فيها معروف).

(٣) مقتل الحسينعليه السلام للخوارزمي ٢: ٧٤ /ح ٣٢، الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٨ .

(٤) مقتل الحسينعليه السلام للخوارزمي ٢: ٨٢ /ح ٣٣، الكامل في التاريخ ٤: ٨٧. وفيهما اختلاف باللفظ.

(٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٩ .

(٦) جواهر المطالب في مناقب الإمام عليعليه السلام ٢: ٢٩٩ .

(٧) مقتل الحسينعليه السلام للخوارزمي ٢: ٨٣ /ح ٣٤، البداية والنهاية ٨: ٢٢٢.

مجالس الشرب ويأتي برأس الحسين عليه السلام ويضعه بين يديه ويشرب عليه»[١].

وخرج زين العابدين عليه السلام يوماً يمشي في أسواق دمشق فاستقبله المنهال ابن عمرو فقال له: كيف أمسيت يا ابن رسول الله؟ قال: «أمسينا كمثل بني إسرائيل في آل فرعون، يذبحون أبناءهم ويستحيون نساءهم، يا منهال! أمست العرب تفتخر على العجم بأنّ محمّداً عربيّ وأمست قريش تفتخر على سائر العرب بأنّ محمّداً منها وأمسينا معشر أهل بيته، ونحن مغصوبون مقتولون مشرّدون، إنّا لله وإنّا إليه راجعون ممّا أمسينا فيه يا منهال»... الخ. ولله در مهيار حيث قال:

يعظّمون له أعواد منبره وتحت أرجلهم أولاده وضعوا
بأي حكم بنوه يتبعونكم وفخركم أنكم صحب له تبع[٢]

وأمر يزيد بمنبر وخطيب وأمر الخطيب أن يصعد المنبر فيذم الحسين وأباه صلوات الله عليهم، فصعد الخطيب المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، ثم بالغ في ذم أميرالمؤمنين والحسين الشهيد، وأطنب في مدح معاوية ويزيد فذكرهما بكل جميل.

فصاح به عليّ بن الحسين عليه السلام: «ويلك! أيّها الخاطب اشتريت مرضاة المخلوق بسخط الخالق؟ فتبوّأ مقعدك من النار»[٣].

ودعا يزيد بعليّ بن الحسين وعمرو بن الحسين عليه السلام، وكان عمرو غلاماً صغيراً يقال: إن عمره إحدى عشرة سنة، فقال له: أتصارع هذا؟ يعني ابنه خالداً، فقال له عمرو: ولكن أعطني سكيناً وأعطه سكيناً، ثم أقاتله، فقال يزيد:

---

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٢ ـ ٢٢٣، مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٨٤.

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١٩، مثير الأحزان لابن نما: ٨١، بحار الأنوار ٤٥: ١٣٧.

شـــنشنة أعـــرفها مـــن أخـــزم هـــــل تـــــلد الحـــية إلّا حـــيّة

وكان يزيد وعد عليّ بن الحسين يوم دخولهم عليه، أن يقضي له ثـلاث حاجات فقال له: أُذكر حاجاتك الثلاث اللآتي وعدتك بقضائهن فـقال له: «الأُولى: أن تريني وجه سيّدي ومولاي وأبي الحسين، فأتزوّد منه وانظر إليه وأودّعه.

والثانية: أن تردّ علينا ما أُخذ منّا.

والثالثة: إن كنت عزمت على قتلي أن توجه مع هؤلاء النساء مـن يـردهن الى حـرم جدهنّ ﷺ» فقال: أما وجه أبيك فلن تراه أبداً، وأما قتلك فقد عفوت عنك، وأما النساء فما يردهنّ غيرك الى المدينة، وأما ما أخذ منكم فـأنا أُعـوضكم عـنه أضعاف قيمته، فقال عليه السلام: «أما مالك فلا نريده، وهو موفر عليك، وإنّما طلبت منك ما أخذ منّا، لأنّ فيه مغزل فاطمة بنت محمّد ﷺ ومقنعتها وقلادتها وقميصها»، فـأمر بـردّ ذلك، وزاد فيه من عنده مائتي دينار، فأخذها زيـن العـابدين وفـرّقها فـي(١) الفقراء والمساكين(٢).

الى المدينة

ثم إنّ يزيد أمر بردّ السبايا والأُسارى الى المدينة، وأرسل معهم النعمان بن بشير الأنصاري في جماعة(٣)، فلما بلغوا العراق قالوا للدليل: مرَّ بـنا عـلى طريق كربلاء(٤) وكان جابر بن عبد الله الأنصاري، وجماعة مـن بـني هاشم، ورجال من آل الرسول ﷺ قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فبينا هم كـذلك

(١) في المصدر [على].

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٣ ـ ٢٢٤، مثير الأحزان لابن نما: ٨٤ ـ ٥٨، بحار الأنوار ٤٥: ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٣) مثير الأحزان لابن نما: ٨٥

(٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٥.

إذا بسواد قد طلع عليهم من ناحية الشام، فقال جابر لعبده : إنطلق الى هذا السواد وائتنا بخبره، فإن كانوا من أصحاب عمر بن سعد فارجع إلينا لعلنا نلجأ الى ملجأ، وإن كان زين العابدين فأنت حرّ لوجه الله تعالى، فمضى العبد فما كان بأسرع من ان رجع وهو يقول : يا جابر قُم واستقبل حرم رسول الله، هذا زين العابدين قد جاء بعمّاته وأخواته، فقام جابر يمشي حافي الأقدام مكشوف الرأس الى أن دنا من زين العابدين عليه السلام ، فقال الإمام : «أنت جابر؟» فقال : نعم يا ابن رسول الله، فقال : «يا جابر ههنا والله قتلت رجالنا، وذبحت أطفالنا، وسبيت نساؤنا، وحُرقت خيامنا»[1].

وقال ابن طاووس في كتاب الملهوف : إنّهم لمّا وصلوا الى موضع المصرع وجدوا جابر بن عبد الله الأنصاري وجماعة من بني هاشم ورجالاً من آل الرسول صلى الله عليه وآله ، قد وردوا لزيارة قبر الحسين عليه السلام، فتوافوا في وقت واحد، وتلاقوا بالبكاء والحزن ،وأقاموا المأتم، واجتمع عليهم أهل ذلك السواد، وأقاموا على ذلك أيّاماً[2]... الخ.

نعي الحسين لأهل المدينة

ثم انفصلوا من كربلاء طالبين المدينة .

قال بشير بن جذيم[3] : فلمّا قربنا منها نزل عليّ بن الحسين عليه السلام فحطّ رحله وضرب فسطاطه وأنزل نساءه. وقال : «يا بشير رحم الله أباك لقد كان شاعراً

---

(١) لم أعثر عليه في المصادر التي بين أيدينا. وقد ذكر المصنف هذه الرواية في كتابه لواعج الأشجان: ٢٤١ ـ ٢٤٢.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٥ بتفاوت يسير باللفظ.

(٣) في المصدر [حذلم].

فهل تقدر على شيء منه؟» قلت : بلى يا ابن رسول الله إنّي لشاعر. قال : «فادخل المدينة وانع أبا عبد الله»، قال بشير : فركبت فرسي وركضت حتى دخلت المدينة، فلما بلغت مسجد النبيّ ﷺ ، رفعت صوتي بالبكاء، وأنشأت أقول :

يا أهل يثرب لا مقام لكم بها قُتل الحسين فأدمعي مدرار
الجسم منه بكربلاء مضرّج والرأس منه على القناة يدار

ثم قلت : يا أهل المدينة هذا عليّ بن الحسين مع عمّاته وأخواته قد حلّوا بساحتكم ونزلوا بفنائكم، وأنا رسوله إليكم أُعرّفكم مكانه. قال : فما بقيت في المدينة مخدّرة ولا محجّبة إلّا برزن من خدورهن وهنّ يدعين بالويل والثبور، ولم يبق بالمدينة أحد إلّا خرج وهم يصيحون بالبكاء، فلم أر باكياً أكثر من ذلك اليوم، ولا يوماً أمرَّ على المسلمين منه بعد وفاة رسول الله ﷺ. فضربت فرسي حتى رجعت فوجدت الناس قد أخذوا الطرق والمواضع، فنزلت عن فرسي وتخطأت رقاب الناس، حتى قربت من باب الفسطاط، وكان عليّ بن الحسين عليه السلام داخلاً، فخرج ومعه خرقة يمسح بها دموعه، وخلفه خادم معه كرسي، فوضعه له وجلس عليه وهو لا يتمالك من العبرة، وارتفعت أصوات الناس بالبكاء، من كل ناحية يعزّونه، فضجت تلك البقعة ضجة شديدة فأومأ بيده أن اسكتوا فسكنت فورتهم فقال : «الحمد لله ربّ العالمين، الرحمن الرحيم مالك يوم الدين[١] باريء الخلائق أجمعين الذي بَعُد فارتفع في السماوات العُلى، وقرب فشهد النجوى، نحمده على عظائم الأمور، وفجائع الدهور، وألم الفجائع[٢]، ومضاضة اللواذع، وجليل الرزء، وعظيم المصائب الفاظعة الفادحة الجائحة، أيها القوم: إن

(١) إشارة الى سورة الفاتحة من الآية: ٢ ـ ٤.

(٢) في المصدر [الفواجع].

الله وله الحمد ابتلانا بمصائب جليلة، وثلمة في الإسلام عظيمة قُتل أبو عبدالله وعترته وسُبي نساؤه وصبيته، وداروا برأسه في البلدان من فوق عامل السنان، وهذه الرزية التي لا مثلها رزية. أيّها الناس، فأيّ رجالاتٍ منكم يَسرّون بعد قتله؟! أم أي فؤاد لا يحزن من أجله؟! أم أي عين منكم تحبس دمعها وتضنّ عن انهمالها؟! يا أيّها الناس! أي قلب لا ينصدع لقتله؟! أم أي فؤاد لا يحنّ إليه أم أيّ سمع يسمع هذه الثلمة التي ثلمت في الإسلام ولا يصم؟! أيّها الناس، أصبحنا مطرودين مشرّدين مذودين شاسعين عن الأمصار، من غير جرم اجترمناه، ولا مكروه ارتكبناه، ولا ثلمة في الإسلام ثلمناها ﴿ما سمعنا بهذا في آبائنا الأوّلين إن هذا إلّا اختلاق﴾، والله لو ان النبيّ صلى الله عليه وآله تقدم إليهم في قتالنا كما تقدم إليهم في الوصاية بنا لما زادوا على ما فعلوا بنا فإنّا لله وإنّا إليه راجعون، من مصيبة ما أعظمها وأوجعها وأفجعها وأكظها وأفظعها وأمرها وأفدحها، فعند الله نحتسب فيما أصابنا وما بلغ منا إنه عزيز ذو انتقام».

ثم دخل زين العابدين عليه السلام الى المدينة فرآها موحشة باكيةً ووجد ديار أهله خالية تنعى أهلها وتندب سكانها[1]، ولنعم ما قال الشاعر:

مررت على أبيات آل محمّد فلم أرها أمثالها يوم حلّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغم تخلّت[2]

بعض أحوال يزيد وما فعله مع ابن زياد

في جواهر المطالب لأبي البركات شمس الدين محمّد الباغندي، كما في نسخة مخطوطة في المكتبة الرضوية المباركة ما لفظه: حكى ابن الفوطي في

(١) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٦ ـ ٢٣٠، مثير الأحزان لابن نما: ٩٠ ـ ٩٢. وفيهما اختصار وتفاوت يسير باللفظ.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٦٠، الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٣.

تاريخه، قال: كان ليزيد قرد يجعله بين يديه فيكنّيه بأبي قيس ويسقيه فضل كأسه ويقول: هذا شيخ من بني إسرائيل أصابته خطيئة فمسخ. وكان يحمله على أتان وحشية قد ريضت له ويرسلها مع الخيل في حلبة السباق، فحمله يوماً عليها فسبقت فسرّ وأنشد:

تمسّك أبا قيس بفضل زمامها فليس عليها إن سقطت ضمان
فقد سبقت خيل الجماعة كلّها وخيل أمير المؤمنين أتان

وجاء يوماً فطرحته الريح فمات، فحزن عليه حزناً شديداً، وأمر بتكفينه ودفنه، وأمر أهل الشام أن يعزّوه فيه: وأنشأ يقول:

ما شيخ قوم كرام ذو محافظة[١] إلّا أتانا يعزّى في أبي قيس
شيخ العشيرة أمضاها وأجملها الى المساعي على القربوس والريس
لا يبعد الله قبراً أنت ساكنه فيه جمال وفيه لحية التيس[٢]

وقال سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص: استدعى يزيد ابن زياد إليه، وأعطاه أموالاً كثيرة وتحفاً عظيمة وقرّب مجلسه، ورفع منزلته وأدخله على نسائه، وجعله نديمه، وسكر ليلة وقال للمغنّي غن، ثم قال يزيد بديهاً:

اسقني شربة تروي فؤادي ثم مل فاسق مثلها ابن زياد
صاحب السرّ والأمانة عندي ولتسديد مغنمي وجهادي
قاتل الخارجي أعني حسيناً ومبيد الأعداء والحسّاد

قال ابن عقيل: وممّا يدل على كفره وزندقته، فضلاً عن سبّه ولعنه، أشعاره التي أفصح بها بالإلحاد، وأبان عن خبث الضمائر وسوء الاعتقاد، قوله

(١) الذي في الأصل: كم قوم كرام ذو محافظة فاصلحناه بما ذكر ـ المؤلف ـ.
(٢) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ٢: ٣٠٣ ـ ٣٠٤.

في قصيدته التي أولها:

علـيّة هـاتي واعـلني وتـرنّمي ... بـذلك إنّـي لا أحب التـناجيا
حديث أبي سـفيان قـدماً سـما بـها ... الى أحـد حـتى أقـام البـواكـيا
ألا هات سقيني[1] عـلى ذاك قـهوة ... تـخيزها العـنسي كـرماً شـآميا
إذا مـا نـظرنا فـي أُمـور قـديمة ... وجـدنا حـلالاً شـربها مـتواليـا
وإن متّ يـا أُم الأحـيمر فـانكحي ... ولا تـأملي بـعد الفـراق تـلاقيا
فـإنّ الذي حـدثت عـن يـوم بعثنا ... أحاديث طسم تجعل القـلب ساهيا
ولا بـد لي مـن أن أزور مـحمّداً ... بـمشمولة صـفراء تـروي عـظاميا

قلت ومنها قوله:

مـعشر النـدمان قـوموا واسمعوا ... صـوت الأغـاني
واشـربوا كـأس مـدام ... واتركوا ذكر المـغاني (المـثاني)[2]
شـغلتني[3] نـغمة العـيدان ... عـن صـوت الأذان
وتـعوّضت عـن الحـور ... عـجوزاً[4] فـي الدنـان

الى غير ذلك مما نقلته من ديوانـه، ولهـذا تـطرق الى هـذه الأُمّـة العـار بولايته عليها، حتى قال أبو العلاء المعرّي يشير بالشنار إليها:

أرى الأيـام تـفعل كـل نكـر ... فـما أنـا فـي العـجائب مستزيد
أليس قـريشكم قـتلت حسـيناً ... وكـان عـلى خـلافتكم يـزيد

قلت: ولما لعنه جدي أبو الفرج على المنبر ببغداد بحضرة الإمام الناصر،

---

(١) في المصدر [فاسقيني].
(٢) ليست في المصدر.
(٣) في المصدر [أشغلتني].
(٤) في المصدر [خموراً].

وأكابر العلماء، قام جماعة من الجفاة من مجلسه فذهبوا فقال جدّي: ﴿ألا بعداً لمدين كما بعدت ثمود﴾[١].

وحكى لي بعض أشياخنا عن ذلك اليوم: إن جماعة سألوا جدي عن يزيد؟ فقال: ما تقولون في رجل لي ثلاث سنين: في السنة الأُولى قتل الحسينعليه السلام، وفي الثانية أخاف المدينة وأباحها، وفي الثالثة رمى الكعبة بالمجانيق وهدمها؟ فقالوا: نلعن، فقال: فالعنوه.

وقال جدّي في كتاب (الرد على المتعصب العنيد): قد جاء في الحديث: لعن من فعل ما لا يقارب عُشر معشار فعل يزيد، وذكر الأحاديث التي ذكرها البخاري ومسلم في الصحيحين، مثل حديث ابن مسعود عن النبيّصلى الله عليه وسلم: إنّه لعن الواشمات، والمتوشمات، وحديث ابن عمر: «لعن الله الواشمة، والمتوشمة»[٢] وحديث جابر: لعن رسول اللهصلى الله عليه وسلم «آكل الربا وموكله»[٣]، الحديث، وحديث ابن عمر في مسند أحمد «لعنت الخمر على عشرة وجوه» الحديث، وأورد أخباراً كثيرة في هذا الباب، وهذه الأشياء دون فعل يزيد في قتله الحسين، وإخوته وأهله، ونهب المدينة، وهدم الكعبة وضربها بالمجانيق، وأشعاره الدالّة على فساد عقيدته.

ومن رام الزيادة على هذا فليقف على كتابه المسمى بـ(الردّ على المتعصب العنيد)[٤][٥]... الخ.

---

(١) هود: ٩٥.

(٢) صحيح مسلم ٦: ١٦٦، باب تحريم فعل الواصلة والمستوصلة، كتاب اللباس والزينة، صحيح البخاري ٦: ١٨٨، كتاب الطلاق، باب لبس الحادة ثياب العصب.

(٣) صحيح مسلم ٥: ٥٠، باب لعن آكل الربا، كتاب البيوع، صحيح البخاري ٧: ٦٦، كتاب اللباس وفيه عن عائشة.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٢٥.

كيف لم يصالح الحسين عليه السلام كما صالح أخوه الحسن عليه السلام

قد يُسأل عن وجه خروج الحسين عليه السلام بأهله وعياله الى الكوفة، وهي في يد أعدائه؟ وقد علم صنع أهلها بأبيه وأخيه، مع أنّ جميع نُصائحه كانوا يشيرون عليه بعدم الخروج، ويتخوّفون عليه القتل؟ ومنهم: ابن عباس، وابن عمر، وكثير ممن لاقاه في الطريق ، وكيف لم يرجع حين علم بقتل مسلم بن عقيل؟ وكيف استجاز أن يحارب بنفر قليل جموعاً عظيمة لها مدد؟ ولِمَ ألقى بيده الى التهلكة؟ وما الجمع بين فعله، وفعل الحسن الذي سلّم الأمر الى معاوية بدون هذا الخوف ؟ وعن هذا السؤال جوابان:

أحدهما : للسيد المرتضى في تنزيه الأنبياء والأئمة.

والثاني: للسيد عليّ بن طاووس في كتاب الملهوف .

وحاصل ما أجاب به المرتضى : إنّ الحسين غلب على ظنّه بمقتضى ما جرىٰ من الأُمور، أنه يصل الى حقه بالمسير فوجب عليه، وذلك بمكاتبة وجوه أهل الكوفة وأشرافها وقرّائها، مع تقدم ذلك منهم في أيّام الحسن وبعد وفاته وإعطائهم العهود والمواثيق، طائعين مبتدئين مكرّرين للطلب، مع تسلّطهم على واليهم في ذلك الوقت، وقوّتهم عليه وضعفه عنهم، وقد جرى الأمر في أوّله على ما ظنّه ، ولاحت أسباب الظفر، فبايع مسلماً أكثر أهل الكوفة، وكتب الى الحسين بذلك، وتمكّن مسلم من قتل ابن زياد غيلة في دار هانيء، لكنه لم يفعل معتذراً بأنّ الإسلام قيد الفتك ، ولما حبس ابن زياد هانئاً حصره مسلم في قصره وكاد يستولي عليه لكن الإتّفاق السيّئ

(٥) تذكرة الخواص: ٢٩٠ ـ ٢٩٢.

عكس الأمر .

أما الجمع بين فعله وفعل أخيه الحسن، فالحسن لما أحسّ بالغدر من أصحابه وأنّهم كاتبوا معاوية في الفتك به، أو تسليمه إليه وأنه ليس معه إلّا نفر قليل سلّم إبقاءً على نفسه وأهله وشيعته ، والحسين طلب بحقه حين قوي في ظنه النصرة ممن كاتبه وعاهده ورأى قوة أنصار الحقّ وضعف أنصار الباطل، فلما انعكس الأمر رام الرجوع فمنع منه وطلب الموادعة كما فعل أخوه الحسن فلم يجب وطلبت نفسه فمنع منها بجهده حتى مضى كريماً الى جوار جده[1].

انتهى ملخص ما ذكره السيد بتصرف .

والأمر كما ذكره من أنهم لم يجيبوه الى الموادعة بل طلب ابن زياد أن ينزل هو وأصحابه على حكمه ـ وفي رواية أن يبايع هو وأصحابه يزيد ـ فإذا فعل ذلك رأى ابن زياد رأيه، ولو فعل لكان المظنون قوياً أن يقتله مع أصحابه صبراً، بل المتيقّن من حال ابن زياد وخبثه ونسبه اللئيم أن يفعل ذلك، فاختار موت العزّ في مجال الطراد، على موت الذل بيد ابن زياد .

وهذا الجواب جار على ظاهر الحال، ولا يحتاج من يجيب به الى تكلف شيء، لكن يبقى عليه أنه لم يرجع حين علم بقتل مسلم.

ويمكن الجواب: بأن الأمل لم يكن منقطعاً بدليل قول أصحابه له: ما أنت مثل مسلم ولو دخلت الكوفة لكان الناس إليك أسرع .

والجواب الثاني: جار على شيء من التعمق : وهو أنّ الحسين كان عازماً على عدم مبايعة يزيد على كل حال، ولو أدى ذلك الى قتله، وكان مقدماً على

(١) تنزيه الأنبياء والأئمة: ٢٢٧ ـ ٢٣١ .

ذلك في حال ظنّ السلامة إن وجد، وفي حال ظن العطب بل تيقنه .

مع إمكان دعوى ظهور الحكمة في فعل الحسن وفعل أخيه الحسين، باختلاف حالة معاوية وابنه يزيد الظاهرية في الجملة، بتهتك الثاني وتستر الأوّل شيئاً ما ، فلو بايع الحسين يزيد لخفي حاله على الأكثر، واعتقدوه إمام حق، فكان يتمكن من تبديل الدين ، ومن هنا يقال : إنّ الحسين فدىٰ دين جده بنفسه وأهله وولده، وما تزلزلت أركان دولة بني أُمية إلّا بقتل الحسين عليه السلام.

وهذا الوجه هو الذي اعتمده ابن طاووس في كتاب الملهوف فقال : الذي تحققناه أنّ الحسين عليه السلام كان عالماً بما انتهت حاله إليه، وكان تكليفه ما اعتمد عليه، ثم أورد بعض الأخبار الدالة على ذلك ثم قال : لعلّ بعض من لا يعرف حقائق شرف السعادة بالشهادة أنّ الله لا يتعبد بمثل هذه الحالة ـ ورده بأنّ الله تعبد قوماً بقتل أنفسهم، فقال : ﴿فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم﴾[1] انتهى باختصار[2].

مع أنه إذا كان في ذلك من الفوائد، مثل إحياء الدين، وكشف قبائح المنافقين، وردع الناس عن الاقتداء به، كان التعبّد به أولى من التعبد بقتل النفس عند التوبة، ولا يقصر عن التعبد به في الجهاد والقصاص .

أما توهم أنّ ذلك إلقاء باليد الى التهلكة ففاسد لأنّ بذل النفس في سبيل الله تعالى، للحصول على الحياة الدائمة والنعيم الخالد إلقاء باليد الى أعظم السعادات .

(١) البقرة: ٥٤.

(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٨ ـ ٢٠. وفي نسخة دار الأُسوة لم يرد الكلام في المتن بل ورد في هامش ٤٦ من ص ٩٩.

وأما ما في بعض الروايات من أنّ الحسين عليه السلام طلب منهم إما أن يرجع الى المكان الذي منه أتى، أو أن يسير الى ثغر من الثغور، فيكون رجلاً من المسلمين، أو أن يأتي يزيد فيضع يده[١] في يده فلم يثبت. وذكر ابن الأثير في الكامل ما يكذبه فقال : روي عن عقبة بن سمعان أنه قال : صحبتُ الحسين من المدينة الى مكة، ومن مكة الى العراق فلم أُفارقه حتى قتل، وسمعت جميع مخاطباته الناس الى يوم مقتله، فوالله ما أعطاهم ما يتذاكر به الناس أنه يضع يده في[٢] يزيد، ولا أن يسيروه الى ثغر من ثغور المسلمين[٣]...الخ.

وأما دعاؤه الناس الى نصرته مثل عبد الله بن الحر الجعفي وغيره، وكتابه الى أهل البصرة، فكل ذلك من باب إقامة الحجة وقطع المعذرة .

وممّا يدل على أنّ الحسين عليه السلام كان موطّناً نفسه على القتل، وظاناً أو عالماً في بعض الحالات بأنّه يقتل في سفره ذلك.

خطبته التي خطبها حين عزم على الخروج الى العراق التي يقول فيها : خط الموت على ولد آدم[٤]...الخ، فإن أكثر فقراتها يدل على ذلك.

ونهي عمر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام له بمكة عن الخروج، وإقامته البرهان على أن ذلك ليس من الرأي بقوله: إنك تأتي بلداً فيه عمّاله وأُمراؤه، ومعهم بيوت الأموال، وإنّما الناس عبيد الدينار والدرهم، فلا آمن عليك أن يقاتلك من وعدك نصره، ومن أنت أحبّ إليه ممّن يقاتلك معه،

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣١٣، البداية والنهاية ٨: ١٨٩.

(٢) زيادة في المصدر [يد].

(٣) الكامل في التاريخ ٤: ٥٤.

(٤) شرح الأخبار ٣: ١٤٦، المسائل العكبرية للمفيد: ٧١، مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٢٩.

وعدم أخذ الحسين بقوله مع اعتذاره إليه واعترافه بنصحه، ونهي ابن عباس أيضاً محتجّاً بنحو ذلك من أن الذين دعوه لم يقتلوا أميرهم وينفوا عدوهم ويضبطوا بلادهم، بل دعوه وأميرهم عليهم قاهر لهم، وعمّاله تجبي بلادهم، فكأنهم دعوه الى الحرب ولا يؤمن أن يخذلوه فيكونوا أشدّ الناس عليه. ومعاودته للنهي ذاكراً له نحواً من ذلك ومشيراً عليه باليمن فلم يقبل[1].

وجوابه لمحمّد ابن الحنفية حين أشار عليه بعدم الخروج الى العراق، فوعده النظر، ثم ارتحل في السحر فسأله ابن الحنفية فقال له الحسين عليه السلام: «أتاني رسول الله صلى الله عليه وآله بعد ما فارقتك فقال يا حسين أُخرج فإن الله قد شاء أن يراك قتيلا»، قال: ما معنى حملك هذه النسوة معك؟ قال: «إنّ الله قد شاء أن يراهن سبايا»[2].

وقول ابن عمر له حين نهاه عن الخروج فأبى: إنّك مقتول في وجهك هذا[3]. فإنه دال على أن ظاهر الحال كان كذلك، وما ظهر لابن عمر لم يكن ليخفى على الحسين عليه السلام.

وقول الفرزدق له: قلوب الناس معك وأسيافهم عليك[4].

وقول بشر بن غالب له: خلّفتُ القلوب معك والسيوف مع بني أُمية. وتصديق الحسين عليه السلام له[5].

ونهي عبدالله بن جعفر له، وقوله: إنّي مشفق عليك من هذا الوجه، أن يكون فيه هلاكك واستئصال أهل بيتك، وقول الحسين عليه السلام له: «إنّي رأيت

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٨٧ ـ ٢٨٨، الكامل في التاريخ ٤: ٣٧ ـ ٣٩.
(٢) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٢٧ ـ ١٢٨، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٤.
(٣) أمالي الصدوق: ٢١٧ /ح ٢٣٩، بحار الأنوار ٤٤: ٣١٣.
(٤) الإرشاد ٢: ٦٧.
(٥) مثير الأحزان لابن نما: ٣٠، بحار الأنوار ٤٤: ٣٦٧.

رسول الله ﷺ في المنام، وأمرني بما أنا ماض له»، وامتناعه من أن يحدّث بتلك الرؤيا[١].

ونهي عبد الله بن مطيع له، وقوله : والله لئن طلبت ما في أيدي بني أُمية ليقتلنك. وإباء الحسين عليه السلام إلاّ أن يمضي[٢].

وقول الأعراب له : إنّا لا نستطيع أن نلج ولا نخرج[٣] . القاضي باستيلاء بني أُمية إستيلاء تاماً وخطورة الأمر.

وأخبار أُخته زينب عليها السلام بما سمعته حين نزل الخزيمية[٤]، وما رآه في منامه بالثعلبية، وقوله لأبي هريرة : «وأيم الله لتقتلني الفئة الباغية»[٥].

ونظره الى بني عقيل حين أخبره الأسديان بقتل مسلم وهانيء، وأشارا عليه بالرجوع، واخبراه إنّه ليس له بالكوفة ناصر، بل هم عليه، وقوله لهم : «ما ترون فقد قتل مسلم» وامتناعهم عن الرجوع حتى يموتوا، أو يدركوا ثأرهم، وقوله للأسديين: «لا خير في العيش بعد هؤلاء»[٦] فإن الذي يظهر أنه كان يريد أن يجيبوا بالإمتناع عن الرجوع ليعتذر بذلك الى الأسديين، وإنّه عازم على عدم الرجوع على كل حال .

وقوله لأصحابه حين جاءه خبر مسلم، وهانيء وعبدالله بن يقطر: «إنه قد خذلنا شيعتنا، فمن أحبّ منكم الانصراف فلينصرف» وعدم رجوعه بعد تفرقهم عنه،

(١) الإرشاد ٢: ٦٨ ـ ٦٩، الكامل في التاريخ ٤: ٤٠ ـ ٤١.

(٢) الإرشاد ٢: ٧٢، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٩٨ ، الكامل في التاريخ ٤: ٤١.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٩٥ ، روضة الواعظين للنيسابوري: ١٧٨.

(٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٩ ـ ١٤١ .

(٥) المصدر السابق: ١٣١ ـ ١٣٢ .

(٦) الإرشاد ٢: ٧٤ ـ ٧٥، تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٢٩٩ ـ ٣٠٠ .

وبقائه في أصحابه الذين صحبوه من المدينة، ويسير من غيرهم[(١)]. وإشارة عمرو بن يواذان[(٢)] عليه بالرجوع وقوله له : والله ما تقدم إلّا على الأسنّة وحدّ السيوف. ونهيه إياه عن المسير لأن الذين كتبوا اليه لم يكفوه مؤونة القتال. وقول الحسين عليه السلام له : «ليس يخفى عليّ الرأي، ولكن الله تعالى لا يغلب على أمره»[(٣)] وقوله: «والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي»[(٤)].

وقوله : «وأيم الله لو كنت في جحر هامة من هذه الهوام، لاستخرجوني حتى يقتلوني»[(٥)]، وكتابه الذي كتبه الى بني هاشم حين توجه الى العراق : «أما بعد فإنّه مَن لحق بي استشهد ومن تخلّف عنّي لم يبلغ الفتح»[(٦)].

الى غير ذلك ممّا يقف عليه المتتبع والمتأمّل، وهذه كلّها ما بين صريح أو ظاهر في المطلوب كما لا يخفى.

خطبه

مرّ أنه خطب بكربلاء في أشد الساعات بلاءً التي تذهل فيها العقول، وتطيش الألباب، وتخرس الألسنة، وتبلبل الخطباء، وتحضر الفصحاء، فلم يسمع متكلم قط قبله، ولا بعده أفصح في منطق منه، وأنه قال ما لا يحصى كثرة[(٧)]، وأن ابن سعد قال : ويلكم كلّموه فإنّه ابن أبيه، والله لو وقف فيكم

---

(١) الإرشاد ٢: ٧٥، بحار الأنوار ٤٤: ٣٧٤.

(٢) في المصدر [لوذان] في نسخة [يوذان].

(٣) الإرشاد للمفيد ٢: ٧٦، الكامل في التاريخ ٤: ٤٣.

(٤) الإرشاد ٢: ٧٦، الكامل في التاريخ ٤: ٣٩.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٤٨٩، الكامل في التاريخ ٤: ٣٨.

(٦) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٢٧، بحار الأنوار ٤٥: ٨٥ ح١٣.

(٧) الإرشاد ٢: ٩٧، الكامل في التاريخ ٤: ٦١.

هكذا يوماً جديداً لما انقطع ولما حصر[١].

ومر جملة من كتبه الى أهل الكوفة والبصرة، ومر جملة من خطبه في مكة حين عزم على المسير الى العراق، وفي كربلاء في عدة مناسبات.

خطبته عليه السلام عند مسير أبيه الى صفّين

ومن خطبه ما خطب به في الكوفة لما أراد أبوه أميرالمؤمنين عليه السلام المسير الى حرب صفّين، رواها نصر بن مزاحم في كتاب صفّين وهي مع كونها في ساعة الرخاء ليست دونها خطبه التي كانت بكربلاء عند أشد الشدائد فذكر نصر: إنّ أميرالمؤمنين خطب أوّلاً ثم خطب ابنه الحسن، ثم خطب الحسين عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال: **«يا أهل الكوفة أنتم الأحبّة الكرماء، والشعار دون الدثار، جدّوا في [إطفاء ما وتر بينكم][٢] وتسهيل[٣] ما توعّر عليكم، ألا إن الحرب شرّها وريع[٤]، وطعمها فظيع، فمن أخذ لها أهبّتها واستعد لها عدتها، ولم يألم كلومها قبل[٥] حلولها، فذاك صاحبها. ومن عاجلها قبل أوان فرصتها واستبصار سعيه فيها، فذاك قمِن أن لا ينفع قومه، وأن يُهلك نفسه نسأل الله بقوته[٦] ان يدعمكم بالفيئة[٧]»**[٨].

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٦ نقلاً عن محمد بن أبي طالب، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ٢٥٠.

(٢) في المصدر [احياء مادثر بينكم].

(٣) في المصدر [وإسهال].

(٤) في المصدر [ذريع].

(٥) في المصدر [عند].

(٦) في المصدر [بعونه].

(٧) [بألفته].

(٨) وقعة صفّين لابن مزاحم: ١١٤ ـ ١١٥.

من خطبة أُخرى له عليه السلام

في كشف الغمة : خطب عليه السلام فقال : «إن الحلم زينة، والوفاء مروءة، والصلة نعمة، والاستكبار صلف، والعجلة سفه، والسفه ضعف، والغلو ورطة، ومجالسة أهل الدناءة شرّ، ومجالسة أهل الفسق ريبة»[١].

خطبة أُخرى له عليه السلام

في كشف الغمة أيضاً : خطب الحسين عليه السلام فقال : «أيّها الناس! نافسوا في المكارم، وسارعوا في المغانم، ولا تحتسبوا بمعروف لم تعجلوه، واكسبوا الحمد بالنجح، ولا تكسبوا بالمطل ذماً، فمهما يكن لأحد عند أحد صنيعة له رأى أنه لا يقوم بشكرها، فالله له بمكافأته ضمين، فإنه أجزل عطاء وأعظم أجراً، واعلموا أنّ حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تملوا النعم فتحور نقماً، واعلموا أنّ المعروف مكسب حمداً، ومعقب أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً رأيتموه حسناً جميلاً يسرّ الناظرين؛ ولو رأيتم اللؤم رأيتموه سمجاً مشوّهاً تنفر منه القلوب، وتغض دونه الأبصار.

أيّها الناس! من جاد ساد، ومن بخل رذل، وإن أجود الناس من أعطى من لا يرجوه، وإنّ أعفى الناس من عفا عن قدرة، وإنّ أوصل الناس من وصل من قطعه، والأُصول على مغارسها بفروعها تسمو، فمن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قدم عليه غداً، ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة الى أخيه كافأه بها في وقت حاجته، وصرف عنه بلاء الدنيا ما هو أكثر منه.

ومن نفّس كربة مؤمن، فرج الله عنه كرب الدّنيا والآخرة، ومن أحسن أحسن الله إليه، والله يحب المحسنين»[٢].

---

(١) كشف الغمّة ٢: ٢٤٢.

(٢) المصدر السابق ٢: ٢٤١ ـ ٢٤٢.

بعض ما نقل من مواعظه، وحكمه، وآدابه

كان عليه السلام يقول : «شر خصال الملوك الجبن عن الأعداء، والقسوة على الضعفاء، والبخل عن الإعطاء»[1].

وقال عليه السلام : «صاحب الحاجة لم يُكرم وجهه عن سؤالك فاكرم وجهك عن ردّه»[2].

بعض حكمه القصيرة منقولة من تحف العقول

قال رجل عند الحسين : إن المعروف إذا أُسدي الى غير أهله ضاع .

فقال الحسين عليه السلام : «ليس كذلك، ولكن تكون الصنيعة مثل وابل المطر، تصيب البر والفاجر».

وقال عليه السلام: «ما أخذ الله طاعة أحد إلّا وضع عنه طاعته، ولا أخذ قدرته إلّا وضع عنه كلفته» .

وقال عليه السلام : لرجل اغتاب عنده رجلاً: «يا هذا كف عن الغيبة، فإنها إدام كلاب النار».

وقال عليه السلام : «إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار، وإنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإن قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار، وهي أفضل العبادة».

وقال لابنه عليّ بن الحسين عليه السلام : «أي بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلّا الله جلّ وعزّ».

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٦٥، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ٦٢.

(٢) الكافي ٤: ٢٨ /ح ١، الخصال للصدوق: ٢٥٨ /ح ١٣٢، بحار الأنوار ٤٤: ١٩٦ /ح ٩.

وسأله رجل عن معنى قول الله تعالى : ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾[١] قال : «أمره أن يُحدث بما أنعم الله به عليه في دينه».

وقال عليه السلام: «من علامات القبول الجلوس الى أهل العقول».

«من دلائل العالم انتقادُهُ لحديثه، وعلمه بحقائق فنون النّظر» .

«إيّاك وما يعتذر منه، فإنّ المؤمن لا يسيء ولا يعتذر، والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر» .

وقال: «للسلام سبعون حسنة، تسع وستون للمبتدي، وواحدة للراد» .

وقال : «البخيل من بخل بالسلام» .

وقال عليه السلام : «من حاول أمراً بمعصية الله كان أفوتَ لما يرجو وأسرع لمجيء ما يحذر»[٢].

وقال عليه السلام :كما عن أسرار الحكماء لياقوت المستعصمي : «لا تتكلف ما لا تطيق، ولا تتعرض لما لا تدرك، ولا تعتد بما لا تقدر عليه، ولا تنفق إلّا بقدر ما تستفيد، ولا تطلب من الجزاء إلّا بقدر ما صنعت، ولا تفرح إلّا بما نلت من طاعة الله، ولا تتناول إلّا ما رأيت نفسك له أهلا»[٣].

بعض ما ورد عنه عليه السلام من الدعاء

إعلم أنّ الأدعية المأثورة عنه عليه السلام كثيرة وقد جمعها بعض العلماء في كتاب أسماه (الصحيفة الحسينية)، ومن الأدعية البليغة المأثورة عنه عليه السلام، دعاء

---

(١) الضحى: ١١.

(٢) تحف العقول: ٢٤٥ ـ ٢٤٨.

(٣) أسرار الحكماء: ٩٠.

يوم عرفة دعا به وهو واقف على قدميه في ميسرة الجبل تحت السماء رافعاً يديه بحذاء وجهه خاشعاً متذللاً[١]، وهو دعاء طويل مشهور بين الشيعة يداومون على الدعاء به في الموقف.

وروي عن عليّ بن الحسين عليه السلام، إنّه قال: «لما صبّحتِ الخيل الحسين عليه السلام، رفع يديه وقال: اللهمّ أنت ثقتي في كل كرب، وأنت رجائي في كل شدّة، وأنت لي في كل أمرٍ نزل بي ثقة وعدّة، كم من كرب يضعف عنه الفؤاد، وتقلّ فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق، ويشمت فيه العدو، أنزلته بك وشكوته إليك رغبة منّي إليك عمّن سواك، ففرّجته عنّي وكشفته، فأنت وليّ كلّ نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة»[٢].

ما روي عنه من الشعر في كشف الغمة

أما شعر الحسين عليه السلام فقد ذكر الرواة له شعراً، ووقع إليّ شعر بخط الشيخ أبي عبد الله ابن الخشاب النحوي، وفيه قال أبو مخنف لوط بن يحيى: أكثر ما يرويه الناس من شعر سيدنا أبي عبد الله الحسين عليه السلام إنّما هو ما تمثّل به، وقد أخذت شعره من مواضعه، واستخرجته من مظانّه وأماكنه، ورويته عن ثقات الرجال، منهم عبد الرحمن بن نجبة الخزاعي، وكان عارفاً بأمر أهل البيت عليهم السلام، ومنهم المسيب بن رافع المخزومي، وغيره رجال كثيرون، ولقد أنشدني يوماً رجل من ساكني سلع هذه الأبيات، فقلت له: اكتبها؟ فقال لي: ما أحسن رداءك هذا؟ وكنت قد اشتريته يومي ذاك بعشرة دنانير،

(١) البلد الأمين: ٣٥٢ هامش (١) من الصفحة، بحار الأنوار ٩٥: ٢١٤ / ح٢.

(٢) الإرشاد: ٢: ٩٦، بحار الأنوار ٤٥: ٤.

فطرحته عليه، فاكتبنيها وهي: قال أبو عبد الله الحسين بن عليّ بن أبي طالب ابن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي:

ذهب الذين أحبّهم وبقيت فيمن لا أحبّه
فيمن أراه يسبّني ظهر المغيب ولا أسبّه
يبغي فسادي ما استطاع وأمره مما أربه[1]
حنقا يدب الى الضرّاء وذاك ممّا لا أدبه
ويرى ذباب الشرّ من حولي يطن ولا يذبّه
وإذا [خبا وغير][2] الصدور فلا يزال به يشبه
أفلا يعيج بعقله أفلا يثوب[3] إليه لبّه
أفلا يرى أن فعله ممّا يسور إليه غبّه
حسبي بربّي كافياً ما أختشي والبغي حسبه
ولقلّ من يبغى عليه فما كفاه الله ربّه[4]

وقال عليه السلام: أورده في كشف الغمة عن ابن الخشاب كما مرّ:

الله يعلم إن ما بيدي[5] يزيد لغيره وبأنّه لم يكتسبه بخيره[6] وبميره
لوأنصف النفس الخئون لقصرت من سيره ولكان ذلك منه أدنى شره من خيره[7]

(١) في المصدر [أدبه].
(٢) في المصدر [جنا وغر].
(٣) في المصدر [يتوب].
(٤) كشف الغمة ٢: ٢٤٥ ـ ٢٤٦.
(٥) في المصدر [بيدي].
(٦) في المصدر [بغيره].
(٧) كشف الغمة ٢: ٢٤٧.

وقوله ذكره ابن الصباغ في الفصول المهمّة[١]، وعليّ بن عيسى الإربلي في كشف الغمة : عن ابن الخشاب كما مر:

إذا ما عضّك الدهر فلا تجنح الى خلق　　ولا تسأل سوى الله تعالى قاسم الرزق
فلوعشت وطوفت من الغرب الى الشرق　　لما صادفت من يقدر أن يسعد أو يشقي[٢]

وقال ابن عساكر في التاريخ الكبير : يقال إنّ هذه الأبيات للحسين عليه السلام[٣]، وفي كتاب (جواهر المطالب) تأليف ابن البركات شمس الدين محمّد الباغندي الشافعي كما في نسخة مخطوطة في المكتبة الرضوية أنشد أبوبكر بن حامد ورواه عن الحسين رضي الله عنه وأرضاه :

أغن عن المخلوق بالخالق　　تغن عن الكاذب والصادق
واسترزق الرحمن من فضله　　فليس غير الله من رازق
من ظنّ أن الناس يغنونه　　فليس بالرحمن بالواثق
أو ظن أنّ المال من كسبه　　زلت به النعلان من حالق[٤]

قال الأعمش ومن كلامه أيضاً وأورده في جواهر المطالب عن الأعمش :

كلّما زيد صاحب المال مالاً　　زيد في همه وفي الاشتغال
قد عرفناك يا منغصة العيش　　ويا دار كل فانٍ وبالي
ليس يصفو لزاهد طلب الزهد　　إذا كان مثقلاً بالعيال

وروى ابن كثير في البداية والنهاية، عن إسحاق بن إبراهيم قال : بلغني

---

(١) الفصول المهمّة: ١٧١.

(٢) كشف الغمّة ٢: ٢٤٦.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٨٦.

(٤) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ٢: ٣١٥.

أن الحسين عليه السلام زار مقابر الشهداء بالبقيع فقال :

نـاديت سكـان القـبور فـاسكتوا فأجابني عن صمتهم ترب الجثا[(١)]
قالت: أتدري ما صنعت بسـاكـني مـزّقت لحـمهم وخـرّقت الكسـا
وحشيت[(٢)] أعينهم تـرابـاً بـعد مـا كـانت تـأذى بـالقليل[(٣)] مـن القـذا
أمـا العـظام فـإنني مـزّقتها حـتى تـباينت المـفاصل والشـوى
قـطعتُ ذا مـن ذا ومـن هـذا كـذا فتركتها ممّا[(٤)] يـطول بـها البـلا[(٥)]

وقال عليه السلام : لما بلغه قتل مسلم بن عقيل وهانيء بن عروة، وقد تقدمت وأوّلها :

لئـن كـانت الدنـيا تـعدّ نـفيسة فـدار ثـواب الله أعـلى وأنـبل[(٦)]

وقال في زوجته الرباب بنت امرئ القيس بن عدي القضاعية، وابنته منها سكينة، أورده أبو الفرج في الأغاني:

لعـمرك إنّـني لأحبّ داراً تكـون بـها سكـينة والربـاب
أُحـبّهما وأبـذل كـل[(٧)] مـالي وليس لعـاتب عـندي عـتاب

وفي جواهر المطالب : ممّا أنشده الزبير بن بكار للحسين عليه السلام في زوجته

---

(١) في المصدر [الحصا].
(٢) في المصدر [وحشوت].
(٣) في المصدر [باليسير].
(٤) في المصدر [زحما].
(٥) البداية والنهاية ٨: ٢٢٨.
(٦) الملهوف على قتلى الطفوف: ١٣٤، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ١: ٣٢١.
(٧) في المصدر [جُل].

الرباب بنت أُمرئ القيس[1]:

لعمرك أنني لأحبّ داراً تحلّ بها سكينة والرباب
أحبّهما وابذل جلّ مالي وليس للائم فيها عتاب
ولست لهم وان عتبوا مطيعاً حياتي أو يغيبني التراب[2]

مراثيه

لم يكن يجسر أحد من الشعراء على المجاهرة برثاء الحسين عليه السلام، في ملك بني أُمية، عدا شاذ يقول الأبيات المعدودة غير مجاهر بها، ثم تنقل عنه، بل في بعض أدوار ملك بني العباس، كان الحال كذلك أو أشدّ، ولكن في أوائل الدولة العباسية، وفي أواخرها وبعد انقراض الدولتين، تبارى شعراء الإسلام في رثائه، وقالوا فأكثروا وأجادوا، فحلّقوا في كلّ عصر وفي كل زمان، لا سيّما شعراء الشيعة، ولا غرو فمكانة الحسين عليه السلام بين المسلمين المكانة السامية التي لا يصل أحد إليها، ومصيبته مصيبة عظمىٰ وفاجعته فاجعة كبرىٰ، لم يقع في الإسلام أفظع ولا أشنع منها، وقد ألحقت بالأُمة الإسلامية عاراً لا يمحىٰ، وشناراً لا ينسى، حتى قال أبو العلاء المعري: دع الأيام تصنع ما تريد[3]. البيتين المتقدمين وقد جمعنا كتاباً في مختار مراثيه عليه السلام، من شعر المتقدمين والمتاخرين والمعاصرين، أسميناه (الدرّ النضيد في مراثي السبط الشهيد)

(١) الأغاني ١٦: ١٤٧.

(٢) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ٢: ٣١٦.

(٣) تقدم في ص٢٨١ من حياة الإمام الحسين عليه السلام نقلاً عن تذكرة الخواص: ٢١٩. والمصنّف ذكره نقلاً عن سبط هكذا: أرى الأيّام تفعل كل نكر. هذا ما تقدم في البيتين.

طبع ثلاث مرات، وزدنا عليه في الطبعة الثالثة أكثر من خمسين قصيدة ومقطوعة، حتى بلغ عدد أبياته نحواً من ستة آلاف بيت، وها نحن نورد هنا نموذجاً من مراثيه يكون قضاء لحقّ التاريخ، ونوكل مَن يريد الإطّلاع على أكثر من ذلك الى الكتاب المذكور.

فأوّل من رثاه فيما حكاه سبط ابن الجوزي عن السدي عقبة بن عمروالسهمي، ورواه المفيد في المجالس، بسنده عن إبراهيم بن داحة قال: أوّل شعر رُثي به الحسين بن عليّ عليه السلام، قول عقبة بن عمرو السهمي من بني سهم بن عوف بن غالب، فقال:

إذا العين قرت في الحياة وأنتم ... تخافون في الدنيا فاظلم نورها
مرّرت على قبر الحسين بكربلا ... ففاض عليه من دموعي غزيرها
وما زلت أبكيه وأرثي لشجوه ... ويسعد عيني دمعها وزفيرها
وبكيت من بعد الحسين عصائباً ... أطافت به من جانبيه قبورها
سلام على أهل القبور بكربلا ... وقل لها منّي سلام يزورها
سلام بآصال العشي وبالضحى ... تؤديه نكباء الرياح ومورها
ولا بسرح الزوّار زوّار قبره ... يفوح عليهم مسكها وعبيرها[1]

وينبغي أن يكون أوّل من رثاه سليمان بن قتّة العدوي التيمي، مولى بني تيم بن مرة، وكان منقطعاً الى بني هاشم، فإنّه مر بكربلاء بعد قتل الحسين عليه السلام بثلاث، فنظر الى مصارعهم واتكأ على فرس له عربية، وأنشأ

(١) تذكرة الخواص: ٢٧٠، أمالي المفيد: ٣٢٤، المحلي: ٣٨ ح/٩.

يقول. وقيل: إنّها لأبي الرجح الخزاعي[١]، ويمكن كون بعضها لأحدهما، وبعضها للآخر واشتبها:

مررت على أبيات آل محمّد فلم أرها أمثالها يوم حلّت
ألم ترَ أن الشمس أضحت مريضة لقتل حسين والبلاغ أقشعرّت
وكانوا رجاء ثم أضحوا رزية لقد عظمت تلك الرزايا وجلّت
وتسألنا قيس فنعطي فقيرها وتقتلنا قيس إذا النعل زلّت
وعند غنيّ قطرة من دمائنا سنطلبها يوماً بها حيث حلّت
فلا يبعد الله الديار وأهلها وإن أصبحت منهم برغم تخلّت
وإنّ قتيل الطف من آل هاشم أذل رقاب المسلمين فذلّت
وقد أعولت تبكي السماء لفقده وأنجمنا ناحت عليه وصلّت[٢]

ورثته زوجته الرباب بنت امرىء القيس بن عدي فقالت:

إنّ الذي كان نوراً يستضاء به بكربلاء قتيل غير مدفون
قد كنت لي جبلاً صلداً[٣] ألوذ به وكنت تصحبنا بالرّحم والدِّين
[فمن يجيب نداء المستغيث][٤] ومن يغني ويؤوي إليه كل مسكين

---

(١) ذكر النص ابن نما الحلي في مثير الأحزان: ٨٨ ـ ٨٩ بتقديم وتأخير وكثير من المؤرخين عن سليمان بن قتة منهم أبي الفرج في مقاتل الطالبيين: ١٢١، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٥٩ ـ ٢٦٠، البداية والنهاية لابن كثير ٨: ٢٣٠ ولم يورد البيت الأخير.

(٢) ذكر النص ابن نما الحلي في مثير الأحزان: ٨٨ ـ ٨٩ بتقديم وتأخير وكثير من المؤرخين عن سليمان بن قتة منهم أبي الفرج في مقاتل الطالبيين: ١٢١، وابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٥٩ ـ ٢٦٠، البداية والنهاية ٨: ٢٣٠.

(٣) في المصدر [صعباً].

(٤) الصدر في المصدر هكذا: [من لليتامى ومن للسائلين].

تـــالله لا أبـــتغي صـــهراً بـصهركم حتى أُوسّد[١] بين اللحد[٢] والطين[٣]

وقالت الرباب أيضاً وهي بالشام بعد ما أخذت الرأس الشريف، وقبّلته ووضعته في حجرها:

وا حســـيناً فـــلا نسـيت حسـيناً أقـــصدته أسـنة الأعــداء
غـــادروه بكـــربلاء صـــريعاً لا ســـقى الله جـــانبي كـربلاء[٤]

ورثاه بشير بن جذيم ببيتين نعاه بهما الى أهل المدينة[٥] تقدما.

ورثته جارية حين جاء نعيه الى المدينة بابيات تقدمت[٦].

وخرجت أُم لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت نعي الحسين عليه السلام، ومعها أخواتها أُم هانيء وأسماء ورملة وزينب بنات عقيل تبكي قتلاها بالطف وتقول:

مـاذا تـقولون إن قـال النبيّ لكـم مـاذا فـعلتم وأنـتم آخـر الأُمـم
بـعترتي وبـأهلي بـعد مـفتقدي مـنهم أُسـارى ومـنهم ضـرّجوا بـدم
ما كان هذا جزائـي إذ نـصحت لكـم إن تخلفوني بسوء في ذوي رحمي[٧]

وقال الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب يرثيه من أبيات:

بكـيت لفـقد الأكـرمين تـتابعوا لوصـل المـنايا دار عـون وحسـر

---

(١) في المصدر [أغيّب].

(٢) في المصدر [الرمل].

(٣) الأغاني ١٦: ١٤٩ ـ ١٥٠.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٦٠.

(٥) انظر الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

(٦) المصدر السابق.

(٧) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٨٤، الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠٧. وفيها تفاوت يسير باللفظ.

بهم فجعتنا والفواجع كاسمها تميم وبكر والسكون وحمير

وفي كل حيّ نضحة من دمائنا بني هاشم يعلو سناها ويشهر

فسوف يرى أعداؤنا حين نلتقي لأي الفريقين النبيّ المطهر(١)

وقال رجل من عبدالقيس قُتل أخوه مع الحسين عليه السلام ، وعبدالقيس معروفة بالتشيّع لأهل البيت عليهم السلام:

يا فرو قومي فاندبي خير البرية في القبور

قتلوا الحرام من الأئمة في الحرام من الشهور(٢)

قال أبو دهبل الجمحي وهب بن زمعة، وهو معاصر لمعاوية بن أبي سفيان وابنه يزيد من قصيدة :

عجبت وأيّام الزمان عجائب ويظهر بين المعجبات عظيمها

تبيت النشاوىٰ من أُمية نوماً وبالطف قتلى ما ينام حميمها

وتضحى كرام من ذوابة هاشم يحكم فيها كيف شاء لئيمها

وربات صون ما تبدت لعينها قبيل السبا إلّا لوقت نجومها

تزاولها أيدي الهوان كأنّما تقحم ما لا عفو فيه أثيمها

وما أفسد الإسلام إلّا عصابة تأمر نوكاها ودام نعيمها

وصارت قناة الدين في كفّ ظالم إذا مال منها جانب لا يقيمها

وخاض بها طخياء لا يهتدي لها سبيل ولا يرجو الهدى من يعومها

الى حيث ألقاها ببيداء مجهل تضل لأهل الحلم فيها حلومها

---

(١) كشف الغمة ٢: ٢٧١.

(٢) مثير الأحزان: ٦١.

رمـتها لأهـل الطفّ منها عـصابة حـداهـا الى هـدم المكـارم لومـها
فشـنت بـها شعواء فـي خـير فـتية تخلت لكسب المكـرمات هـمومها
أُولائك آل الله آل مـحمّد كـرام تـحدت ما حـداها كـريمها
يـخوضون تـيار المـنايا ظـوامياً كما خاض في عذب الموارد هيمها
يـقوم بـهم للـمجد أبـيض مـاجد أخـو عـزمات أقـعدت مـن يـرومها
فـأقسمت لا تـنفك نـفسي جزوعة وعـيني سـفوحاً لا يـمل سـجومها
حـياتي أو تـلقى أُمـية وقـعة يذل لهـا حـتى المـمات قـرومها(١)

وروي أنّ خالد بن معدان الطائي مـن فـضلاء التـابعين لما شـاهد رأس الحسين عليه السلام بالشام أخفى نفسه شهراً من جميع أصحابه، فـلما وجـدوه بـعد اذ فقدوه سألوه عن سبب ذلك؟ فقال : ألا ترون ما نزل بنا؟ ثم أنشا يقول:

جاءوا بـرأسك يـا ابـن بـنت مـحمّد مـترمّلاً بـدمائه تـرميلا
وكـأنّما بك يـا ابـن بـنت مـحمّد قـتلوا جـهاراً عـامدين رسـولا
قـتلوك عـطشاناً ولمّـا يـرقبوا فـي قـتلك التـأويل والتـنزيلا
ويكـبّرون بـأن قـتلت وإنّـما قـتلوا بك التكـبير والتـهليلا(٢)

وممّن رثاه من قدماء الشعراء عبد الله بن الحر الجعفي حين أتى كربلاء، ونظر الى مصرع الحسين عليه السلام وأصحابه، وكان قد دعاه الحسين عليه السلام الى نصره، فلم يفعل فقال من أبيات :

يـقول أمـير غـادر وابـن غـادر ألا كنت قاتلت الحسين بن فـاطمه

(١) الأغاني لأبي الفرج الاصفهاني ٧: ١٥٤ ، أمالي المرتضى ١: ٨٠ ـ ٨١، ومقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ٢١٩. وأوردو أربع أبيات فقط بتفاوت واختصار، وأورد القصيدة جواد شبر في أدب الطف ١: ١٣٣ ـ ١٣٥.
(٢) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٤٢ ـ ١٤٣ / ح٣.

ونـفسي عـلى خـذلانه واعـتزاله وبـيعة هـذا النـاكث العـهد لائـمه
سـقى الله أرواح الذي تـأزروا على نصره سقيا مـن الغـيث دائـمه
وقـفت عـلى أطـلالهم ومـحالهم فكاد الحشى ينقض والعين ساجمه
لعمري لقد كانوا سـراعـاً الى الوغـى مصاليت في الهيجا حـماة خـضارمه
تـأسوا عـلى نـصر ابـن بـنت نـبيّهم بـأسيافهم آسـاد غـيل ضـراغـمه
ومـا أن رأى الراءون أفـضل مـنهم لدى الموت سادات وزهر قماقمه(١)

وممّن رثاه من قدماء الشيعة جـعفر بـن عـفان الطـائي، وكـان مـعاصراً للصادقعليه‌السلام، وقد استنشده الصادق شعره في رثاء الحسينعليه‌السلام، وأثـنى عـليه، وله في ذلك قصيدة أوّلها:

لبيك على الإسـلام مـن كـان بـاكياً فقد ضـيعت أحكـامه واسـتحلّت(٢)

وممّن رثاه من قدماء شعراء الشيعة منصور النمري من النمر بن قاسط، وكان في زمن الرشيد فقال من قصيدة:

مـتى يشـفيك دمـعك مـن هـمول ويـبرد مـا بـقلبك مـن غـليل؟
قـتيل مـا قـتيل بـني زيـاد ألا بـأبي وأُمـي مـن قـتيل
غـدت بـيض الصـفائح والعـوالي بـأيدي كـل مـوتشب دخـيل
مـعاشر أودعت أيّـام بـدر صـدورهم وديـعات الغـليل
فـلمّا أمكـن الإسـلام شـدّوا عـليه شـدة الحـنق الصـؤول
فـوافـوا كـربلاء مـع المـنايا بـمرداة مسـومة الخـيول

(١) تاريخ مدينة دمشق ٣٧: ٤٢٠ ـ ٤٢١، وقعة الطف لأبي مخنف: ٢٧٦ ـ ٢٧٧، تذكرة الخواص: ٢٧٠ ـ ٢٧١.
(٢) مقتل الحسينعليه‌السلام للخوارزمي ٢: ١٦٣ / ح٢٨، بحار الأنوار ٤٥: ٢٨٦.

وأبناء السعادة قد تواصوا على الحدثان بالصبر الجميل
أيخلو قلب ذي ورع ودين من الأحزان والهم الطويل
وقد شرقت رماح بني زياد بري من دماء بني الرسول(١)

وممّن رثاه من قدماء شعراء الشيعة، دعبل بن عليّ الخزاعي، وكان معاصراً للرضا، فقال من قصيدة:

ألم تر للأيام ما جرّ جورها على الناس من نقض وطول شتات
ومن دول المستهزئين ومن غدا بهم طالباً النور في الظلمات
فكيف؟ ومن أنى يطالب زلفة الى الله بعد الصوم والصلوات
سوى حب أبناء النبيّ ورهطه وترك عداهم من هن وهنات
هم نقضوا عهد الكتاب وفرضه ومحكمه بالزور والشبهات
ولو قلّدوا الموصي إليه أُمورها لزمت بمأمون على العثرات
أخي خاتم الرسل المصفى من القذى ومفترس الأبطال في الغمرات
نجي لجبريل الأمين وأنتم عكوف على العزى معاً ومناة
مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل وحي مقفر العرصات
منازل كانت للرشاد وللتقى وللصوم والتطهير والصلوات
ديار عفاها جور كل منابذ ولم تعف للأيام والسنوات
هم آل ميرات النبي إذا اعتزوا وهم خير سادات وخير حماة
إذا لم نناج الله في صلواتنا بأسمائهم لم يقبل الصلوات
أفاطم لو خلت الحسين مجندلاً وقد مات عطشانا بشط فرات

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٦٧ وفيه تقديم وتأخير واختصار.

إذاً للطمت الخد فاطم عنده وأجريت دمع العين في الوجنات
أفاطم قومي يا ابنة الخير واندبي نجوم سماوات بأرض فلاة
توفوا عطاشى بالفرات فليتني توفيت فيهم قبل حين وفاتي
رزايا أرتنا خضرة الأُفق حمرة وردت أجاجاً طعم كل فرات
بنفسي أنتم من كهول وفتية لفك عناة أو لحمل ديات
سأبكيهم ما حجّ لله راكب وما ناح قمري على الشجرات
سأبكيهم ما ذرّ في الأُفق شارق ونادى منادي الخير للصلوات[1]

وقال الحسين بن الضحاك المعروف بالخليع المتوفى سنة (٢٥٠ هـ):

ومـمّا شجا قلبي وأوكف عبرتي محارم من آل النبيّ استحلت
وربات خدر من ذؤابة هاشم هتفن بدعوى خير حي وميّت
أرد يداً مني إذا ما ذكرته على كبد حرّى وقلب مفتّت
فلا بات ليل الشامتين بغبطة ولا بلغت آمالها ما تمنّت[2]

وممن رثاه من قدماء الشعراء القاسم بن يوسف الكاتب، أحد متكلّمي الشيعة وشعرائهم. ذكره المرزباني فقال من قصيدة طويلة:

يا ابن النبيّ وخير أُمته بعد النبيّ مقال ذي خبر
ما ذا تحمّل قاتلوك من الآصار والأعباء والوزر
ما تنقضي حسرات ذي ورع ودم الحسين على الثرى يجري
ودماء إخوته وشيعته مستلحمون بجانب النهر

---

(١) كشف الغمة ٣: ١١٢ ـ ١١٦، مقتل الحسين عليه السلام للخوارزمي ٢: ١٤٧ ـ ١٤٩، بحار الأنوار ٤٥: ٢٥٧ ـ ٢٥٨/ ح١٥ وفيها اختصار وتقديم وتأخير بالأبيات.

(٢) مثير الأحزان لابن نما: ٥٨.

خذلوا وقلّ هناك ناصرهم ... فاستعصموا بالله والصبر
مستقدمين على بصائرهم ... لا ينكصون لروعة الذعر
يأبون أن يعطوا الدنية أو ... يرضوا مهادنة على قسر
آل الرسول وسرّ إرتة ... والطاهرون لطيب الطهر
حلّوا من الشرف اليفاع ... على علياء بين الغفر والنسر
لا يبلغ المثنى مداه ولا ... تحوي المديح مقالة المطري
مأوى اليتامى والأرامل ... والأضياف في اللزبات والعسر
لا مانعاً حقّ الصديق ولا ... يخفى عليه مبيت ذي الفقر
كم سائل أعطى وذي عدم ... أغنى وعان فك من أُسر
وتخال في الظلماء سنته ... قمراً توسط ليلة البدر
لا تنطق العوراء حضرته ... عفّ يعاف مقالة الهجر[1]

وقال الصنوبري معاصر سيف الدولة من أبيات:

يا خير من لبس النبوّة ... من جميع الأنبياء
وجدي على سبطيك ... وجد ليس يؤذن بانقضاء
هذا قتيل الأشقياء ... وذا قتيل الأدعياء
يوم الحسين هرقت دمع ... الأرض مع دمع السماء
يوم الحسين تركت باب ... العزّ مهجور الفناء
نفسي فداء المصطلي ... نار الوغى أي اصطلاء

(١) وقال الطهراني في الذريعة ٢٠: ١٨٧ / ٢٥١٣: مختصر تاريخ شعراء الشيعة للمرزباني، المؤرخ النسابة الشهير، كان عند العلامة محسن العاملي الأمين. كما كتبه لي، وما ذكر خصوصياته فراجعه... الى أن قال: وعبر عنه عند ذكر مآخذ أعيان الشيعة.

فاختار درع الصبر حيث الصبر من لبس السناء
وأبى إباء الأسد إنّ الأسد صادقة الإباء
وقضى كريماً إذا قضى ظمآن في نفر ظماء
منعوه طعم الماء لا وجدوا لماء طعم ماء[1]

ورثاه الشريف الرضي، في القرن الرابع وهو بالحائر الحسيني، ولا شك أن لوجوده هناك أثراً مشجياً بادياً على شعره، فقال من قصيدة:

وضيوف لفلاة قفرة نزلوا فيها على غير قرى
لم يذوقوا الماء حتى اجتمعوا بحدّي السيف على ورد الردى
تكسف الشمس شموساً منهم لا تدانيها ضياء وعُلا
وتنوش الوحش من أجسادهم أرجل السبق وإيمان الندى
ووجوهاً كالمصابيح فمن قمر غاب ونجم قد هوى
يا رسول الله لو عاينتهم وهم ما بين قتل وسبا
من رميض يمنع الظل ومن عاطش يسقى أنابيب القنا
لرأت عيناك منهم منظراً للحشى شجواً وللعين قذا
ليس هذا رسول الله يا أمة الطغيان والبغي جزا
جزروا جزر الأضاحي نسله ثم ساقوا أهله سوق الإما
يا قتيلاً قوّض الدهر به عمد الدين وأركان الهدى
قتلوه بعد علم منهم إنه خامس أصحاب الكسا
حملوا رأساً يصلون على جدّه الاكرم طوعاً وإبا

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٢٤، بحار الأنوار ٤٥: ٢٥٢ ـ ٢٥٣.

يتهادى بينهم لم ينقضوا عمم الهام ولا حلوا الحبا
مسيت تبكي له فاطمة وأبوها وعلي ذو العُلى
لو رسول الله يحيا بعده قعد اليوم عليه للعزا[١]

وقال الشريف الرضي أيضاً من قصيدة:

يوم حدا الطعن[٢] فيه لابن[٣] فاطمة سنان مطرد الكعبين مطرورِ
فخرّ للموت لا كفّ تقلّبه إلّا بوطيءٍ من الجرد المحاضير
ظمآن يسلّي نجيع الطعن غلّته عن بارد من عباب الماء مقرور
لله مُلقى على الرمضاء غصّ[٤] به فم الردى بين إقدام وتشمير
تحنو عليه الربى ظلاً وتستره عن النواظر أذيال الأعاصير
تهابه الوحش أن تدنو لمصرعه وقد أقام ثلاثاً غير مقبور
أغرى به ابن زياد لؤم عنصره وسعيه ليزيد غير مشكور
ودّ أن يتلافى ما جنت يده وكان ذلك كسرا غير مجبور
تُسبى بنات رسول الله بينهم والدّين غضّ المبادي غير مستور
يلقى القنا بجبينٍ شان صفحته وقع القنا بين تضميخ وتعفير
من بعد ما ردّ أطراف الرماح له[٥] [رأيٌ فسيح وقلب][٦] غير محصور
والنقع يسحب من أذياله وله على الغزالة جيب غير مزرور

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٢٢، بحار الأنوار ٤٥: ٢٦٧.

(٢) في المصدر [الظعن].

(٣) في المصدر [بابن].

(٤) في المصدر [عضّ].

(٥) في المصدر [به].

(٦) في المصدر [قلبٌ فسيح ورأي].

أكــل يــوم لآل المـصطفى قـمر يـهوي بـوقع العـوالي والمـباتير
وكــلّ يـوم لهـم بـيضاء صـافية يشوبها الدهر من رنق وتكـدير[١]

وقال الشريف الرضي أيضاً من قصيدة:

مــا يـبالي الحـمام أيـن تـرقّى بـعد مـا غـالت ابـن فـاطم غـول
أي يــوم أدمـى المـدامـع فـيه حــادث رائــع وخـطب جـليل
يــا ابــن بـنت النـبيّ ضـيّعت العــهد رجـال والحـافظون قـليل
إن أمــراً قــنعت مــن دونــه السـيف لمـن حـازه لمـرعى وبـيل
يـا غـريب الديـار صـبري غـريب وقــتيل الأعـداء نـومي قـتيل[٢]

ورثاه محمود الملقّب بكشاجم الشاعر المشهور، بقوله من قصيدة:

يـا بـئس للـدهر حـين آل رسـول الله تــجتاحهم جــوائــحه
أظــلم فــي كــربلاء يــومهم ثــم تـجلّى وهــم ذبــائحه
يــا شــيع الغــيّ والضــلال ومــن كــلهم جـمة فـضائحه
عــفرتم بــالثرى جـبين فـتى جــبريل قــبّل النـبيّ مـاسحه
وبــين أيــديكم حـريق لظـىً يــلفح تــلك الوجــوه لافـحه
إن عــبتموه بــجهلكم [فكــما يــضر بــدر السـماء نـابحه][٣]
أوتكــتموا فــالقرآن مشكــله بــفضلهم نــاطق وواضــحه
قــوم أبـى حـد سـيف والدهـم للــدين أو يســتقيم جــامحه

(١) ديوان الشريف الرضي ١: ٤٨٧ وأورده الأميني في الغدير ٤: ٢٩٨ ـ ٢٩٩.
(٢) المصدر السابق ٢: ١٨٧. وأورده الأميني في الغدير ٤: ٣٠٠ ـ ٣٠١.
(٣) ما بين المعقوفتين في المصدر [سفهاً*** ما ضرّ بدر السماء نائحه].

حاربه القوم وهو ناصره يوماً[١] وغشوه وهو ناصحه
منخفض الطرف عن حطامهم وهو الى الصالحات طامحه
بحر علوم إذا العلوم طمت فهي بتيارها ضحاضحه
يا عترة حبّهم يبين به صالح هذا الورى وطالحه
مغالق الشرّ أنتم يا بني أحمد إذ غيركم مفاتحه

وممّن رثاه من قدماء الشعراء الجبري، شاعر آل محمّد صلى الله عليه وآله فقال من قصيدة:

فهم مصابيح الدجى لذوي الحجى والعروة الوثقى لذي استمساك
وهم الأدلّة كالأهلة نورها يجلو عمى المتحير الشكاك
يا أُمّة ضلّت سبيل رشادها إن الذي استرشدته أغواك
لا تحسبنك بريئة ممّا جرى والله ما قتل الحسين سواك
يا آل أحمد كم يكابُد فيكم كبدي خطوباً للقلوب نواكي
وإذا ذكرت مصابكم قال الأسى لجفوني اجتنبي لذيذ كراك
وابكي قتيلاً بالطفوف لأجله بكت السماء دماً فحقّ بكاك[٢]

وممّن رثاه من مشاهير شعراء الشيعة، في القرن السادس، أبو الفتح محمّد بن عبيد الله، المعروف بسبط ابن التعاويذي المتوفى سنة (٥٥٣ هـ) فقال من قصيدة:

---

(١) في المصدر [قِدماً].

(٢) الغدير للأميني ٤: ٤٢١ و ٤٢٣. وقد قال الأميني في هامش القصيدة: [أخذتها من نسخة عتيقة جداً مكتوبة في القرون الوسطى... الخ]

واستشهد ابن شهر آشوب في المناقب ببعض أبيات القصيدة في سيرة الإمام الكاظم عليه السلام.

ولو أكـرمت دمـعك يـا شـؤوني بكـيت عـلى الإمـام الفـاطميّ
عـليّ نـجم الهدى الساري وبحر العـلوم وذروة الشـرف العـليّ
عـليّ الحـامي بـأطراف العـوالي حـمى الإسـلام والبـطل الكـميّ
عـليّ البـاع الرحـيب إذا ألمّت بـه الأزمـات والكـفّ السـخيّ
عـلى أنـدى الأنـام يـداً ووجـهاً وأرجـحهم وقـاراً فـي النـديّ
وخـير العـالمين أبـاً وأُمـاً وأطـهرهم ثـرى عـرق زكـيّ
لئـن دفـعوه ظـلماً عـن حـقوق الخـلافة بـالوشيج السـمهريّ
فـما دفـعوه عـن حسب كـريم ولا ذادوه عـن خـلق رضـيّ
لقـد فـصموا عـرى الإسلام عـوداً وبـدا فـي الحسـين وفـي عـليّ
ويـوم الطـف قـام ليـوم بـدر بـأخذ الثـار مـن آل النـبيّ
بكـته الأرض إجـلالاً وحـزناً لمـصرعه وامـلاك السـميّ
وغـودرت الخـيام بـلا مـحام يـناضل دونـهن ولا وليّ
فـما عـطف البـغاة عـلى الفـتاة الحـصان ولا عـلى الطـفل الصـبيّ
ولا سـفروا لثـاماً عـن حـياء ولا كـرم ولا أنـف حـميّ
وسـاروا بـالكرائـم مـن قـريش سـبايا فـوق أكـوار المـطيّ
فـيا لله يـوم نـعوه مـاذا وعـى سـمع الرسـول مـن النـعيّ
ولو رام الحـياة نـجا إليـها بـعزمته نـجاء المـضرجـيّ
ولكـن المـنية تـحت ظـلّ الرقـاق البـيض أجـدر بـالأبيّ[1]

وممّن رثاه الشيخ عليّ بن الحسين الشهيفيني الحلّي من أهل القرن

(١) ديوان سبط ابن التعاويذي غير متوفر لدينا روى عنه الأميني في الغدير للأميني ٥: ٦١٦ ـ ٦١٨.

السادس بقصائد كثيرة طويلة، أجاد في كثير منها يقول في بعضها:

ماض على عزم يفل بحدّه ... الماضي حدود البيض حين تجرد
في أُسرة من هاشم علوية ... عزت أرومتهم وطاب المولد
وسراة أنصار ضراغمة لهم ... أهوال أيّام الوقائع تشهد
التائبون العابدون الحامدون ... السائحون الراكعون السجد
ألقت عليه السافيات ملابساً ... وكسته وهو من اللباس مجرد
والسيد السجاد يحمل ضارعاً ... ويقاد في الأغلال وهو مصفّد
يا للرجال لعبد سوء آبق ... أضحى أسيراً في يديه السيّد
لا خير في سفهاء قوم عبدهم ... ملك يطاع وحرهم مستعبد
متباعدون لهم بكل تنوفة ... مستشهد وبكل أرض مشهد
كم مدحة لي فيكم في طيّها ... حكم تغور بها الركاب وتنجد
صلّى الإله عليكم ما بكّرت ... ورق على ورق الغصون تغرّد(١)

وقال البوصيري، صاحب البردة من جملة قصيدته الهمزية في مدح خير البرية:

يا أبا القاسم الذي ضمن أقسامي ... عليه مدح له وثناء
بالعلوم التي لديك من الله ... بلا كاتب لها إملاء
وبريحانتين طيبهما منك ... الذي أودعتهما الزهراء
كنت تؤويهما إليك كما آوت ... من الخط نقطتيها الياء

---

(١) الغدير للأميني ٦: ٥٠٦ و ٥١١ ـ ٥١٣.

وقال الشيخ الأميني في ص٥١٥: ولشيخنا الشهيد الأوّل معاصره المقتول سنة (٧٨٦) شرح إحدى قصائده. الى أن قال: وهي التي رآها صاحب رياض العلماء بخط... الى أن قال: وقفنا منها على عدّة نسخ.

من شهيدين ليس ينسيني الطف مصابيهما ولا كربلاء
ما رعى فيهما ذمامك مرؤوس وقد خان عهدك الرؤساء
أبدلوا الودّ والحفيظة في القربى وأبدت ضبابها النافقاء
وقست منهم قلوب على من بكت الأرض فقدهم والسماء
فابكهم ما استطعت إنّ قليلاً في عظيم من المصاب البكاء
كل يوم وكل أرض لكربي فيهم كربلاء وعاشوراء
آل بيت النبيّ إنّ فؤادي ليس يسليه عنكم التأساء
آل بيت النبيّ طبتم فطاب المدح لي فيكم وطاب الرثاء
أنا حسان مدحكم فإذا نحت عليكم فإنّني الخنساء
سُدتم الناس بالتقى وسواكم سودته الصفراء والبيضاء(١)

وقال عبد الباقي العمري الموصلي البغدادي من قصيدة :

حتى جرى بكربلاء ما جرى وسال حتى بلغ السيل الزبى
ومادت الأرض ومادت السما وانهالت الأطواد فيه كثبا
يوم به الزهراء قد تصعدت أنفاسها ودمعها تصوّبا
صدوه عن ماء الفرات صادياً فاختار من حوض أبيه مشربا
ماذا يقولون غداً لجدّه عذراً إذا عاتبهم وانّبا
كان أبوه سيّداً كجدّه للأنبيا والأوصيا قد نصبا
ذبح عظيم أبعد الرحمن عن رحمته الذي به تسقرّبا
ثغر شريف طالما قبّله أبو الميامين النبيّ المجتبى

(١) الهمزية للبوصيري وشرح الهمزية. ذكرها جواد شبر في أدب الطف ٤: ١٢٢.

سَـــل الدعـــي ابـــن زيـــاد الذي الى أبــــي أبــــي يـــزيد نُســـبا
والمـــصطفى وابـــنته وصـــهره لمــــن غـــدوا جـــداً وأُمـــاً وأبـــا
وا حـــــربا يــــا آل حـــرب مـــنكم يــــا آل حـــرب مـــنكم وا حـــربا
لا عـــبد شـــمسكم يساوي هـاشماً كـــــلا ولا أُمـــيّة المـــطّلبا[١]

ومن فحول الشعراء المتأخرين الذين أكثروا من رثاء الحسين عليه السلام فأجادوا وسبقوا، الحاج هاشم ابن الحاج حردان الكعبي، وهو ممّن لم يمنعهم من اللحاق بفحول الشعراء المتقدّمين أمثال أبي تمام والمتنبّي إلّا خلو زمانهم عن مثل ما حواه ذلك الزمان، ممن يجيز الشعراء بالأُلوف ، فنظم في رثائه عدة قصائد فائقة يقول من إحداها :

يا منزلاً بـمحاني الطف لا بـرحت سقياً السحائب منك البان والكثب
إنّـــي وإن عـــنك عـــاقتني يـدأ قدر ببين جسم فقلبي منك مقترب
لا تـحسبن كـل دان منك ذا كـلف فالدار بـالجنب لكـن الهـوى جـنب
يـا سـائق الحـرّة الوجـناء انـحلها طي السرى وطواها الاين والنـصب
عـــلامة بـضروب السـير أقـربها مـنها الى رأيـها التـقريب والخـبب
عجّ بـي[٢] إذا جـئت غـربي الحـمى وبدت منه لمقلتك الأعـلام والقـبب
وحي عـنّي الأُولى أقـمارهم طـلعت من طيبة ولدى كـرب البـلى غـربوا
قـوم كـأوّلهم فـي الفـضل آخـرهم الفـضل أن يـتساوى البدء والعـقب
مـن كـلّ أبـيض وضّـاح الجـبين له توران مـن جـانبيه الفـضل والنسب

---

(١) المصدر غير متوفر لدينا.
(٢) في المصدر [عجبي].

أمت أُمـــية أن تـــعلو لهـــا شـــرفاً ويــصبح الرأس مــخدوماً له الذنب
فشـــرمت[١] للـوغى فـرسانها طـرباً وامــتاز بـالسبك عـمّا دونـه الذهب
حـتى إذا سـئموا دار البـــلا وبـدت لهـــم عـياناً هـناك الخـرد[٢] العـرب
جلالها ابن جلا عـضب الشبا ذكـراً لا يعرف الصـفح إذ يستلّه الغـضب
تـأتي عـلى الحلق الماذي ضـربته ولا يـقيم عــليها البـيض واليـلب
بـــاسم الثـــغر والأبــطال عــابسة كــأن جـــدّ المـــنايا عــنده لعب
لا يســـلب القـــرن إذ يـــرديه بـزته والليـث هـمّته المسلوب لا السـلب
مـــاض بـــماض إذا اســتقبلت أمرهمابدا لعينيك من فعليهماالعجب
تـلقى الردى فـي النـدى طـلق العـنان كما[٣] ترى حياة الورى محمولها العطب
يا غـيث كـل الورى إن عـمّ عـامهم جدب ويا غـوثهم إن نـابت النـوب
والثـابت العـزم والأهـوال مـقبلة والراسخ الحلم والأحـلام تـضطرب
مـا غـالبت صبرك الدنيا ومـحنتها إلا انـثنت وله مــن دونـها الغـلب
ولا تـروع لك الأيـام سـرب حـجى بـلى إذا ريـعت الأعـلام والهـضب
أن يصبح الكون داجي اللـون بـعدك والأيام سوداً وحسن الدهر مستلب
فـأنت كـالشمس مـا للـعالمين غـنى عنها ولم تجزهم من دونـها الشـهب[٤]

وقال الحاج هاشم أيضاً من قصيدة :

آل الرســـول ونـعم أكـفاء العُـــــلى آل الرســـول

(١) في المصدر [فشمرت].
(٢) في المصدر [الحرب].
(٣) ليست في المصدر.
(٤) ديوان الشيخ هاشم الكعبي: ٢٨ ـ ٣٢.

خـــير الفــــروع فـــروعهم وأُصـــولهم خـــير الأُصـــول
ركـــبوا الي العـــزّ المـنون وجــــانبوا عـــيش الذليــل
أوما سـمعت[١] ابـن البـتولة لو دريت ابـــــن البـــتول
إذ قـادها شـعث النـواصي عـــــاقدات للـــــذيول
يـطوي بـها مـتن الوعـور مـــعارضاً طـــي السـهول
مــتنكّب الورد الذمــيم مــجانب المـرعى الوبـيل
طلاب مجد بالحسام العضب والرمــــح الطـــــويل
لفّ الرجـــال بــمثلها وثـنى الخـيول عـلى الخـيول
وأبــاحها عـــضب الشـبا لا[٢] بـــالكهام ولا الكـليل
خــلط البــراعــة بـالشجاعة فـــالصليل عـــن الدليــل
[للســـــانه[٣] وســـنانه] صـدقان مـن طـعن وقـيل
ذات الفـــــقار بكــــفّه وبكــــتفه ذات الفـــضول
قـــلّ الصـــحابة غـــير أن قـــليلهم غـــير القـــليل
مـــن كـــل أبـيض واضـح الحســبين مـعدوم المـثيل
يـمشون فـي ظـلل القـنا مـيل المـعاطف غير ميل
يـا ابـن الذيـن تـوارثـوا العَـــليا قـبيلاً عـن قـبيل
والســـــابقين بـــمجدهم فـي كـل جـيل كـل جـيل[٤]

---

(١) في المصدر [دريت].
(٢) في المصدر [غير الـ].
(٣) في المصدر [لسانه ولسانه].
(٤) في المصدر [فضل].

إن تـمس منكسر اللوا ملقى على وجه الرمول[١]
فلقد قتلت مهذباً من كل عيب في القتيل
جمّ المناقب لم تكن تعطي العدا كفّ الذليل
كلا ولا أقررت إقرار العبيد على الخمول
يهدي لك الذكر الجميل على الزمان المستطيل
يا طفّ طاف على مقامك كل هتّان هطول[٢]

وقال الحاج هاشم أيضاً من قصيدة :

جزى الله قوماً احسنوا الصبر ، والبلا مقيم وداعي الموت يدعو ويخطب
إذ الصارم الهندي خلى سبيله[٣] وحاد عن القصد السنان المذرب
وقامت تحامي دونه هاشمية تحنّ الى وصل المنايا وتطرب
أتوا في العُلى ما ليس يدري فاغربت معاني الثنا في مجدهم حيث أغربوا
ترى الطير في آثارهم طالب القرىٰ متى ضمّهم في حومة الحرب موكب
أبادوهم قتلاً وأسراً ومقلة كأنّ رسول الله ليس لهم أب
ففي كل نجد في البلاد وحاجر لهم قمر يهوى وشمس تغيب
بني الوحي يا كهف الطريد ومن بهم يلوذ فينجو الخائف المترقّب
منازلكم للمنازلين مرابع يريف بها عاف ويخصب مجدب[٤]

وقال الحاج هاشم أيضاً من قصيدة:

---

(١) في المصدر [بخيلهم].
(٢) ديوان الشيخ هادي الكعبي: ٣٤ ـ ٣٨.
(٣) في المصدر [طريقه].
(٤) ديوان الشيخ هاشم الكعبي: ١ ـ ٥.

وأقام معدوم النظير فريد بيـ ـت المسجد معدوم النصير فريدا
يلقى القفار صواهلاً ومناصلاً ويرى النهار قساطلاً وبنودا
ساموه أن يرد الهوان أو المنيـ ـة والمسود لا يكون مسودا
فثوى بمستن النزال مقطع الـ أوصال مشكور الفِعال حميدا[1]

وقال أيضاً من قصيدة:

سبقوا الأنام فضائلاً وفواضلاً ومآثراً ومفاخراً وسدادا
ومراتباً ومناقباً ومساعياً ومعالياً وجلادة وجلادا[2]

ورثاه من شعراء الشيعة المتأخرين من أهل القرن الثاني عشر الشيخ عبدالحسين الأعسم النجفي، بقصائد على عدد حروف المعجم، أجاد فيها ما شاء، وكلّها في الدرّ النضيد.

وللفقير مؤلف هذا الكتاب عدة قصائد مودعة في الدرّ النضيد، يرجو ناظمها من كرمه تعالى، أن يكون معدوداً من ناصري أهل البيت عليهم السلام، بلسانه إن لم يستطع نصرهم بيده.

مدفن رأس الحسين عليه السلام

اختلف فيه على أقوال ذكرناها في لواعج الأشجان:

الأوّل: إنه عند أبيه أميرالمؤمنين عليه السلام بالنجف معه الى جهة رأسه الشريف، ذهب إليه بعض علماء[3] الشيعة استناداً الى أخبار وردت بذلك في

---

(١) ديوان الشيخ هاشم الكعبي: ٤٥.

(٢) ديوان الشيخ هاشم الكعبي: ٨٩.

(٣) الوسائل ١٤: ٤٠٣، ابواب المزار وما يناسبه، باب ٣٢، ذيل الحديث ٩، العوالم (الإمام الحسين عليه السلام): ٤٥١ _ ٤٥٢.

الكافي، والتهذيب[١] وغيرهما[٢]، من طرق الشيعة عن الائمة عليهم السلام، وفي بعضها: إن الصادق قال لولده إسماعيل : «إنّه لما حمل الى الشام سرقه مولى لنا، فدفنه بجنب أميرالمؤمنين عليه السلام»[٣]، ويؤيده ورود زيارة للحسين من عند رأس أميرالمؤمنين عليه السلام[٤] عن أئمة أهل البيت.

الثاني: إنه مدفون مع جسده الشريف، وفي البحار : إنّه المشهور بين علمائنا الإمامية ردّه علي بن الحسين عليه السلام[٥] . وفي الملهوف: إنّه أُعيد فدفن بكربلاء مع جسده الشريف، وكان عمل الطائفة على هذا المعنى المشار إليه[٦]... الخ.

واعتمده هو أيضاً في كتاب الإقبال[٧]، وقال ابن نما: الذي عليه المعول من الأقوال أنّه أُعيد الى الجسد بعد أن طيف به في البلاد ودفن معه[٨]... الخ.

وعن المرتضى في بعض مسائله : إنّه رُدّ الى بدنه بكربلاء من الشام[٩]، وقال الشيخ الطوسي: ومنه زيارة الأربعين[١٠].

وقال سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص : أشهر الأقوال إنّ يزيد ردّه الى المدينة، مع السبايا ثم رد الى الجسد بكربلاء، فدفن معه قاله هشام

(١) الكافي ٤: ٥٧١ (باب موضع رأس الحسين عليه السلام)، التهذيب ٦: ٣٤ ـ ٣٥، ح/ ٧١ ـ ٧٢.

(٢) انظر كامل الزيارات: ٨٢ ـ ٨٧ / باب ٩.

(٣) الكافي ٤: ٥٧١ / ح ١، التهذيب ٦: ٣٥ /ح٧٢، الوسائل ١٤: ٣٩٩ ـ ٤٠٠، أبواب المزار، باب ٣٢، ح٢ و٣.

(٤) مصباح المتهجّد للطوسي: ٧٧٧، المزار الكبير: ٢١٤.

(٥) بحار الأنوار ٤٥: ١٤٥.

(٦) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٢٥ .

(٧) إقبال الأعمال ٣: ١٠.

(٨) مثير الأحزان: ٨٥ ط. المكتبة الحيدرية.

(٩) رسائل السيد المرتضى ٣: ١٣٠.

(١٠) مصباح المتهجد: ٧٨٧. والذي حكى القولين ابن شهرآشوب في المناقب ٤: ٧٧.

وغيره(١) .

الثالث : إنّه مدفون بظهر الكوفة، دون قبر أمير المؤمنين عليه السلام، رواه في الكافي بسنده عن الصادق عليه السلام(٢) .

الرابع : إنّه دفن بالمدينة المنورة عند قبر اُمّه فاطمة عليها السلام ، وإنّ يزيد أرسله الى عمرو بن سعيد بن العاص بالمدينة ، فدفن عند اُمّه الزهراء عليها السلام، وإنّ مروان بن الحكم، كان يومئذ بالمدينة، فأخذه وتركه بين يديه وقال :

يا حبّذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين

والله لكأنّي أنظر الى أيام عثمان .

حكاه سبط بن الجوزي في تذكرة الخواص(٣) عن ابن سعد في الطبقات .

وفي كتاب جواهر المطالب، لأبي البركات شمس الدين، محمّد الباغندي الشافعي، كما في نسخة مخطوطة في المكتبة الرضوية، عند ذكر أحوال الحسين عليه السلام: وأما رأسه، فالمشهور بين أهل التاريخ والسير : أنّه بعثه ابن زياد الفاسق الى يزيد بن معاوية، وبعث به يزيد الى عمرو بن سعيد الأشدق لطيم الشيطان، وهو إذ ذاك بالمدينة، فنصبه ودفن عند اُمّه بالبقيع(٤) .

الخامس : إنّه بدمشق، قال سبط ابن الجوزي: حكى ابن أبي الدنيا قال: وجد رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد بدمشق، فكفّنوه ودفنوه بباب الفراديس، وكذا ذكر البلاذري في تاريخه(٥)، قال : هو بدمشق في دار

---

(١) تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٦٥ وفيه تقديم وتأخير.

(٢) الكافي ٤: ٥٧١ ـ ٥٧٢ /ح ٢.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٤) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ٢: ٢٩٩.

(٥) أنساب الأشراف ٣: ٤١٩ .

الإمارة. وكذا ذكر الواقدي أيضاً[١]... الخ.

وفي جواهر المطالب: ذكر ابن أبي الدّنيا: أنّ الرأس لم يزل في خزانة يزيد حتى هلك، فأخذ ثم غسل وكفن ودفن داخل باب الفراديس بمدينة دمشق[٢]... الخ.

ويروى أنّ سليمان بن عبدالملك قال: وجدت رأس الحسين عليه السلام في خزانة يزيد بن معاوية، فكسوته خمسة أثواب من الديباج وصليت عليه في جماعة من أصحابي، وقبرته[٣].

وفي رواية: أنه مكث في خزائن بني أُمية حتى وُلّي سليمان بن عبدالملك، فطلب فجيء به وهو عظم أبيض فجعله في سفط وطيّبه، وجعل عليه ثوباً ودفنه في مقابر المسلمين؛ بعد ما صلى عليه، فلما وُلّي عمر بن عبدالعزيز سأل: عن موضعه؟ فنبشه وأخذه، والله أعلم ما صنع به[٤].

وقال بعضهم: الظاهر من دينه، أنّه بعث به الى كربلاء، فدفنه مع الجسد الشريف[٥].

وفي جواهر المطالب عن الحافظ بن عساكر[٦]: إنّ يزيد بعد ما نصبه بدمشق ثلاثة أيّام، وضعه بخزانة السّلاح، حتى كان زمن سليمان بن عبدالملك، فجيء به وقد بقي عظماً أبيض، فكفّنه وطيّبه وصلى عليه، ودفنه

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٦٦.

(٢) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ٢: ٢٩٩.

(٣) نظم درر السمطين للزرندي: ٢٢٦.

(٤) سير أعلام النبلاء ٣: ٣١٩، تهذيب التهذيب ٢: ٣٠٨ وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

(٥) حكاه المجلسي في بحار الأنوار ٤٥: ١٤٥ هو والروايتين السابقتين.

(٦) تاريخ مدينة دمشق ٦٩: ١٦٠ ـ ١٦١.

في مقابر المسلمين[١] . وروى ابن نما عن منصور بن جهور: إنّه دخل خزانة يزيد لما فتحت، فوجد بها جونة حمراء، فقال لغلامه سليم : احتفظ بهذه الجونة، فإنّها كنز من كنوز بني أُمية، فلما فتحها إذا فيها رأس الحسين عليه السلام، وهو مخضوب بالسواد، فلفه في ثوب ودفنه عند باب الفراديس، عند البرج الثالث مما يلي المشرق[٢] انتهى.

أقول : وكأنه هو الموضع المعروف الآن بمسجد أو مقام أو مشهد، مشيد معظم .

السادس: إنّه بمسجد الرقّة على الفرات بالمدينة المشهورة، حكى سبط ابن الجوزي: عن عبد الله بن عمر الورّاق: أنّ يزيد (لعنه الله) قال: لأبعثنه الى آل أبي معيط، عن رأس عثمان، وكانوا بالرقّة، فبعثه إليهم فدفنوه في بعض دورهم، ثم أُدخلت تلك الدار في المسجد الجامع. قال: وهو الى جنب سدرة هناك، وعليه شبه النيل أو لا يذهب شتاءً ولا صيفاً[٣] .

السابع : أنه بمصر نقله الخلفاء الفاطميون من باب الفراديس الى عسقلان، ثم نقلوه الى القاهرة، وله فيها مشهد عظيم يزار. نقله سبط ابن الجوزي[٤] .

أقول : حكى غير واحد من المؤرخين : إنّ الخليفة الفاطمي بمصر أرسل الى عسقلان، وهي بين مصر والشام، فاستخرج رأساً قال : إنّه رأس

(١) جواهر المطالب في مناقب الإمام علي عليه السلام ٢: ٢٩٩.

(٢) مثير الأحزان لابن نما الحلي: ٨٥.

(٣) تذكرة الخواص: ٢٦٦.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٦٦.

الحسينعليه السلام، وجيء به الى مصر فدفن فيها . في المشهد المعروف[١] الآن ، وهو مشهد معظم يزار، والى جانبه مسجد عظيم، رأيته في سنة (١٣٢١ هـ)، والمصريون يتوافدون الى زيارته أفواجاً رجالاً ونساءً، ويدعون ويتضرعون عنده، وأخذ الفاطميين لذلك الرأس من عسقلان، ودفنه بمصر لا ريب فيه، لكن الشأن في كونه رأس الحسينعليه السلام. وهذه الوجوه الأربعة الأخيرة كلّها من روايات أهل السنة وأقوالهم خاصة والله أعلم .

مشهد رؤوس العباس وعلى الأكبر وحبيب بن مظاهر بدمشق

رأيت بعد سنة (١٣٢١ هـ) في المقبرة المعروفة بمقبرة باب الصغير بدمشق مشهداً وضع فوق بابه صخرة كتب عليها ما صورته : هذا مدفن رأس العباس بن عليّ، ورأس عليّ بن الحسين الأكبر، ورأس حبيب بن مظاهر، ثم إنه بعد ذلك بسنين هدم هذا المشهد وأُعيد بناؤه وأُزيلت هذه الصخرة، وبُني ضريح داخل المشهد، ونقش عليه أسماء كثيرة لشهداء كربلاء ، ولكن الحقيقة أنه منسوب الى الرؤوس الشريفة الثلاثة المقدم ذكرها، بحسب ما كان موضوعاً على بابه كما مرّ .

وهذا المشهد الظن قوي بصحة نسبته، لأنّ الرؤوس الشريفة بعد حملها الى دمشق، والطواف بها وإنتهاء غرض يزيد من إظهار الغلبة، والتنكيل بأهلها والتشفّي لا بد أن تدفن في إحدى المقابر، فدفنت هذه الرؤوس الثلاثة في مقبرة باب الصغير وحفظ محل دفنها والله اعلم .

(١) أُنظر نور العين في مشهد الحسينعليه السلام: ٧٢.

البناء على قبر الحسين عليه السلام

أوّل من بنىٰ القبر الشريف بنو أسد الذين دفنوا الحسين عليه السلام، وأصحابه يظهر ذلك من الخبر المروي في كامل الزيارات، عن زائدة عن زين العابدين عليه السلام حيث قال فيه : «قد أخذ الله ميثاق أُناس من هذه الأُمّة، لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض، هم معروفون في أهل السماوات، إنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة، وهذه الجسوم المضرّجة، فيوارونها، وينصبون بهذا الطف علماً لقبر سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه على كرور الليالي والأيام...»[1] الخ.

ومن قول ابن طاووس في الإقبال : إنهم أقاموا رسماً لقبر سيد الشهداء بتلك البطحاء يكون علماً لأهل الحقّ[2].

ويدل خبر[3] مجيء التوّابين الى القبر الشريف أنه في ذلك الوقت وهو سنة هلاك يزيد (٦٣ أو ٦٤ هـ) كان ظاهراً معروفاً ولا يكون ذلك إلّا ببنائه .

أما تعمير القبّة عليه فقد تكرر مراراً.

العمارة الأولى للقبة الشريفة التي كانت في زمن بني أمية

إذ تدل جملة من الآثار والأخبار أنه كان عليه سقيفة ومسجد في زمن بني أُمية، واستمر ذلك الى زمن الرشيد من بني العبّاس، لكن لا يعلم أوّل من بنى ذلك، قال السيد محمّد بن أبي طالب الحسني الحائري فيما حكي عن كتابه

---

(١) كامل الزيارات: ٤٤٥ / ح ٦٧٤ في الهامش، بحار الأنوار ٤٥: ١٨٠ / ح ٣٠.

(٢) لم نعثر عليه في الإقبال ولا غيره من كتب السيّد ابن طاووس. والكلام موجود ضمن الرواية السابقة عن كامل الزيارات: ٤٤٧ / ح ٦٧٤ وعنه في بحار الأنوار ٤٥: ١٨٢ / ح ٣٠.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٤٥٦ ، الكامل في التاريخ ٤: ١٧٨ .

تسلية المجالس وزينة المجالس في مقتل الحسين عليه السلام: كان قد بُني عليه مسجد ،ولم يزل كذلك بعد زمن بني أُمية، وفي زمن بني العباس[١] الى آخر كلامه وسيأتي.

ويدل الخبر الذي رواه السيّد عليّ بن طاووس في الإقبال عن الحسين بن أبي حمزة: إنه كان عليه سقيفة لها باب في آخر زمن بني أُمية، حيث قال فيه : خرجت في آخر زمن بني أُمية وأنا أُريد قبر الحسين عليه السلام ، الى أن قال: حتى إذا كنت على باب الحائر خرج إليّ رجل؛ ثم قال : فلما انتهيت الى باب الحائر : فجئت فدخلت[٢].

وقال الصادق عليه السلام لجابر الجعفي في حديث رواه ابن قولويه في كامل الزيارة: «إذا أتيت قبر الحسين عليه السلام فقل»[٣].

وجابر توفي على ما ذكره النجاشي[٤] سنة (١٢٨ هـ). ومات مروان بن محمّد آخر ملوك بني أُمية سنة (١٣٢ هـ)[٥] فتكون وفاته قبل انقضاء دولتهم بأربع سنين ، وروى ابن قولويه في كامل الزيارة: عن أبي حمزة الثمالي، عن الصادق عليه السلام في كيفية زيارة الحسين عليه السلام، أنه قال : «فإذا أتيت الباب الذي يلي الشرق، فقف على الباب وقل»، ثم قال: «ثم تخرج من السقيفة وتقف بحذاء قبور الشهداء»[٦].

وهو صريح، في أنّ البناء كان سقيفة له باب من الشرق، وقوله: الباب

---

(١) تسلية المجالس المصدر غير متوفر لدينا.

(٢) إقبال الأعمال ٣: ٦٤ ـ ٦٥.

(٣) كامل الزيارات: ٣٧٥ / ح ٦٢١.

(٤) رجال النجاشي: ١٢٨ / ترجمة ٣٣٢.

(٥) الكامل في التاريخ ٥: ٤٢٤ .

(٦) كامل الزيارات: ٤٠٠ و ٤٢٠ /ح ٦٣٩.

الذي يلي الشرق، يدل على وجود باب غيره، وفي حديث صفوان الجمّال، عن الصادق عليه السلام: «إذ أردت زيارة الحسين بن عليّ، فإذا أتيت الباب، فقف خارج القبة وأرم بطرفك نحو القبر، وقل، ثم أدخل رجلك اليمنى القبة، وأخرّ اليسرى، وقل، ثم ادخل الحائر وقم بحذائه»[١].

وقال المفيد في مزاره عند ذكره لرواية صفوان بن مهران: «فإذا أتيت باب الحائر، فقف ثم تأتي باب القبة فقف من حيث يلي الرأس، ثم اخرج من الباب الذي عند رجلي عليّ بن الحسين، ثم توجّه الى الشهداء، ثم امشِ حتى تأتي مشهد العباس بن عليّ، فقف على باب السقيفة وقل»[٢].

وروى ابن قولويه بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن الصادق عليه السلام: «فاذا أردت زيارة العبّاس فقف على باب السقيفة[٣] وقل ثم أُدخل».

هدم الرشيد قبر الحسين عليه السلام

وبقيت هذه القبة الى زمن الرشيد، فهدمها وكرب موضع القبر، وكان عنده سدرة فقطعها.

وقال السيد محمّد بن أبي طالب الحسيني الحائري فيما حُكي عن كتابه (تسلية المجالس وزينة المجالس): وكان قد بني عليه مسجد ولم يزل كذلك بعد بني أُمية، وفي زمن بني العبّاس إلّا على زمن هارون الرشيد فإنه خربه وقطع السدرة التي كانت ثابتة عنده وكرب موضع القبر[٤]... الخ.

---

(١) مزار المشهدي: ٤٢٧ ـ ٤٣٠.

(٢) المزار للمفيد: ١١٩ ـ ١٢١.

(٣) كامل الزيارات: ٤٤٠ ـ ٤٤١ ح/ ٦٧١.

(٤) تسلية المجالس وزينة المجالس: المصدر غير متوفر لدينا.

ويوجد الى الآن باب من أبواب الصحن الشريف يسمّى باب السدرة ولعل السدرة كانت عنده أو بجنبه .

العمارة الثانية في زمن المأمون

قال محمّد بن أبي طالب في تتمة كلامه السابق، بعد ما ذكر تخريب الرشيد له : ثم أُعيد على زمن المأمون وغيره[١].

هدم المتوكل قبر الحسين عليه السلام

قال الطبري في تاريخه : في سنة (٢٣٦ هـ) أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن عليّ، وهدم ما حوله من المنازل والدور، وأن يُحرث ويُبذر ويُسقى موضع قبره، وأن يمنع الناس من إتيانه، فذكر أن عامل صاحب الشرطة نادىٰ في الناحية: من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة، بعثنا به الى المطبق. فهرب الناس وامتنعوا من المصير إليه، وحرث ذلك الوضع وزرع ما حواليه[٢]... الخ.

ويعلم من ذلك كان قد بني حوله دور ومساكن، وسكن الناس هناك لقوله إنه أمر بهدمه وهدم ما حوله من المنازل والدور .

وروى الشيخ الطوسي في الأمالي عن ابن حشيش، عن أبي المفضل الشيباني، عن عليّ بن عبد المنعم بن هارون الخديجي، من شاطيء النيل، قال: حدثني جدّي القاسم بن أحمد بن معمر الأسدي الكوفي، وكان له علم

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٧: ٣٦٥.

(٢) المصدر السابق ٧: ٣٦٥.

بالسيرة وأيّام الناس؛ قال : بلغ المتوكل جعفر بن المعتصم، أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوي لزيارة قبر الحسين عليه السلام ، فيصير الى قبره منهم خلق كثير، فأنفذ قائداً من قوّاده وضمّ إليه عدداً كثيفاً[(١)] من الجند ليشعث[(٢)] قبر الحسين، ويمنع الناس من زيارته والاجتماع الى قبره .

فخرج القائد الى الطفّ وعمل بما أمر وذلك في سنة (٢٣٧ هـ) فثار أهل السواد واجتمعوا عليه وقالوا : لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك من بقي منّا عن زيارته، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر الى الحضرة،فورد كتاب المتوكل الى القائد بالكف عنهم الى الكوفة مظهراً أن مسيره إليها في مصالح أهلها والإنكفاء الى المصر، فمضى على ذلك زمن حتى كانت سنة (٢٤٧ هـ)[(٣)] ، فبلغ المتوكل أيضاً مصير الناس من أهل السواد والكوفة الى كربلاء لزيارة قبر الحسين عليه السلام ، وأنه قد كثر جمعهم لذلك ، وصار لهم سوق كبير، فأنفذ قائداً في جمع كثير من الجند، وأمر منادياً ينادي ببراءة الذمة ممّن زار قبره، ثم نبش القبر وحرث أرضه، وانقطع الناس عن الزيارة، وعمد[(٤)] على تتبع آل أبي طالب والشيعة، فقتل ولم يتم له ما قدره[(٥)] .

أقول : فيكون ابتداء أمر المتوكل بذلك سنة (٢٣٦ هـ) ثم أعاد الكرة سنة (٢٣٧ هـ)، ثم فعل مثل ذلك سنة (٢٤٧ هـ) وفيها قُتل المتوكل، فكان يمنع

(١) في المصدر [كثيراً].
(٢) في المصدر [ليشعب].
(٣) في المصدر [كتابة].
(٤) في المصدر [عمل].
(٥) أمالي الطوسي: ٣٢٨ـ ٣٢٩ / ح ٦٥٦.

من زيارته فيمتنع الناس مدة، أو تقل زيارتهم، ويزورون خفية،، ثم تكثر زيارتهم فيجدد المنع الى أن قتله الله .

وقد قال بعض الشعراء في ذلك :

أيحرث بالطفّ قبر الحسين ويعمّر قبر بني الزانية
لعل الزّمان بهم قد يعود ويأتي بدولتهم ثانية[١]

وقال في تتمة كلامه السابق بعد ما ذكر أنه أُعيد تعميره على زمن المأمون وغيره قال : الى أن حكم المتوكل من بني العبّاس فأمر بتخريب قبر الحسينعليه السلام ، وقبور أصحابه وكرب مواضعها وأجرى الماء عليها[٢]...الخ.

وكان المتوكل شديد البغض لعليّ وأهل بيتهعليهم السلام.

العمارة الثالثة عمارة المنتصر

قال محمّد بن أبي طالب في تتمة كلامه السابق بعد ما ذكر تخريب المتوكل القبر الشريف قال : الى أن قتل المتوكل، وقام بالأمر بعده ابنه المنتصر فعطف على آل أبي طالب وأحسن إليهم، وفرّق فيهم الأموال وأعاد القبور في أيّامه[٣]... الخ. وذكر غير واحد من المؤرخين: إنه أمر الناس بزيارة قبر الحسينعليه السلام.

وقال المجلسي في البحار : إنّ المنتصر لما قتل أباه وتخلف بعده، أمر ببناء الحائر وبنى ميلاً على المرقد الشريف، وأحسن الى العلويين، وآمنهم

---

(١) بحار الأنوار ٤٥: ٤٠٦ ـ ٤٠٧ ح ١٢.

(٢) تسلية المجالس المصدر غير متوفر لدينا.

(٣) المصدر السابق غير متوفر لدينا.

بعد خوفهم[١]... الخ.

ومرّ في الجزء الثالث عند ذكر تعمير قبر أميرالمؤمنين عليه السلام إنّ السقيفة التي كانت على قبر الحسين عليه السلام سقطت سنة (٢٧٣ هـ) وهذه التي بناها المنتصر وبويع له بالخلافة سنة (٢٤٧)، وتوفي بعد خمسة أشهر وليست التي بناها الداعي محمّد بن زيد التي تأتي لتصريح ابن طاووس في فرحة الغري: إنها كانت أيام المعتضد، والمعتضد بويع سنة (٢٧٩ هـ) وتوفي سنة (٢٨٩ هـ).

العمارة الرابعة عمارة محمّد بن زيد بن الحسن بن محمّد بن إسماعيل

حالب الحجارة ابن الحسن دفين الحاجر بن زيد الجواد بن الحسن السبط ابن عليّ بن أبي طالب الملقب بالداعي الصغير ملك طبرستان بعد أخيه الحسن الملقب بالداعي الكبير عشرين سنة، وبنى المشهدين (الغروي والحائري) أيّام المعتضد، قال محمّد بن أبي طالب في تتمة كلامه السابق بعد ما ذكر إعادة القبور في أيّام المنتصر قال: الى أن خرج الداعيان الحسن، ومحمّد ابنا زيد بن الحسن، فأمر محمّد بعمارة المشهدين مشهد أميرالمؤمنين ومشهد أبي عبد الله الحسين وأمر بالبناء عليهما[٢]... الخ. وكانت هذه العمارة ما بين (٢٧٩ ـ ٢٨٩ هـ) وفي كلام لبعض المعاصرين أنه انتهى منها سنة (٢٨٠ هـ).

(١) بحار الأنوار ٥٠: ٢١٠ بهامش الصفحة.

(٢) تسلية المجالس المصدر غير متوفر لدينا.

العمارة الخامسة عمارة عضد الدولة فنا خسرو بن بويه الديلمي

قال محمّد بن أبي طالب في تتمة كلامه السابق بعد ما ذكر عمارة محمّد بن زيد: وبعد ذلك بلغ عضد الدولة ابن بويه الغاية في تعظيمهما وعمارتهما والأوقاف عليهما وكان يزورهما كل سنة[١]... الخ.

وفي كتاب لبعض المعاصرين: أنه لما زار المشهد الحسيني سنة (٣٧١هـ) بالغ في تشييد الأبنية حوله وأجزل العطاء لمن جاوره وتوفي سنة (٣٧٢هـ) بعد ما وَلِيَ العراق خمس سنين، وفي زمانه بنى عمران بن شاهين الرواق المعروف برواق عمران في المشهد الحائري.

العمارة السادسة عمارة الحسن بن مفضل بن سهلان أبو محمّد الرامهرمزي وزير سلطان الدولة ابن بويه الديلمي

قال ابن الأثير في حوادث سنة (٤٠٧) فيها في ١٤ ربيع الأوّل احترقت قبة الحسين، والأروقة وكان سببه أنّهم أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطت في الليل على التأزير، فاحترق وتعدّت النار[٢]... الخ. فجددها الوزير المذكور. وفي مجالس المؤمنين عن تاريخ ابن كثير[٣] الشامي أنّه بنى سور الحائر الحسيني، وقتل سنة (٤٦٠هـ). قيل: وهذا السور هو الذي ذكره ابن إدريس في سنة (٥٨٨هـ) في كتاب المواريث من السرائر[٤]... الخ. وهذه العمارة هي التي رآها ابن بطوطة وذكرها في رحلته التي كانت سنة (٧٢٧هـ).

---

(١) الكامل في التاريخ ٩: ٢٩٥.

(٢) المصدر السابق ٩: ٢٩٥.

(٣) البداية والنهاية ١٢: ٢٠.

(٤) السرائر ١: ٣٤٢. وقد ذكر في كتاب الصلاة ـ باب صلاة المسافر. ولم يذكره في كتاب المواريث.

العمارة السابعة الموجودة الآن

أمر بها السلطان أويس الإيلخاني سنة (٧٦٧ هـ) وتأريخها هذا موجود فوق المحراب القبلي، مما يلي الرأس الشريف، وأكملها ولده أحمد بن أويس سنة (٧٨٦ هـ) وقد زيد فيها، وأصلحت من ملوك الشيعة وغيرهم، وفي عام (٩٣٠ هـ) أهدىٰ الشاه إسماعيل الصفوي صندوقاً بديع الصنع الى القبر الشريف، وفي عام (١٠٤٨) شيّد السلطان مراد العثماني الرابع القبّة وجصّصها، وفي سنة (١١٣٥ هـ) أنفقت زوجة نادر شاه مبالغ طائلة، لتعمير الروضة الحسينية، وفي سنة (١٢٣٢ هـ) أمر فتح على شاه بتذهيب القبة الشريفة[١].

هدم الوهابية قبر الحسين عليه السلام

في سنة (١٢١٦ هـ) جهز سعود بن عبد العزيز بن محمّد بن سعود الوهابي النجدي، جيشاً من أعراب نجد، ويقول بعض مؤرّخي الأفرنج: إنه يقرب من ستمائة هجان، وأربعمائة فارس، وغزا به العراق، وحاصر مدينة كربلاء، مغتنماً فرصة غياب جلّ الأهلين في النجف، لزيارة الغدير، ثم دخلها يوم ١٨ ذي الحجة عنوة، وأعمل في أهلها السيف، فقتل منهم ما بين أربعة آلاف الى خمسة آلاف، وقتل الشيوخ والأطفال والنساء، ولم ينج منهم إلّا من تمكّن من الهرب، أو اختبأ في مخبأ، ونهب البلد ونهب الحضرة الشريفة، وأخذ جميع ما فيها من فرش وقناديل، وغيرها وهدم القبر الشريف، واقتلع

(١) انظر تاريخ مرقد الحسين عليه السلام والعباس عليه السلام: ٨٣ العمارة الثامنة.

الشباك الذي عليه، وربط خيله في الصحن المطهر، ودق القهوة وعملها في الحضرة الشريفة. ونهب من ذخائر المشهد الحسيني الشيء الكثير، ثم كرّ راجعاً الى بلاده .

سيرة عليّ بن الحسين
زين العابدين الإمام السجاد عليه السلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

زين العابدين عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

رابع أئمة أهل البيت الطاهر عليهم السلام .

مولده ووفاته، عمره ومدفنه

ولد في المدينة يوم الجمعة أو يوم الخميس، أو يوم الأحد.

لتسع أو خمس أو سبع خلون من شعبان، أو منتصف جمادى الثانية أو الأُولى.

سنة (٣٨ هـ) أو (٣٧هـ) أو (٣٦ هـ) من الهجرة[١].

وتوفّي بالمدينة يوم السبت في ١٢ من المحرم أو ١٨أو ١٩ أو ٢٢أو ٢٥ منه .

سنة (٩٥ هـ)، أو (٩٤ هـ) من الهجرة وله ٥٥ سنة، أو ٥٦، أو ٥٧، أو ٥٨، أو ٥٩ وأشهر وأيّام[٢] بحسب اختلاف الأقوال والروايات في تاريخ المولد والوفاة .

عاش منها مع جدّه أميرالمؤمنين عليه السلام سنتان أو أكثر، ومع عمّه الحسن عليه السلام

---

(١) الإرشاد ٢: ١٣٧، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٨٠، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٥، كشف الغمّة ٢: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، الفصول المهمّة: ١٨٩. هؤلاء ذكروا الأقوال في ولادته عليه السلام باختلاف التواريخ.

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٨١، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٥، تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٤١١ ـ ٤١٦ ، مطالب السؤول ٢: ٩٨، تذكرة الخواص: ٣٣٢.

١٢ سنة أو ١٠سنين.

ومع أبيه الحسين عليه السلام ٢٣، أو ٢٤ سنة، ومع أبيه بعد عمّه الحسن عليه السلام ١٠ سنين.

وبعد أبيه ٣٣أو ٣٤، أو ٣٥ سنة وهي مدة إمامته. وهي بقية ملك يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد ومروان بن الحكم، وعبد الملك بن مروان وتوفي في ملك الوليد بن عبد الملك .

ودفن بالبقيع مع عمّه الحسن بن عليّ في القبة التي فيها قبر العبّاس بن عبد المطلب عليه السلام[١].

أُمّه: قيل: اسمها شهربانو، أو شهربانويه بنت يزدجرد بن شهريار بن شيرويه، بن أبرويز بن انوشيروان[٢].كان يزدجرد آخر ملوك الفرس.

وقال المبرد: اسمها سلافة من ولد يزدجرد معروفة النسب، من خيرات النساء ، وقيل : خولة[٣]، وقال ابن سعد في الطبقات: اسمها غزالة[٤].

وقال المفيد: أمّه شاه زنان بنت يزدجرد بن شهريار بن كسرى، ويقال : إنّ اسمها كان شهربانويه[٥]... الخ.

والظاهر : إن اسمها الأصلي كان كما ذكره المفيد ، ثم غُيّر كما ذكره المبرد.

قيل: أُخذت في خلافة عمر. ورواه القطب الراوندي بسنده عن الباقر

---

(١) الإرشاد ٢: ١٣٨، الفصول المهمة: ١٩٦، مطالب السؤول ٢: ٩٨، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٥.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٦.

(٣) الكامل للمُبرّد ٢: ٩٣.

(٤) الطبقات الكبرى ٥: ٢١١ .

(٥) الإرشاد ٢: ١٣٧.

وأنه أراد بيعها فنهاه عليّ وقال له : «ولكن اعرض عليها أن تختار واحداً من المسلمين فزوّجها به، واحسب مهرها من عطائه من بيت المال» ، فاختارت الحسين بن عليّ، فأمره بحفظها والإحسان إليها، فولدت له خير أهل الأرض في زمانه[١].

وقيل : إنّ أُم زين العابدين عليه السلام ماتت في نفاسها به، فكفلته بعض أمّهات ولد أبيه ، فنشأ لا يعرف أمّاً غيرها ، ثم علم أنّها مولاته ، وكان الناس يسمونها أمّه، ثم زوّجها فقال ناس : زوج أمّه[٢] . حتى أن بعض ملوك بني أمية أرسل إليه يعاتبه في ذلك[٣]. ولم تكن أمّه إنّما كانت حاضنته ، ولم يكن أهل المدينة يرغبون في نكاح الجواري حتى ولد عليّ بن الحسين فرغبوا فيهن .

هو الأكبر أم الأصغر ؟ المشهور أنّ أخاه شهيد كربلاء هو الأكبر. وقيل: إنّه الأصغر[٤].

كنيته: أبو محمّد وأبو الحسن، قيل: وأبو بكر[٥] .

وروىٰ ابن سعد في الطبقات: عن أبي جعفر: «إنّه يُكنّى أبا الحسين» قال وفي غير هذا الحديث: أنّه كان يكنّىٰ أبا محمّد[٦].

لقبه: له ألقاب كثيرة أشهرها : زين العابدين ، وسيد العابدين ، والسجاد ، وذو الثفنات[٧].

---

(١) الخرائج والجرائح ٢: ٧٥٠ ـ ٧٥١ ح ٦٧. وفيه تفاوت واختصار باللفظ.

(٢) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٣٦ / ح٦ ، بحار الأنوار ٤٦: ٨ ـ ٩ / ح١٩.

(٣) البداية والنهاية ٩: ١٢٩، تذكرة الخواص: ٢٧٧.

(٤) الإرشاد ٢: ١٣٥.

(٥) الفصول المهمة: ١٨٩.

(٦) الطبقات الكبرىٰ ٥: ٢١٢ ـ ٢١٣ .

(٧) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٥، مطالب السؤول ٢: ٨٥، تذكرة الخواص: ٣٢٤.

نقش خاتمه: في الفصول المهمّة : ﴿وما توفيقي إلّا بالله﴾[١].

وقال الكفعمي: «لكل غم حسبي الله»[٢].

وفي حلية الأولياء عن الباقر عليه السلام: ﴿القوة لله جميعاً﴾[٣] وفي رواية عن الباقر عليه السلام: ﴿العزة لله﴾[٤].

وعن الصادق عليه السلام: «الحمد لله العلي»[٥].

وعن الكاظم عليه السلام: «خزي وشقي قاتل الحسين بن عليّ»[٦].

وعن الرضا عليه السلام : ﴿إنّ الله بالغ أمره﴾[٧].

ولعلّه كان له عدّة خواتيم بهذه النقوش .

بوّابه: أبو خالد الكابلي، وأبو جبلة، ويحيى ابن أُمّ الطويل المطعمي[٨] . المدفون بواسط، الذي قتله الحجاج .

شاعره: الفرزدق، وكثير عزّة[٩].

ملوك عصره: يزيد بن معاوية، ومعاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، وعبدالملك بن مروان، والوليد بن عبد الملك[١٠].

أولاده: تناسل ولد الحسين من زين العابدين عليه السلام .

---

(١) الفصول المهمّة: ١٨٩.

(٢) وقد أورده علي البروجردي في طرائف المقال ٢: ٢٢١، هكذا: «حسبي الله لكل غم».

(٣) حلية الأولياء ٣: ١٤٠.

(٤) قرب الاسناد: ٣١، الوسائل ٥: ٧٨، أبواب أحكام الملابس، ب ٤٦، ح٥، بحار الأنوار ٤٦: ٧ / ح١٥.

(٥) الكافي ٦: ٤٧٣ /ح ٢.

(٦) المصدر السابق ٦: ٤٧٤ / ح٦.

(٧) المصدر السابق ٦: ٤٧٤ / ح٨.

(٨) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٦، الفصول المهمّة: ١٨٩.

(٩) الفصول المهمّة: ١٨٩.

(١٠) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٥ ـ ١٧٦.

قال المفيد في الإرشاد وابن الصباغ في الفصول المهمة : كان له من الأولاد خمسة عشر ذكراً، وأربع بنات، وهم :

محمّد الباقر أُمّه فاطمة بنت الحسن السبط، تُكنى أُمّ عبدالله.

الحسن . الحسين الأكبر لم يعقبا، أُمّهم أُم ولد .

زيد . عمر . أُمّهما أُم ولد .

الحسين الأصغر . عبيد الله . سليمان لم يعقب .

عليّ وهو أصغر ولده خديجة أُمّهما أُم ولد .

محمّد الأصغر أُمّه أُمّ ولد .

فاطمة . عليّة . أُم كلثوم أُمّهن أُم ولد[١].

وفي الطبقات الكبرى لمحمد بن سعد عدّ له عشرة ذكور وسبع بنات فقال: ولد علي الأصغر ابن حسين بن عليّ: الحسن بن علي درج . والحسين الأكبر درج. ومحمّد أبا جعفر الفقيه. وعبدالله وأُمّهم أُمّ عبدالله بنت الحسن بن عليّ بن أبي طالب . وعمر. وزيداً المقتول بالكوفة . وعلي بن عليّ. وخديجة وأُمّهم أُمّ ولد . وحسيناً الأصغر ابن عليّ. وأُم عليّ بنت عليّ وهي علية وأُمّهما أُمّ ولد . وكلثم بنت عليّ. وسليمان لا عقب له ومليكة لأُمّهات أولاد . والقاسم . وأُمّ الحسن وهي حسنة . وأُم الحسين . وفاطمة لأُمّهات أُولاد[٢].

وفي كشف الغمة : قيل كان له تسعة أولاد ذكور ولم يكن له انثى[٣]، وقال ابن الخشاب النحوي في مواليد أهل البيت: أنه ولد له ثمانية بنين، ولم

(١) الارشاد ٢: ١٥٥، الفصول المهمة : ١٩٧.

(٢) الطبقات الكبرى ٥: ٢١١ .

(٣) كشف الغمّة ٢: ٢٩٤.

يكن له أُنثى ، وهم : محمّد الباقر ، وزيد الشهيد بالكوفة ، وعبدالله ، وعبيدالله، والحسن، والحسين ، وعليّ، وعمر(١).

وقال ابن شهرآشوب في المناقب : أبناؤه ثلاثة عشر من أُمّهات الأولاد إلّا اثنين: محمّد الباقر ، وعبدالله الباهر، أُمّهما أُم عبدالله بنت الحسن بن عليّ، وأبو الحسين زيد الشهيد بالكوفة، وعمر توأم، ومحمّد الأصغر وعبدالرحمن وسليمان توأم، والحسن، والحسين، وعبيد الله توأم، ومحمّد الأصغر فرد، وعليّ وهو أصغر ولده، وخديجة فرد ويقال : لم تكن له بنت، ويقال : ولدت له فاطمة وعلية وأُم كلثوم(٢).

وفي عمدة الطالب : أعقب منهم محمّد الباقر وعبدالله الباهر، وزيد الشهيد وعمر الأشرف، والحسين الأصغر، وعليّ الأصغر(٣).

صفته في حليته ولباسه

في طبقات ابن سعد الكبير، قال أخبرنا الفضل بن دكن حدثنا نضر بن أوس الطائي، قال : دخلت على عليّ بن الحسين، وعليه سحق ملحفة حمراء، وله جمة الى المنكب مفروق.

وبسنده: إن عليّ بن حسين كان يصبغ بالسوّاد.

وبسنده عن موسى بن أبي حبيب الطائفي قال : رأيت عليّ بن الحسين يخضب بالحناء والكتم ورأيت نعلي عليّ بن الحسين مدوّرة الرأس ليس لها لسان.

---

(١) كشف الغمة ٢: ٣١٧ دار الكتب الإسلامي.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٦.

(٣) عمدة الطالب: ١٩٤.

أقول: الحناء إذا صبغ معها بالكتم كان اللون أسود فلا ينافي ما مرّ من إنّه كان يصبغ بالسوّاد .

وبسنده: كان لعليّ بن الحسين كساء خز أصفر يلبسه يوم الجمعة .

وبسنده: رأيت على عليّ بن الحسين كساء خز وجبّة خز.

وبسنده: عن أبي جعفر، قال: «أهديت لعليّ بن الحسين مستقة من العراق، فكان يلبسها، فإذا أراد ان يصلّي نزعها».

أقول : المستقة بضم الميم، وسكون السين، وضم التاء، أو فتحها فروة طويلة الكمين، فارسي معرّب.

وبسنده عن أبي جعفر قال: «كان لعليّ بن الحسين سبنجونة من ثعالب، فكان يلبسها فإذا صلّى نزعها» .

أقول : في القاموس[1] وتاج العروس: السبنجونة : بفتح السين والموحّدة، وسكون النون وضم الجيم في التهذيب[2]: روي أنّ الحسن بن عليّ، كانت له سبنجونة من جلود الثعالب، كان إذا صلّى لم يلبسها، قال شمر : سألت محمّدبن بشار عنها؟ فقال : فروة من الثعالب معرب (آسمان گون). أي لون السماء!

وسألت أبا حاتم فقال :كان يذهب الى لون الخضرة آسمان جون[3]...الخ. ونزعها في الصلاة لعدم جواز الصلاة فيما لا يؤكل لحمه في مذهب أهل البيت، وكون الثعالب منه.

وبسنده: إنّ عليّ بن الحسين، كان يشتري كساء الخز بخمسين ديناراً،

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي ١: ١٩٣ (مادة سبج).

(٢) عنه في لسان العرب ٢: ٢٩٤ (مادة سبج).

(٣) تاج العروس للزبيدي ٢: ٥٦ (مادة سبج).

فيشتو فيه، ثم يبيعه ويتصدق بثمنه، ويصيف في ثوبين من ثياب مصر أشمونيين بدينار، ويلبس ما بين ذا وذا من اللبوس ويقول : ﴿مَن حرّم زينة الله التي أخرج لعباده﴾[1] ويعتم وينبذ له في السُّعن في العيدين بغير عَكَر، وكان يدّهن أو يتطيّب بعد الغسل إذا أراد أنْ يُحرِم... ـ الخ.

والسعن: بالضم قربة صغيرة تقطع من نصفها، وينبذ فيها. والعَكَر الدردي: وهو ما خثر ورسب .

قال: أخبرنا محمّد بن ربيعة، حدثنا عبدالله بن سعيد بن أبي هند، قال: رأيت على عليّ بن الحسين قلنسوة بيضاء لاطئة .

أخبرنا محمّد بن إسماعيل بن أبي فديك وعبدالله بن مسلمة وإسماعيل ابن عبدالله بن أبي أويس قالوا: حدثنا عن محمّد بن هلال قال : رأيت عليّ بن الحسين بن عليّ يعتمّ بعمامة ويرخي عمامته خلف ظهره .

قال ابن أبي أويس في حديثه : شبراً أو فويقة فيما توخيت عمامة بيضاء[2].

صفته في أخلاقه وأطواره

نقتبسها من مجموع الروايات الآتية، والماضية في مناقبه، وغيرها وإن لزم بعض التكرير.

كان أفضل أهل زمانه وأعلمهم وأفقههم وأورعهم وأعبدهم وأكرمهم وأحلمهم وأصبرهم وأفصحهم ، وأحسنهم أخلاقاً، وأكثرهم صدقة ، وأرأفهم

---

(١) الأعراف: ٣٢.

(٢) الطبقات الكبرى ٥: ٢١٧ ـ ٢١٨ بتقديم وتأخير .

بالفقراء، وأنصحهم للمسلمين.

وكان معظماً مهيباً عند القريب والبعيد والولي والعدو[1]. حتى أن يزيد بن معاوية لمّا أمر أن يبايعه أهل المدينة، بعد وقعة الحرّة على أنّهم عبيد رق له، لم يستثن من ذلك إلّا عليّ بن الحسين، فأمر أن يبايعه على أنه أخوه وابن عمّه[2].

وكان يشبه جدّه أميرالمؤمنين عليه السلام في لباسه[3]، وفقهه وعبادته، وكان يحسن الى من يسيء إليه[4].

كان هشام بن إسماعيل أمير المدينة يسيء إليه، ويؤذيه أذىً شديداً، فلمّا عُزل أمر به الوليد أن يوقف للناس، فمرّ به وسلّم عليه وأمر خاصّته أن لا يعرض له أحد.

وكان له ابن عمّ يؤذيه فكان يجيئه ويعطيه الدنانير ليلاً، وهو متستر فيقول: لكن عليّ بن الحسين لا يصلني لا جزاه الله خيراً، فيسمع ويصبر، فلما مات انقطع عنه، فعلم انه هو الذي كان يصله[5].

ولما طرد أهل المدينة بني أُمية في وقعة الحرة، أراد مروان بن الحكم أن يستودع أهله، فلم يقبل أحد أن يكونوا عنده، إلّا عليّ بن الحسين، فوضعهم

---

(1) انظر: المناقب لابن شهرآشوب 4: 148 و 153 و 155 و 157 و 163، الفصول المهمة: 190 ـ 193، مطالب السؤول 2: 84 ـ 96، البداية والنهاية 9: 122 ـ 125، كشف الغمة 2: 286 و 295 و 304.

(2) تاريخ الأمم والملوك 4: 379، الكامل في التاريخ 4: 119 ـ 120.

(3) هذا قد ينافي ما يأتي من لبس زين العابدين اللباس الفاخر، وما اشتهر من لبس أميرالمؤمنين عليه السلام خشن اللباس ويمكن كون الشبه في اللباس من وجه آخر والله أعلم ـ المؤلف ـ.

(4) الطبقات لابن سعد 5: 220.

(5) كشف الغمة 2: 319، بحار الأنوار 46: 100 /ح88

مع عياله، وأحسن إليهم[1]، مع عداوة مروان المعروفة له ولجميع بني هاشم.

وعال في وقعة الحرة أربعمائة امرأة من بني عبد مناف الى أن تفرق جيش مسرف بن عقبة ، وكان يعول أهل بيوت كثيرة في المدينة لا يعرفون من يأتيهم برزقهم حتى مات ، وكان يقول لمن يشتمه : «إن كنت كما قلت فأسأل الله أن يغفر لي، وإن لم أكن كما قلت فأسأل الله أن يغفر لك»[2] .

وحجّ على ناقته عشرين حجة لم يضربها بسوط[3].

وكان لا يضرب مملوكاً بل يكتب ذنبه عنده حتى إذا كان آخر شهر رمضان جمعهم، وقرّرهم بذنوبهم، وطلب منهم أن يستغفروا له الله كما غفر لهم ، ثم يعتقهم ويجزيهم بجوائز، وما استخدم خادماً فوق حول،كان إذا ملك عبداً أوّل السنّة أو وسطها أعتقهم ليلة الفطر، واستبدل سواهم، كذلك كان يفعل حتى لحق بالله ، ولقد كان يشتري السودان، وما به إليهم من حاجة، يأتي بهم عرفات يسد بهم الفرج، فإذا أفاض اعتقهم وأجازهم[4].

وهو الذي علّم الزهري كيف ينجو من الذّم الذي أصابه، وخلصه من ورطة الوقوع في القنوط[5].

وكان لا يسافر إلّا مع رفقة لا يعرفونه ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة، فيما يحتاجونه، ويقول : «أكره أن آخذ برسول الله ما لا أعطي مثله»[6].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٧٢، الكامل في التاريخ ٤: ١١٣ .

(٢) شرح الأخبار للمغربي ٣: ٣٥٧ / ح١١٥٧.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٥.

(٤) انظر بحار الأنوار ٤٦: ١٠٣ ـ ١٠٥ / ح٩٣.

(٥) شرح الأخبار للمغربي ٣: ٢٥٨ / ح١١٥٩، كشف الغمة ٢: ٣١٧ ـ ٣١٨ .

(٦) كشف الغمة ٢: ٣٢٠.

وفي كشف الغمة :كان لا يحبّ أن يعينه على طهوره أحد، وكان يستقي الماء لطهوره ويخمّره -أي يغطيه- قبل أن ينام، فإذا قام من الليل بدأبالسواك، ثم توضأ، ثم يأخذ في صلاته، وكان لا يدع صلاة الليل في السفر والحضر ، وكان يقضي ما فاته من صلاة نافلة النهار بالليل ، وكان يقول لبنيه: «يا بني ليس هذا عليكم بواجب، ولكن أحبّ لمن عوّد منكم نفسه، عادة من الخير أن يدوم عليها».

وكان إذا أتاه السائل قال : «مرحباً بمن يحمل زادي الى الآخرة».

وكان إذا مشى لا تجاوز يده فخذه، ولا يخطر بيده وعليه السكينة والوقار[1]... الخ.

وقال الصادق عليه السلام : «كان إذا مشى كأنّ الطير على رأسه[2] لا يسبق يمينه شماله...»[3]الخ.

وكان عشية عرفة وغدوة جمع إذا دفع يسير على هنيهة، وكان يجمع بين الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، في السفر، وكان يمشي الى الجمار[4].

وقال ابن حجر في صواعقه : زين العابدين، هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادةً، وكان إذا توضأ للصلاة اصفرّ لونه، فقيل له في ذلك ، فقال : «لا تدرون بين يدي من أقف»! وكان عظيم التجاوز والعفو والصفح حتى أنّه سبّه رجل فتغافل عنه فقال له : إياك أعني. فقال : «وعنك أُعرض» أشار الى آية

(١) كشف الغمة ٢: ٢٨٦ ـ ٢٨٨ .

(٢) قيل في تفسير كأنّ الطير على رأسه، أن الطير لا يقع إلّا على شيء ساكن.

(٣) المحاسن للبرقي ١: ١٢٤ ـ ١٢٥ / ح١٤١، باب ٦٩، بحار الأنوار ٤٦: ٧٠ ـ ٧١ /ح٤٨.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد: ٢١٩ .

﴿خُذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[١] الخ[٢].

وفي الخصال بسنده عن الباقرعليه السلام: «كان عليّ بن الحسينعليه السلام يخرج في الليلة الظلماء، فيحمل الجراب على ظهره، وفيه الصرر من الدنانير والدراهم، وربّما حمل على ظهره، الطعام أو الحطب، حتى يأتي باباً باباً فيقرعه، ثم يناول من يخرج إليه ، وكان يغطّي وجهه إذا ناول فقيراً لئلّا يعرفه،فلما توفي فقدوا ذلك، فعلموا أنه كان عليّ بن الحسين، وقد خرج ذات يوم وعليه مطرف خزٍّ، فتعرّض[٣] له سائل فتعلّق بالمطرف فمضى وتركه.

وقد نظرعليه السلام يوم عرفة الى قوم يسألون الناس فقال: ويحكم! أغير الله تسألون في مثل هذا اليوم؟! إنّه ليُرجى في هذا اليوم لما في بطون الحُبالى أن يكون سعيداً.

وكان يأبى أن يؤاكل أُمّه فقيل له : يا ابن رسول الله أنت أبرّ الناس، وأوصلهم للرحم فكيف لا تؤاكل أُمّك؟ فقال : إنّي أكره أن تسبق يدي الى ما سبقت إليه عينها.

وقال له رجل : يا ابن رسول الله إنّي لأُحبّك في الله حبّاً شديداً. فقال : اللهم إنّي أعوذ بك أن أحب فيك[٤] وأنت لي مبغض.

وسئلت عنه مولاة له، فقالت : أطنب أو اختصر فقيل لها اختصري فقالت : ما أتيته بطعام نهاراً قطّ وما فرشت له فراشاً بليل قط .

وانتهى ذات يوم الى قوم يغتابونه، فوقف عليهم فقال : إن كنتم صادقين فغفر الله لي، وإن كنتم كاذبين فغفر الله لكم.

وكان إذا جاء طالب علم قال : مرحباً بوصيّة رسول اللهصلى الله عليه وآله ثم يقول : إنّ طالب العلم إذا خرج من منزله لم يضع رجله على رطب ولا يابس من الأرض إلّا سبّحت له.

---

(١) الأعراف: ١٩٩.

(٢) الصواعق المحرقة: ٢٠٠ ـ ٢٠١.

(٣) في المصدر [فعرض].

(٤) في المصدر [لك].

ولقد كان يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة، وكان يعجبه أن يحضر طعامه اليتامى، والاضراء، والزمنى، والمساكين الذين لا حيلة لهم ، وكان يناولهم بيده، ومن كان منهم له عيال حمل له الى عياله من طعامه ، وكان لا يأكل طعاماً حتى يهدأ[1] فيتصدق بمثله.

ولقد بكى على أبيه الحسين عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى حتى قال له مولى له: يا ابن رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي؟ فقال له : ويحك! إن يعقوب النبيّعليه السلام كان له اثنا عشر ابناً، فغيّب الله واحداً منهم، فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن واحدودب ظهره من الغم، وكان ابنه حيّاً في الدنيا، وأنا نظرت الى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر من أهل بيتي، مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني...؟!»[2] الخ .

وروى الشيخ في الأمالي بسنده عن الصادقعليه السلام قال : «كان عليّ بن الحسين يقول: ما تجرعت جرعة أحبّ إليّ من جرعة غيظ أعقبها صبراً، وما أحبّ أن لي بذلك حمر النعم. وكان يقول : الصدقة تطفيء غضب الربّ. وكان لا تسبق يمينه شماله، وكان يقبل الصدقة قبل أن يعطيها السائل، قيل له : ما يحملك على هذا؟ فقال : لست أقبّل يد السائل، إنّما أُقبّل يد ربّي انها تقع في يد ربّي قبل أن تقع في يد السائل ، ولقد كان يمر على المدرة في وسط الطريق فينزل عن دابته حتى ينحيها بيده عن الطريق ، ولقد مر بمجذومين، فسلّم عليهم وهم يأكلون، فمضى ثم قال : ﴿إنّ الله لا يحبّ المتكبرين﴾ فرجع إليهم فقال : إنّي صائم. وقال : ائتوني بهم في المنزل فأتوه بهم فأطعمهم ثم أعطاهم...»[3] الخ.

وكان إذا انقضى الشتاء تصدّق بكسوته، وإذا انقضى الصيف تصدّق بكسوته، وفي رواية : أنه كان يتصدق بها نفسها، فقيل له : إنّك تعطيها من لا

---

(١) في المصدر [يبدأ].

(٢) الخصال: ٥١٧ ـ ٥١٩ طبعة مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين ح ٤، أبواب العشرين وما فوقه.

(٣) أمالي الطوسي: ٦٧٣ ح ١٤١٩.

يعرف قيمتها، ولا يليق به لباسها فلو بعتها فتصدقت بثمنها؟! فقال : «إنّي أكره أن أبيع ثوباً صلّيت فيه»[١].

مناقبه وفضائله

في طبقات ابن سعد: قالوا :كان عليّ بن الحسين ثقة مأموناً كثير الحديث عليّاً رفيعاً ورعاً[٢]...الخ.

وفي مرآة الجنان : مناقبه ومحاسنه كثيرة شهيرة ، وحكى المبرد في الكامل: إنّ رجلاً من قريش قال :كنت أُجالس سعيد بن المسيب، فقال لي يوماً: من أخوالك؟ فقلت أمّي فتاة. وكأنّي نقصتُ من عينه الى أن قال : فأمهلت شيئاً حتى جاء عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالبعليه السلام، فسلّم عليه، ثم نهض فقلت يا عم من هذا ؟ قال : هذا الذي لا يسع مسلماً أن يجهله، هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، قلت من أمّه؟ قال : فتاة، قلت : ياعمّ رأيتني نقصت من عينك لمّا علمت إنّي لأمّ ولد[٣].[٤]

وعن محاضرات الراغب، وابن الجوزي في مناقب عمر بن عبد العزيز : أنّه قال عمر بن عبد العزيز يوماً، وقد قام من عنده عليّ بن الحسينعليه السلام : من أشرف الناس ؟ فقالوا: أنتم ، فقال :كلا فإنّ أشرف الناس هذا القائم من عندي آنفاً، من أحبّ الناس أن يكونوا منه، ولم يحبّ أن يكون من أحد[٥].

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٤.

(٢) الطبقات الكبرى ٥: ٢٢٢ .

(٣) الكامل في اللغة والأدب للمبرد ٢: ١٤٣.

(٤) مرآة الجنان لليافعي ١: ١٩٠ ـ ١٩٢ .

(٥) عنهما في المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٦٧، بحار الأنوار ٤٦: ٣ ـ ٤ /ح ٤.

وروى الصدوق في العلل بسنده عن سفيان بن عيينة، قلت للزهري لقيت عليّ بن الحسين قال: نعم لقيته وما لقيت أحداً أفضل منه، والله ما علمت له صديقاً في السرّ، ولا عدواً في العلانية، فقيل له: وكيف ذلك؟! قال: لأنّي لم أر أحداً وإن كان يحبّه إلّا وهو لشدة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً وإن كان يبغضه إلّا وهو لشدّة مداراته له يداريه[١].

ونذكر من مناقبه أُموراً حسبما يتسع لنا المجال:

أحدها: العلم

قد عرفت قول المفيد: أنّه قد روى عنه الفقهاء من العلوم ما لا يحصى كثرة، وحفظ عنه من المواعظ والأدعية وفضائل القرآن والحلال والحرام والمغازي والأيام ما هو مشهور بين العلماء.

قال: ولو قصدنا شرح ذلك لطال به الكتاب، وتقضّى به الزمان[٢]... الخ.

وفي مناقب ابن شهرآشوب: قلّما يوجد كتاب زهد وموعظة لم يذكر فيه قال عليّ بن الحسين أو قال زين العابدين[٣].

وروى المفيد في الإرشاد بسنده عن عبدالله بن الحسين بن الحسن قال: كانت أُمّي فاطمة بنت الحسين عليه السلام تأمرني أن أجلس الى خالي عليّ بن الحسين، فما جلست إليه قط إلّا قمت بخير، قد أفدته إما خشية لله تحدث في قلبي لما أرى من خشيته لله أو علم قد استفدته منه[٤].

---

(١) علل الشرائع ١: ٢٣٠ ـ ٢٣١ / ب ١٦٥، ح ٤.

(٢) الإرشاد ٢: ١٥٣.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٦١.

(٤) الإرشاد ٢: ١٤٠.

وروى أبو نعيم في الحلية بسنده عن الزهري: دخلنا على عليّ بن الحسين ابن عليّ فقال : «يا زهري فيم كنتم؟»

قلت : تذاكرنا فأجمع رأيي ورأي أصحابي على أنّه ليس من الصوم شيء واجب إلّا شهر رمضان؛ فقال : «يا زهري ليس كما قلتم ، الصوم على أربعين وجهاً؛ عشرة منها واجبة كوجوب شهر رمضان ، وعشرة منها حرام ، وأربع عشرة خصلة صاحبها بالخيار إن شاء صام وإن شاء أفطر[1]، وصوم النذر واجب ، وصوم الاعتكاف واجب».

قال قلت : فسّرهن يا ابن رسول الله .

قال : «أما الواجب فصوم شهر رمضان، وصيام شهرين متتابعين» يعني في قتل الخطأ لمن لم يجد العتق. قال تعالى: ﴿ومن قتل مؤمناً خطأً...﴾[2] الآية وصيام ثلاثة أيّام في كفارة اليمين ، لمن لم يجد إلّا طعام قال الله عز وجل ﴿ذلك كفارة أيمانكم إذا حلفتم﴾[3] وصيام حلق الرأس قال الله تعالى: ﴿فمن كان منكم مريضاً أو به أذىً من رأسه...﴾[4] الآية صاحبه بالخيار إن شاء صام ثلاثاً وصوم دم المتعة لمن لم يجد الهدي. قال الله تعالى : ﴿فمن تمتّع بالعمرة الى الحجّ...﴾[5] الآية ، وصوم جزاء الصيد . قال الله عز وجل: ﴿ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النعم...﴾[6] الآية ، وإنّما يقوّم ذلك الصيد قيمة، ثم يفضّ ذلك الثمن على الحنطة.

---

(١) لا يخفى أنّها عدت أوّلاً أربعين ثمّ عشرة وعشرة وأربع عشرة فتكون أربعاً وثلاثين ومجموع ما ذكر منها ثلاثون أو إثنان وثلاثون ويمكن أن يكون اقتصر على العشرة الواجبة، والعشرة المحرّمة بعد أيّام التشريق ثلاثة لا واحداً لأنّهما أهم وذكر من المستحب والمكروه بعضه.

(٢) النساء: ٩٢.

(٣) المائدة: ٨٩.

(٤) البقرة: ١٩٦.

(٥) البقرة: ١٩٦.

(٦) المائدة: ٩٥.

وأما الذي صاحبه بالخيار ، فصوم يوم الاثنين والخميس ، وصوم ستة أيّام من شوال بعد رمضان ، ويوم عرفة، ويوم عاشوراء كل ذلك صاحبه بالخيار ، إن شاء صام ، وإن شاء أفطر (١).

وأما صوم الإذن: فالمرأة لا تصوم تطوعاً إلّا بإذن زوجها، وكذلك العبد والأمة.

وأما صوم الحرام ، فصوم يوم الفطر، ويوم الأضحى ، وأيام التشريق، ويوم الشك نهينا ان نصومه كرمضان ، وصوم الوصال حرام ، وصوم الصمت حرام، وصوم نذر المعصية حرام، وصوم الدهر حرام، والضيف لا يصوم تطوعاً إلّا بإذن صاحبه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله : من نزل على قوم فلا يصومنّ تطوعاً إلّا بإذنهم.

ويؤمر الصبي بالصوم إذا لم يراهق تأنيساً، وليس بفرض، وكذلك من أفطر لعلة من أوّل النهار، ثم وجد قوة في بدنه أمر بالإمساك ، وذلك تأديب من الله عز وجل ، وليس بفرض ، وكذلك المسافر إذا أكل من أوّل النهار ثم قدم أُمر بالإمساك .

وأما صوم الإباحة: فمن أكل وشرب ناسياً من غير عمد ، فقد أُبيح له ذلك وأجزأه عن صومه ، وأما صوم المريض ، وصوم المسافر، فإن العامة اختلفت فيه .

فقال بعضهم: يصوم ، وقال قوم: لا يصوم وقال قوم: إن شاء صام ، وإن شاء فطر ، وأما نحن فنقول: يفطر في الحالين جميعاً، فإن صام في السفر والمرض ، فعليه القضاء ، قال الله عز وجل: ﴿فعدة من أيّام أخر﴾(٢).(٣)

وروى ابن سعد في الطبقات بسنده: أنّ الزهري أصاب دماً خطأً فخرج وترك أهله وضرب فسطاطاً وقال : لا يظلّني سقف بيت فمرّ به عليّ بن الحسين فقال: «يا ابن شهاب قنوطك أشدّ من ذنبك، فاتق الله واستغفره، وابعث الى أهله

---

(١) فقه الرضا ابن بابويه: ٢٠١.

(٢) البقرة: ١٨٤.

(٣) حلية الأولياء ٣: ١٤١ ـ ١٤٢، ترجمة رقم ٢٣٥.

بالدية، وارجع الى أهلك» فكان الزهري يقول : عليّ بن الحسين أعظم الناس عليّ منةً[١].

ثانيهما : الحلم والصفح ومقابلة الإساءة بالإحسان

روى الكليني في الكافي بسنده: عن عليّ بن الحسين عليه السلام في حديث أنه قال : «ما تجرعت من جرعة أحبّ إليّ من جرعة غيظ لا أكافيء بها صاحبها»[٢].

وفي الإرشاد: أخبرني أبو محمّد الحسن بن محمّد، حدثني جدّي، حدثني محمّد بن جعفر، وغيره قالوا : وقف على عليّ بن الحسين رجل من أهل بيته فاسمعه وشتمه فلم يكلّمه، فلمّا انصرف قال لجلسائه : «قد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أحبّ أن تبلغوا معي إليه حتى تسمعوا منّي ردّي عليه» قال : فقالوا له : نفعل، ولقد كنّا نحبّ أن نقول له ونقول : قال فأخذ نعليه ومشى وهو يقول : ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[٣] فعلمنا أنه لا يقول شيئاً، قال : فخرج إلينا متوثّباً للشرّ، وهو لا يشكّ أنه إنّما جاءه مكافياً له على بعض ما كان منه، فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام : «يا أخي إنّك كنت قد وقفت عليّ آنفا، وقلت وقلت، فإن كنت[٤] قد قلت ما فيّ فأنا استغفر الله منه، وإن كنت قلت ما ليس فيّ فغفر الله لك» قال : فقبّل الرجل بين عينيه وقال : بل قلت فيك ما ليس فيك وأنا أحقّ به.

أخبرني الحسن بن محمّد، عن جدّه، قال : حدثني شيخ من أهل اليمن، قد

---

(١) الطبقات الكبرى ٥: ٢١٤ .

(٢) الكافي ٢: ١٠٩ / ح١، باب كظم الغيظ.

(٣) آل عمران: ١٣٤.

(٤) ليست في المصدر.

أتت عليه بضع وتسعون سنة، قال : أخبرني به رجل يقال له: عبدالله بن محمّد، قال : سمعت عبد الرزاق يقول : جعلت جارية لعليّ بن الحسينعليه السلام تسكب عليه الماء ليتهيّأ للصلاة، فسقط الإبريق من يد الجارية على وجهه فشجّه، فرفع رأسه إليها فقالت له الجارية : إنّ الله يقول : ﴿والكاظمين الغيظ﴾ قال : قد كظمت غيظي قالت : ﴿والعافين عن الناس﴾ قال لها : عفا الله عنك قالت : ﴿والله يحب المحسنين﴾ قال : اذهبي فأنت حرّة لوجه الله عزّ وجل.[١]

وأخرجه البيهقي عن عليّ بن الحسين مثله[٢].

وفي مناقب ابن شهرآشوب: كسرت جارية له قصعة فيها طعام فاصفرّ وجهها فقال لها : «إذهبي فأنت حرّة لوجه الله»[٣].

وفي كشف الغمة : كان عنده قوم أضياف فاستعجل خادماً له بشواء كان في التنور فأقبل به الخادم مسرعاً فسقط السفود منه على رأس بني لعليّ بن الحسينعليه السلام تحت الدرجة فأصاب رأسه فقتله، فقال عليّعليه السلام للغلام وقد تحيّر الغلام واضطرب: «أنت حرّ فإنّك لم تعتمده» وأخذ في جهاز ابنه ودفنه[٤].

وكان له مولى يتولّى عمارة ضيعة له، فجاء فأصاب فيها فساداً وتضييعاً كثيراً فغاظه ما رأى من ذلك وغمّه فقرع المولى بسوط كان في يده. وندم على ذلك فلمّا انصرف الى منزله أرسل في طلب المولى فجاء فوجده عارياً والسوط بين يديه، فظن أنّه يريد عقوبته فاشتدّ خوفه، فقال له عليّ بن الحسين : «قد كان منّي إليك ما لم يتقدّم منّي مثله، وكانت هفوة وزلّة، فدونك السوط

---

(١) الإرشاد ٢: ١٤٥ ـ ١٤٧.

(٢) حكاه عن السيوطي في الدرّ المنثور ٢: ٧٣.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٨.

(٤) كشف الغمّة ٢: ٢٩٣.

واقتصّ مني» فقال : يامولاي والله إن ظننت إلّا أنك تريد عقوبتي وأنا مستحق للعقوبة، فكيف اقتصّ منك؟ قال : «ويحك اقتصّ» قال : معاذ الله أنت في حلّ وسعة. فكرّر ذلك عليه مراراً، والمولى يتعاظم قوله ويجلّله، فلمّا لم يره يقتصّ قال له : «أما إذا أبيت فالضيعة صدقة عليك»[١].

وروى الواقدي قال : حدثني عبدالله بن محمّد بن عمر بن عليّ عليه السلام، قال : كان هشام بن إسماعيل[٢] يسيء جوارنا، ولقي منه عليّ بن الحسين أذىً شديداً، فلما عُزل أمر به الوليد أن يوقف للنّاس، فقال: ما أخاف إلّا من عليّ بن الحسين. فمر به عليّ بن الحسين، وقد أُوقف عند دار مروان، فسلمّ عليه وكان عليّ بن الحسين، قد تقدّم الى خاصّته أن لا يعرض له أحد بكلمة، فلمّا مرّ ناداه هشام : ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾.[٣]

وزاد ابن فياض في الرواية في كتابه: إنّ زين العابدين عليه السلام أنفذ إليه وقال: «انظر الى ما أعجزك من مال تؤخذ به، فعندنا ما يسعك فطب نفساً منّا ومن كل من يطيعنا» فنادى هشام: ﴿الله اعلم حيث يجعل رسالته﴾.[٤]

وروى ابن سعد في الطبقات بسنده : عن عبدالله بن عليّ بن الحسين قال:

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٨، بحار الأنوار ٤٦: ٩٦ /ح ٨٤.

(٢) في طبقات ابن سعد: هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن مخزوم كان من أهل العلم والرواية وليّ المدينة لعبدالملك بن مروان، فتوفي عبدالملك وهو الذي ضرب سعيد بن المسيب حين دعاه الى البيعة الى الوليد بن عبدالملك حين عقد له أبوه بالخلافة فأبى سعيد وقال انظر ما يصنع الناس فضربه وطاف به وحبسه أقول: ماذا يفيده علمه وروايته وسوء عمله وإيذائه أهل بيت النبوّة وقد صدق فيه من أعان ظالماً بُلي به فقد عزل وفعل به ما فعل. (منه رحمه الله).

(٣) الإرشاد ٢: ١٤٧، تاريخ الأمم والملوك ٥: ٢١٧.

(٤) شرح الأخبار ٣: ٢٦٠ / ح١١٦٢، وحكاه عنه ابن شهرآشوب في المناقب ٤: ١٦٣.

لما عُزل هشام بن إسماعيل نهانا أبي أن ننال منه ما يكره[١]، فإذا أبي قد جمعنا فقال : «إنّ هذا الرجل قد عُزل وقد أُمر بوقفه للناس، فلا يتعرض له أحد منكم» فقلت: يا أبت ولِمَ؟ والله إنّ أثره عندنا لسيّئ وما كنا نطلب إلّا مثل هذا اليوم. قال : «يا بُني نكله الى الله».

فوالله ما عرض له أحد من آل الحسين بحرف حتى تصرّم أمره[٢].

وفي مرآة الجنان : روي أنه تكلم رجل فيه وافترى عليه، فقال له زين العابدين : «إن كنت كما قلت فاستغفر الله، وإن لم أكن كما قلت فغفر الله لك»، فقام إليه الرجل وقبّل رأسه وقال : جعلت فداك لست كما قلت فاغفر لي. قال : «غفر الله لك» فقال الرجل : ﴿الله اعلم حيث يجعل رسالته﴾[٣].

وفي البحار : شتم بعضهم زين العابدين عليه السلام، فقصده غلمانه فقال : «دعوه فإنّ ما خفي عليه منّا أكثر ممّا قال» ثم قال له : «ألك حاجة يا رجل؟!» فخجل الرجل فأعطاه ثوبه وأمر له بألف درهم فانصرف الرجل صارخاً يقول : أشهد إنّك ابن رسول الله[٤].

قال: وشتمه آخر فقال : «يا فتى إن بين أيدينا عقبة كؤوداً، فإن جُزت منها فلا أُبالي بما تقول، وإن أتحير فأنا شرّ ممّا تقول»[٥].

وفي المناقب : روي أن عليّ بن الحسين دعا مملوكه مرّتين فلم يجبه، فلما أجابه في الثالثة، قال له : «يابنيّ أما سمعت صوتي؟» قال : بلى. قال : «فما لك

---

(١) في المصدر [نكره].

(٢) الطبقات الكبرى ٥: ٢٢٠ ـ ٢٢١.

(٣) مرآة الجنان لليافعي ١: ١٩٠.

(٤) بحار الأنوار ٤٦: ٩٥ و ٩٦ / ح٨٤ نقلاً عن المناقب لابن شهرآشوب.

(٥) بحار الأنوار ٤٦: ٩٥ و ٩٦ / ح٨٤ نقلاً عن المناقب لابن شهرآشوب.

لم تجبني؟» قال : أمنتك، قال : «الحمد لله الذي جعل مملوكي يأمنني[١]»[٢].

وفي حياة الحيوان :كان إذا خرج من منزله قال : «اللهمّ إنّي اتصدّق اليوم وأهب عرضي لمن يغتابني...»[٣] الخ.

وكفى في حلمه أنه لما قال الشيخ الشامي: الحمد لله الذي أهلككم وقتلكم وأراح البلاد من رجالكم، لم يجابهه زين العابدين بسبّ ولا شتم بل أجابه بلين الكلام وقال : «هل قرأت القرآن؟»[٤]؟ وذكر الآيات الدالّة على فضل أهل البيت فتاب ورجع بفضل حلم زين العابدين عليه السلام وحكمته، كما مرّ في السيرة الحسينية.

ثالثها: الشجاعة، وقوة القلب، وثبات الجنان، وجرأة النفس

وأقوىٰ دليل على ذلك قوله للطاغية عبيدالله بن زياد لما أمر به الى القتل: «أبالقتل تهدّدني؟! أما علمت أنّ القتل لنا عادة وكرامتنا الشهادة»[٥].

وأنه لم يكلم أحداً ممّن كان معه في الطريق من الكوفة الى الشام بكلمة حتى بلغوا الشام، وقال محفر بن ثعلبة ما قال، فأجابه : «ما ولدت أمّ محفر[٦] أشرّ وألأم»، وقوله ليزيد وهو في سلطنته وملكه وتسلّطه: «يا ابن معاوية وهند وصخر، لقد كان جدّي عليّ بن أبي طالب في يوم بدر وأحد والأحزاب في يده راية رسول الله صلى الله عليه وآله، وأبوك وجدّك في أيديهما رايات الكفّار» وقوله : «ويلك يا يزيد إنك لو تدري ماذا

---

(١) في المصدر [آمناً مني].

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٧.

(٣) حياة الحيوان ١: ١٣٥.

(٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢١١، بحار الأنوار ٤٥: ١٢٩.

(٥) الملهوف على قتلى الطفوف: ٢٠٢، بحار الأنوار ٤٥: ١١٨.

(٦) الإرشاد ٢: ١١٩، بحار الأنوار ٤٥: ١٣٠، في الإرشاد [مجفر] وفي بحار الأنوار [مفغر] بدل محفر.

صنعت؟ وما الذي ارتكبت؟ إذاً لهربت في الجبال وافترشت الرماد فأبشر بالخزي والندامة»[١].

رابعها: الكرم

في كشف الغمة عن كتاب نثر الدرر للآبي قال ابن الأعرابي لمّا وجّه يزيد ابن معاوية عسكره لاستباحة أهل المدينة: ضمّ عليّ بن الحسينعليه السلام الى نفسه أربعمئة مَنافية ـ أي من بني عبدمناف ـ وبعولتهنّ الى ان تفرّق جيش مسرف بن عقبة. قال : وقد حكى عنه مثل ذلك عند إخراج ابن الزبير بني أُمية من الحجاز[٢].

وعن الزمخشري في ربيع الأبرار: إنّه لمّا أرسل يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة لقتال أهل المدينة، واستباحتها كفل زين العابدينعليه السلام أربعمئة امرأة مع أولادهن وحشمهن وضمهن الى عياله، وقام بنفقتهن وإطعامهن الى أن خرج جيش ابن عقبة من المدينة، فأقسمت واحدة منهن أنّها ما رأت في دار أبيها وأُمّها من الراحة والعيش الهني ما رأته في دار عليّ بن الحسين[٣]...الخ.

وفي تذكرة الخواص، قال ابن أبي الدنيا : حدّثنا محمّد بن الحسين، عن الحميدي، عن سفيان الثوري قال :أراد عليّ بن الحسينعليه السلام الخروج الى الحج والعمرة، فاتّخذت له أُخته سكينة بنت الحسين سفرة، أنفقت عليها ألف درهم، وأرسلت بها إليه، فلمّا كان بظهر الحرّة أمر بها، ففرقت في الفقراء والمساكين[٤].

(١) بحار الأنوار ٤٥: ١٣٥ ـ ١٣٦، العوالم (الإمام الحسينعليه السلام): ٤٣٦.

(٢) كشف الغمّة ٢: ٣١٩.

(٣) ربيع الأبرار للزمخشري ١: ٤٢٧. وعنه في الأنوار البهية: ١٠٩.

(٤) تذكرة الخواص : ٣٢٧.

خامسها: كثرة صدقاته عليه السلام

لا سيّما في السرّ، روي أنه كان لا يأكل الطعام حتى يبدأ فيتصدّق بمثله[١].

وروى أبو نعيم في الحلية بسنده: عن أبي حمزة الثمالي: كان عليّ بن الحسين يحمل جراب الخبز على ظهره بالليل فيتصدّق به ويقول: «إنّ صدقة السرّ تطفئ غضب الربّ عزّ وجلّ»[٢].

وبسنده عن شيبة بن نعامة: لما مات عليّ بن الحسين وجدوه يقوت مائة أهل البيت بالمدينة[٣].

وروى أحمد بن حنبل والصدوق في الخصال عن الباقر عليه السلام: «إنّ عليّ بن الحسين كان يعول مائة أهل بيت من فقراء المدينة، في كلّ بيت جماعة»[٤].

وفي الحلية بسنده عن محمّد بن إسحاق: كان ناس من أهل المدينة يعيشون لا يدرون من أين كان معاشهم. فلما مات عليّ بن الحسين، فقدوا ما كانوا يؤتون به في الليل[٥].

وفي الحلية بسنده عن ابن عائشة عن أبيه: سمعت أهل المدينة يقولون:

---

(١) الخصال: ٥١٨ / ح ٤، أبواب العشرين وما فوقه، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٤.

(٢) حلية الأولياء ٣: ١٣٥ ـ ١٣٦.

(٣) المصدر السابق ٣: ١٣٦.

(٤) عنه في المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٣، حلية الأولياء ٣: ١٣٦، الخصال: ٥١٨ / ح ٤، أبواب العشرين وما فوقه.

(٥) حلية الأولياء ٣: ١٣٦.

ما فقدنا صدقة السرّ حتى مات عليّ بن الحسين[١].

وروى الصدوق في العلل بسنده : عن سفيان بن عينية قال رأى الزهري عليّ بن الحسين عليه السلام في ليلة باردة مطرة، وعلى ظهره دقيق وهو يمشي، فقال: يا ابن رسول الله ما هذا؟ قال : «أريد سفراً أعدّ له زاداً أحمله الى موضع حريز» قال : فهذا غلامي يحمله عنك. فأبىٰ قال : أنا أحمله عنك، فإنّي ارفعك عن حمله، قال عليّ: «لكني لا أرفع نفسي عمّا ينجيني في سفري، ويحسن ورودي على ما أرد عليه، أسالك بحقّ الله لما مضيت لحاجتك وتركتني» فلما كان بعد أيّام قال له : يا ابن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذي ذكرته أثراً. قال : «بلى يا زهري ليس هو كما ظننت، ولكنه الموت وله استعد، إنّما الاستعداد للموت تجنّب الحرام، وبذل الندىٰ في الخير...»[٢] الخ، وكان ذلك الدقيق قد حمله ليتصدّق به، ويعده زاداً لسفر الآخرة.

وفي البحار : إنّه كان إذا جنّه الليل وهدأت العيون قام الى منزله، فجمع ما يبقى عن قوت أهله، وجعله في جراب ورمىٰ به على عاتقه، وخرج الى دور الفقراء وهو متلثم، ويفرّق عليهم، وكثيراً ما كانوا قياماً على أبوابهم ينتظرونه، فإذا رأوه تباشروا به وقالوا : جاء صاحب الجراب.

وعن كتاب سوق العروس : عن أبي عبدالله الدامغاني: كان عليّ بن الحسين يتصدق بالسكّر واللوز، فسئل عن ذلك؟ فقرأ: «﴿لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبّون﴾ وكان يحبّه»[٣].

---

(١) حلية الأولياء ٣: ١٣٦.

(٢) علل الشرائع ١: ٢٣١ / ح٥، باب ١٦٥ وفيه اختلاف يسير باللفظ.

(٣) بحار الأنوار ٤٦: ٨٩.

وروى أبو نعيم في الحلية، وابن سعد في الطبقات بسنده عن أبي جعفر: «إنّ أباه عليّ بن الحسين قاسم الله عزّ وجلّ ماله مرتين»، وقال : «إنّ الله تعالى يحبّ المؤمن المذنب التائب»[1] «التوّاب» .

سادسها: إعتاقه العبيد في سبيل الله

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن سعيد بن مرجانة : عمد عليّ بن الحسين الى عبد له كان عبدالله بن جعفر أعطاه به عشرة آلاف درهم، أو ألف دينار فأعتقه[2].

وروى ابن طاووس في كتاب شهر رمضان المعروف بـ(الإقبال) بسنده عن الصادق عليه السلام : «كان عليّ بن الحسين عليه السلام إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمَة، وكان إذا أذنب العبد والأمَة يكتب عنده أذنب فلان، أذنبت فلانة، يوم كذا وكذا ، ولم يعاقبه، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان، دعاهم وجمعهم حوله، ثم أظهر الكتاب، ثم قال : يا فلان فعلت كذا وكذا، ولم أؤدبك أتذكر ذلك ؟ فيقول: بلى يا ابن رسول الله .

حتى يأتي على آخرهم ويقرّرهم جميعاً، ثمّ يقوم وسطهم ويقول : ارفعوا أصواتكم وقولوا : يا عليّ بن الحسين أن ربك قد أحصى عليك كلّ ما عملت، كما أحصيت علينا كلّ ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحقّ، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها وتجد كلّ ما عملت لديه حاضراً، كما وجدنا كلّ ما عملنا لديك حاضراً، فاعف، واصفح، يعف عنك المليك ويصفح، فإنّه يقول : ﴿وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم﴾[3]، وهو ينادي بذلك على نفسه، ويلقنهم وينادون معه، وهو واقف بينهم يبكي ويقول : ربّنا إنّك

---

(١) الحلية لأبي نعيم ٣: ١٤٠، الطبقات الكبرى ٥: ٢١٩ .

(٢) حلية الأولياء ٣: ١٣٦.

(٣) النور: ٢٢.

أمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا، وقد عفونا عمّن ظلمنا كما أمرت، فاعف عنا فإنك أولى بذلك منّا ومن المأمورين، إلهي كرمتَ فأكرمني إذ كنتُ من سؤّالك وجُدتَ بالمعروف فأخلطني بأهل نوالك يا كريم .

ثم يُقبل عليهم فيقول : قد عفوتُ عنكم، فهل عفوتم عنّي ما كان منّي إليكم من سوء ملكة؟ فإنّي مليك سوء لئيم ظالم، مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضّل. فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا وما اسأت فيقول لهم، قولوا : اللهمّ اعف عن عليّ بن الحسين كما عفا عنّا، وأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق. فيقولون ذلك، فيقول : اللهم آمين رب العالمين. اذهبوا فقد عفوت عنكم، واعتقت رقابكم رجاء للعفو عنّي وعتق رقبتي.

فاذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عما في أيدي الناس ، وما من سنة إلّا وكان يعتق فيها في آخر ليلة من شهر رمضان ما بين العشرين رأساً الى أقل أو أكثر، وكان يقول : إنّ لله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار سبعين ألف عتيق من النار كُلّاً قد استوجب النار، فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق فيها مثلما أعتق في جميعه، وإنّي لأحبّ أن يراني الله، وقد أعتقت رقاباً في ملكي في دار الدنيا، رجاء أن يعتق رقبتي من النار، وما استخدم خادماً فوق حول ،كان إذا ملك عبداً في أوّل السنة أو في وسط السنة، إذا كانت ليلة الفطر أعتق واستبدل سواهم في الحول الثاني ثم أعتق ،كذلك كان يفعل حتى لحق بالله تعالى ، ولقد كان يشتري السودان وما به إليهم من حاجة، يأتي بهم عرفات، فيسدّ بهم تلك الفُرَج، فإذا أفاض أمر بعتق رقابهم وجوائز لهم من المال»[1].

(١) إقبال الأعمال ١: ٤٤٣ ـ ٤٤٥ بتفاوت يسير باللفظ وإختصار.

سابعها: الفصاحة والبلاغة

في خطبه بالكوفة، والشام، والمدينة، وغيرها المتقدمة في واقعة كربلاء أوضح دلالة، وحسبك في ذلك بالصحيفة الكاملة وما فيها من بديع المعاني، وفصيح الألفاظ، وبليغ التراكيب، وجميل المحاورات، ولطيف العبارات، التي يعجز الفصحاء والبلغاء عن أمثالها، وهي المعروفة بإنجيل آل محمّد. وتمام الكلام عليها عند ذكر مؤلفاته.

ثامنها: الورع

فقد كان أورع أهل زمانه، روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن صالح بن حسان، قال رجل لسعيد بن المسيب: ما رأيت أحداً أورع من فلان. قال: هل رأيت عليّ بن الحسين؟ قال: لا، قال: ما رأيت أورع من[(١)].

وفي مرآة الجنان: روي عن جماعة من السلف، أنّهم قالوا: ما رأينا أورع من عليّ بن الحسين، منهم سعيد بن المسيب[(٢)].

تاسعها: كثرة بره بأمّه

في مرآة الجنان: روي أن زين العابدين كان كثير البرّ بأُمّه، فقيل له: إنّا نراك من أبرّ الناس بأمّك، ولسنا نراك تأكل معها في صحفة. فقال: «أخاف أن تسبق يدي الى ما سبقتْ إليه عينها»[(٣)].

---

(١) حلية الأولياء ٣: ١٤١.

(٢) مرآة الجنان ١: ١٩٠.

(٣) المصدر السابق ١: ١٩١.

عاشرها: الرفق بالحيوان

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن عمر بن ثابت: كان عليّ بن الحسين لا يضرب بعيره من المدينة الى مكة[١].

وروى المفيد في الإرشاد بسنده: إنّه حجّ مرّة فالتاثت عليه الناقة في سيرها ـ أي أبطأت ـ فأشار إليها بالقضيب، ثم قال: «آه لو لا القصاص» وردّ يدّه عنها[٢].

وفي رواية: إنّه رفع القضيب وأشار إليها وقال: «لو لا خوف القصاص لفعلت»[٣].

وروي أنه عليه السلام حجّ على ناقة عشرين حجّة فما قرعها بسوط[٤].

حادي عشرها: الهيبة والعظمة في صدور الناس

قال عبد الملك بن مروان لما دخل عليه: والله لقد امتلأ ثوبي أو قلبي منه خيفة[٥].

وقال مسرف بن عقبة: لقد مُلئ قلبي منه رعباً[٦].

وروى أبو نعيم الإصفهاني في حلية الأولياء بسنده عن ابن عائشة عن أبيه: حجّ هشام بن عبد الملك قبل أن يلي الخلافة، فاجتهد أن يستلم

---

(١) حلية الأولياء ٣: ٣٣.

(٢) الإرشاد ٢: ١٤٤.

(٣) شرح الأخبار للمغربي ٣: ٢٧٣ / ح ١١٨٠.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٩١ / ح ٨٧١، الوسائل ١١: ٤٨٣، أبواب أحكام الدواب، ب ١٠، ح ٩.

(٥) نوادر المعجزات: ١٢٧ / ح ١٣، حلية الأولياء ٣: ١٣٥.

(٦) مروج الذهب ٣: ٧١، الصحيفة السجادية: ٣٦٨.

الحجر،فلم يمكنه ، وجاء عليّ بن الحسين فوقف له الناس وتنحّوا حتى استلمه .

قال : ونصب لهشام منبر فقعد عليه، فقال له أهل الشام : من هذا يا أمير؟ فقال : لا أعرفه، فقال الفرزدق : لكنّي أعرفه، هذا عليّ بن الحسين :

هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التّقيّ النقيّ الطاهر العلم

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحلّ والحرم

يكاد يُمسكه عرفان راحته ركنُ الحطيم إذا ما جاء يستلم

إذا رأته قريش قال قائلها الى مكارم هذا ينتهي الكرم

إن عُدّ أهل التّقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجدّه أنبياء الله قد ختموا

وليس قولك: «من هذا؟» بضائره العرب تعرف ما أنكرت والعجم

يغضي حياء ويغضي من مهابته فلا يكلّم إلّا حين يبتسم[1]

وروى المفيد في الإرشاد بسنده عن أبي جعفر محمّد بن إسماعيل قال: حجّ عليّ بن الحسين عليه السلام فاستجهرَ الناس، وتشوفوا له[2] وجعلوا يقولون : مَن هذا؟! من هذا؟! تعظيماً له وإجلالاً لمرتبته، وكان الفرزدق هناك فأنشأ يقول:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

هذا ابن خير عباد الله كلّهم هذا التّقي النّقي الطاهر العلم

يكاد يمسكه عرفان راحته ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم

يغضي حياء ويُغضى من مهابته فما يُكلّم إلّا حين يبتسم

(١) حلية الأولياء ٣: ١٣٩.

(٢) في المصدر [إليه].

أي الخـلائق ليست فـي رقـابهم   لأوّليّـة هـذا أوله نـعم
مـن يـعرف الله يـعرف أوّليّـة ذا   فـالدين مـن بيت هـذا نـاله الأُمـم
إذا رأتـه قـريش قـال قـائلها   الى مكـارم هـذا يـنتهي الكـرم[١]

وأورد سبط ابن الجوزي في تذكرة الخواص رواية الحلية، ولكنّه ذكر الأبيات بأكثر ممّا في الحلية ثم قال: قلت لم يذكر أبو نعيم في الحلية إلّا بعض هذه الأبيات والباقي أخذته من ديوان[٢] الفرزدق[٣].

ورواها السبكي في طبقات الشافعية بسنده المتصل الى ابن عائشة عبدالله ابن محمّد عن أبيه قال: حجّ هشام بن عبدالملك ـ أو الوليد ـ فطاف بالبيت فجهد أن يصل الى الحجر فيستلمه، فلم يقدر عليه، فنصب له منبر، وجلس عليه ينظر الى الناس، ومعه أهل الشام إذ أقبل عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، وكان من أحسن الناس وجهاً، وأطيبهم أرجاً، فطاف بالبيت، فلما بلغ الحجر تنحّى له الناس؛ حتى يستلمه، فقال رجل من أهل الشام: مَن هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟! فقال هشام: لا أعرفه ـ مخافة أن يرغب فيه أهل الشام ـ وقد كان الفرزدق حاضراً فقال الفرزدق: ولكنّي أعرفه. قال الشامي: مَن هو يا أبافراس؟ فقال الفرزدق[٤]:

ـ وقد توافقت روايتا سبط ابن الجوزي، والسبكي إلّا في أبيات يسيرة وهذا ما ذكراه ـ:

هـذا الذي تـعرف البـطحاء وطـأته   والبـيت يـعرفه والحـل والحـرم

---

(١) الإرشاد ٢: ١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) ديوان الفرزدق ٢: ١٧٨.

(٣) تذكرة الخواص: ٣٣٠.

(٤) طبقات الشافعية الكبرى ١: ٢٩١. تحقيق محمود محمّد الطناحي وعبدالفتاح محمّد الحلو.

هــذا ابــن خــير عــباد الله كــلّهم هــذا التّــقي النّــقي الطـاهر العلم
يكــــاد يــمسكه عــرفان راحــته ركــن الحــطيم إذا مـا جـاء يستلم
إذا رأتــــه قـــريش قــال قــائلها الى مكـــارم هــذا يــنتهي الكــرم
إن عُدّ أهل التّقى كانوا ذوي عدد[1] أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
هــذا ابـن فـاطمة إن كـنت جـاهله بـــجدّه أنــبياء الله قــد خــتموا
وليس قــولك مــن هــذا بـضائره العرب تعرف من أنكـرت والعـجم
يـغضي حياء ويُغضى مـن مـهابته فـــما يكـــلّم إلّا حــين يــبتسم
ينمي الى ذروة العـزّ التـي قـصرت عنها الأكفّ وعـن إدراكـها القـدم
مــن جــدّه دان فـضل الأنـبياء له وفـــضل اُمّـــته دانت له الأُمـــم
ينشق نور الهدى عـن صبح غـرّته كالشمس تنجاب عن أشراقها الظلم
مشـــتقّة مـــن رســول الله نـبعته طـابت عــناصره والخيم والشيم
الله شـــــرّفه قـــدماً وفـــضّله جـرىٰ بـذاك له فـي لوحـة القـلم
كـلتا يـديه غـياث عـمّ نـفعهما يســتوكفان ولا يـعروهما العـدم
ســهل الخـليقة لا تـخشى بـوادره يزينه إثنان: حسـن الخُـلق والكـرم
حـــمّال أثـقال أقــوام إذا فــدحوا رحب الفـناء أريب حـين يـعتزم
مـا قــال لا قــطّ إلّا فــي تشــهّده لو لا التشـــهّد كــانت لاؤه نــعم
عــمّ البـرية بـالإحسان فـانقشعت عــنه الغـيابة لا هـلق ولاكــهم
من معشر حبّهم دين وبغضهم كـفر وقـــربهم مــلجأ ومـــعتصم
لا يســتطيع جــواد بــعد غــايتهم ولا يـــدانــيهم قــوم وإن كـرُموا

---

(١) أتـقاهم (منه ﷺ).

هـم الغـيوثُ إذا مـا أزمـة أزمتْ — والأسدأسد الشرى والرأي[1]محتدم
لا ينقص العسر بسطاً من أكفّهم — سيّان ذلك إن أثروا وإن عُدموا
يستدفع السوء والبلوىٰ بحبّهم — ويسترب[2] به الإحسان والنعم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم — في كل بدء ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحل الذم ساحتهم — خيم كريم وأيدٍ بالندى هضم
أي الخلائق ليس في رقابهم — لأوّليّة هذا أوّله نعم
من يعرف الله يعرف أوّليّة ذا — الدين من بيت هذا ناله الأُمم

هذا عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب، فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة، فبعث إليه عليّ بألف دينار فردّها وقال: إنّما قلت ما قلت غضباً لله ولرسوله، فما آخذ عليه أجراً. فقال عليّ: «نحن أهل بيت لا يعود إلينا ما أعطينا[3]». فقبلها الفرزدق وهجا هشاماً فقال:

أيحبسني بين المدينة والتي — إليها قلوب الناس يهوى منيبها
يقلّب رأساً لم يكن رأس سيد — وعيناً له حولاء باد عيوبها

فأُخبر هشام بذلك فأطلقه[4].

وممّا مرّ يعلم أن العزّ الحقيقي والجاه الصحيح، إنّما هو للدين والتقوىٰ والعلم، لا للملك والقوة والقهر، فهذا هشام يحج في خلافة أخيه عبدالملك وبيده القوة والسلطان، وحوله وجوه أهل الشام، فيروم استلام الحجر الأسود،

---

(١) في المصدر: [البأس].
(٢) في المصدر [يُسترق ويستزاد].
(٣) في المصدر [خرج منا].
(٤) طبقات الشافعية الكبرى ١: ٢٩١ ـ ٢٩٣ تحقيق محمود محمّد الطناحي وعبدالفتاح محمّد الحلو. ولم يذكر آخر الرواية بعد القصيدة، تذكرة الخواص: ٣٢٩ ـ ٣٣٠.

فلا يقدر ولا يعبأ الناس به وبملكه وسلطانه، وعليّ بن الحسين الذي ليس له سلطان غير سلطان الدّين والتقوىٰ والعلم، وليس معه خدم ولا حشم، يتقدم الى استلام الحجر، فينظر الناس إليه بعين الإجلال والإعظام ويتنحون له عن الحجر؛ حتى يستلمه وفي ذلك عبرة لمن اعتبر.

أخباره وأحواله

روى البرقي في المحاسن : أنه بلغ عبد الملك أن سيف رسول الله ﷺ عند عليّ بن الحسين، فبعث يستوهبه منه ويسأله الحاجة، فأبى عليه، فكتب إليه عبد الملك يهدّده، وأنه يقطع رزقه من بيت المال، فأجابه عليه السلام : «أما بعد فإنّ الله أمن للمتّقين المخرج من حيث يكرهون والرزق من حيث لا يحتسبون وقال جلّ ذكره : ﴿إن الله لا يحبّ كل خوّان كفور﴾(١) فانظر أيّنا أولى بهذه الآية(٢).

وروى الراوندي في دعوته عن الباقر عليه السلام : «إن عليّ بن الحسين، قال: مرضت مرضاً شديداً فقال لي أبي : ما تشتهي؟ فقلت : أشتهي أن أكون ممّن لا اقترح على الله ربّي ما يدبر لي، فقال لي: أحسنت ضاهيت إبراهيم الخليل عليه السلام حيث قال له جبرئيل : هل من حاجة؟ فقال : لا اقترح على ربّي بل حسبي الله ونعم الوكيل»(٣).

وروى الصدوق في العيون بسنده عن الصادق عليه السلام : «كان عليّ بن الحسين لا يسافر إلّا مع رفقة لا يعرفونه، ويشترط عليهم أن يكون من خدم الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مرة مع قوم فرآه رجل فعرفه، وقال لهم : هذا عليّ بن الحسين فوثبوا إليه فقبّلوا يده ورجله، وقالوا : يا ابن رسول الله

(١) الحج: ٣٨.

(٢) لم نعثر عليه في المحاسن [النسخة التي بين أيدينا] وحكاه عن ابن شهرآشوب في المناقب ٤: ١٦٥.

(٣) دعوات الراوندي: ١٦٨ / ح٤٦٨.

أردت أن تُصلينا نار جهنّم لو بدرت منّا إليك يد أو لسان، أما كنا قد هلكنا؟ فقال : إني سافرت مرّة مع قوم يعرفونني فأعطوني برسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أستحقّ فصار كتمان أمري أحبّ إليّ»[1].

وفي مناقب ابن شهرآشوب، قيل له عليه السلام : إذا سافرت كتمت نفسك أهل الرفقة فقال : «أكره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أعطي مثله...»[2] الخ. وهذه الرواية أقرب للصواب من رواية العيون.

وفي مناقب ابن شهرآشوب، واحتجاج الطبرسي: لقي عبّاد البصري عليّ ابن الحسين في طريق مكة فقال له : يا عليّ بن الحسين تركت الجهاد وصعوبته، وأقبلت على الحجّ ولينه، وإنّ الله عزّ وجلّ يقول : ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنّة* يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ـ الى قوله ـ وبشّر المؤمنين﴾[3] فقال عليّ بن الحسين : «إذا رأينا هؤلاء الذين هذه صفتهم فالجهاد أفضل من الحجّ»[4].

أخباره المتعلقة بواقعة كربلاء

وقد مرّ أكثرها في السيرة الحسينية، فأغنىٰ عن إعادتها هنا فلنذكر هنا ما لم يذكر هناك.

كان عمره عليه السلام يوم كربلاء ٢٤ سنة على الأكثر و ٢٢ سنة على الأقل.

وقال محمّد بن سعد في الطبقات :كان عليّ بن الحسين مع أبيه يطوف

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ١٥٦ / ح١٣ وفيه تفاوت يسير باللفظ.

(٢) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ١٦١.

(٣) التوبة: ١١١ ـ ١١٢.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٥٩، الاحتجاج ٢: ١٤٤ / ح١٨١ وفيهما اختصار وتفاوت باللفظ.

كربلاء، وعمره إذ ذاك ثلاث وعشرون سنة، لكنه كان مريضاً مُلقى على فراشه وقد نهكته العلّة والمرض[١]... الخ. وكان قد تزوج وولد له الباقر، فقد كان عمر الباقر يومئذٍ أربع سنين أو ثلاث سنين[٢].

وجملة من العلماء منهم المفيد[٣] يقولون: إنه أكبر من أخيه عليّ شهيد كربلاء هو الأوسط[٤] وإنّما قيل له: الأكبر بالنسبة الى أخيه الأصغر الذي هو أصغر منهما، وقد فصّلنا ذلك في ترجمة أخيه عليّ شهيد كربلاء.

وكان زين العابدين عليه السلام مريضاً يوم كربلاء بالذرب[٥][٦] فلذلك لم يجاهد، وسلم من القتل وانحصر نسل رسول الله صلى الله عليه وآله من فاطمة عليها السلام من الحسينيين فيه، وفي ذرّيته.

والظاهر أن القائل لأبيه وهما في الطريق الى كربلاء ـ ألسنا على الحق[٧] ـ. هو عليّ الشهيد.

فمن أخباره المتعلقة بواقعة كربلاء ما مرّ في السيرة الحسينية من قوله عليه السلام: «إنّي لجالس في تلك العشية التي قتل أبي في صبيحتها»[٨] الى آخر الخبر،

---

(١) الطبقات الكبرى ٥: ٢١١ ـ ٢١٢ و ٢٢١ باختلاف يسير باللفظ.

(٢) تاج المواليد (المجموعة): ١٤٠، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢١٠.

(٣) الإرشاد ٢: ١٣٥.

(٤) شرح الأخبار للقاضي المغربي ٣: ١٥٢ و ١٥٤ و ٢٦٥، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٧٨.

(٥) الذرب: الداء الذي يعرض للمعدة فلا تهظم الطعام، ويفسد فيها. لسان العرب ١: ٣٨٥ (مادة ذرب).

(٦) الإرشاد: ١١٤، السرائر لابن إدريس الحلي: ١٥٨.

(٧) مقاتل الطالبيين: ٧٤، الإرشاد ٢: ٨٢، روضة الواعظين: ١٨٠.

(٨) الإرشاد ٢: ٩٣، مقاتل الطالبيين: ٧٥ وفيه [تلك الليلة].

وهو الذي روى خطبة أبيه عليه السلام لما جمع أصحابه ليلة عاشوراء(١) المتضمنة الإذن لهم في الانصراف، وما أجابوه به، وتقدّمت، ولما قتل الحسين عليه السلام أراد شمر قتل زين العابدين عليه السلام وهو مريض فدفعه عنه حميد بن مسلم(٢) كما مرّ.

وحمله عمر بن سعد مع من حمله من أهل البيت الى الكوفة، وقد نهكته العلة(٣).

بكاؤه على أبيه عليه السلام وأهل بيته

في حلية الأولياء بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن جعفر بن محمّد قال: «سئل عليّ بن الحسين عن كثرة بكائه : فقال : لا تلوموني فإن يعقوب فقَد سبطاً من ولده، فبكى حتى ابيضّت عيناه، ولم يعلم أنه مات، وقد نظرتُ الى أربعة عشرة رَجلاً من أهل بيتي قتلى في غزاة واحدة، أفترون حزنهم يذهب من قلبي؟»(٤).

وفي مناقب ابن شهرآشوب عن الصادق عليه السلام : «بكى عليّ بن الحسين على أبيه عشرين سنة(٥)، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى حتى قال له مولى له : جعلت فداك يا ابن رسول الله إنّي أخاف أن تكون من الهالكين. قال : ﴿إنّما أشكو بثّي وحزني الى الله وأعلم

---

(١) الإرشاد ٢: ٩١، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٥٥.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٤٧، الكامل في التاريخ ٤: ٧٩.

(٣) الإرشاد ٢: ١١٤، بحار الأنوار ٤٥: ١٠٨.

(٤) حلية الأولياء ٣: ١٣٨.

(٥) هكذا وردت الرواية ورواية الخصال التي بعدها وروى الصدوق في الأمالي والخصال في حديث الصادق عليه السلام : وأما عليّ بن الحسين فبكى على الحسين عليه السلام عشرين سنة أو أربعين سنة (الحديث). وكل ذلك لا ينطبق على مدة بقائه بعد أبيه عليهما السلام كما تقدم في صدر سيرته من بقاءه بعد أبيه ٣٣ سنة أو ٣٤ سنة أو ٣٥ فلابد أن يكون وقع سهو في بعض هذه التواريخ ـ المؤلف ـ.

من الله ما لا تعلمون﴾ إنّي لم أذكر مصرع بني فاطمة إلّا خنقتني العبرة»[١].

وقال الصدوق في الخصال : ولقد بكى على أبيه الحسين عليه السلام عشرين سنة، وما وضع بين يديه طعام إلّا بكى، حتى قال مولى له : يا ابن رسول الله أما آن لحزنك أن ينقضي؟! فقال له : «ويحك إنّ يعقوب النبيّ عليه السلام كان له إثنا عشر ابنا فغيّب الله عنه واحداً فابيضّت عيناه من كثرة بكائه عليه، وشاب رأسه من الحزن وأحدودب ظهره من الغمّ، وكان ابنه حياً في الدنيا، وأنا نظرت الى أبي وأخي وعمّي وسبعة عشر رجلاً من أهل بيتي مقتولين حولي، فكيف ينقضي حزني؟!»[٢].

وروى ابن قولويه في كامل الزيارات بسنده قال : أشرف مولى لعليّ بن الحسين، وهو في سقيفة له ساجد يبكي فقال : يا عليّ بن الحسين أما آن لحزنك أن ينقضي؟! فرفع رأسه إليه وقال : «ويلك ـ أو ثكلتك أمّك ـ والله لقد شكا يعقوب الى ربّه في أقلّ ممّا رأيت حين قال : ﴿يا أسفا على يوسف﴾[٣] وأنه فقد ابناً واحداً، وأنا رأيت أبي وجماعة أهل بيتي يُذَّبحون حولي»[٤].

ارسال المختار رأس ابن زياد الى زين العابدين

لما قَتَل إبراهيم بن الأشتر عبيد الله بن زياد، على نهر الخازر، بعث برأسه ورؤوس أعيان من كان معه الى المختار، فبعث المختار برأس ابن زياد الى محمّد ابن الحنفية، والى عليّ بن الحسين، فأُدخل عليه وهو يتغدىٰ فقال عليّ ابن الحسين: «أُدخلت على ابن زياد وهو يتغدّى ورأس أبي بين يديه، فقلت: اللهمّ لا

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٦٥ ـ ١٦٦.

(٢) الخصال للصدوق: ٥١٨ ـ ٥١٩ / ح٤، أبواب العشرين وما فوقه.

(٣) يوسف: ٨٤.

(٤) كامل الزيارات: ٢١٣ ـ ٢١٤ / ح٣٠٧، باب ٣٥ .

تمتني حتى تريني رأس ابن زياد وأنا اتغدّى، فالحمد لله الذي أجاب دعوتي» ثم أمر فرمي به(١).

وفي رواية ابن نما : فسجد عليّ بن الحسين عليه السلام شكراً لله وقال : «الحمدلله الذي أدرك لي ثأري من عدوّي وجزى الله المختار خيراً»(٢).

وقال ابن قولويه في كامل الزيارات :كان عليّ بن الحسين يميل الى ولد عقيل، فقيل له : ما بالك تميل الى بني عمّك هؤلاء دون آل جعفر قال : «إنّي أذكر يومهم مع أبي عبدالله الحسين بن عليّ فأرقّ لهم»(٣).

أخباره عليه السلام المتعلقة بوقعة الحرّة

وكانت يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة (٦٣ هـ) من الهجرة(٤).

والحرّة بالفتح: أرض ذات حجارة سوداء(٥)، والحرار كثير في الحجاز .

وكانت الوقعة في موضع يقال له : حرّة واقم، نسبة الى رجل(٦) . وذلك أن أهل المدينة وفدوا على يزيد بن معاوية بالشام، فلما رأوا من أعماله وتهتكه واستهانته بالدين ما رأوا، عزموا على خلعه، فلما عادوا الى المدينة أظهروا خلعه، وأخرجوا عامله عليها عثمان بن محمّد بن أبي سفيان، وحصروا بني أُمية في دار مروان، ثم أخرجوهم من المدينة، قال الطبري : فوجّه يزيد

---

(١) أمالي الطوسي: ٢٤٢ ـ ٢٤٣ / ح٤٢٤.

(٢) ذوب النضار: ١٤٤.

(٣) كامل الزيارات: ٢١٤، ذيل الحديث ٣٠٧.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٧٤، الكامل في التاريخ ٤: ١٢٠، البداية والنهاية ٨: ٢٤٠.

(٥) النهاية في غريب الحديث ١: ٣٥١ (مادة حرر)، لسان العرب ٤: ١٧٩ (مادة حرر).

(٦) معجم البلدان للحموي ٢: ٢٤٩.

إليهم اثني عشر ألفاً مع مسلم بن عقبة المري، فإن هلك، فالحصين بن نمير السكوني وقال له : إذا ظهرت عليهم فأبحها ثلاثاً، وانظر عليّ بن الحسين، فاكفف عنه واستوص به خيراً وأدن مجلسه، فإنه لم يدخل في شيء ممّا دخلوا فيه، وعلي لا يعلم بشيء ممّا أوصى به يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة، قال : وقد كان عليّ بن الحسين لما خرج بنو أُمية نحو الشام آوى إليه ثقل مروان بن الحكم وامرأته عائشة بنت عثمان بن عفان، وقد كان مروان بن الحكم ـ لما أخرج أهل المدينة عامل يزيد وبني أُميّة من المدينة ـ كلّم عبدالله بن عمر أن يُغيّب أهله عنده فأبى ابن عمر أن يفعل، وكلّم مروان عليّ بن الحسين، وقال : يا أباالحسن إنّ لي رحماً وحَرمي تكون مع حرمك. قال : «أفعل» .

فبعث بحرمه الى عليّ بن الحسين، فخرج بحرمه وحرم مروان حتى وضعهم بينبع، ثم إنّ عائشة بنت عثمان زوجة مروان خرجت الى الطائف، فمرّت بعليّ بن الحسين، وهو بمال له الى جنب المدينة قد اعتزلها كراهية أن يشهد شيئاً من أمرهم فأرسل زين العابدين ولده عبدالله معها الى الطائف محافظة عليها فبقي معها حتى انتهت الوقعة فشكر له مروان ذلك[(١)]... الخ. وهذا منتهى مكارم الأخلاق والمجازاة على الإساءة بالإحسان ولا عجب إذا جاء الشيء من معدنه :

ملكنا فكان العفو منا سجيّة   فلما ملكتم سال بالدم أبطح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا   وكل إناءٍ بالذي فيه ينضح[(٢)]

---

(١) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٧١ ـ ٣٧٣ وفيه تفاوت يسير باللفظ.

(٢) جواهر المطالب في مناقب الإمام عليعليه السلام لابن الدمشقي ٢: ٣١٤. وانظر الغدير ١: ٢٥٥.

أما ما نقله الطبري في ذيل بعض رواياته من قوله : وكان مروان شاكراً لعليّ بن الحسين مع صداقة كانت بينهما قديمة[١] . فلا يكاد يصح وعداوة مروان لعليّ بن الحسين، وأهل بيته لا تحتاج الى بيان، فمتى كانت هذه الصداقة القديمة بين مروان وعليّ بن الحسين؟ أيوم خرج لحرب جدّه عليّ ابن أبي طالب مع أهل الجمل[٢]؟ أم يوم حاربه بصفّين مع معاوية؟ أم يوم قال مروان للوليد في حقّ الحسين : إنه لا يبايع ولو كنت مكانك لضربت عنقه[٣]؟ أم يوم قال له : لئن فارقك الحسين الساعة، ولم يبايع لا قدرت منه على مثلها أبداً حتى تكثر القتلى بينكم وبينه، ولكن احبس الرجل فلا يخرج حتى يبايع، أو تضرب عنقه. وقول الحسين له : «ويلي عليك يا ابن الزرقاء! أنت تأمر بضرب عنقي؟ كذبت والله ولؤمت»[٤] .

وقول مروان لما جيء برأس الحسين عليه السلام:

يا حبّذا بردك في اليدين ولونك الأحمر في الخدين

كأنّما حفّ بوردتين شفيت نفسي من دم الحسين

والله لكأنّي انظر الى أيّام عثمان[٥]

كل هذا من أسباب الصداقة بين مروان، وعليّ بن الحسين ! ! كلا ولكنّهم أهل بيت طبعوا على مكارم الأخلاق وجُبلوا على الإحسان لمن أساء إليهم والعفو والصفح عن أعدائهم، سجايا خصّهم الله بها وطبعهم عليها، وميّزهم بها

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ٤: ٣٧٢.

(٢) المصدر السابق ٣: ٤٧٣ .

(٣) الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٧ .

(٤) الملهوف على قتلى الطفوف: ٩٨ . وانظر تاريخ الأمم والملوك ٤: ٢٥١ ـ ٢٥٢، الكامل في التاريخ ٤: ١٥ وفيهما تفاوت يسير باللفظ.

(٥) مثير الأحزان لابن نما الحلّي: ٧٥، تذكرة الخواص: ٢٦٦. وفيهما اختلاف يسير باللفظ.

عن سائر الخلق، وأخرجهم بها عن مجرى العادات .

وزين العابدين عليه السلام هو الذي كان يقول : «لو أنّ قاتل الحسين عليه السلام استودعني السيف الذي قتل به الحسين لرددته إليه»(١).

ثم إنّ جيش مسلم بن عقبة غلب على المدينة، فأباحها مسلم ثلاثاً، ودعا الناس للبيعة على انهم خول عبيد ليزيد بن معاوية، يحكم في دمائهم وأموالهم وأهليهم ما شاء.

ثم أن مروان أُتى بعليّ بن الحسين، فأقبل عليّ يمشي بين مروان وابنه عبدالملك يلتمس بهما عند مسلم الأمان، فجاء حتى جلس عنده بينهما فدعا مروان بشراب(٢) ليتحرم بذلك من مسلم، فأُتي له بشراب فشرب منه مروان شيئاً يسيراً، ثم ناوله علياً، فقال له مسلم : لا تشرب من شرابنا ، فأمسك ، فقال مسلم : إنّك إنّما جئت تمشي بين هؤلاء لتأمن عندي ، والله لو كان الأمر إليهما لقتلتك، ولكن أميرالمؤمنين أوصاني بك، فذلك نافعك عندي، فإن شئت فاشرب شرابك الذي في يدك، وإن شئت دعونا بغيره، قال : «هذه التي في كفّي أُريد» فشربها، ثم قال : الى هاهنا، فأجلسه معه، وفي رواية : لما أُتي بعليّ بن الحسين الى مسلم قال : من هذا ؟ قالوا : عليّ بن الحسين ، قال : مرحباً وأهلاً، ثم أجلسه على السرير والطنفسة، ثم قال: إنّ أميرالمؤمنين أوصاني بك قبلاً وهو يقول : إنّ هؤلاء الخبثاء شغلوني عنك وعن وصلتك. ثم قال لعليّ : لعلّ أهلك فزعوا؟ قال : «إي والله» فأمر بدابته فأُسرجت، ثم حمله فردّه عليها(٣)...الخ. ومرّ عند ذكر كرمه وسخائه، أنه في وقعة الحرّة ضمّ إليه

(١) المهذب البارع ٣: ٧، عوالي اللئالي ٣: ٢٥١ / ح ٤.

(٢) المراد بالشراب هنا ما يتخذ من الثمار والفواكه من الربوبات.

(٣) تاريخ الأُمم والملوك ٤: ٣٧٧ ـ ٣٧٩. وانظر الكامل في التاريخ ٤: ١١٧ ـ ١٢٠.

أربعمائة امرأة مَنافية، وبعولتهن الى أن تفرّق جيش مسلم بن عقبة(١) وفي رواية أربعمائة امرأة مع أولادهن(٢).

ما روي عنه في فنون من العلم في الضحك

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن عليّ بن الحسين: «من ضحك ضحكة، مُجّ مجّة من العلم»(٣).

في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

في حلية الأولياء بسنده عن عليّ بن الحسين قال: «التارك للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كنابذ كتاب الله وراء ظهره إلّا أن يتّقي تُقاة».

قيل وما تقاته؟ قال: «يخاف جبّاراً عنيداً أن يفرط عليه أو أن يطغى»(٤) ورواه ابن سعد في الطبقات بسنده عنه عليه السلام مثله(٥).

في كتمان العلم

في حلية الأولياء: قال عليّ بن الحسين: «من كتم علماً أحداً أو أخذ عليه أجراً رفداً، فلا ينفعه أبداً»(٦).

---

(١) كشف الغمة ٢: ٣١٩.

(٢) ربيع الأبرار للزمخشري ١: ٤٢٧.

(٣) حلية الأولياء ٣: ١٣٤.

(٤) المصدر السابق ٣: ١٤٠.

(٥) الطبقات الكبرى ٥: ٢١٣ ـ ٢١٤.

(٦) حلية الأولياء ٣: ١٤٠.

في الصبر

في حلية الأولياء بسنده عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ ليقم أهل الفضل، فيقوم ناس من الناس، فيقال: انطلقوا الى الجنة، فتتلقاهم الملائكة فيقولون الى أين؟ فيقولون: الى الجنة، قالوا: قبل الحساب؟ قالوا: نعم، قالوا من أنتم؟ قالوا: أهل الفضل، قالوا: وماكان فضلكم؟ قالوا: كنا إذا جُهل علينا حلمنا، وإذا ظُلمنا صبرنا، وإذا أُسيء إلينا غفرنا، قالوا: ادخلوا الجنّة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي منادٍ ليقم أهل الصبر، فيقوم ناس من الناس فيقال لهم: انطلقوا الى الجنّة، فتتلقاهم الملائكة فيقال لهم مثل ذلك، فيقولون: نحن أهل الصبر، قالوا: ماكان صبركم؟ قالوا: صبّرنا أنفسنا على طاعة الله، وصبّرناها عن معصية الله عزّ وجلّ.

قالوا: ادخلوا الجنّة فنعم أجر العاملين.

ثم ينادي منادٍ ليقم جيران الله في داره فيقوم ناس من الناس وهم قليل.

فيقال لهم: انطلقوا الى الجنّة فتتلقاهم الملائكة، فيقال لهم: مثل ذلك، قالوا: وبم جاورتم الله في داره؟ قالوا: كنّا نتزاور في الله عزّ وجلّ، ونتجالس في الله ونتباذل في الله.

قالوا: ادخلوا الجنة فنعم أجر العاملين»(١).

وبسنده عن العتبي عن أبيه: قال عليّ بن الحسين ـ وكان من أفضل بني هاشم ـ لابنه: «يا بني اصبر على النوائب، ولا تتعرض للحقوق، ولا تجب أخاك الى الأمر الذي مضرّته عليك أكثر من منفعته له»(٢).

وبسنده عن أبي حمزة الثمالي عن عليّ بن الحسين: «إذا كان يوم القيامة

---

(١) حلية الأولياء ٣: ١٣٩ ـ ١٤٠.

(٢) المصدر السابق ٣: ١٣٨.

ينادي منادٍ أين أهل الصبر؟ فيقوم ناس من الناس فيقال: على مَ صبرتم؟ قالوا: صبرنا على طاعة الله، وصبرنا عن معصية الله عز وجل.

فيقال: صدقتم ادخلوا الجنة»(١).

في العبادة

في حلية الأولياء: كان عليّ بن الحسين يقول: «إنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وآخرين عبدوه رغبة فتلك عبادة التجّار، وقوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار»(٢).

في القناعة

في الحلية بسنده عن أبي حمزة الثمالي: سمعت عليّ بن الحسين يقول: «من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس»(٣).

في استحباب تقبيل الصدقة ومناولتها الفقير بنفسه

في الحلية بسنده: إنّ عليّ بن الحسين كان إذا ناول الصدقة السائل، قبّلها ثم ناوله(٤).

وروى ابن سعد في الطبقات: أنه كان يأتيه السائل، فيقوم حتى يناوله ويقول: «إنّ الصدقة تقع في يد الله قبل أن تقع في يد السائل»(٥).

---

(١) حلية الأولياء ٣: ١٤٠.

(٢) المصدر السابق ٣: ١٣٤.

(٣) المصدر السابق ٣: ١٣٥.

(٤) المصدر السابق ٣: ١٣٧.

(٥) الطبقات الكبرى ٥: ٢١٦.

من روى عن عليّ بن الحسين عليه السلام من العلماء

قد أحصى الشيخ الطوسي في كتاب رجاله الرواة عنه عليه السلام وتجدهم في مطاوي كتابنا هذا كلاً في بابه .

وفي مناقب ابن شهرآشوب روى عنه الطبري، وابن البيع، وأحمد، وابن بطّة، وأبو داود، وصاحب الحلية، والأغاني، وقوت القلوب، وشرف المصطفى، وأسباب نزول القرآن، والفائق، والترغيب والترهيب، عن الزهري، وسفيان بن عيينة، ونافع، والأوزاعي، ومقاتل، والواقدي، ومحمّد ابن إسحاق[1]... الخ. والمراد أنهم رووا عنه بالواسطة .

وقال ابن شهرآشوب في المناقب :كان بابه يحيى ابن أمّ الطويل المطعمي.

ومن رجاله من الصحابة : جابر بن عبدالله الأنصاري، وعامر بن واثلة الكناني، وسعيد بن المسيب بن حزن، وسعيد بن جهان الكناني مولى أمّ هانيء.

ومن التابعين : أبو محمّد سعيد بن جبير مولى بني أسد، ومحمّد بن جبير ابن مطعم، وأبو خالد الكابلي، والقاسم بن عوف، وإسماعيل بن عبدالله بن جعفر، وإبراهيم والحسن ابنا محمّد ابن الحنفية، وحبيب بن أبي ثابت، وأبو يحيى الأسدي، وأبو حازم الأعرج، وسلمة بن دينار المدني الأقرن القاص .

ومن أصحابه : أبو حمزة الثمالي بقي الى أيّام موسى عليه السلام، وفرات بن أحنف بقي الى أيّام أبي عبدالله عليه السلام، وجابر بن محمّد بن أبي بكر، وأيوب بن

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٦١.

الحسن، وعلي بن رافع، وأبو محمّد القرشي السدّي الكوفي، والضحاك بن مزاحم الخراساني أصله من الكوفة، وطاووس بن كيسان أبو عبدالرحمن، وحميد بن موسى الكوفي، وأبان بن تغلب بن رباح، وأبو الفضل سدير بن حكيم بن صهيب الصيرفي، وقيس بن رمانة وعبدالله البرقي، والفرزدق الشاعر.

ومن مواليه: شعيب[1]... الخ.

وقال المفيد في الاختصاص: أصحاب عليّ بن الحسين أبو خالد الكابلي كنكر، ويقال: اسمه وردان، ويحيى ابن أُم الطويل، وسعيد بن المسيب المخزومي، وحكيم بن جبير[2]... الخ.

مؤلفاته

١ ـ الصحيفة الكاملة في الأدعية:

تحتوي على أحد وستين دعاء في فنون الخير وأنواع العبادة، وطلب السعادة، وتعليم العباد كيف يلجؤون الى ربّهم في الشدائد والمهمات، ويطلبون منه حوائجهم، ويعملون بقوله تعالى: ﴿ادعوني استجب لكم﴾[3] من التحميد لله تعالى، والثناء عليه، والشكر له، والتذلل بين يديه، واللجوء إليه، والتضرع والاستكانة له، والالحاح عليه، والاعتذار له، والرضا بقضائه، وطلب التفرّغ له، والصلاة على نبيّه محمّد وآله صلى الله عليه وآله، وعلى حملة العرش، ومصدّقي الرسل، والصحابة والتابعين، ولأبويه وولده وجيرانه وأوليائه، وأهل الثغور،

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٦ ـ ١٧٧.

(٢) الاختصاص للمفيد: ٨.

(٣) غافر: ٦٠.

ولنفسه وخاصته، وعلى الشيطان، وفي الاستعاذة، وطلب الحوائج، وطلب المغفرة، والعفو، والرحمة، والستر، والوقاية، والاستقامة، والتوبة، وخاتمة الخير، والعافية، والرزق، وقضاء الدين، ومكارم الأخلاق، والاستخارة، واستكشاف الهموم والشدائد، والأحزان، والبلاء، ودفع كيد الأعداء، والمحذورات، وعند الصباح والمساء، والمرض، وسماع صوت الرعد، وذكر الموت، وختم القرآن، والنظر الى الهلال، ودخول شهر رمضان ووداعه، وفي العيدين، والجمع ويوم عرفة، وأيّام الاسبوع، وغير ذلك .

وبلاغة ألفاظها، وفصاحتها التي لا تبارى، وعلوّ مضامينها، وما فيها من أنواع التذلّل لله تعالى، والثناء عليه، والأساليب العجيبة في طلب عفوه وكرمه، والتوسل إليه أقوى شاهد على صحة نسبتها، وإنّ هذا الدرّ من ذلك البحر، وهذا الجوهر من ذلك المعدن، وهذا الثمر من ذلك الشجر، مضافاً الى اشتهارها شهرة لا تقبل الريب، وتعدد أسانيدها المتّصلة الى منشئها صلوات الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الطاهرين، فقد رواها الثقات بأسانيدهم المتعددة المتصلة الى زين العابدين عليه السلام، وقد كانت منها نسخة عند زيد الشهيد، ثم انتقلت الى أولاده والى أولاد عبدالله بن الحسن المثنى، كما هو مذكور في أوّلها، مضافاً الى ما كان عند الباقر عليه السلام[1] من نسختها، وقد اعتنى بها الناس أتم اعتناء بروايتها، وضبط ألفاظها ونسخها .

وواظبوا على الدعاء بأدعيتها في الليل، والنهار، والعشي والأبكار، والغدوات والأسحار، والتضرع إليه تعالى، وطلب الحوائج منه، والمغفرة والفوز بالجنّة، والنجاة من النار، واستنسخ منها نسخ لا تعد ولا تحصى بالخطوط الجميلة النادرة المثيل، والمزينة بجداول الذهب على ورق الترمة،

---

(١) راجع رواية السند في بداية الصحيفة السجادية الكاملة بكل نسخها.

وما ضاهاه وطبعت على الحجر طبعات كثيرة، وشرحها العلماء شروحاً عديدة منها : شرح الشيخ البهائي المسمّى (حدائق المقرّبين) وأحسنها شرح السيّد علي خان المدني والشيرازي صاحب سلافة العصر في أُدباء العصر، والدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة، وغيرهما وشرحه مطبوع على الحجر في مجلد كبير، وباقي شروحها مطبوعة على الحجر في مجلد واحد.

٢ـ الصحيفة الثانية السجادية:

جمعها الشيخ محمّد بن الحسين بن الحرّ العاملي نزيل اصفهان، واقتصر فيها على ما ليس في الصحيفة الكاملة من الأدعية، لكنه فاته منها شيء كثير، طبعت مرتين على الحجر وبالحرف.

٣ـ الصحيفة الثالثة السجادية:

جمعها الميرزا عبدالله الإصفهاني المعروف بالأفندي، صاحب رياض العلماء، واستدرك فيها ما فات ابن الحرّ العاملي جامع الصحيفة الثانية، طُبعت على الحجر .

٤ـ الصحيفة الرابعة السجادية:

جمعها الميرزا حسين النوري، واستدرك فيها ما فات الميرزا عبدالله جامع الصحيفة الثالثة، ولكن حيث كانت نسخة الصحيفة الثالثة ناقصة، فالاستدراك عليها غير معلوم طبعت على الحجر.

٥ ـ الصحيفة الخامسة السجادية :

جمعها الفقير كاتب هذه السطور، واستدرك فيها ما خلت عنه الصحيفة الكاملة، وما فات الثانية، والثالثة، والرابعة، ولئن كان الاستدراك على الثالثة، غير محقّق فالاستدراك على الرابعة محقق.

٦ ـ رسالة الحقوق:

وهذه الرسالة أوردها الصدوق في الخصال بسند معتبر، وأوردها الحسن ابن عليّ بن شعبة الحراني في تحف العقول . وبينهما تفاوت بالزيادة والنقصان وغيرهما .

ورواية التحف أطول، وقد تزيد عنها رواية الخصال ونحن نوردها برواية تحف العقول، فإذا وجدنا ما يخالفها في رواية الخصال ذكرناه بعدها.

روى الصدوق في الخصال عن عليّ بن أحمد بن موسى، عن محمّد الأسدي، عن جعفر بن محمّد بن مالك الفزاري، عن خيران بن داهر عن أحمد بن سليمان الجبلي عن أبيه عن محمّد بن عليّ عن محمّد بن فضيل عن أبي حمزة الثمالي قال : هذه رسالة عليّ بن الحسين عليه السلام الى بعض أصحابه: «إعلم أنّ لله عزّ وجلّ عليك حقوقاً...»[1] الخ .

وفي تحف العقول : رسالة عليّ بن الحسين عليه السلام المعروفة برسالة الحقوق: «إعلم رحمك الله، أنّ لله عليك حقوقاً محيطة بك في كل حركة تحركتها، أو سكنة سكنتها، أو حال ـ حلتها (خ ل) ـ أو منزلة نزلتها، أو جارحة قلّبتها، أو آلة تصرّفت بها، بعضها أكبر من بعض، وأكبر حقوق الله عليك ما أوجبه عليك لنفسك، من قرنك الى قدمك، على اختلاف جوارحك، فجعل لبصرك عليك حقاً، ولسمعك عليك حقاً، وللسانك عليك حقاً، وليدك

(١) الخصال: ٥٦٤ ـ ٥٦٥ / ح ١، باب الخمسين وما فوقه.

عليك حقّا، ولرجلك عليك حقاً، ولبطنك عليك حقاً، ولفرجك عليك حقّاً، فهذه الجوارح السبع التي بها تكون الأفعال، ثم جعل لأفعالك عليك حقوقاً: لصلاتك عليك حقّاً، ولصومك عليك حقّاً، ولصدقتك ولهديك عليك حقّاً، ولأفعالك عليك حقّاً، ثم تخرج الحقوق منك الى غيرك من ذوي الحقوق الواجبة عليك.

وأوجبها عليك: حقّ أئمتك، ثم حقوق رعيّتك، ثم حقوق رحمك، فهذه حقوق يتشعب منها حقوق.

فحقوق أئمتك ثلاثة أوجبها عليك، حقّ رعيّتك بالسلطان، ثم حق رعيّتك بالعلم فإنّ الجاهل رعيّة العالم، وحقّ رعيّتك بالملك من الأزواج وما ملكت الأيمان.

وحقوق رحمك كثيرة متصلة بقدر إتصال الرحم في القرابة، فأوجبها عليك حقّ أُمّك، ثم حقّ أبيك، ثم حقّ ولدك، ثم حقّ أخيك، ثم الأقرب فالأقرب والأولى فالأولى، ثم حقّ مولاك المنعم عليك، ثم حقّ مولاك الجارية [نعمتك عليه][(١)]، ثم حقّ ذي المعروف لديك، ثم حقّ مؤذنك بالصلاة، ثم حقّ إمامك في صلاتك، ثم حقّ جليسك، ثم حقّ جارك، ثم حقّ صاحبك، ثم حقّ شريكك، ثم حقّ مالك، ثم حقّ غريمك الذي تطالبه، ثم غريمك الذي يطالبك، ثم خليطك ثم حقّ خصمك المُدعي عليك، ثم حقّ خصمك الذي تدّعي عليه، ثم حقّ مستشيرك، ثم المشير عليك، ثم مستنصحك، ثم الناصح لك، ثم حقّ من هو أكبر منك، ثم من هو أصغر منك، ثم حقّ سائلك، ثم حقّ من سألته، ثم حقّ من جرى لك على يديه مساءة بقول أو فعل أو مسرّة بقول أو فعل عن تعمّد منه أو غير تعمد، ثم حقّ أهل ملتك عامة، ثم حقّ أهل الذمة، ثم الحقوق الجارية بقدر علل الأحوال وتصرّف الأسباب، فطوبى لمن أعانه الله على قضاء ما أوجب عليه من حقوقه ووفّقه وسدّده:

١ ـ فأمّا حق الله الأكبر عليك فأن[(٢)] تعبده لا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص

(١) أراد بالأوّل المعتق بالكسرة مباشرة وبالثاني من اعتق أحد الآباء والأجداد ـ المؤلف ـ.

(٢) في المصدر [فإنّك].

جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة، ويحفظ لك ما تحبّ منهما[(١)].

ومثله في الخصال الى قوله والآخرة.

٢ ـ «وأما حقّ نفسك عليك فإن تستوفيها في طاعة الله» ـ وفي الخصال ـ: «أن تستعملها بطاعة الله عز وجل[(٢)] فتؤدي الى لسانك حقّه، والى سمعك حقّه، وإلى بصرك حقّه، وإلى يدك حقّها، وإلى رجلك حقها وإلى بطنك حقه وإلى فرجك حقّه وتستعين بالله على ذلك».

٣ ـ «وأما حق اللّسان فإكرامه عن الخنا، وتعويده على الخير، وحمله على الأدب، وإجمامه إلّا لموضع الحاجة، والمنفعة للدّين والدّنيا، وإعفاؤه من الفضول الشنعة القليلة الفائدة التي لا يؤمن شرره[(٣)] مع قلة عائدتها، وبعد شاهد العقل والدليل عليه. وتزين العاقل بعقله حسن سيرته في لسانه ولا قوة إلّا بالله العليّ العظيم» ـ وفي الخصال: «وحق اللسان إكرامه عن الخنا، وتعويده الخير، وترك الفضول التي لا فائدة فيها، والبرّ بالناس، وحسن القول فيهم»[(٤)].

٤ ـ «وأما حقّ السمع فتنزيهه عن أن تجعله طريقاً الى قلبك إلّا لفوهة كريمة تحدث في قلبك خيراً، أو تكسب خُلقاً كريماً، فإنّه باب الكلام الى القلب يؤدي إليه ضروب المعاني على ما فيها من خير أو شر، ولا قوّة إلّا بالله» وفي الخصال: «وحقّ السمع تنزيهه عن سماع الغيبة، وسماع ما لا يحل سماعه»[(٥)].

٥ ـ «وأما حقّ بصرك فغضّه عمّا لا يحل لك، وترك ابتذاله إلّا لموضع عبرة تستقبل بها بصراً، أو تستفيد بها علماً، فإنّ البصر باب الاعتبار» ـ وفي الخصال ـ: «وحقّ البصر أن

---

(١) الخصال: ٥٦٦ / ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) الخصال: ٥٦٦ / ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٣) في المصدر [ضررها].

(٤) الخصال: ٥٦٦ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٥) الخصال: ٥٦٦ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

تغمضه[١] عمّا لا يحل لك، وتعتبر بالنظر به»[٢] .

٦ ـ «وأما حقّ رجليك فأن لا تمشي بهما الى ما لا يحل لك، ولا تجعلهما مطيّتك في الطريق المستخف بأهلها فيها، فإنّها حاملتك وسالكة بك مسلك الدّين والسبق لك، ولا قوة إلّا بالله» ـ وفي الخصال ـ : «وحق رجليك أن لا تمشي بهما الى ما لا يحل لك فيهما، ولا بدّ لك أن تقف على الصراط، فانظر أن لا تزلّا بك فتتردّى في النار»[٣] .

٧ ـ «وأما حقّ يدك فأن لا تبسطها الى ما لا يحل لك، فتنال بما تبسطها إليه من الله العقوبة في الأجل، ومن الناس اللائمة في العاجل، ولا تقبضها عمّا[٤] افترض الله عليها، ولكن توقّرها بقبضها عن كثير ممّا لا يحل لها، وبسطها الى كثير ممّا ليس عليها، فإذا هي قد عقلت وشرفت في العاجل، ووجب لها حسن الثواب من الله في الآجل» ـ وفي الخصال ـ : «وحق يدك أن لا تبسطها الى ما لا يحل لك»[٥].

٨ـ «وأما حقّ بطنك فأن لا تجعله وعاء لقليل من الحرام ولا لكثير، وأن تقتصد له في الحلال، ولا تخرجه من حدّ التقوية الى حد التهوين وذهاب المروءة، فإنّ الشبع المنتهي بصاحبه مكسلة ومثبطة ومقطعة عن كلّ برّ وكرم، وأن الرّي المنتهي بصاحبه الى السكر مسخفة ومجهلة ومذهبة للمروءة» ـ وفي الخصال ـ : «وحقّ بطنك أن لا تجعله وعاء للحرام، ولا تزيد على الشبع»[٦].

٩ ـ «وأما حقّ فرجك فحفظه ممّا لا يحل لك، والاستعانة عليه بغض البصر، فإنّه من أعون الأعوان، وضبطه إذا همّ بالجوع والظمأ، وكثرة ذكر الموت والتهدد لنفسك بالله،

---

(١) في المصدر [تغضه].

(٢) الخصال: ٥٦٦ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٣) المصدر السابق: ٥٦٦ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٤) في المصدر [ممّا].

(٥) المصدر السابق: ٥٦٦ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٦) المصدر السابق: ٥٦٦ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

والتخويف لها به، وبالله العصمة والتأييد، ولا حول ولا قوة إلّا بـه» ـ وفي الخصال ـ : «وحقّ فرجك أن تحصّنه عن الزنا، وتحفظه من أن ينظر إليه»[١].

ثم حقوق الأفعال

١٠ ـ «فأما حقّ الصلاة فأن تعلم أنّها وفادة الى الله وأنك قائم بين يدي الله، فإذا علمت ذلك كنت خليقاً أن تقوم فيها مقام الذليل الراغب الراهب، و[٢]الخائف الراجي المسكين، المتضرّع المعظم من قام بين يديه بالسكون أو الإطراق، وخشوع الأطراف، ولين الجناح، وحسن المناجاة له في نفسه، والرغبة إليه في فكاك رقبتك التـي أحـاطت بـها خـطيئتك، واستهلكتها ذنوبك، ولا قوّة إلّا بالله».

وفي الخصال : «وحق الصلاة أن تعلم أنها وفادة الى الله عز وجل، وأنّك[٣] فـيها قائم بين يدي الله عز وجل، فإذا عَلمت ذلك قـمت مـقام الذليـل الحـقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرّع، المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها»[٤].

ولم يذكر في التحف حقّ الحج وذكره في الخصال، فقال .

«وحقّ الحجّ أن تعلم أنّه وفادة الى ربّك، وفرار إليه من ذنوبك، وبـه قـبول تـوبتك وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك».

١١ ـ «وأما حقّ الصوم فأن تعلم أنه حجاب ضربه الله على لسانك وسمعك وبصرك وفرجك وبطنك ليسترك به من النار، وهكذا جاء في الحديث: الصوم جنّة من النـار فـإن سكنت أطرافك في حجبتها، رجوت أن تكون مـحجوباً، وإن أنت تـركتها تـضطرب فـي

(١) الخصال: ٥٦٦ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) ليست في المصدر.

(٣) في المصدر [وأنت].

(٤) الخصال: ٥٦٦ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

حجابها وترف جنبات الحجاب، فتطلع الى ما ليس لها بالنظرة الداعية للشهوة، والقوة الخارجة عن حد التقية بالله، لم تأمن أن تخرق الحجاب وتخرج منه، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : بعد قوله «من النار»: «فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك»[١] .

١٢ ـ وأما حقّ الصدقة فأن تعلم أنها ذخرك عند ربك، ووديعتك التي لا تحتاج الى الإشهاد، فإذا علمت ذلك كنت بما استودعته سرّاً أوثق منك بما استودعته علانية، وكنت جديراً أن لا تكون أسررت إليه أمراً أعلنته، وكان الأمر بينك وبينه فيها سرّاً، على كل حال، ولم تستظهر عليه فيما استودعته منها بإشهاد الأسماع والأبصار عليه بها، كأنّها أوثق في نفسك، وكأنّك لا تثق به في تأدية وديعتك إليك، ثم لم تمتن بها على أحدٍ لأنها لك، فاذا امتننت بها لم تأمن أن يكون بها. مثل تهجين حالك منها الى من مننت بها عليه كذا لأن في ذلك دليلاً على أنّك لم ترد نفسك بها، ولو أردت نفسك بها لم تمتن بها على أحدٍ، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «وحق الصدقة أن تعلم أنّها ذخرك عند ربك عزّ وجلّ، ووديعتك التي لا تحتاج الى الإشهاد عليها، وكنت بما تستودعه سرّاً أوثق منك بما تستودعه علانية، وتعلم أنها تدفع البلايا والأسقام عنك في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة»[٢].

١٣ ـ «وأما حقّ الهدي فأن تخلص به الإرادة الى ربّك والتعرض لرحمته وقبوله، ولا تريد عيون الناظرين دونه، فإذا كنت كذلك لم تكن متكلفاً ولا متصنّعاً، وكنت إنّما تقصد الى الله، واعلم أن الله يراد باليسير ولا يراد بالعسير، كما أراد بخلقه التيسير ولم يرد بهم التعسير، وكذلك التذلّل أولى بك من التدهقن، لأن الكلفة والمؤونة في المتدهقنين، فأما التذلل والتمسكن فلا كلفة فيهما ولا مؤونة عليهما، لأنهما الخلقة، وهما موجودان في

---

(١) الخصال: ٥٦٦ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) المصدر السابق: ٥٦٦ ـ ٥٦٧ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

الطبيعة، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «وحقّ الهدي أن تريد به الله عزّ وجلّ، ولا تريد به خلقه، ولا تريد به إلّا التعرض لرحمة الله ونجاة روحك يوم تلقاه»(١).

ثم حقوق الأئمة

١٤ ـ «فأما حقّ سائسك بالسلطان فأن تعلم أنّك جعلت له فتنة، وأنه مبتلى فيك بما جعله الله له عليك من السلطان، وأن تخلص له في النصيحة، وأن لا تماحكه، وقد بسطت يده عليك فتكون سبب هلاك نفسك وهلاكه، وتلطّف لإعطائه من الرضا ما يكفّه عنك ولا يضرّ بدينك، وتستعين عليه في ذلك بالله، ولا تعازه ولا تعانده، فإنّك إن فعلت ذلك عققته وعققت نفسك، فعرضتها لمكروهه وعرضته للهلكة فيك. وكنت خليقاً أن تكون معيناً له على نفسك، وشريكاً له فيما أتى إليك ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «وحقّ السلطان أن تعلم الى قوله من السلطان» ـ وبعده : «وأنّ عليك أن لا تتعرض لسخطه فتلقي بيديك الى التهلكة، وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء»(٢).

١٥ ـ «فأمّا حقّ سائسك بالعلم فالتعظيم له ،والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، والمعونة له على نفسك فيما لا غنى بك عنه من العلم، بأن تفرغ له عقلك، وتحضره فهمك، وتذكّي له قلبك، وتجلي له بصرك، بترك اللّذات ونقص الشهوات، وأن تعلم أنّك فيما ألقى إليك رسوله الى من لقيك من أهل الجهل، فلزمك حسن التأدية عنه إليهم، ولا تخنه في رسالته والقيام بها عنه إذا تقلدتها، ولا حول ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «وحقّ سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن

(١) الخصال: ٥٦٧ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) المصدر السابق: ٥٦٧ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدّث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه، وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً، ولا تعادي له وليّاً، فاذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنّك قصدته، وتعلّمت علمه لله جلّ اسمه لا للناس»(١).

١٦ ـ وأما حق سائسك بالملك، فنحو من سائسك بالسلطان، إلّا أن هذا يملك ما لا يملكه ذاك، تلزمك طاعته فيما دقّ وجلّ منك، إلّا أن يُخرجك من وجوب حقّ الله، ويحول بينك وبين حقّه وحقوق الخلق، فإذا قضيته رجعت الى حقّه، فتشاغلت به، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال: «فأما حقّ سائسك بالملك، فأن تطيعه ولا تعصيه، إلّا فيما يسخط الله عزّ وجلّ، فإنّه لا طاعة لمخلوق في معصية الله»(٢).

ثم حقوق الرعية

١٧ ـ فأما حقّ رعيتك بالسلطان، فأن تعلم أنك استرعيتهم بفضل قوتك عليهم، فإنه إنّما أحلّهم محل الرعية لك ضعفهم، فما أولى من كفاه ضعفه وذلّه، حتى صيّره لك رعية، وصيّر حكمك عليه نافذاً لا يمتنع منك بعزّة ولا قوّة، ولا يستنصر فيما تعاظمه منك إلّا بالرحمة والحياطة والأناة، وما أولاك إذا عرفت ما أعطاك الله من فضل هذه العزّة والقوة، التي قهرت بها أن تكون لله شاكراً، ومن شكر الله أعطاه فيما أنعم عليه، ولا قوّة إلّا بالله».

وفي الخصال: «وأما حقّ رعيتك بالسلطان، فأن تعلم أنّهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوّتك، فيجب أن تعدل فيهم وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم

---

(١) الخصال: ٥٦٧ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) المصدر السابق: ٥٦٧ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

بالعقوبة، وتشكر الله عزّ وجلّ على ما أولاك وعلى ماآتاك من القوّة عليهم»[(١)].

١٨ ـ وأما حقّ رعيتك بالعلم، فأن تعلم أن الله قد جعلك لهم خازناً فيماآتاك من العلم وولّاك من خزانة الحكمة، فإن أحسنت فيما ولّاك الله من ذلك، وقمت به لهم مقام الخازن الشفيق الناصح لمولاه في عبيده، الصابر المحتسب الذي إذا رأى ذا حاجة أخرج له من الأموال التي في يديه، كنت راشداً وكنت لذلك آملاً معتقداً كذا، وإلّا كنت له خائناً ولخلقه ظالماً، ولسلبه وغيره معترضاً».

١٩ ـ وأما حقّ رعيتك بملك النكاح، فأن تعلم أن الله جعلها سكناً ومستراحاً وأُنساً وواقية، وكذلك كل واحد منكما يجب أن يحمد الله على صاحبه، ويعلم أن ذلك نعمة منه عليه، ووجب أن يحسن صحبة نعمة الله، ويكرمها ويرفق بها، وإن كان حقّك عليها أغلظ وطاعتك بها ألزم فيما أحببت وكرهت ما لم تكن معصية، فإن لها حقّ الرحمة والمؤانسة، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال: «وأما حقّ الزوجة، فأن تعلم أنّ الله عزّ وجلّ جعلها لك سكناً وأُنساً، فتعلم أنّ ذلك نعمة من الله عليك، فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقّك عليها أوجب، فإنّ لها عليك أن ترحمها لأنها أسيرك، وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها»[(٢)].

٢٠ ـ وأما حقّ رعيتك بملك اليمين، فأن تعلم أنه خلق ربّك ولحمك ودمك، وأنك لم تملكه لأنك صنعته دون الله، ولا خلقت له سمعاً ولا بصراً، ولا أجريت له رزقاً، ولكن الله كفاك ذلك، ثم سخّره لك، وائتمنك عليه، واستودعك إيّاه لتحفظه فيه وتسير فيه بسيرته، فتطعمه ممّا تأكل، وتلبسه ممّا تلبس ولا تكلفه ما لا يطيق، فإن كرهته خرجت الى الله منه، واستبدلت به ولم تعذب خلق الله، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال: «وأما حقّ مملوكك، فأن تعلم أنه خلق ربّك، وابن أبيك وأمك،

---

(١) الخصال: ٥٦٧ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) الخصال: ٥٦٧ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

ولحمك ودمك، ولم تملكه لأنك صنعته من دون الله، ولا خلقت شيئاً من جوارحه، ولا أخرجت له رزقاً، ولكن الله عز وجل كفاك ذلك، ثم سخّره لك وائتمنك عليه، واستودعك إياه ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت به، ولم تعذّب خلق الله عزّ وجلّ، ولا قوة إلّا بالله»(١).

وأما حقّ الرحم، فحقّ أُمّك أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأطعمتك من ثمرة قلبها ما لا يطعم أحدٌ أحداً، وأنها وَقَتك بسمعها، وبصرها، ويدها، ورجلها، وشعرها، وبشرها، وجميع جوارحها، مستبشرة فرحة محتملة لما فيه، مكروهها وألمها وثقلها وغمّها، حتى دفعتها عنك يد القدرة، وأخرجتك الى الأرض، فرضيت أن تشبع وتجوع هي، وتكسوك وتعرى، وترويك وتظمى، وتظلّك وتضحى، وتنعمك ببؤسها وتُلذّذك بالنوم بأرقها، وكان بطنها لك وعاءً، وحجرها لك حواءً، وثديها لك سقاء، ونفسها لك وقاء، تباشر حرّ الدنيا وبردها لك ودونك، فتشكرها على قدر ذلك ،ولا تقدر عليه إلّا بعون الله وتوفيقه».

وفي الخصال : «وأما حقّ أمّك، فأن تعلم أنها حملتك حيث لا يحمل أحدٌ أحداً، وأعطتك من ثمرة قلبها ما لا يعطي أحدٌ أحداً، ووقتك بجميع جوارحها ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعرى وتكسوك، وتضحى وتظلّك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد لتكون لها، فإنّك لا تطيق شكرها إلّا بعون الله وتوفيقه»(٢).

٢٢ ـ «وأما حقّ أبيك، فأن تعلم أنه أصلك وأنك فرعه، وأنك لولاه لم تكن، فمهما رأيت في نفسك ممّا يعجبك، فاعلم أنّ أباك أصل النعمة عليك فيه، واحمد الله وأشكره على قدر ذلك، ولا قوة إلّا بالله».

٢٣ ـ «وأما حقّ ولدك، فأن تعلم أنّه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشرّه،

---

(١) الخصال: ٥٦٧ ـ ٥٦٨ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) المصدر السابق: ٥٦٨ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

وأنك مسؤول عمّا وليته من حسن الأدب والدلالة على ربّه، والمعونة له على طاعته فيك وفي نفسه، فمثاب على ذلك ومعاقب، فاعمل في أمره عمل المتزيّن بحسن أثره عليه، في عاجل الدّنيا المعذر الى ربّه فيما بينك وبينه، بحسن القيام عليه والأخذ له منه ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال: «فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مُثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإساءة إليه»(١).

٢٤ ـ «وأما حقّ أخيك، فأن تعلم أنه يدك التي تبسطها، وظهرك الذي تلتجيء إليه، وعزّك الذي تعتمد عليه، وقوّتك التي تصول بها، فلا تتّخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدّة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على نفسه ومعونته على عدوّه والحول بينه وبين شياطينه، وتأدية النصيحة إليه، والإقبال عليه في الله، فإن انقاد لربّه وأحسن الاجابة له، وإلّا فليكن الله آثر عندك وأكرم عليك منه».

وفي الخصال: «ولا تدع نصرته على عدوّه والنصيحة له فإن أطاع الله، وإلّا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوّة إلّا بالله»(٢).

٢٥ ـ «وأما حقّ المنعم عليك بالولاء، فأن تعلم أنه أنفق ماله وأخرجك من ذل الرق ووحشته الى عز الحرية وأنسها، وأطلقك من أسر الملكة، وفكّ عنك حلق العبودية، وأوجدك رائحة العزّ، وأخرجك من سجن القهر، ودفع عنك العسر، وبسط لك لسان الإنصاف، وأباحك الدنيا كلّها، فملّكك نفسك، وحلّ أسرك، وفرّغك لعبادة ربّك، واحتمل بذلك التقصير في ماله، فتعلم أنّه أولى الخلق بك بعدّ أولي رحمك في حياتك وموتك، وأحق الخلق بنصرك ومعونتك ومكانفتك في ذات الله، فلا تؤثر عليه نفسك ما احتاج إليك».

---

(١) الخصال: ٥٦٨ /ح١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) المصدر السابق: ٥٦٨ /ح١، أبواب الخمسين وما فوقه.

وفي الخصال: «وأنّ نصرته عليك واجبة بنفسك، وما احتاج إليه منك، ولا قوة إلّا بالله»(١).

٢٦ ـ «وأما حقّ مولاك الجارية عليك نعمته، فأن تعلم أنّ الله جعلك حامية عليه وواقية وناصراً ومعقلاً، وجعله لك وسيلة وسبباً بينك وبينه، فبالحري أن يحجبك عن النار، فيكون في ذلك ثواب منه في الآجل، ويحكم لك بميراثه في العاجل إذا لم يكن له رحم، مكافأة لما أنفقته من مالك عليه، وقمت به من حقّه بعد إنفاق مالك، فإن لم تقم بحقّه خيف عليك أن لا يطيب لك ميراثه، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال: «وأما حقّ مولاك الذي أنعمت عليه، فأن تعلم أن الله عزّ وجلّ جعل عتقك له وسيلة إليه، وحجاباً لك من النار، وأن ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم مكافأة بما أنفقت من مالك وفي الآجل الجنة»(٢).

٢٧ ـ «وأما حقّ ذي المعروف عليك، فأن تشكره وتذكره معروفه، وتنشر له المقالة الحسنة، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله سبحانه، فإنك إذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانية، ثم إن أمكن مكافأته بالفعل كافأته، وإلّا كنت مرصداً له موطناً نفسك عليها».

وفي الخصال: «ثم إن قدرت على مكافأته يوماً كافأته»(٣).

٢٨ ـ «وأما حقّ المؤذن، فأن تعلم أنه مذكّرك بربّك، وداعيك الى حظّك، وأفضل أعوانك على قضاء الفريضة التي افترضها الله عليك، فتشكره على ذلك شكرك للمحسن إليك، وإن كنت في بيتك متهماً كذا(٤)، وعلمت أنه نعمة من الله عليك لا شك فيها، فأحسن صحبة نعمة الله بحمد الله عليها على كل حال، ولا قوة إلّا بالله».

---

(١) الخصال: ٥٦٨ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) المصدر السابق: ٥٦٨ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٣) المصدر السابق: ٥٦٩ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٤) [وإن كنت في بيتك مهتماً لذلك لم تكن لله في أمره متهماً] كما في تحف العقول: ٢٦٤.

٢٩ ـ «وأما حقّ إمامك في صلاتك، فأن تعلم أنه قد تقلّد السفارة فيما بينك وبين الله، والوفادة الى ربّك، وتكلّم عنك ولم تتكلّم عنه، دعا لك ولم تدع له، وطلب فيك ولم تطلب فيه، وكفاك همّ المقام بين يدي الله والمساءلة له فيك، ولم تكفه ذلك. فإن كان في شيء من ذلك تقصير كان به دونك، وإن كان إثماً لم تكن شريكه فيه، ولم يكن لك عليه فضل، فوقى نفسك بنفسه، ووقى صلاتك بصلاته، فتشكر له على ذلك، ولا حول ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «فإن كان نقص كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه ولم يكن له عليك فضل(١)، فتشكر له على قدر ذلك»(٢).

٣٠ ـ «وأما حقّ الجليس، فأن تلين له كنفك، وتطيب له جانبك، وتنصفه في مجاراة اللفظ، ولا تغرق في نزع اللحظ إذا لحظت، وتقصد في اللفظ الى إفهامه إذا لفظت، وإن كنت الجليس إليه كنت في القيام عنه بالخيار، وإن كان الجالس إليك كان بالخيار، ولا تقوم إلّا بإذنه، ولا قوة إلّا بالله» .

وفي الخصال : «ولا تقوم من مجلسك إلّا بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسى زلّاته وتحفظ خيراته ولا تسمعه إلّا خيراً»(٣).

٣١ ـ «وأما حقّ الجار، فحفظه غائباً، وكرامته شاهداً، ونصرته ومعونته في الحالتين جميعاً، لا تتبع له عورة، ولا تبحث له عن سوءة لتعرفها. فإن عرفتها منه عن غير إرادة منك ولا تكلف، كنت ما(٤) علمت حصناً حصيناً وستراً ستيراً، لو بحثت الأسنة عنه ضميراً لم تتصل إليه لإنطوائه عليه».

لا تستمع عليه من حيث لا يعلم . لا تسلمه عند شديدة، ولا تحسده عند نعمة، تقيل عثرته، وتغفر زلّته، ولا تدخر حلمك عنه إذا جهل عليك، ولا تخرج أن تكون سلماً له تردّ عنه

(١) أي زيادة.

(٢) الخصال: ٥٦٩ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٣) المصدر السابق: ٥٦٩ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٤) في المصدر [لما].

لسان الشتيمة، وتبطل فيه كيد حامل النصيحة، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا حول ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «ونصرته إذا كان مظلوماً، فان علمت عليه سوء سترته عليه، وإن علمت أنّه يقبل نصيحتك نصحته فيما بينك وبينه»(١).

٣٢ـ «وأما حق الصاحب، فأن تصحبه بالفضل وما وجدت إليه سبيلاً، وإلّا فلا أقلّ من الإنصاف، وأن تكرمه كما يكرمك وتحفظه كما يحفظك، ولا يسبقك فيما بينك وبينه الى مكرمة، فإن سبقك كافأته، ولا تقصر به عما يستحق من المودّة. تُلزم نفسك نصيحته وحياطته ومعاضدته على طاعة ربّه، ومعونته على نفسه فيما يهمّ به من معصية ربّه، ثم تكون عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «فإن تصحبه بالتفضل والإنصاف، ولا تدعه يسبق الى مكرمة ، وتودّه كما يودّك، وتزجره عمّا يهمّ به من معصية»(٢).

٣٣ـ «وأما حقّ الشريك، فإن غاب كفيته، وإن حضر ساويته، ولا تعزم على حكمك دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، وتتقي(٣) خيانته فيما عزّ أو هان، فإنّه بلغنا : إنّ يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوة إلّا بالله».

٣٤ـ «وأما حقّ المال، فأن لا تأخذه إلّا من حلّه، ولا تنفقه إلّا في حلّه، ولا تحرفه عن مواضعه، ولا تصرفه عن حقائقه، ولا تجعله إذا كان من الله إلّا إليه وسبباً الى الله. ولا تؤثر به على نفسك مَن لعلّه لا يحمدك، وبالحريّ أن لا يحسن خلافته في تركتك، ولا يعمل فيه بطاعة ربّه. فيذهب بالغنيمة وتبوء بالإثم والحسرة والندامة مع التبعة، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «فاعمل فيه بطاعة ربك، ولا تبخل به»(٤).

---

(١) الخصال: ٥٦٩ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) المصدر السابق: ٥٦٩ /ح١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٣) في المصدر [تنفي].

(٤) الخصال: ٥٦٩ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

٣٥ـ «وأما حقّ الغريم المطالب لك، فإن كنت موسراً أوفيته وكفيته وأغنيته ولم تردده وتمطله، فإنّ رسول الله ﷺ قال: مطل الغني ظلم. وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول، وطلبت إليه طلباً جميلاً، ورددته عن نفسك رداً لطيفاً، ولم تجمع عليه ذهاب ماله وسوء معاملته. فإنّ ذلك لؤم، ولا قوة إلّا بالله».

٣٦ـ «وأما حقّ الخليط، فأن لا تغرّه، ولا تغشّه، ولا تكذّبه، ولا تغفله، ولا تخدعه، ولا تعمل في انتقاضه عمل العدو الذي لا يبقي على صاحبه، وإن اطمأنّ إليك استقصيت له على نفسك، وعلمت أنّ غبن المسترسل رباً».

وفي الخصال: «ولا تخدعه، وتتّقي الله تبارك وتعالى في أمره»(١).

٣٧ـ «وأما حقّ الخصم المدّعي عليك، فإن كان ما يدّعي عليك حقّاً لم تنفسخ في حجّته ولم تعمل في إبطال دعوته، وكنت خصم نفسك له والحاكم عليها والشاهد له بحقه دون شهادة الشهود، فإنّ ذلك حقّ الله عليك، وإن كان ما يدّعيه باطلاً رفقت به وردعته وناشدته بدينه، وكسرت حدّته عنك بذكر الله، وألقيت حشو الكلام ولغطه الذي لا يرد عنك عادية عدوّك، بل تبوء بإثمه وبه يشحذ عليك سيف عداوته، لأن لفظة السوء تبعث الشرّ، والخير مقمعة للشرّ، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال: «فإن كان ما يدّعي عليك حقّاً، كنت شاهده على نفسك، ولم تظلمه وأوفيته حقّه، وإن كان ما يدّعي به باطلاً رفقت به، ولم تأت في أمره غير الرفق، ولم تسخط ربّك في أمره»(٢).

٣٨ـ «وأما حقّ الخصم المدّعىٰ عليه، فإن كان ما تدّعيه حقّاً، أجملت في مقاولته بمخرج الدعوى، فإنّ للدعوى غلظة في سمع المدّعى عليه، وقصدت قصد حجتك بالرفق، وأمهل المهلة، وأبين البيان، وألطف اللطف، ولم تتشاغل عن حجتك بمنازعته بالقيل

(١) الخصال: ٥٦٩ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) المصدر السابق: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

والقال، فتذهب عنك حجّتك ولا يكون لك في ذلك درّك، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «إن كنت محقّاً في دعواك أجملت مقاولته، ولم تجحد حقّه، وإن كنت مبطلاً في دعواك اتّقيت الله عزّ وجلّ وتبت إليه، وتركت الدّعوى»(١) .

٣٩ـ«وأما حق المستشير، فإن حضرك له وجه رأي جهدت له في النصيحة، وأشرت عليه بما تعلم أنك لو كنت مكانه عملت به ، ليكن ذلك منك في رحمةٍ ولين، فإنّ اللين يؤنس الوحشة، وإنّ الغلظ يوحش موضع الأُنس، وإن لم يحضرك له رأي وعرفت له من تثق برأيه وترضى به لنفسك دللت عليه، وأرشدته إليه، فكنت لم تأله خيراً، ولم تدّخره نصحاً، ولا حول ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «إن علمت له رأياً حسنا أشرت عليه، وإن لم تعلم أرشدته الى من يعلم».

٤٠ـ«وأما حقّ المشير عليك، فلا تتّهمه فيما لا يوافقك من رأيه إذا أشار عليك، فإنّما هي الآراء، وتصرف الناس فيها واختلافهم. فكن عليه في رأيه بالخيار إذا اتهمت رأيه .

فأما تهمته فلا يجوز لك إذا كان عندك ممن يستحق المشاورة، ولا تدع شكره على ما بدا لك من إشخاص رأيه وحسن وجه مشورته، فإذا وافقك حمدت الله وقبلت ذلك من أخيك بالشكر والإرصاد بالمكافأة في مثلها إن فزع إليك، ولا قوة إلّا بالله» .

وفي الخصال : «أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه، وإن وافقك حمدت الله عز وجل»(٢).

٤١ـ«وأما حق المستنصح، فإنّ حقّه أن تؤدي إليه النصيحة، وتكلمه من الكلام بما يطيقه عقله، فإنّ لكل عقل طبقة من الكلام يعرفه ويجتنبه، وليكن مذهبك الرحمة، ولا قوة إلّا بالله».

(١) الخصال: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) المصدر السابق: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

وفي الخصال : «وليكن مذهبك الرحمة له والرفق به»[١].

٤٢ـ «وأما حقّ الناصح، فأن تلين له جناحك، ثم تشرأبّ له قلبك، وتفتح له سمعك، حتى يفهم عنه نصيحته، ثم تنظر فيها، فإن كان [وفّق لها وإلّا][٢] رحمته ولم تتهمه، وعلمت أنّه لم يألك نصحاً إلّا أنه أخطأ. إلّا أن يكون عندك مستحقّاً للتهمة، فلا تعبأ بشيء من أمره على كل حال، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال : «وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى بالصواب حمدت الله، وإن لم يوفق رحمته....»[٣] الخ.

٤٣ـ «وأما حقّ الكبير، فإنّ حقّه توقير سنّه، وإجلال إسلامه إذا كان من أهل الفضل في الإسلام، بتقديمه فيه وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه الى طريق، ولا تؤمه في طريق، ولا تستجهله، وإن جهل عليك تحملت وأكرمته بحقّ إسلامه مع سنّه، فإنّما حقّ السن بقدر الإسلام، ولا قوة إلّا بالله» .

وفي الخصال : «توقيره لسنّه، وإجلاله لتقدّمه في الإسلام قبلك»[٤].

٤٤ـ «وأما حقّ الصغير، فرحمته، وتثقيفه، وتعليمه، والعفو عنه، والستر عليه، والرفق به، والمعونة له، والستر على جرائر حداثته، فإنّه سبب للتوبة، والمداراة له، وترك مماحكته، فإنّ ذلك أدنى لرشده» .

وفي الخصال : «رحمته في تعليمه»[٥] .

٤٥ـ «وأما حقّ السائل، فاعطاءُه إذا تهيأت صدقة، وقدرت على سدّ حاجته،

(١) الخصال: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) في المصدر هكذا: [فيها للصواب حمدت الله على ذلك، وقبلت منه وعرفت له نصيحته، وإن لم يكن وفّق لها فيها.]

(٣) المصدر السابق: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٤) المصدر السابق: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٥) المصدر السابق: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

والدعاء له فيما نزل به، والمعاونة له على طلبته، وإن شككت في صدقه وسَبَقَتْ إليه التهمة ولم تعزم على ذلك لم تأمن أن يكون من كيد الشيطان أراد أن يصدك عن حظك، ويحول بينك وبين التقرب الى ربّك، تركته بستره ورددته رداً جميلاً، وإن غلبت نفسك في أمره وأعطيته على ما عرض في نفسك منه، فإنّ ذلك من عزم الأمور».

وفي الخصال : «إعطاؤه على قدر حاجته»[(١)] .

٤٦ ـ «وأما حقّ المسؤول، فحقّه إن أعطى قبل منه ما أعطى بالشكر له، والمعرفة لفضله، وطلب وجه العذر في منعه، وأحسن به الظن، واعلم إنّه إن منع فماله منع، وأن ليس التثريب في ماله، وإن كان ظالماً، فإن الإنسان لظلوم كفار».

وفي الخصال : «إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره»[(٢)].

٤٧ ـ «وأما حقّ من سرّك الله به وعلى يديه، فإن كان تعمدها لك حمدت الله أوّلاً، ثم شكرته على ذلك بقدره في موضع الجزاء، وكافأته على فضل الابتداء، وأرصدت له المكافأة، وإن لم يكن تعمدها حمدت الله أوّلاً، ثم شكرته وعلمت انه منه، توحّدك بها وأحببت هذا [كذا][(٣)] إذ كان سبباً من أسباب نعم الله عليك، وترجو له بعد ذلك خيراً، فإنّ أسباب النعم بركة حيث ما كانت، وإن كانّ لم يعتمد. ولا قوة إلا بالله».

وفي الخصال : «أن تحمد الله عزّ وجل أوّلاً ثم تشكره»[(٤)] .

٤٨ ـ «وأما حق من ساءك القضاء على يديه بقول أو فعل، فإن كان تعمدها كان العفو أولى بك، لما فيه له من القمع وحسن الأدب مع كثير أمثاله من الخلق. فإنّ الله يقول:

---

(١) الخصال: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٢) المصدر السابق: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٣) ليست في المصدر.

(٤) الخصال: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأُولئك ما عليهم من سبيل ـ الى قوله ـ لمن عزم الأُمور﴾(١) وقال عز وجل: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عُوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾(٢) هذا في العمد. فإن لم يكن عمداً لم تظلمه بتعمد الإنتصار منه، فتكون قد كافأته بتعمد على خطأ، ورفقت به ورددته بألطف ما تقدر عليه، ولا قوة إلّا بالله».

وفي الخصال: «إن تعفو عنه، وإن علمت أنّ العفو يضرّ إنتصرت قال الله تبارك تعالى: ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأُولئك ما عليهم من سبيل﴾(٣).

٤٩ ـ وأما حقّ أهل ملتك عامّة، فإضمار السلامة، ونشر جناح الرحمة، والرفق بمسيئهم، وتألفهم، واستصلاحهم، وشكر محسنهم الى نفسه وإليك، فإن إحسانه الى نفسه إحسانه إليك إذ كفّ عنك أذاه وكفاك مؤونته وحبس عنك نفسه، فعمهم جميعاً بدعوتك، وانصرهم جميعاً بنصرتك، وأنزلهم جميعاً منك منازلهم، كبيرهم بمنزلة الوالد، وصغيرهم بمنزلة الولد، وأوسطهم بمنزلة الأخ. فمن أتاك تعاهدته بلطف ورحمة. وصل أخاك بما يجب للأخ على أخيه».

وفي الخصال: «والرحمة لهم، وكف الأذى عنهم، وتحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبابهم بمنزلة إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمك، والصغار بمنزلة أولادك»(٤).

٥٠ ـ وأمّا حقّ أهل الذمّة، فالحكم فيهم، أن تقبل منهم ما قبل الله، وكفى بما جعل الله لهم من ذمته وعهده، وتكلهم إليه فيما طلبوا من أنفسهم، وتحكم فيهم بما حكم الله به على نفسك، فيما جرى بينك وبينهم من معاملة، وليكن بينك وبين ظلمهم من رعاية ذمة الله والوفاء بعهده وعهد رسولهﷺ حائل فإنّه بلغنا أنّه قال: من ظلم معاهداً كنت خصمه فاتّق

---

(١) الشورى ٤١ و٤٣.

(٢) النحل: ١٢٦.

(٣) الخصال: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٤) المصدر السابق: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله».

فهذه خمسون حقاً محيطاً بك. لا تخرج منها في حال من الأحوال. يجب عليك رعايتها والعمل في تأديتها، والاستعانة بالله جلّ ثناؤه على ذلك. ولا حول ولا قوة إلّا بالله والحمد لله رب العالمين(١).

وفي الخصال : «أن تقبل منهم ما قبل الله عزّ وجل منهم، ولا تظلمهم ما وفوا لله عزّوجلّ بعهده»(٢).

وعلى رواية الخصال تكون أحد وخمسين .

المأثور عنه من جوامع الكلم والحكم القصيرة

المحكي منها عن كتاب نثر الدرر في كشف الغمة، والفصول المهمّة: قال الوزير أبو سعيد منصور بن الحسن الآبي في كتاب نثر الدرر : نظر عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام، الى سائل يسأل وهو يبكي فقال : «لو أنّ الدنيا كانت في كفّ هذا، ثم سقطت منه ما كان ينبغي له أن يبكي عليها»(٣).

وسئل عليه السلام : لم أوتم النبيّ من أبويه؟ فقال : «لئلا يوجب عليه حقّ لمخلوق» وقال لابنه : «يا بني إيّاك ومعاداة الرجال، فإنه لن يعدمك مكر حليم أو مفاجاة لئيم».

وبلغه عليه السلام قول نافع بن جبير في معاوية حيث قال : كان يسكته الحلم وينطقه العلم. فقال : «كذب. بل كان يسكته الحصر وينطقه البطر».

وقيل له : من أعظم الناس خطراً؟ قال : «من لم ير الدّنيا خطراً لنفسه».

قال : وروى لنا الصاحب رحمه الله، عن أبي محمّد الجعفري، عن أبيه،

---

(١) تحف العقول: ٢٥٥ ـ ٢٧٢.

(٢) الخصال: ٥٧٠ /ح ١، أبواب الخمسين وما فوقه.

(٣) كشف الغمة ٢: ٣١٨، الفصول المهمة: ١٩٤.

عن عمّه، عن جعفر، عن أبيه عليه السلام قال: قال رجل لعليّ بن الحسين ما أشد بغض قريش لأبيك قال: «لأنه أورد أوّلهم النار، والزم آخرهم العار».

وقيل له يوماً: كيف أصبحت؟ قال: «أصبحنا خائفين برسول الله، وأصبح جميع أهل الإسلام آمنين به» وقال عليه السلام وقد قيل له ما بالك إذا سافرت كتمت نسبك أهل الرفقة؟ فقال: «أكره أن آخذ برسول الله صلى الله عليه وآله ما لا أُعطي مثله»(١).

الحِكم المنقولة من تحف العقول

قال فيه: روي عنه عليه السلام في قصار هذه المعاني. قال عليه السلام: «الرضا بمكروه القضاء أرفع درجات اليقين».

وقال: «من كرمت عليه نفسه هانت عليه الدُّنيا».

وقال بحضرته رجل: اللهم أغنني عن خلقك. فقال: «ليس هكذا [إنّما بالناس](٢) ولكن قل: اللهمّ اغنني عن شرار خلقك».

وقال عليه السلام: «من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس».

وقال: «لا يقلّ عمل مع تقوى، وكيف يقلّ ما يُتقبّل».

وقال عليه السلام: «اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير، في كلّ جدّ وهزل، فإنّ الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير».

وقال عليه السلام: «كفى بنصر الله لك أن ترعى(٣) عدوّك يعمل بمعاصي الله فيك».

وقال عليه السلام: «الخير كلّه صيانة الإنسان نفسه».

وقال عليه السلام لبعض بنيه: «يا بني إنّ الله رضيني لك، ولم يرضك لي، فأوصاك بي ولم

---

(١) كشف الغمة ٢: ٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٢) في المصدر [الناس بالناس].

(٣) [ترى].

يوصني بك، [عليك بالبرّ فإنّه تحفة كبيرة](١)».

وقال له رجل ما الزهد؟ فقال: «الزهد عشرة أجزاء: فأعلى درجات الزهد أدنى درجات الورع، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضى».

وأنّ الزهد في آية من كتاب الله: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾(٢).

وقال عليه السلام: «طلب الحوائج الى الناس مذلّة للحياة ومذهبة للحياء واستخفاف بالوقار وهو الفقر الحاضر، وقلّة طلب الحوائج من الناس هو الغنى الحاضر».

وقال عليه السلام: «إنّ أحبّكم الى الله أحسنكم عملاً، وإنّ أعظمكم عند الله عملاً أعظمكم فيما عند الله رغبة، وإنّ أنجاكم من عذاب الله أشدكم خشية لله، وإنّ أقربكم من الله أوسعكم خُلقاً، وإن أرضاكم عند الله أسعاكم على عياله، وإنّ أكرمكم على الله أتقاكم لله».

وقال عليه السلام لبعض بنيه: «يا بنيّ انظر خمسةً، فلا تصاحبهم، ولا تحادثهم، ولا ترافقهم في طريق، فقال: يا أبه من هم؟ قال: إيّاك ومصاحبة الكذّاب فإنّه بمنزلة السراب يقرّب لك البعيد ويُبعّد لك القريب، وإياك ومصاحبة الفاسق فإنّه بائعك بأكلة أو أقل من ذلك(٣)، وإياك ومصاحبة البخيل، فإنه يخذلك في ماله أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصاحبة الأحمق، فإنه يريد أنْ ينفعك فيضرُّك، وإيّاك ومصاحبة القاطع لرحمه، فإنّي وجدته ملعوناً في كتاب الله»(٤).

وقال عليه السلام: «إنّ المعرفة وكمال دين المسلم، تركه الكلام فيما لا يعنيه، وقلّة مرائه، وحلمه وصبره وحسن خُلقه».

وقال: «ابن آدم! إنّك لا تزال بخير ما كان لك واعظ من نفسك، وما كانت المحاسبة

---

(١) في المصدر [عليكَ بالبرّ تُحفةً يسيرةً].

(٢) الحديد: ٢٣.

(٣) [من] في حلية الأولياء بأكلةٍ وما دونها، قال: قال وما دونها قال: يطمع فيها ثم لا ينالها.

(٤) في حلية الأولياء في كتاب الله في ثلاثة مواضع.

من هتك، وما كان الخوف لك شعاراً، والحذر لك دثاراً، يا ابن آدم! إنّك ميّت ومبعوث وموقوف بين يدي الله جلّ وعزّ، فأعد له جواباً».

وقال ﷺ: «لا حسب لقرشي ولا لعربي إلّا بتواضع، ولا كرم إلّا بتقوى، ولا عمل إلّا بنيّة، ولا عبادة إلّا بالتفقه».

وقال ﷺ: «المؤمن من دعائه على ثلاث: إمّا أنّ يدّخر له، وإمّا أن يعجّل له، وإمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه».

وقال ﷺ: «إنّ المنافق ينهى ولا ينتهي، ويأمر ولا يأتي، إذا قام الى الصلاة اعترض، وإذا ركع ربض، وإذا سجد نقر، يمسي وهمه العشاء ولم يصم[(١)]، وهمّه النوم ولم يسهر، والمؤمن خلط علمه[(٢)] بحلمه، يجلس ليعلم وينصت ليسلم، لا يُحدّث بالأمانة إلّا صدقاً، ولا يكتم الشهادة للبُعداء، ولا يعمل شيئاً من الحقّ رياء ولا يتركه حياءً، إن زُكّي خاف ممّا يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون، ولا يضرّه جهل من جهله».

ورأى ﷺ عليلاً قد بُرِيء، فقال له: «يهنئوك الطهور من الذنوب، إنّ الله قد ذكرك فاذكره، وأقالك فاشكره».

وقال ﷺ: «خمسٌ لو رحلتم فيهنّ لا نفيتموهن[(٣)] - كذا - وما قدرتم على مثلهنّ: لا يخاف عبد إلّا ذنبه، ولا يرجو إلّا ربّه، ولا يستحي[(٤)] الجاهل إذ سئل عمّا[(٥)] لا يعلم أن يتعلّم، والصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، ولا إيمان لمن لا صبر له».

وقال ﷺ: «يقول الله: يا ابن آدم! ارضَ بما آتيتك تكن من أزهد الناس، ابن آدم! إعمل بما افترضتُ عليك تكن من أعبد الناس، ابن آدم! اجتنب عمّا حرّمتُ عليك تكن من

(١) في المصدر قبل وهمه [ويصبح].
(٢) في المصدر [عمّله].
(٣) في المصدر [لأنفيتُموهُنّ].
(٤) في المصدر [لا يستحيي].
(٥) في المصدر [ممّا].

أورع الناس».

وقال عليه السلام: «كم من مفتون بحسن القول فيه؛ وكم من مغرور بحسن السّتر عليه، وكم من مستدرج بالإحسان إليه، وقال: يا سوأتاه لمن غلبت إحداته عشراته، يريد أنّ السيئة بواحدة والحسنة بعشرة».

وقال عليه السلام: «إنّ الدنيا قد ارتحلت مدبرةً، وإنّ الآخرة قد ترحّلت مقبلة، ولكلّ واحدة[1] منهما بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فكونوا من الزاهدين في الدنيا الراغبين في الآخرة، لأنّ الزاهدين اتّخذوا أرض الله بساطاً، والتراب فراشاً، والمدر وساداً، والماء طيباً، وقرضوا المعاش من الدّنيا تقريضاً، اعلموا أنّه من اشتاق الى الجنّة سارع الى الحسنات وسلا عن الشهوات، ومن أشفق من النار بادر بالتوبة الى الله من ذنوبه، وراجع عن المحارم، ومن زهد في الدنيا هانت عليه مصائبها، ولم يكرهها وأنّ لله عزّ وجل لعباداً قلوبهم معلقة بالآخرة وثوابها، وهم كمن رأى أهل الجنّة في الجنة مخلدين منعمين، وكمن رأى أهل النار معذّبين؛ فأُولئك شرورهم وبوائقهم عن الناس مأمونة، وذلك أنّ قلوبهم عن الناس مشغولة بخوف الله، فطرفُهم عن الحرام مغموض، وحوائجهم الى الناس خفيفة، قبلوا اليسير من الله في المعاش وهو القوت، فصبروا أيّاماً قصاراً لطول الحسرة يوم القيامة».

وقال له رجل: إنّي لأُحبّك في الله حبّاً شديداً. فنكّس رأسه ثم قال: «اللهمّ إنّي أعوذ بك أن أُحبّ فيك وأنت لي مبغض» ثم قال له: «أُحبّك للذي تحبّني فيه».

وقال عليه السلام: «إنّ الله ليبغض البخيل والسائل الملحف».

وقال: «ربّ مغرور مفتون يصبح لاهياً ضاحكاً، يأكل ويشرب وهو لا يدري لعلّه قد سبقت له من الله سخطة يَصلى بها نار جهنم».

وقال عليه السلام: «إنّ من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الإقتار، والتوسّع على قدر

---

(١) في المصدر [واحد].

التوسّع، وإنصاف الناس من نفسه وابتداؤه إياهم بالسلام».

وقال عليه السلام: «ثلاث منجيات للمؤمن: كفّ لسانه عن الناس واغتيابهم، وإشغاله نفسه بما ينفعه لآخرته ودنياه، وطول البكاء على خطيئته».

وقال عليه السلام: «نظر المؤمن في وجه أخيه المؤمن للمودّة والمحبّة له عبادة».

وقال عليه السلام: «ثلاث من كنّ فيه من المؤمنين كان في كنف الله وأظلّه الله يوم القيامة في ظلّ عرشه، وآمنه من فزع اليوم الأكبر: من أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم لنفسه، ورجل لم يقدّم يداً ولا رجلاً حتى يعلم أنّه في طاعة الله قدّمها أو في معصيته، ورجل لم يعب أخاه بعيب حتى يترك ذلك العيب من نفسه؛ وكفى بالمرء شغلاً بعيبه لنفسه عن عيوب الناس».

وقال عليه السلام: «ما من شيء أحبّ الى الله بعد معرفته من عفة بطن وفرج، وما شيء أحبّ الى الله من أن يُسأل».

وقال لابنه محمّد عليه السلام: «إفعل الخير الى كلّ من طلبه منك، فإن كان أهله فقد أصبت موضعه، وإن لم يكن بأهل كنت أنت أهله، وإن شتمك رجل عن يمينك ثم تحوّل الى يسارك واعتذر إليك فاقبل عذره».

وقال عليه السلام: «مجالسة الصالحين داعية الى الصلاح، وأدب العلماء زيادة في العقل، وطاعة ولاة الأمر ـ العدل (خ ل) ـ تمام العزّ، واستنماء المال تمام المروءة؛ وإرشاد المستشير قضاء لحقّ النعمة، وكفّ الأذى من كمال العقل وفيه راحة للبدن عاجلاً وآجلاً».

وقال عليه السلام: «سبحان من جعل الاعتراف بالنعمة له حمداً، سبحان من جعل الاعتراف بالعجز عن الشكر شكراً...»[1] الخ.

المنقول من تذكرة ابن حمدون

في كشف الغمة: مما أورده محمّد بن الحسن بن حمدون، في كتاب

---

(١) تحف العقول: ٢٧٨ ـ ٢٨٣.

التذكرة من كلامهعليه السلام قال : «لا يهلك مؤمن بين ثلاث خصال: شهادة أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وشفاعة رسول الله، وسعة رحمة الله عزّ وجلّ».

«خف الله عزّ وجلّ لقدرته عليك، واستحي منه لقربه منك، وإذا صليت فصل صلاة مودّع، وإياك وما تعتذر منه، وخف الله خوفاً ليس بالتعذير».

وقالعليه السلام : «إياك والابتهاج بالذنب، فان الابتهاج به أعظم من ركوبه...»(١) الخ.

المنقول من تذكرة الخواص

قالعليه السلام: «إنّ قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوماً عبدوه رغبةً فتلك عبادة التجّار، وإنّ قوماً عبدوه شكراً فتلك عبادة الأحرار».

وكان يقول : «عجبت للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة، وهو غداً جيفة، وعجبت لمن شكّ في الله وهو يرى عجائب مخلوقاته، وعجبت لمن يشكّ في النشأة الأُخرى وهو يرى النشأة الأُولى، وعجبت لمن عمل لدار الفناء وترك دار البقاء»(٢).

المنقول من الفصول المهمّة

في الفصول المهمّة : من كلامهعليه السلام : «ضلّ من ليس له حكيم يرشده، وذلّ من ليس له سفيه يعضده».

وقال : «أربع لهن ذلّ: البنت ولو مريم، والدين ولو درهم، والغربة ولو ليلة، والسؤال ولو: أين الطريق».

وقالعليه السلام : «عجيب(٣) لمن يحتمي من الطعام لمضرّته، كيف لا يحتمي من الذنب لمعرّته».

---

(١) كشف الغمّة ٢: ٣٢٠.

(٢) تذكرة الخواص : ٣٢٦.

(٣) في المصدر [عجبت].

وقال عليه السلام: «من ضحك ضحكة مُجّ من عقله مجّة علم».

وقال عليه السلام: «إنّ الجسد إذا لم يمرض أشر، ولا خير في جسد يأشر».

وقال عليه السلام: «من قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس».

وعنه عليه السلام يرفعه الى النبيّ صلى الله عليه وآله: «قال إنتظار الفرج عبادة، ومن رضي بالقليل من الرزق رضي الله منه القليل من العمل...»[١] الخ.

حكم ومواعظ متفرقة في حلية الأولياء

بالإسناد عن جعفر بن محمّد عن أبيه عن عليّ بن الحسين عليه السلام: «فقد الأحبّة غربة»[٢].

وروى الشيخ في الأمالي بسنده: قيل لعليّ بن الحسين كيف أصبحت يا ابن رسول الله؟ قال: «أصبحت مطلوباً بثمانٍ: الله تعالى يطلبني بالفرائض، والنبيّ صلى الله عليه وآله بالسنة، والعيال بالقوت، والنفس بالشهوة، والشيطان باتّباعه، والحافظان بصدق العمل، وملك الموت بالروح، والقبر بالجسد، فأنا بين هذه الخصال مطلوب...»[٣] الخ.

وفي كشف الغمة: سمع رجلاً كان يغشاه يذكر رجلاً بسوء فقال: «إيّاك والغيبة فإنّها أدام كلاب النار»[٤].

وفي حياة الحيوان: مات لرجل ولد مسرف على نفسه، فجزع عليه فقال له عليّ بن الحسين عليه السلام: «إنّ من وراء ولدك خلالاً ثلاثاً، شهادة أن لا إله إلّا الله، وشفاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، ورحمة الله»[٥].

---

(١) الفصول المهمّة لابن الصباغ: ١٩٠ ـ بيروت.

(٢) حلية الأولياء ٣: ١٣٤.

(٣) أمالي الطوسي: ٦٤١ / ح ١٣٣٠.

(٤) كشف الغمّة ٢: ٣٢٠.

(٥) حياة الحيوان للدميري ١: ١٣٥.

أدعيته: منتخبات من أدعية الصحيفة الكاملة

من دعائه عليه السلام في التحميد لله عز وجل والثناء عليه

«الحمد لله الأوّل بلا أوّل كان قبله، والآخر بلا آخر يكون بعده، الذي قصرت عن رؤيته أبصار الناظرين، وعجزت عن نعته أوهام الواصفين. ابتدع بقدرته الخلق ابتداعاً، واخترعهم على مشيئته اختراعاً، ثم سلك بهم طريق إرادته، وبعثهم في سبيل محبته، لا يملكون تأخيراً عمّا قدمهم إليه، ولا يستطيعون تقدماً الى ما أخّرهم عنه.

والحمد لله على ما عرّفنا من نفسه، وألهمنا من شكره، وفتح لنا من أبواب العلم بربوبيته، ودلّنا عليه من الاخلاص له في توحيده، وجنّبنا من الإلحاد والشك في أمره.

والحمد لله الذي اختار لنا محاسن الخُلق، وأجرى علينا طيّبات الرزق، وجعل لنا الفضيلة بالملكة على جميع الخلق، فكلّ خليقته منقادة لنا بقدرته، وصائرة الى طاعتنا بعزّته.

والحمد لله الذي ركّب فينا آلات البسط، وجعل لنا أدوات القبض، ومتّعنا بأرواح الحياة، وأثبت فينا جوارح الأعمال، وغذّانا بطيّبات الرزق، وأغنانا بفضله، وأقنانا بمنّه ثم أمرنا ليختبر طاعتنا، ونهانا ليبتليَ شركنا[1]، فخالفنا عن طريق أمره، وركِبنا متون زجره، فلم يبتدرنا بعقوبته، ولم [يعالجنا][2] بنقمته، بل تأنّانا برحمته تكرّماً، وانتظر مراجعتنا برأفته حلماً. فقد وضع عنّا ما لا طاقة لنا به، ولم يكلفنا إلّا وسعاً، ولم يجشّمنا إلّا يسراً، ولم يدع لأحد منّا حجةً ولا عذراً، حمداً لا منتهى لحدّه، ولا حساب لعدده، ولا مبلغ لغايته، ولا انقطاع لأمده، حمداً يكون وصلةً الى طاعته وعفوه، وسبباً الى رضوانه، وذريعةً الى مغفرته، وطريقاً الى جنّته، وخفيراً من نقمته، وعونا على تأدية حقّه ووظائفه»[3].

---

(١) في المصدر [شكْرَنا].

(٢) في المصدر [يُعاجِلنا].

(٣) الصحيفة السجادية: ٢٥ ـ ٢٨ (الدعاء الأول).

من دعائه عليه السلام في الصلاة على رسول الله صلى الله عليه وآله

«اللهمّ فصلِّ على محمّد [وآل محمّد][(١)]، أمينك على وحيك، ونجيبك من خلقك، وصفيّك من عبادك، إمام الرحمة، وقائد الخير، ومفتاح البركة، كما نصب لأمرك نفسه، وعرّض فيك للمكروه بدنه، وكاشف في الدعاء إليك حامّته، وحارب في رضاك أُسرته، وقطع في إحياء دينك رحمه، وأقصى الأدنين على جحودهم، وقرّب الأقصين على استجابتهم لك، ووالى فيك الأبعدين، وعادى فيك الأقربين، وأدْأبَ نفسه في تبليغ رسالتك، وأتعبها بالدّعاء الى ملّتك، وشغلها بالنصح لأهل دعوتك، وهاجر الى بلاد الغربة، ومحل النأي عن موطن رحله، وموضع رجله، ومسقط رأسه ومأنس نفسه إرادة منه لاعزاز دينك، واستنصاراً على أهل الكفر بك، حتى استتبّ له ما حاول في أعدائك، واستتمّ له ما دبّر في أوليائك، فنهد إليهم مستفتحاً بعونك، ومتقوّياً على ضعفه بنصرك، فغزاهم في عقر ديارهم، وهجم عليهم في بحبوحة قرارهم، حتى ظهر أمرك، وعلَت كلمتك، ولو كره المشركون .

اللهمّ فارفعه بما كدح فيك الى الدرجة العُليا من جنتك، حتى لا يُساوى في منزلة، ولا يُكافأ في مرتبة، ولا يوازيه لديك ملك مقرّب ولا نبيّ مرسل، وعرِّفه في أهله الطاهرين، وأُمّته المؤمنين من حسن الشّفاعة أجلّ ما وعدته، يا نافذ العدة، يا وافي القول، يا مُبدّل السيّئات بأضعافها من الحسنات، إنّك ذو الفضل العظيم»[(٢)].

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) الصحيفة السجادية: ٢٩ ـ ٣٠ (الدعاء الثاني) ط. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام باختصار.

من دعائه في الصلاة على اتّباع الرّسل والصحابة والتابعين

«اللهمّ واتبّاع الرسل، ومصدقوهم من أهل الأرض بالغيب في كلّ دهر وزمان أرسلت فيه رسولاً، وأقمت لأهله دليلاً من لدن آدمعليه السلام الى محمدصلى الله عليه وآله من أئمة الهدىٰ وقادة أهل التُّقى، على جميعهم السّلام، فاذكرهم منك بمغفرةٍ ورضوانٍ.

اللهمّ وأصحاب محمّدصلى الله عليه وآله، خاصّة الذين أحسنوا الصّحابة، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكانفوه وأسرعوا الى وفادته، وسابقوا الى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجّة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوّته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلقوا بعروته، وانتفت منهم القرابات إذ سكنوا في ظلّ قرابته، فلا تنس لهم اللهمّ ما تركوا لك وفيك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم، وخروجهم من سعة المعاش الى ضيقه.

اللهمّ وأوصل الى التابعين لهم باحسان ـ الذين يقولون: ﴿ربّنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غلاًّ للذين آمنوا ربّنا إنك رؤوف رحيم﴾(١) ـ خير جزائك، الذين قصدوا سمتهم، وتحرّوا وجهتهم ومضوا على شاكلتهم، لم يثنهم ريب في بصيرتهم، ولم يختلجهم شكّ في قفو آثارهم، والإئتمام بهداية منارهم مكانفين وموازرين لهم، يدينون بدينهم، ويهتدون بهديهم.

اللهمّ وصلّ على التابعين من يومنا هذا الى يوم الدين، وعلى أزواجهم، وعلى ذُرّياتهم، وعلى من أطاعك منهم، صلاة تعصمهم بها من معصيتك، وتفسح لهم بها في رياض جنّتك»(٢).

---

(١) الحشر: ١٠.

(٢) الصحيفة السجادية: ٣٤ ـ ٣٦ (الدعاء الرابع).

من دعائه عليه السلام في الصباح والمساء

الحمد لله الذي خلق اللّيل والنّهار بقوّته، وميّز بينهم[(١)] بقدرته، وجعل لكلّ واحد منهما حدّاً محدوداً، وأمداً ممدوداً، يولج كلّ واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه، بتقدير منه للعباد، فخلق لهم اللّيل ليسكنوا فيه من حركات التّعب ونهضات النصب، وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومنامه، فيكون ذلك لهم جماماً وقوة، ولينالوا به لذّة وشهوة، وخلق لهم النّهار مبصراً ليبتغوا فيه من فضله، وليتسبّبوا الى رزقه، ويسرحوا في أرضه طلبا لما فيه نيل العاجل من دنياهم، ودرك الآجل في أُخراهم، بكل ذلك يصلح شأنهم، ويبلو أخبارهم، وينظر كيف هم في أوقات طاعته، ومنازل فروضه، ومواقع أحكامه، (ليجزي الذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الذين أحسنوا بالحسنى)[(٢)].

اللهمّ فلك الحمد على ما فلقت لنا من الإصباح، ومتّعتنا به من ضوء النّهار، وبصرتنا به من مطالب الأقوات، ووقيتنا فيه من طوارق الآفات. أصبحنا وأصبحت الأشياء كلّها بجملتها لك سماؤها وأرضها، وما بثثت في كلّ واحدة منهما ساكنه ومتحركه، ومقيمهُ وشاخصهُ، وما علا في الهواء، وما كنَّ تحت الثرى. أصبحنا في قبضتك يحوينا ملكك وسلطانك، وتضمّنا مشيئتك، ونتصرف عن أمرك، ونتقلب في تدبيرك ليس لنا من الأمر إلّا ما قضيت، ولا من الخير إلّا ما أُعطيت .

اللهمّ[(٣)] وهذا يوم حادث جديد، وهو علينا شاهدٌ عنيد[(٤)]، إن أحسّنا ودّعنا بحمدٍ، وإن أسأنا فارقنا بذم .

---

(١) في المصدر [بينهما].

(٢) النجم: ٣١.

(٣) ليست في المصدر.

(٤) [عتيد].

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وارزقنا حسن مصاحبته، واعصمنا من سوء مفارقته بارتكاب جريرة، أو اقتراف صغيرة أو كبيرة.

اللهمّ[(١)] صلّ على محمّد وآله، وأجزل لنا فيه من الحسنات، وأخلنا فيه من السيئات، واملأ لنا ما بين طرفيه حمداً وشكراً، وأجراً وذخراً، وفضلاً وإحساناً.

اللهمّ [صلى على محمّد وآله][(٢)] و[(٣)] يسّر على الكرام الكاتبين مؤونتنا، واملأ لنا من حسناتنا صحائفنا، ولا تخزنا عندهم بسوء أعمالنا.

اللهمّ [صلّ على محمّد وآله][(٤)] واجعل لنا في كلّ ساعة من ساعاته حظاً من عبادتك[(٥)]، ونصيباً من شكرك، وشاهد صدق من ملائكتك.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، واحفظنا فيه[(٦)] من بين أيدينا، ومن خلفنا، وعن أيماننا، وعن شمائلنا، ومن جميع نواحينا حفظاً عاصماً من معصيتك، هادياً الى طاعتك، مستعملاً لمحبّتك.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، ووفّقنا في يومنا هذا، وليلتنا هذه، وفي جميع أيّامنا لاستعمال الخير، وهجران الشرّ، وشكر النّعم، واتّباع السُّنن، ومجانبة البدع، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وحياطة الإسلام وإجلاله[(٧)] وانتقاض الباطل وإذلاله، ونصرة الحقّ وإعزازه، وإرشاد الضالّ، ومعاونة الضعيف وإدراك اللهيف»[(٨)].

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) ليست في المصدر.

(٣) ليست في المصدر.

(٤) ليست في المصدر.

(٥) في المصدر [عبادك].

(٦) ليست في المصدر.

(٧) ليست في المصدر.

(٨) الصحيفة السجادية: ٤٠ ـ ٤٢ (الدعاء السادس).

من دعائه عليه السلام لأهل الثغور

«اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وحصّن ثغور المسلمين بعزّتك، وأيّد حماتها بقوّتك، وأسبغ عطاياهم من جدتك.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وكثّر عدّتهم، واشحذ أسلحتهم، واحرس حوزتهم، وامنع حومتهم، وألّف جمعهم، ودبّر أمرهم، واعضدهم بالنصر، وأعنهم بالصبر، والطف لهم في المكر.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وأنسهم عند لقائهم العدو ذكر دنياهم الخدّاعة الغرور، وامحُ عن قلوبهم خطرات المال الفتون، واجعل الجنّة نصب أعينهم حتى لا يهمّ أحد منهم بالإدبار، ولا يحدّث نفسه عن قرنه بفرار.

اللهم أفلُل بذلك عدوّهم، وأقلم عنه(١) أظفارهم.

اللهمّ وأيّما غاز غزاهم من أهل ملّتك أو مجاهد جاهدهم من أتباع سنّتك ليكون دينك الأعلى، وحزبك الأقوى، وحظك الأوفى، فلقّه اليسر، وهيّئ له الأمر، وتولّه بالنجح، وافرغ عليه الصبر، وسهّل(٢) له النصر، وتخيّر له الأصحاب، واستقو له الظهر، وأسبغ عليه في النفقة، ومتّعه بالنشاط، وأطف عنه حرارة الشوق، وأجره من غمّ الوحشة، وأنسه ذكر الأهل والولد، وتولّه بالعافية، واصحبه السلامة، واعفه عن الجبن، وألهمه الجرأة، وارزقه الشدّة، وأيّده بالنصرة، واجعل فكره وذكره وظعنه وإقامته فيك ولك»(٣).

---

(١) في المصدر [عنهم].

(٢) ليست في المصدر.

(٣) الصحيفة السجادية: ١٠٥ ـ ١٠٩ (الدعاء السابع والعشرون) ط. المجمع العالمي لأهل البيت عليهم السلام باختصار.

دعاؤه عليه السلام في الاعتذار من التقصير في حقوق العباد

«اللهمّ إنّي اعتذر إليك من مظلوم ظُلم بحضرتي فلم أنصره، ومن معروف أسدي اليّ فلم أشكره، ومن مسيء إعتذر اليّ فلم أعذره، ومن ذي فاقة سألني فلم أُوثره، ومن حقّ ذي حقّ لزمني لمؤمن فلم أوفّره، ومن عيب مؤمن ظهر لي فلم أستره، ومن كلّ إثم عرض لي فلم أهجره.

فصلّ على محمّد وآله، واجعل ندامتي على ما وقعت فيه من الزلّات، وعزمي على ترك ما يعرض لي من السيّئات، توبة توجب لي محبّتك يا محب التوّابين. آمين رب العالمين وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين»[١].

من دعائه عليه السلام في طلب المغفرة لمن ظلمه

«اللهم صلّ على محمّد وآله، واكسر شهوتي عن كلّ محرم، وازو حرصي عن كلّ مأثم، وامنعني عن أذى كلّ مؤمن ومؤمنة، ومسلم ومسلمة.

اللهمّ وأيّما عبد نال منّي ما حظرت عليه، وانتهك منّي ما حجرت عليه، فاغفر له ما ألمّ به منّي، واجعل ما سمحت به من العفو عنهم، وتبرعت به من الصدقة عليهم، في أزكى صدقات المتصدقين، وأعلى صلات المتقرّبين وعوّضني من عفوي عنهم عفوك، حتى يسعد كلّ واحد منّا بفضلك، وينجو كل منا بمنّك.

اللهمّ وأيّما عبد من عبيدك أدركه منّي درك، أو مسّه من ناحيتي أذى أو لحقه بي أو بسببي ظلم فتّه بحقّه أو سبقته بمظلمته، فصلّ على محمّد وآله، وأرضه عنّي من وجدك، وأوفه حقّه من عندك، ثم قِني ما يوجب له حكمك، وخلّصني ممّا يحكم به عدلك، فإنّ

(١) الصحيفة السجادية: ١٣٦ (الثامن والعشرون).

قوّتي لا تستقل بنقمتك، وإنّ طاقتي لا تنهض بسخطك فإنّك إن تكافني بالحقّ تهلكني، وإن لا[1] تغمدني برحمتك توبقني»[2].

من دعائه عليه السلام إذا دخل شهر رمضان

«الحمد لله الذي هدانا لحمده، وجعلنا من أهله، والحمد لله الذي حبانا بدينه، وزيننا بيقينه، وسبّلنا في سبل إحسانه. والحمد لله الذي جعل من تلك السُّبل شهره شهر رمضان شهر الصيام، وشهر الإسلام، وشهر الطهور، وشهر التمحيص، وشهر القيام ﴿الذي أُنزل فيه القرآن هُدىً للناس وبيّنات من الهدىٰ والفرقان﴾[3] فأبان فضيلته على سائر الشّهور، بما جعل له من الحرمات الموفُورة، والفضائل المشهورة فحرّم فيه ما أحلّ في غيره إعظاماً، وحجر فيه المطاعم والمشارب إكراماً».

ثم فضح[4] ليلة واحدة من لياليه على ليالي ألف شهر وسمّاها ليلة القدر.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وألهمنا معرفة فضله، وإجلال حرمته، والتحفّظ ممّا حظرت فيه، وأعنّا على صيامه بكفّ الجوارح عن معاصيك، واستعمالها فيه بما يرضيك حتى لا نُصغي بأسماعنا الى لغوٍ، ولا نسرع بأبصارنا الى لهوٍ، وحتى لا نبسط أيدينا الى محظورٍ، ولا نخطو بأقدامنا الى محجورٍ، وحتى لا تعي بطوننا إلّا ما أُحللت، ولا تنطق ألسنتنا إلّا بما مثّلت، ولا نتكلّف إلّا ما يدني من ثوابك، ولا نتعاطى إلّا الذي يقي من عقابك، ثم خلّص ذلك كلّه من [رئاء المرائين][5]، وسمعة المسمعين، لا نشرك فيه أحداً دونك، ولا

---

(١) [و إلّا].

(٢) الصحيفة السجادية: ١٣٧ ـ ١٣٨ (الدعاء التاسع والثلاثون).

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) في المصدر [فضّل].

(٥) في المصدر [رياء المرائينَ].

نبتغي فيه مراداً سواك.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وقفنا فيه على مواقيت الصلوات الخمس بحدودها التي حدّدت، وفروضها التي فرضت، ووظائفها التي وظّفت، وأوقاتها التي وقّت، وأنزلنا فيها منزلة المصيبين لمنازلها الحافظين لأركانها المؤدّين لها في أوقاتها على ما سنّه محمّد عبدك ورسولك صلواتك عليه وآله في ركوعها وسجودها، وجميع فواصلها على أتمّ الطهور، وأسبغه، وأبين الخشوع وأبلغه. ووفّقنا فيه لأن نصل أرحامنا بالبرّ والصّلة، وأن نتعاهد جيراننا بالإفضال والعطية، وأن نُخلّص أموالنا من الشّبهات[1] والتّبعات، وأن نُطهّرها باخراج الزكاة، وأن نُراجع من هاجرنا، وأن ننصف من ظلمنا، وأن نسالم من عادانا، حاشا من عودي فيك ولك، فإنّه العدو الذي لا نواليه، والحزب الّذي لا نصافيه، وأن نتقرب إليك فيه من الأعمال الزاكية بما تطهّرنا به من الذنوب، وتعصمنا فيه ممّا نستأنف من العيوب، حتى لا يورد عليك أحد من ملائكتك إلّا دون ما نورد من أبواب الطاعة لك، وأنواع القربة إليك»[2].

من دعائه عليه السلام في وداع شهر رمضان

«اللهم يا من لا يرغب في الجزاء، ويا من لا يندم على العطاء، ويا من لا يكافيء عبده على السواء، منّتك ابتداء، وعفوك تفضل، وعقوبتك عدل، إن أعطيت لم تشب عطاءك بمن، وإن منعت لم يكن منعك تعدياً. تشكر من شكرك، وأنت ألهمته شكرك، وتكافيء من حمدك، وأنت علّمته حمدك، تستر على من لو شئت فضحته، وتجود على من لو شئت منعته، وكلاهما أهل منك للفضيحة والمنع، غير أنّك بنيت أفعالك على التفضّل، وأجريت قدرتك

(١) ليست في المصدر.

(٢) الصحيفة السجادية: ١٥٠ ـ ١٥٢ (الدعاء الرابع والأربعون).

على التجاوز، وتلقيت من عصاك بالحلم، وأمهلت من قصد لنفسه بالظلم، أنت الذي فتحت لعبادك باباً الى عفوك وسميّته التوبة، وجعلت على ذلك الباب دليلاً من وحيك لئلا يضلّوا عنه، فقلت تبارك اسمك: ﴿توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربّكم أن يكفّر عنكم سيّئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار يوم لا يخزي الله النبيّ والذين آمنوا معه نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم يقولون ربّنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنّك على كلّ شيء قدير﴾[١] فما عذر من أغفل دخول ذلك المنزل بعد فتح الباب، وإقامة الدّليل عليه.

وأنت الذي زدت في السّوم على نفسك لعبادك، فقلت تبارك اسمك وتعاليت: ﴿مَن جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى إلّا مثلها﴾[٢] وقلت: ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبّة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبّة والله يضاعف لمن يشاء﴾[٣] وقلت: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾[٤] وما أنزلت من نظائرهن في القرآن من تضاعيف الحسنات.

اللهمّ وأنت جعلت من صفايا تلك الوظائف، وخصائص تلك الفروض شهر رمضان الذي اختصصته من سائر الأيام[٥] والشّهور، وتخيّرته من جميع الأزمنة والدهور، وآثرته على كلّ أوقات السّنة بما أنزلت فيه من القرآن والنّور، وضاعفت فيه من الإيمان، وفرضت فيه من الصّيام، ورغّبت فيه من القيام، وأجللت فيه من ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، ثم آثرتنا به على سائر الأمم، واصطفيتنا بفضله دون أهل الملل، فصمنا بأمرك نهاره، وقمنا بعونك ليله متعرّضين بصيامه وقيامه لما عرّضتنا له من رحمتك، وقد أقام فينا هذا الشهر

(١) التحريم :٨.

(٢) الأنعام: ١٦٠.

(٣) البقرة: ٢٦١ .

(٤) البقرة: ٢٤٥.

(٥) ليست في المصدر.

مقام حميد، وصحبنا صحبة مبرور؛ ثم قد فارقنا عند تمام وقته وانقطاع مدّته، ووفاء عدده، فنحن مُودِّعوه وداع من عزّ فراقه علينا، وغمّنا وأوحشنا إنصرافه عنّا، ولزمنا له الذِّمام المحفوظ، والحرمة المرعيّة، والحقّ المقضيّ، فنحن قائلون: السّلام عليك يا شهر الله الأكبر، ويا عيد أوليائه الأعظم[١]، السّلام عليك يا أكرم مصحوب من الأوقات، ويا خير شهر في الأيّام والساعات، السّلام عليك من شهر قَرُبت فيه الآمال، ونُشرت فيه الأعمال، وزُكّيت[٢] فيه الأموال، السّلام عليك من قرين جلّ قدره موجوداً، وأفجع فقده مفقوداً، ومرجوّ آلم فراقه، السّلام عليك من مجاور رقّت فيه القلوب، وقلّت فيه الذّنوب، السّلام عليك من ناصر أعان على الشيطان، وصاحب سهّل سُبُل الإحسان. السلام عليك ما أكثر عُتقاء الله فيك، وما أسعد من رعى حُرمتك بك. السّلام عليك ما كان أمحاك للذّنوب، وأسترك لأنواع العيوب! السّلام عليك من شهر لا تُنافسه الأيام، السّلام عليك من شهر هو من كلّ أمر سلام. السّلام عليك غير كَرِيه المصاحبة ولا ذَميم الملابسة. السلام عليك كما وفدت علينا بالبركات، وغسلت عنا دنس الخطيئات. السّلام عليك غير مودّع برماً، ولا متروك صيامه سأماً. السلام عليك من مطلوب قبل وقته، ومحزون عليه قبل فوته. السّلام عليك كم من سوء صُرف بك عنّا، وكم من خير أُفيض بك علينا. السّلام عليك وعلى ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. السلام عليك ما كان أحرصنا بالأمس عليك، وأشدّ شوقنا غداً إليك. السّلام عليك وعلى فضلك الذي حرمناه، وعلى ماض من بركاتك سلبناه.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، واجبر مصيبتنا بشهرنا، وبارك لنا في يوم عيدنا وفطرنا، واجعله من خير يوم مرّ علينا، أجلبه لعفو، وأمحاه لذنب، واغفر لنا ما خفي من ذنوبنا وما علن.

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) ليست في المصدر.

اللهمّ إنّا نتوب إليك في يوم فطرنا الذي جعلته للمؤمنين عيداً وسروراً، ولأهل ملّتك مجمعاً ومحتشداً، من كلّ ذنب أذنبناه، أو سوء أسلفناه، أو خاطر شرّ أضمرناه، توبة من لا ينطوي على رجوع الى ذنب، ولا يعود بعدها في خطيئة، توبة خصوصا[1] خلصت من الشّكّ والإرتياب، فتقبلها منّا، وارض عنّا وثبتنا عليها[2].

من دعائه عليه السلام في مكارم الأخلاق

«اللهمّ صلّ على محمّد [وآل محمّد][3]، واكفني ما يشغلني الإهتمام به، واستعملني بما تسألني غداً عنه، واستفرغ أيّامي فيما خلقتني له، واغنني وأوسع عليّ في رزقك، ولا تفتني بالبطر[4]، واعزّني، ولا تبتلني بالكبر، وعبّدني لك، ولا تفسد عبادتي بالعجب، وأجرِ للناس على يدي الخير، ولا تمحقه بالمنّ وهب لي معالي الأخلاق، واعصمني من الفخر.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، ولا ترفعني في الناس درجة إلّا حططتني عند نفسي مثلها، ولا تحدث لي عزّاً ظاهراً إلّا أحدثت له[5] ذلّة باطنة عند نفسي بقدرها.

اللهمّ لا تدع خصلة تُعاب منّي إلّا أصلحتها، ولا عائبة اؤنّب بها إلّا أحسنتها، ولا أكرومة فيّ ناقصة إلّا أتممتها.

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، واجعل لي يداً على مَن ظلمني، ولساناً على من خاصمني، وظفراً بمن عاندني، وهب لي مكراً على من كايدني، وقدرة على من اضطهدني، وسلامة ممّن توعّدني، ووفّقني لطاعة من سدّدني، ومتابعة من أرشدني.

---

(١) في المصدر [نَصُوحاً].

(٢) الصحيفة السجادية: ١٥٥ ـ ١٦٤ (الدعاء الخامس والأربعون). باختصار.

(٣) في المصدر [وآله].

(٤) في المصدر [بالنَّظرِ].

(٥) في المصدر [لي].

اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد، وسدّدني لأن أعارض من غشّني بالنصح، وأجزي من هجرني بالبرّ، وأثيب من حرمني بالبذل، وأكافيء من قطعني بالصلة، وأخالف من اغتابني الى حسن الذكر، وأن أشكر الحسنة، وأغضي عن السيئة .

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وحلّني بحلية الصالحين، وألبسني زينة المتّقين في بسط العدل، وكظم الغيظ، وإطفاء النائرة، وضمّ أهل الفرقة وإصلاح ذات البين، وإفشاء العارفة، وستر العائبة، ولين العريكة، وخفض الجناح، وحسن السيرة، وسكون الريح، وطيب المخالقة، والسبق الى الفضيلة، وإيثار التفضّل، وترك التعيير والإفضال على غير المستحقّ، والقول بالحقّ وإن عزّ، واستقلال الخير وإن كثر من قولي وفعلي، واستكثار الشرّ وإن قلّ من قولي وفعلي، وأكمل ذلك لي بدوام الطاعة، ولزوم الجماعة، ورفض أهل البدع، ومستعملي الرأي المخترع .

[اللهمّ صلّ على محمّد وآل محمّد][1] ، واجعلني أصول بك عند الضرورة، وأسألك عند الحاجة، وأتضرّع إليك عند المسكنة، ولا تفتني بالاستعانة بغيرك إذا اضطررت، ولا بالخضوع لسؤال غيرك إذا افتقرت، فاستحق بذلك خذلانك ومنعك وإعراضك يا أرحم الراحمين .

اللهمّ اجعل ما يُلقي الشيطان في روعي من التمنّي والتظنّي والحسد ذكراً لعظمتك، وتفكراً في قدرتك ، وتدبيراً على عدوّك، وما أجرىٰ على لساني من لفظة فحش أو هجر أو شتم عرض أو شهادة باطل، أو اغتياب مؤمن غائب، أو سبّ حاضر، وما أشبه ذلك نطقاً بالحمد لك، وإغراقاً في الثناء عليك، وذهاباً في تمجيدك، وشكراً لنعمتك، واعترافاً بإحسانك، وإحصاء لمنّتك .

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، ولا أُظلمن وأنت مطيق للدفع عنّي، ولا أظلمنّ وأنت القادر

---

(١) ليست في المصدر.

على القبض مني، ولا أضلن وقد أمكنتك هدايتي، ولا افتقرنّ ومن عندك وسعي، ولا أطغينّ ومن عندك وجدي.

اللهمّ وأنطقني بالهدى، وألهمني التقوى، ووفّقني للتي هي أزكى، واستعملني بما هو أرضى.

اللهمّ أسلك بي الطريقة المثلى، واجعلني على ملّتك أموت وأحيا.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، ومتّعني بالاقتصاد، واجعلني من أهل السداد، ومن أدلة الرشاد، ومن صالحي العباد، وارزقني فوز المعاد، وسلامة المرصاد.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وامنعني من السرف، وحصّن رزقي من التلف، وأصب بي سبيل الهداية للبرّ فيما أنفق منه.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وصُن وجهي باليسار، ولا تبتذل جاهي بالإقتار، فاسترزق أهل رزقك واستعطي شرار خلقك، فافتتن بحمد من أعطاني، وأبتلى بذمّ من منعني وأنت من دونهم وليّ الإعطاء والمنع.

اللهمّ صلّ على محمّد وآله، وارزقني صحة في عبادة، وفراغاً في زهادة، وعلماً في استعمال، وورعاً في إجمال»[١].

دعاؤه عليه السلام في الاستعاذة من المكاره وسّيء الأخلاق ومذام الأفعال

«اللهمّ إنّي أعوذ بك من هيجان الحرص، وسورة الغضب، وغلبة الحسد، وضعف الصبر، وقلّة القناعة، وشكاسة الخلق، وإلحاح الشهوة، وملكة الحمية، ومتابعة الهوى، وسنة الغفلة، وتعاطي الكلفة، وإيثار الباطل على الحقّ، والإصرار على المأثم، واستصغار

(١) الصحيفة السجادية: ٧٧ ـ ٨٤ (الدعاء العشرون).

المعصية، واستكبار الطاعة، ومباهاة المكثرين، والإزراء بالمقلّين، وسوء الولاية لمن تحت أيدينا، وترك الشكر لمن اصطنع العارفة عندنا،(١) وأن نعضد ظالماً أو نخذل ملهوفاً، أو نروم ما ليس لنا بحقّ، أو نقول في العلم بغير علم، ونعوذ بك أن ننطوي على غشّ أحد، وأن نعجب بأعمالنا، ونعوذ بك من سوء السريرة، واحتقار الصغيرة، وأن يستحوذ علينا الشيطان، أو ينكبنا الزمان، أو يتهضمنا السلطان، ونعوذ بك من تناول الإسراف، ومن فقدان الكفاف، ونعوذ بك من شماتة الأعداء، ومن الفقر الى الأكفاء، ومن معيشة في شدّة، وميتة على غير عدّة، ونعوذ بك من الحسرة العظمى والمصيبة الكبرى، وأشقى الشقاء، وسوء المآب، وحرمان الثواب، وحلول العقاب.

اللهمّ صلِّ على محمّد وآله، وأعذني من كلّ ذلك برحمتك وجميع المؤمنين والمؤمنات يا أرحم الراحمين(٢).

من دعائه عليه السلام في طلب التوبة

«اللهمّ يا من لا يصفه نعت الواصفين، ويا من لا يجاوزه رجاء الراجين، هذا مقام من تداولته أيدي الذنوب، وقادته أزمة الخطايا حتى إذا انفتح له بصر الهدى، وتقشعت عنه سحائب العمى، فرأى كبير عصيانه كبيراً، وجليل مخالفته جليلاً، فأقبل بطمعه يقيناً، وقصدك بخوفه إخلاصاً، واستغاث بك من عظيم ما وقع به في علمك من ذنوب أدبرت لذّاتها، فذهبت وأقامت تبعاتها، فلزمت لا ينكر يا إلهي عدلك إن عاقبته، ولا يستعظم عفوك إن عفوت عنه ورحمته، فها أنا ذا قد جئتك مطيعاً لأمرك، فيما أمرت به من الدعاء، متنجزاً وعدك فيما وعدت به من الإجابة، إذ تقول: ﴿ادعوني استجب لكم﴾(٣).

---

(١) في المصدر [أو أن].

(٢) الصحيفة السجادية: ٤٦ ـ ٤٧ (الدعاء الثامن).

(٣) غافر: ٦٠.

اللهمّ إنّي أتوب إليك في مقامي هذا من كبائر ذنوبي وصغائرها، وبواطن سيّئاتي وظواهرها، وسوالف زلّاتي وحوادثها، توبة من لا يحدث نفسه بمعصية، ولا يضمر أن يعود [بعدها][(١)] في خطيئة، وقد قلت يا إلهي في محكم كتابك: إنّك تقبل التوبة عن عبادك، وتعفو عن السيّئات، وتحب التوّابين، فاقبل توبتي كما وعدت، واعف عن سيئاتي كما ضمنت، وأوجب لي محبّتك كما شرطت، ولك يا ربّ شرطي أن لا أعود في مكروهك، وضماني أن لا أرجع في مذمومك، وعهدي أن أهجر جميع معاصيك.

اللهمّ، وأنّه لا وفاء لي بالتوبة إلّا بعصمتك، ولااستمساك بي عن الخطايا إلّا عن قوّتك، فقوّني بقوة كافية، وتولّني بعصمة مانعة.

اللهمّ [و][(٢)] أيّما عبد [من عبادك][(٣)] تاب إليك وهو في علم الغيب عندك فاسخ لتوبته، وعائد في ذنبه وخطيئته، فإنّي أعوذ بك أن أكون كذلك، فاجعل توبتي هذه توبة موجبة لمحو ما سلف، والسلامة فيما بقي.

اللهمّ وإنّي أتوب اليك من كلّ ما خالف إرادتك، أو زال عن محبّتك من خطرات قلبي، ولحظات عيني، وحكايات لساني، توبة تسلم بها [من][(٤)] كلّ جارحة على حيالها من تبعاتك، وتأمن ممّا يخاف المعتدون من أليم سطواتك.

اللهمّ إن يكن الندم توبة إليك فأنا أندم النادمين، وإن يكن الترك لمعصيتك إنابة فأنا أوّل المنيبين، وإن يكن الاستغفار حطّة للذنوب فإنّي لك من المستغفرين[(٥)].

---

(١) ليست في المصدر.

(٢) ليست في المصدر.

(٣) ليست في المصدر.

(٤) ليست في المصدر.

(٥) الصحيفة السجادية: ١١٦ ـ ١٢١. باختصار (الدعاء الحادي والثلاثون).

منتخبات من غير الصحيفة الكاملة

من دعاء السحر الطويل في شهر رمضان

«إلٰهي لا تؤدّبني بعقوبتك، ولا تمكر بي في حيلتك، من أين لي الخير يا ربّ، ولا يوجد إلّا من عندك، ومن أين لي النجاة ولا تستطاع إلّا بك، لا الذي أحسن استغنى عن عونك ورحمتك، ولا الذي أساء واجترأ عليك ولم يرضك، خرج عن قدرتك، بك عرفتك، وأنت دللتني عليك، ودعوتني إليك، ولو لا أنت لم أدرِ ما أنت .

الحمد لله الذي أدعوه فيجيبني، وإن كنت بطيئاً حين يدعوني. والحمد لله الذي أسأله فيعطيني، وإن كنت بخيلاً حين يستقرضني. والحمد لله الذي أُناديه كلّما شئت لحاجتي، وأخلو به حيث شئت لسرّي بغير شفيع فيقضي لي حاجتي. والحمد لله الذي أدعوه ولا أدعو غيره، ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي. والحمد لله الذي أرجوه ولا أرجو غيره، ولو رجوت غيره لأخلف رجائي. والحمد لله الذي وكلني إليه فأكرمني، ولم يكلني الى الناس فيهينوني. والحمد لله الذي تحبّب إليّ وهو غنيّ عنّي. والحمد لله الذي يحلم عنّي حتى كأنّي لا ذنب لي، فربّي أحمد شيء عندي، وأحقّ بحمدي، أي ربّ جللني بسترك، واعف عن توبيخي بكرم وجهك، فلو اطّلع اليوم على ذنبي غيرك ما فعلته، ولو خفت تعجيل العقوبة لاجتنبته، لا لأنّك أهون الناظرين إلي، وأخفّ المطّلعين عليَّ، بل لأنّك يا ربّ خير الساترين، وأحكم الحاكمين، وأكرم الأكرمين، يا حليم، يا كريم، يا حيّ يا قيوم، يا غافر الذنب، يا قابل التوب، يا عظيم المنّ، يا قديم الإحسان، أين سترك الجميل، أين عفوك الجليل، أين فرجك القريب، أين غياثك السريع، أين رحمتك الواسعة، أين عطاياك الفاضلة، أين مواهبك الهنيئة، أين صنائعك السنيّة، أين فضلك العظيم، أين منّك الجسيم، أين إحسانك القديم، أين كرمك يا كريم، لسنا نتكل في النجاة من عقابك على أعمالنا، بل بفضلك علينا، لأنّك أهل التقوى وأهل المغفرة، تبتدئ بالإحسان نعماً، وتعفو عن الذنب

كرماً، فما ندري ما نشكر أجميل ما تنشر، أم قبيح ما تستر، أم عظيم ما أبليت وأوليت، أم كثير ما منه نجيت وعافيت، وأي جهل يا ربّ لا يسعه جودك، وأي زمان أطول من أناتك، فوعزّتك يا سيدي لو انتهرتني ما برحت عن بابك، ولا كففت عن تملّقك لما انتهى إليّ من المعرفة بجودك وكرمك، يا غفّار بنورك اهتدينا، وبفضلك استغنينا، وبنعمتك أصبحنا وأمسينا، ذنوبنا بين يديك، نستغفرك اللهمّ منها ونتوب إليك، تتحبّب إلينا بالنعم، ونعارضك بالذنوب، خيرك إلينا نازل، وشرّنا إليك صاعد، ولم يزل ولا يزال ملك كريم يأتيك عنّا بعمل قبيح، فلا يمنعك ذلك من أن تحوطنا بنعمتك، وتفضّل علينا بآلائك، فسبحانك ماأحلمك، وأعظمك، وأكرمك مبدئاً ومعيداً، سيّدي أنا الصغير الذي ربيته، وأنا الجاهل الذي علمته، وأنا الضالّ الذي هديته، وأنا الوضيع الذي رفعته، وأنا الخائف الذي آمنته، وأنا الجائع الذي أشبعته، وأنا العطشان الذي أرويته، وأنا العاري الذي كسوته، وأنا الفقير الذي أغنيته، وأنا الضعيف الذي قويّته، وأنا الذليل الذي أعززته، وأنا السقيم الذي شفيته، وأنا السائل الذي أعطيته، وأنا المذنب الذي سترته، وأنا الخاطىء الذي أقلته، وأنا القليل الذي كثّرته، وأنا المستضعف الذي نصرته، وأنا الطريد الذي آويته، أنا يا ربّ الذي لم أستحيك في الخلاء، ولم أُراقبك في الملأ، أنا صاحب الدواهي العظمى، أنا الذي على سيّده اجترأ، أنا الذي عصيت جبّار السماء، أنا الذي أمهلتني فما ارعويت، وسترت عليّ فما استحييت، وعملت بالمعاصي فتعديت، واسقطتني من عينك فما باليت، فبحلمك أمهلتني، وبسترك سترتني، حتى كأنّك استحييتني، إلهي لم أعصك حين عصيتك، وأنا لربوبيتك جاحد، ولا بأمرك مستخف، ولا لعقوبتك متعرّض، ولا بوعيدك متهاون، ولكن خطيئة عرضت وسوّلت لي نفسي، وغلبني هواي، وأعانني عليها شقوتي، وغرّني سترك المرخى عليّ.

اللهمّ بذمّة الإسلام أتوسّل إليك، وبحرمة القرآن أعتمد عليك، وبحبّي النبيّ الأُميّ القرشي الهاشميّ العربيّ التّهامي المكّي المدني أرجو الزلفة لديك، فلا توحش استئناس

إيماني، ولا تجعل ثوابي ثواب من عبد سواك، فإن قوماً آمنوا بألسنتهم ليحقنوا به دماءهم، فأدركوا ما أمّلوا وإنّا آمنا بك بألسنتنا وقلوبنا لتعفو عنّا، فادركنا ما أمّلنا، وثبت رجاءك في صدورنا، و﴿لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهاب﴾[1].

فوعزتك لو انتهرتني ما برحت عن بابك، ولا كففت عن تملّقك لما اُلهم قلبي من المعرفة بكرمك، وسعة رحمتك، الى مَن يذهب العبد إلّا الى مولاه، والى من يلتجئ المخلوق إلّا الى خالقه، إلهي لو قرنتني بالأصفاد، ومنعتني سيبك من بين الأشهاد، ودللت على فضائحي عيون العباد، وأمرت بي الى النار، وحلت بيني وبين الأبرار ما قطعت رجائي منك، ولا صرفت وجه تأميلي للعفو عنك، ولا خرج حبّك من قلبي، أنا لا أنسى أياديك عندي، وسترك عليّ في دار الدنيا، فمن يكون أسوأ حالاً منّي، إن أنا نقلت على مثل حالي الى قبري، ولم أمهده لرقدتي، ولم أفرشه بالعمل الصالح لضجعتي، وما لي لا أبكي ولا أدري الى ما يكون مصيري، وأرى نفسي تخادعني، وأيّامي تخاتلني، وقد خفقت عند رأسي أجنحة الموت، فما لي لا أبكي، أبكي لخروج نفسي، أبكي لحلول رمسي، أبكي لظلمة قبري، أبكي لضيق لحدي، أبكي لسؤال منكر ونكير إيّاي، أبكي لخروجي من قبري عُرياناً ذليلاً، حاملاً ثقلي على ظهري، أنظر مرّة عن يميني، ومرة عن شمالي، إذ الخلائق في شأن غير شأني ﴿لكل أمرئ منهم يومئذٍ شأن يُغنيه* وجوه يومئذٍ مسفرة* ضاحكة مستبشرة* ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة﴾[2] وذلة .

إلهي، ارحمني إذا انقطعت حجّتي، وكَلّ عن جوابك لساني، وطاش عند سؤالك إيّاك[3] لُبي .

(١) آل عمران: ٨

(٢) عبس: ٣٧ ـ ٤١.

(٣) في المصدر [إياي].

إلهي، إن عفوت فمن أولى منك بالعفو، وإن عذّبت فمن أعدل منك في الحكم، ارحم في هذه الدنيا غربتي، وعند الموت كربتي، وفي القبر وحدتي، وفي اللحد وحشتي، وإذا نُشرت للحساب بين يديك ذلّ موقفي، وارحمني صريعاً على الفراش تقلّبني أيدي أحبّتي، وتفضّل عليّ ممدوداً على المغتسل يغسّلني صالح جيرتي، وتحنّن عليّ محمولاً قد تناول الأقرباء أطراف جنازتي، وجد عليّ منقولاً قد نزلت بك وحيداً في حفرتي، وارحم في ذلك البيت الجديد غربتي.

إلهي، أنت الذي تفيض سيبك على من لا يسألك، وعلى الجاحدين بربوبيتك، فكيف سيّدي بمن سألك وأيقن أنّ الخلق لك، والأمر إليك .

إلهي، أنت الذي لا يحفيك سائل، ولا ينقصك نائل، أنت كما تقول، وفوق ما تقول .

اللهمّ إنّي أسألك صبراً جميلاً، وفرجاً قريباً، وقولاً صادقاً، وأجراً عظيماً، أسألك يا ربّ يا من الخير كلّه، ما علمت منه، وما لم أعلم، اعطني سؤالي في نفسي وأهلي ووالديّ وولدي وأهل حزانتي وإخواني فيك، وأرغد عيشي، وأظهر مروءتي، وأصلح جميع أحوالي، واجعلني ممّن أطلت عمره، وحسنت عمله، وأتممت نعمتك عليه، ورضيت عنه، وأحييته حياة طيّبة في أدوم السرور، وأسبغ الكرامة، وأتمّ العيش، إنّك تفعل ما تشاء، ولا يفعل ما يشاء غيرك، ولا تجعل شيئاً ممّا أتقرّب به إليك في آناء الليل وأطراف النّهار، رئاءً ولا سمعةً ولا شراً ولا بطراً، واجعلني لك من الخاشعين .

اللهمّ، أعطني السعة في الرزق، والأمن في الوطن، وقرة العين في الأهل، والمال والولد، والمقام في نعمك عندي، والصحة في الجسم، والقوة في البدن، والسلامة في الدين .

إلهي، وسيّدي، وعزّتك وجلالك لئن طالبتني بذنوبي، لأطالبنك بعفوك، ولئن طالبتني

بجرمي، لأُطالبنك بكرمك، ولئن أدخلتني النار، لاخبرنّ أهل النار بحبّي لك .

إلهي، وسيّدي إن كنت لا تغفر إلّا لأوليائك وأهل طاعتك، فإلى من يفزع المذنبون، وإن كنت لا تكرم إلّا أهل الوفاء بك، فبمن يستغيث المسيئون .

إلهي، إن أدخلتني النار، ففي ذلك سرور عدوّك، وإن أدخلتني الجنّة ففي ذلك سرور نبيّك، وأنا والله أعلم أنّ سرور نبيّك أحبّ إليك من سرور عدوّك .

اللهمّ، أعطني بصيرة في دينك، وفهماً في حكمك، وفقهاً في علمك، وورعاً يحجزني عن معصيتك، وبيّض وجهي، واجعل رغبتي فيما عندك .

اللهمّ، إني أعوذ بك من الكسل والفشل، والهم والجبن، والبخل والغفلة، والقسوة والذلة، والمسكنة والفقر والفاقة، وكلّ بلية، والفواحش ما ظهر منها وما بطن، وأعوذ بك من نفس لا تقنع، وبطن لا يشبع، وقلب لا يخشع، ودعاء لا يُسمع، وعمل لا ينفع، وصلاة لا ترفع .

اللهمّ، إنّك أنزلت في كتابك العفو، وأمرتنا أن نعفو عمّن ظلمنا، وقد ظلمنا أنفسنا، فاعف عنّا فإنّك أولى بذلك منّا، وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً، فلا تردّني إلّا بقضاء حاجتي، وأمرتنا بالإحسان الى ما ملكت أيماننا، ونحن أرقّاؤك فأعتق رقابنا من النار»[1].

وفي حلية الأولياء

كان يقول : «اللهمّ إنّي أعوذ بك أن تحسن في لوائح العيون علانيتي، وتقبح في خفيّات العيون سريرتي. اللهمّ كما أسأتُ وأحسنتَ إليّ فإذا عدتُ فعدْ عليّ»[2].

وفي الإرشاد بسنده عن عبدالله بن محمّد التميمي قال : سمعت شيخاً من

---

(١) الصحيفة السجادية: ٢١٤ ـ ٢٣٤ باختصار، مصباح المتهجد: ٥٨٢ ـ ٥٩٨ / ح ٦٩١ باختصار، إقبال الأعمال ١: ١٥٧ ـ ١٧٥ وفي الجمع تفاوت يسير باللفظ.

(٢) حلية الأولياء ٣: ١٣٤.

عبدالقيس يقول: قال طاووس : دخلت الحجر في الليل فإذا عليّ بن الحسين عليه السلام قد دخل فقام يُصلّي ما شاء الله، ثم سجد فقلت: رجل صالح من أهل البيت لاستمعنّ الى دعائه فسمعته يقول في سجوده :

«عُبيدك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، سائلك بفنائك» .

قال طاووس : فما دعوت بهنّ في كرب إلّا فرّج عنّي[1].

ما أثر عنه من الشعر

فمنه قوله :

نحن بنو المصطفى ذوو غصص ... يجرعها في الأنام كاظمنا

عظيمة في الأنام محنتنا ... أوّلنا مبتلى وآخرنا

يفرح هذا الورى بعيدهم ... ونحن أعيادنا مآتمنا

والناس في الأمن والسرور ... وما يأمن طول الزمان خائفنا

وما خصصنا به من الشرف ... الطائل بين الأنام آفتنا

يحكم فينا والحكم فيه لنا ... جاحدنا حقّنا وغاصبنا[2]

ونسب إليه ابن شهرآشوب في المناقب قوله :

لكم ما تدعون بغير حقّ إذا ... ميز الصحاح من المراض

عرفتم حقّنا فجحدتمونا ... كما عرف السواد من البياض

كتاب الله شاهدنا عليكم ... وقاضينا الإله فنعم قاض[3]

---

(١) الإرشاد ٢: ١٤٣ ـ ١٤٤.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٥٦.

(٣) المصدر السابق ٤: ١٧٤.

سيرة الإمام
محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أبو جعفر محمّد الباقر بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام

خامس ائمة أهل البيت الطاهر عليهم السلام .

مولده ووفاته ومدة عمره، ومدفنه

ولد بالمدينة يوم الجمعة، أو الثلاثاء، أو الاثنين غرّة رجب، أو ثالث صفر سنة (٥٧) من الهجرة[١] . وقيل (٥٦ هـ)[٢].

وتوفي بالمدينة يوم الإثنين سابع ذي الحجة، أو في ربيع الأوّل أو الآخر سنة (١١٤ هـ) وعمره ٥٧ سنة، منها مع جدّه الحسين أربع سنين، ومع أبيه بعد جدّه الحسين ٣٥ سنة، وبعد أبيه ١٨ سنة .

وفي رواية الكافي عن الصادق عليه السلام: ١٩ سنة وشهران وهي مدة إمامته[٣] وهي بقية مُلك الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبدالعزيز، ويزيد بن عبد الملك، وتوفي في ملك هشام بن عبد الملك. كذا

(١) انظر الكافي ١: ٤٦٩ وإعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٩٨، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢١٠، وكشف الغمة ٢: ٣٢٩، ومطالب السؤول ٢: ١٠٠.

(٢) انظر تاريخ مدينة دمشق ٥٤: ٢٩٥ . (وقال: قرأت في كتاب الى أن قال: وفي سنة (١١٣ هـ) توفي محمّد بن عليّ بن الحسين، ويكنّى أبا جعفر.) ولم نعثر على القول الذي ذكره المصنف في الكتب التي بين أيدينا.

(٣) الكافي ١: ٤٧٢ / ح٦.

في إعلام الورى[١] وهو الصواب لما ستعرف .

وفي مناقب ابن شهرآشوب قبض سنة (١١٤ هـ) وله ٥٧ سنة، وأقام مع جدّه الحسين ثلاث سنين، أو أربع سنين، ومع أبيه ٣٤ سنة وعشرة أشهر، أو ٣٩ سنة، وبعد أبيه ١٩ سنة، وقيل ١٨ وذلك أيام إمامته . وكان في سني إمامته ملك الوليد بن يزيد، وسليمان، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك وهشام أخيه، والوليد بن يزيد، وإبراهيم أخيه، وفي أوّل ملك إبراهيم قبض.

وقال أبو جعفر ابن بابويه: سمّه إبراهيم بن الوليد بن يزيد[٢]... الخ. هكذا في نسختين، وفيه من سهو القلم منه أو من النسّاخ أو منهما ما لا يخفى. فالوليد ابن يزيد واحد، وهو المذكور أخيراً والمذكور أوّلاً صوابه: الوليد بن عبدالملك، وقوله : والوليد بن يزيد... إلخ، صوابه الوليد بن يزيد بن عبدالملك، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وإبراهيم أخيه، ثمّ إنّ هشاماً توفي سنة (١٢٥هـ)[٣]، وإبراهيم وليّ وقتل سنة (١٢٧ هـ)[٤] ، فإذا كان الباقر عليه السلام قبض سنة (١١٤ هـ) كما ذكره هو فوفاته في ملك هشام لا إبراهيم.

وفي كشف الغمة قال محمّد بن عمرو : أما في روايتنا فإنّه مات سنة (١١٧ هـ) وقال غيره: سنة (١١٨ هـ)[٥]...الخ.

ودفن بالبقيع مع أبيه عليّ بن الحسين وعمّه الحسن بن عليّ عليهما السلام[٦].

---

(١) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٩٨ ـ ٤٩٩.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢١٠ .

(٣) مروج الذهب ٣: ٢٠٥.

(٤) المصدر السابق ٣: ٢٠٥.

(٥) كشف الغمّة ٢: ٣٣٢.

(٦) مطالب السؤول ٢: ١٠٧، الفصول المهمّة: ٢٠٩، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٩٨.

أمّه:

وأُمّه فاطمة بنت الحسن بن علي عليه السلام، وتكنّى أُمّ عبدالله[١]. وقيل: أُمّ الحسن[٢]. وهو هاشمي من هاشميين، علوي من علويين، فاطمي من فاطميين[٣] . لأنه أوّل من اجتمعت له ولادة الحسن والحسين عليهما السلام.

كنيته: أبو جعفر ويقال أبو جعفر الأوّل[٤].

لقبه: له ألقاب كثيرة أشهرها : الباقر أو باقر العلم.

سبب تلقيبه بالباقر

في الفصول المهمّة : لقب به لبقره العلم: وهو تفجره وتوسعه[٥]...الخ.

وفي الصحاح : التبقر التوسع في العلم[٦]... الخ .

وفي القاموس : الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين لتبحّره في العلم[٧]...الخ .

وفي لسان العرب : لقّب به لأنه بقر العلم وعرف أصله واستنبط فرعه وتوسّع فيه، والتبقّر التوسع[٨]... الخ.

وفي صواعق ابن حجر : سمي بذلك من بقر الأرض، أي شقّها وأثار

---

(١) الطبقات الكبرى ٥: ٣٢٠.

(٢) كشف الغمة ٢: ٣٢٩.

(٣) الإرشاد ٢: ٢٩٤، إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٩٨.

(٤) جامع الرواة ٢: ٤٦٢، كشف الغمة ٢: ٣٢٩.

(٥) الفصول المهمّة: ٢٠٠.

(٦) الصحاح ٢: ٥٩٤ (مادة بقر).

(٧) القاموس المحيط ١: ٣٧٦ (مادة بقر).

(٨) لسان العرب ٤: ٧٤ (مادة بقر).

مخبآتها ومكامنها، فكذلك هو أظهر من مخبآت كنوز المعارف، وحقائق الأحكام، والحكم واللطائف، ما لا يخفى إلّا على منطمس البصيرة، أو فاسد الطوية والسريرة، ومن ثم قيل فيه: هو باقر العلم، وجامعه، وشاهر علمه، ورافعه[١]... الخ .

وفي تذكرة الخواص : إنّما سمي الباقر من كثرة سجوده، بقر السجود جبهته، أي فتحها ووسعها، وقيل : لغزارة علمه[٢]. ثم نقل كلام الصحاح .

وروى الصدوق في علل الشرائع بسنده عن عمرو بن شمر : سألت جابر الجعفي فقلت له : لم سمي الباقر باقراً؟ قال : لأنه بقر العلم بقراً، أي شقّه شقاً وأظهره إظهارا[٣].

وفي مناقب ابن شهرآشوب : يقال : لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من العلوم، ما ظهر منه من التفسير والكلام والفتيا والأحكام والحلال والحرام، قال محمّد بن مسلم : سألته عن ثلاثين ألف حديث[٤].

نقش خاتمه

روى الصدوق في العيون والأمالي بسنده عن الرضا عليه السلام: «كان نقش خاتم الحسين عليه السلام إنّ الله بالغ أمره، وكان عليّ بن الحسين يتختّم بخاتم أبيه الحسين ،وكان محمّد ابن عليّ يتختّم بخاتم الحسين»[٥]... الخبر .

---

(١) الصواعق المحرقة: ٢٠١.

(٢) تذكرة الخواص: ٣٠٢.

(٣) علل الشرائع ١: ٢٣٣ /ح١، باب ١٦٨.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٩٥.

(٥) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٦١ / ح٢٠٦، أمالي الصدوق: ٥٤٣ / ح٧٢٦.

وفي الفصول المهمّة : نقش خاتمه ﴿ربِّ لا تذرني فرداً﴾[1] قال : ونقل الثعلبي في تفسيره : إنّ الباقر نقش على خاتمه هذه الكلمات : ظنّي بالله حسن، وبالنبيّ المؤتمن؛ وبالوصيّ ذي المنن، وبالحسين والحسن[2] . ورواه في العيون بسنده عن الرضا عن أبيه عن جعفر بن محمّد عليهم السلام[3] مثله .

وروى الشيخ في التهذيب بسنده عن الصادق عليه السلام : «كان نقش خاتم أبي: ﴿العزة لله جميعاً﴾»[4].

وفي حلية الأولياء بسنده عن الصادق عليه السلام : «كان في خاتم أبي : القوة لله جميعاً»[5].

وفي الكافي بسنده عن يونس بن ظبيان، وحفص بن غياث : كان في خاتم أبي جعفر محمّد بن عليّ ـ وكان خير محمّدي رأيته ـ : العزة لله[6].

وفي مكارم الأخلاق من كتاب اللباس عن أبي عبدالله عليه السلام : «كان نقش خاتم أبي جعفر عليه السلام العزة لله»[7].

ولعلّه كان له عدّة خواتيم، على كل منها نقش غير ما على الآخر .

شاعره :

كثير عزّة، والكميت، وأخوه الورد، والسيد الحميري[8].

---

(١) الأنبياء: ٨٩.

(٢) الفصول المهمّة: ٢٠١.

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٠ ـ ٣١ /ح ١٥ .

(٤) تهذيب الأحكام ١: ٣١ ـ ٣٢ / ح٨٣

(٥) حلية الأولياء ٣: ١٨٦.

(٦) الكافي ٦: ٤٧٣ / ح٢ باب نقش الخواتيم.

(٧) مكارم الأخلاق ١: ٢٠٤ / ح ٦١٠.

(٨) معالم العلماء: ١٥١ ـ ١٥٢، وانظر الفصول المهمّة: ٢٠٠. وقال الشيخ المفيد في الفصول المختارة: ٢٩٩: وكان كثير عزّة كيسانياً، ومات على ذلك.

بوّابه:

جابر الجعفي[١].

ملوك عصره

الوليد بن عبد الملك، وسليمان بن عبد الملك، وعمر بن عبد العزيز، ويزيد بن عبد الملك، وهشام بن عبد الملك[٢]؛ وزاد بعضهم: الوليد بن يزيدبن عبد الملك، ويزيد بن الوليد بن عبد الملك، وإبراهيم بن الوليد بن عبد الملك[٣].

أولاده

قال المفيد في الإرشاد : ولد لأبي جعفر سبعة أنفس أبو عبدالله جعفر بن محمّد، وكان به يكنّى، وعبدالله بن محمّد أُمّهما أُم فروة بنت القاسم بن محمّد ابن أبي بكر، وإبراهيم وعبيد الله درجا[٤]، أُمّهما أُم حكيم بنت أسد بن المغيرة الثقفية، وعليّ وزينب لأُم ولد، وأُمّ سلمة لأُم ولد[٥]... الخ. وقيل : إنّ زينب هي أُمّ سلمة. حكاه في إعلام الورى[٦] .

وقال ابن شهرآشوب في المناقب : أولاده سبعة وعدّهم، كالإرشاد. إلّا أنّه قال : وعبدالله الأفطح ـ ثم قال ـ : درجوا كلهم إلّا أولاد الصادق عليه السلام[٧].

---

(١) الفصول المهمّة: ٢٠١.

(٢) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٤٩٨ ـ ٤٩٩.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢١٠.

(٤) درجا: درج الرجل إذا مات ولم يخلّف نسلاً، وفي الفصول المهمّة درجا في حياته.

(٥) الإرشاد ٢: ١٧٦.

(٦) إعلام الورى بأعلام الهدى ١: ٥١١.

(٧) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢١٠ ـ ٢١١.

صفته في خلقه ولباسه

في مناقب ابن شهرآشوب : كان ربع القامة؛ رقيق[١] البشرة، جعد الشعر، أسمر له خال على خدّه، وخال أحمر على جسده، ضامر الكشح، حسن الصوت، مطرق الرأس[٢].

وفي الفصول المهمّة : أسمر معتدل[٣] .

صفته في أخلاقه وأطواره

نتقلها من كلمات العلماء ومضامين الأخبار الآتية وإن لزم بعض التكرار.

قال ابن شهرآشوب في المناقب :كان أصدق الناس لهجة، وأحسنهم بهجة، وأبذلهم مهجة[٤]... الخ.

وكان أقل أهل بيته مالاً، وأعظمهم مؤونة ؛ وكان يتصدّق كل جمعة بدينار، وكان يقول : «**الصدقة يوم الجمعة تضاعف لفضل يوم الجمعة على غيره من الأيام**»[٥] . وكان إذا أحزنه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا فأمّنوا[٦].

وكان كثير الذكر، كان يمشي وإنه ليذكر الله، ويأكل الطعام وإنه ليذكر الله، ولقد كان يحدّث القوم وما يشغله ذلك عن ذكر الله، وكان يجمع ولده فيأمرهم بالذكر، حتى تطلع الشمس، ويأمر بالقراءة من كان يقرأ منهم، ومن

(١) في المصدر [دقيق].

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢١٠.

(٣) الفصول المهمّة: ٢٠٠.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢٠٨.

(٥) ثواب الأعمال للصدوق: ١٨٥، بحار الأنوار ٤٦: ٢٩٤ / ح٢٣.

(٦) الكافي ٢: ٤٨٧ / ح٣، بحار الأنوار ٤٦: ٢٩٧ / ح٢٨.

كان لا يقرأ منهم أمره بالذكر(١).

ويأتي قول المفيد: وكان ظاهر الجود في الخاصة والعامة، مشهور الكرم في الكافة، معروفاً بالتفضّل والإحسان مع كثرة عياله، وتوسط حاله(٢).

ويأتي عن سليمان بن دمدم: أنهعليه السلام كان يجيز بالخمسمئة درهم الى الستمئة الى الألف، وكان لا يملّ من صلة إخوانه، وقاصديه، ومؤمّليه، وراجيه(٣).

وكان إذا ضحك قال: «اللهم لا تمقتني»(٤).

وقال الآبي في كتاب نثر الدرر: كان إذا رأى مُبتلىً أخفى الإستعاذة، وكان لا يسمع من داره: يا سائل بورك فيك، ولا يا سائل خذ هذا، وكان يقول: «سمّوهم بأحسن أسمائهم»(٥).

مناقبه وفضائله

أحدها: العلم

في كشف الغمة عن الحافظ عبد العزيز بن الأخضر الجنابذي في كتابه معالم العترة الطاهرة عن الحكم بن عتيبة في قوله تعالى: ﴿إنّ في ذلك لآيات للمتوسّمين﴾(٦) قال: كان والله محمّد بن عليّ منهم(٧). ويأتي قول أبي زرعة:

---

(١) الكافي ٢: ٤٩٩ / ح ١، بحار الأنوار ٤٦: ٢٩٧ ـ ٢٩٨ / ح ٢٩.

(٢) الإرشاد ٢: ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الكافي ٢: ٦٦٤ / ح ١٣، الوسائل ١٢: ١١٤، ح ٢، باب ٨١ أبواب أحكام العشرة.

(٥) نثر الدرر للآبي ١: ٣٤٥ تحقيق محمّد قرنة.

(٦) الحجر: ٧٥.

(٧) كشف الغمة ٢: ٣٣٣.

لعمري إن أبا جعفر لمن أكبر العلماء[١].

وعن أبي نعيم في الحلية : أنه سأل رجل ابن عمر عن مسألة، فلم يدر ما يجيبه، فقال : اذهب الى ذلك الغلام فسله، وأعلمني بما يجيبك. وأشار الى الباقر عليه السلام فسأله، فأجابه، فأخبر ابن عمر فقال : إنّهم أهل بيت مُفهَّمون[٢].

وفي حلية الأولياء : حدّثنا محمّد بن أحمد بن الحسين، حدّثنا محمّد بن عثمان ابن أبي شيبة، حدّثنا إبراهيم بن محمّد بن أبي ميمون، حدّثنا أبو مالك الجهني عن عبدالله بن عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه متعلّم[٣].

وفي إرشاد المفيد : أخبرني الشريف أبو محمّد الحسن بن محمّد، حدّثني جدّي، حدّثنا محمّد بن القاسم الشيباني، حدّثنا عبد الرحمن بن صالح الأزدي، عن أبي مالك الجهني، عن عبدالله بن عطاء المكّي: ما رأيت العلماء عند أحد قطّ أصغر منهم عند أبي جعفر محمّد بن عليّ بن الحسين، ولقد رأيت الحكم ابن عتيبة[٤] مع جلالته في القوم بين يديه كأنه صبي بين يدي معلّمه[٥].

وفي تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي قال عطاء : ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنّه عصفور مغلوب.

---

(١) الإرشاد ٢: ١٦٣، المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٧٨.

(٢) لم نعثر عليه في النسخة التي بين أيدينا. نقله عنه المجلسي في بحار الأنوار ٤٦: ٢٨٩، ذيل الحديث ١٢، وذكره ابن شهرآشوب في المناقب ٤: ١٩٧. دون أن ينقله عن الحلية.

(٣) حلية الأولياء ٣: ١٨ ط. الخامسة (١٩٨٧م).

(٤) بالمثاة الفوقية ثم الموحدة مصغرة.

(٥) الإرشاد ٢: ١٦٠.

قال : يعني بالحكم : الحكم بن عتيبة، وكان عالماً نبيلاً جليلاً في زمانه[١]...الخ .

وقد روي ذلك عن عطاء؛ كما سمعت؛ أما أبو نعيم والمفيد، فروياه عن عبدالله بن عطاء كما سمعت، وكذا محمّد بن طلحة في مطالب السؤول[٢].

ويكفي في ذلك تلقيبه بباقر العلم كما مرّ، واشتهاره بهذا اللقب بين الخاص والعام في كل عصر وزمان.

وفي مناقب ابن شهرآشوب قال محمّد بن مسلم: سألته عن ثلاثين ألف[٣] حديث، وروى المفيد في الاختصاص بسنده عن جابر الجعفي: حدثني أبو جعفر سبعين ألف حديث، لم أحدث بها أحداً أبداً[٤].

وقال المفيد : لم يظهر عن أحد من ولد الحسن والحسين عليهما السلام من علم الدين، والآثار، والسنّة، وعلم القرآن، والسيرة، وفنون الآداب، ما ظهر عنه[٥] الى آخر ما ذكره . وسيأتي ذكر من أخذ عنه من عظماء المسلمين، من الصحابة، والتابعين، والفقهاء، والمصنفين، وغيرهم .

وقد أخذ العلماء عنه، واقتدوا به، واتبعوا أقواله، واستفادوا من فقهه وحججه البيّنات في التوحيد والفقه والكلام .

فيما جاء عنه في التوحيد :

ما رواه المدائني قال : أتى أعرابي أبا جعفر محمّد بن عليّ فقال له : هل

(١) تذكرة الخواص: ٣٠٢.

(٢) مطالب السؤول ٢: ١٠٤.

(٣) المناقب ٤: ١٩٥.

(٤) الاختصاص للمفيد: ٦٦.

(٥) الإرشاد ٢: ١٥٧.

رأيت الله حين عبدته قال : «ماكنت لأعبد شيئاً لم أره» قال : فكيف رأيته؟ قال: «لم تره الأبصار مشاهدة العيان، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لا يجور في قضيته، هو الله الذي لا إله إلّا هو» فقال الأعرابي: الله أعلم حيث يجعل رسالته[1].

وممّا جاء عنه في الاحتجاج: احتجاجه على محمّد بن المنكدر من مشاهير زهّاد ذلك العصر وعبّاده. قال المفيد في الإرشاد : أخبرني الشريف أبو محمّد الحسن بن محمّد، حدّثني جدّي عن يعقوب بن يزيد، حدّثنا محمّد بن أبي‌عمير، عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبدالله عليه السلام قال : «إنّ محمّد بن المنكدر كان يقول : ماكنت أرى أنّ مثل عليّ بن الحسين يدع خلفاً؛ لفضل عليّ بن الحسين، حتى رأيت ابنه محمّد بن عليّ، فأردت أن أعظه فوعظني .

خرجت الى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة، فلقيت محمّد بن عليّ وكان رجلاً بديناً، وهو متكيء على غلامين له، فقلت في نفسي : شيخ من شيوخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدّنيا، والله لاعظنّه، فدنوت منه فسلمت عليه، فسلّم عليّ ببهر[2] وقد تصبّب عرقاً، فقلت : أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدّنيا، لو جاء[3] الموت وأنت على هذه الحال! فخلّى عن الغلامين من يده ثم تساند وقال: لو جاءني والله الموت وأنا في هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعات الله، أكفّ بها عن نفسي عنك وعن الناس، وإنّما كنت أخاف الموت لو جاءني وأنا على

(١) عنه في تاريخ مدينة دمشق ٥٤: ٢٨٢ . وفيه إختلاف يسير باللفظ.

(٢) البهر: تتابع النفس. الصحاح ٢: ٥٩٨ (مادة بهر).

(٣) في المصدر [جاءك].

معصية من معاصي الله، فقلت: يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني»[١].

ورواه الكليني في الكافي عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً عن ابن أبي عمير، عن عبدالرحمن بن الحجاج عن أبي عبدالله عليه السلام مثله[٢].

أقول: معنى «قوله: أردت ان أعظك فوعظتني». أنّ ابن المنكدر هذا كان من المتصوفة، أمثال طاووس اليماني، وإبراهيم بن أدهم، وغيرهما، وكان يصرف أوقاته في العبادة، ويترك الكسب فيكون كلّاً على الناس، فأراد أن يعظ الباقر عليه السلام بأنّه لا ينبغي له أن يخرج في مثل ذلك الوقت في طلب الدّنيا. فأجابه بأنّ خروجه في طلب المعاش ليكفّ نفسه عن الناس من أفضل العبادات، كان في هذا الكلام موعظة لابن المنكدر بأنّه مخطيء في ترك الكسب، وإلقاء كلّه على الناس، واشتغاله بالعبادة، فلهذا قال: أردت أن أعظك فوعظتني؛ ولهذا ورد عن الصادقين عليهما السلام: «الأمر بالكسب والنهي عن إلقاء الكلّ على الناس، وإن من يشتغل بالعبادة ويقوم غيره بنفقته، فالقائم بنفقته عبادته أقوى وافضل»[٣].

وروى الإمام الصادق عليه السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنه قال: «ملعون ملعون من ألقى كله على الناس»[٤].

واحتجاجه على نافع بن الأزرق من رؤساء الخوارج، وإليه تنسب الأزارقة منهم.

---

(١) الإرشاد ٢: ١٦١ ـ ١٦٢.

(٢) الكافي ٥: ٧٣ ـ ٧٤ / ح ١.

(٣) انظر الوسائل ١٧: ١٩ ـ ٢٤، أبواب مقدمات التجارة، باب ٤ و ٥. وهذه مضامين مجموعة من الأحاديث.

(٤) الكافي ٤: ١٢ / ح ٩.

قال المفيد في الإرشاد : وجاءت الأخبار أنّ نافع بن الأزرق جاء الى محمّد ابن عليّ، فجلس بين يديه يسأله عن مسائل في الحلال والحرام، فقال له أبو جعفر عليه السلام في عرض كلامه : «قُل لهذه المارقة: بِمَ استحللتم فراق أميرالمؤمنين، وقد سفكتم دماءكم بين يديه في طاعته، والقربة الى الله بنصرته؟! فسيقولون لك: إنّه حكّم في دين الله، فقل لهم: قد حكم الله تعالى في شريعة نبيّه صلى الله عليه وآله رجلين من خلقه، فقال: ﴿فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يُريدا إصلاحاً يوفّق الله بينهما﴾[1].

وحكّم رسول الله صلى الله عليه وآله سعد بن معاذ في بني قريظة، فحكّم فيهم بما أمضاه الله.

أوما علمتم أنّ أميرالمؤمنين إنّما أمر الحكمين أن يحكما بالقرآن، ولا يتعدّياه، واشترط ردّ ما خالف القرآن من أحكام الرّجال، وقال حين قالوا له: حكّمت على نفسك من حكم عليك. فقال : ما حكّمت مخلوقاً وإنّما حكّمت كتاب الله؛ فأين تجد المارقة تضليل من أمر بالحكم بالقرآن واشترط رد ما خالفه؟! لو لا ارتكابهم في بدعتهم البهتان!» فقال نافع بن الأزرق : هذا والله كلام ما مرّ بسمعي قطّ، ولا خطر مني ببال، وهو الحقّ إن شاء الله[2].

واحتجاجه على عبدالله بن نافع بن الأزرق من الخوارج. روى الكليني في الكافي بسنده : إنّ عبدالله بن نافع بن الأزرق كان يقول : لو أنّي علمت أنّ بين قطريها أحداً تبلغني إليه المطايا يخصمني أنّ علياً قتل أهل النهروان، وهو لهم غير ظالم، لرحلت إليه. فقيل له : ولا ولده؟ فقال : أفي ولده عالم؟ فقيل له : هذا أوّل جهلك، وهل يخلونّ من عالم؟! قال : فمن عالمهم اليوم؟ قيل : محمّد ابن عليّ بن الحسين بن عليّ. فرحل إليه في صناديد أصحابه

---

(١) النساء: ٣٥.

(٢) الإرشاد ٢: ١٦٤ ـ ١٦٥.

حتى أتى المدينة فاستأذن على أبي جعفر، فقيل له : هذا عبدالله بن نافع، قال : «وما يصنع بي وهو يبرأ منّي ومن أبي طرفي النهار؟» فقال له أبو بصير الكوفي : جعلت فداك إنّ هذا يزعم أنّه لو علم أنّ بين قطريها أحداً تبلغه المطايا إليه يخصمه أنّ عليّاً قتل أهل النهروان وهو لهم غير ظالم لرحل إليه ، فقال له أبو جعفر : «أتراه جاءني مناظراً؟» قال : نعم ! قال : «يا غلام أخرج فحطّ رحله، وقل له : إذا كان الغد فائتنا» .

فلما أصبح عبدالله بن نافع غدا في صناديد أصحابه، وبعث أبو جعفر عليه السلام الى جميع أبناء المهاجرين والأنصار، فجمعهم ثم خرج الى الناس، وأقبل عليهم كأنّه فلقة قمر، فخطب، فحمد الله وأثنى عليه، وصلّى على رسوله صلى الله عليه وآله ثم قال : «الحمد لله الذي أكرمنا بنبوّته ؛ واختصّنا بولايته؛ يا معشر أبناء المهاجرين والأنصار، من كانت عنده منقبة لعليّ بن أبي طالب فليقم وليتحدث»، فقام الناس فسردوا تلك المناقب. فقال عبدالله : أنا أروىٰ لهذه المناقب من هؤلاء، وإنّما أحدث عليّ الكفر بعد تحكيمه الحكمين. حتى انتهوا الى حديث خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كرّاراً غير فرّار لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» فقال أبو جعفر عليه السلام : «ما تقول في هذا الحديث؟» قال : هو حقّ لا شكّ فيه، ولكن أحدث الكفر بعدُ. فقال له أبو جعفر عليه السلام : «ثكلتك أمك أخبرني عن الله عزّ وجل: أحبّ عليّ بن أبي طالب يوم أحبّه وهو يعلم أنه يقتل أهل النهروان، أم لم يعلم؟ فإن قلت: لا، كفرت»، فقال : قد علم ، قال : «فأحبّه الله على أن يعمل بطاعته أو على أن يعمل بمعصيته» فقال : على أن يعمل بطاعته ، فقال له أبو جعفر : «قم مخصوماً» فقام وهو يقول : ﴿حتى يتبيّن لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾[1] الله أعلم

(١) البقرة: ١٨٧.

حيث يجعل رسالته(١).

واحتجاجه على قتادة بن دعامة البصري، وقتادة هذا ذكره ابن حجر في تهذيب التهذيب وذكر الثناء عليه في الحفظ والفقه وغيرهما(٢).

روى الكليني في الكافي بسنده عن أبي حمزة الثمالي: كنت جالساً في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ أقبل رجل فسلّم، فقال: من أنت عبدالله؟ قلت: رجل من أهل الكوفة، فما حاجتك؟ قال: أتعرف أبا جعفر محمّد بن عليّ؟ قلت: نعم فما حاجتك اليه إذا كنت تعرف ما بين الحق والباطل؟ فقال لي: يا أهل الكوفة أنتم قوم ما تطاقون إذا رأيت أبا جعفر فأخبرني فما انقطع كلامه، حتى أقبل أبو جعفر عليه السلام وحوله أهل خراسان، وغيرهم يسألونه عن مناسك الحج، فمضى حتى جلس مجلسه، وجلس الرجل قريباً منه، فجلست حيث أسمع الكلام، وحوله عالم من الناس، فلما قضى حوائجهم وانصرفوا، التفت الى الرجل فقال له: من أنت؟ قال له: أنا قتادة بن دعامة البصري؛ فقال له أبو جعفر عليه السلام: «أنت فقيه أهل البصرة؟» قال: نعم. فقال: «ويحك يا قتادة إنّ الله عزّ وجلّ خلق خلقاً فجعلهم حججاً على خلقه، فهم أوتاد في أرضه، قُوّام أمره، نجباء في علمه، اصطفاهم قبل خلقه، أظلة عن يمين عرشه».

فسكت قتادة طويلاً ثم قال: أصلحك الله، والله لقد جلست بين يدي الفقهاء وقدّام ابن عباس، فما اضطرب قلبي قدّام أحد منهم ما اضطرب قدّامك، فقال له أبو جعفر: «أتدري أين أنت؟ أنت بين يدي ﴿... بُيوتٍ أَذِنَ الله أن تُرفع ويُذكر فيها اسمُهُ يُسبّح له فيها بالغدوّ والآصال * رجال لا تلهيهم تجارةٌ ولا بيعٌ عن ذكر

(١) الكافي ٨: ٢٨٨ ـ ٢٨٩ / ح٥٤٨.

(٢) تهذيب التهذيب: ٣١٥/٨ / ٦٣٧.

الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة﴾(١) فأنت ثَمَّ ونحن أُولئك».

فقال له قتادة : صدقت والله ـ جعلني الله فداك ـ ما هي بيوت حجارة ولا طين، قال : فأخبرني عن الجبن ، فتبسم أبو جعفرعليه السلام وقال : «رجعت مسائلك الى هذا» قال : ضلّت عنّي، فقال : «لا بأس به» فقال :إنّه ربّما جعلت فيه انفحة الميت. قال : «ليس بها بأس، إنّ الأنفحة ليس لها عروق، ولا فيها دم، ولا لها عظم، إنّما تخرج من بين فرث ودم» ثم قال : «وإنّما الأنفحة بمنزلة دجاجة ميّتة أُخرجت منها بيضة، فهل تأكل تلك البيضة؟» قال قتادة : لا ولا آمر بأكلها . فقال له أبو جعفرعليه السلام : «وَلِمَ؟» قال : لأنها من الميتة. فقال له : «فإن حضنت تلك البيضة، فخرجت منها دجاجة أتاكلها؟» قال : نعم. قال : «فما حرم عليك البيضة وأحل لك الدجاجة» ثم قال : «كذلك الانفحة مثل البيضة فاشتر الجبن من أسواق المسلمين من أيدي المصلّين، ولا تسأل عنه إلّا أن يأتيك من يخبرك عنه»(٢).

احتجاجه على عبدالله بن معمر الليثي في المتعة

في كشف الغمة عن الآبي في كتاب نثر الدرر أنه قال : روي أنّ عبدالله بن معمر الليثي قال لأبي جعفرعليه السلام : بلغني أنّك تفتي في المتعة فقالعليه السلام : «أحلّها الله في كتابه، وسنّها رسول الله صلى الله عليه وآله ، وعمل بها أصحابه» فقال عبدالله : فقد نهى عنها عمر. قال : «فأنت على قول صاحبك، وأنا على قول رسول الله صلى الله عليه وآله» قال عبداللهعليه السلام : فيسرك أنّ نساءك فعلن ذلك؟ قال أبو جعفر : «وما ذكر النساء يا أنوك! إن الذي أحلّها في كتابه وأباحها لعباده أغْيَر منك، وممن نهى عنها تكلّفاً، بل ويسرّك إنّ بعض حرمك

---

(١) النور: ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) الكافي ٦: ٢٥٦ ـ ٢٥٧ ح١.

تحت حائك من حاكة يثرب نكاحاً؟» قال : لا. قال : «فلم تُحرّم ما أحل الله؟» قال : لا أُحرّم ولكن الحائك ما هو لي بكفؤ. قال : «فإنّ الله ارتضى عمله ورغب فيه وزوّجه حوراً أفترغب عمّن رغب الله فيه، وتستنكف ممن هو كفوء لحور الجنان كبراً وعتوّاً؟» فضحك عبدالله ، وقال: ما أحسب صدوركم إلّا منابت أشجار العلم، فصار لكم ثمره وللناس ورقه[1].

ثانيها: الحلم

عن المناقب قال له رجل من أهل الكتاب: أنت بقر؟ قال : «لا، أنا باقر» قال : أنت ابن الطبّاخة؟ قال : «ذاك حرفتها» قال : أنت ابن السوداء الزنجية البذية! قال : «إن كنت صدقت غفر الله لها، وإن كنت كذبت غفر الله لك»[2].

ثالثها: التسليم لأمر الله

روى أبو نعيم في الحلية بسنده قال محمّد بن عليّ: «ندعو الله فيما نحبّ، فإذا وقع الذي نكره لم نخالف الله عزّ وجلّ فيما أحبّ»[3].

رابعها: الجود والسخاء

قال المفيد في الإرشاد : وكان مع ما وصفناه من العلم والسؤدد والرياسة والإمامة، ظاهر الجود في الخاصة والعامة، مشهور الكرم في الكافة، معروفاً بالتفضل والإحسان مع كثرة عياله وتوسط حاله .

---

(١) كشف الغمة ٢: ٣٦١.

(٢) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢٠٧.

(٣) حلية الأولياء ٣: ١٨٧.

حدثني الشريف أبو محمّد الحسن بن محمّد، حدثني جدّي، حدثنا أبونصر، حدثني محمّد بن الحسين، حدثنا أسود بن عامر، حدثنا حنان[١] بن عليّ، عن الحسن بن كثير: شكوت الى أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام الحاجة، وجفاء الإخوان فقال: «بئس الأخ أخاً يرعاك غنياً ويقطعك فقيراً» ثم أمر غلامه فأخرج كيساً فيه سبعمئة درهم، وقال: «استنفق هذه فإذا نفذت فأعلمني».

قال: وقد روىٰ محمّد بن الحسين: حدثنا عبدالله بن الزبير، قال: حدّثونا عن عمرو بن دينار، وعبدالله بن عبيد بن عمير، إنّهما قالا: ما لقينا أباجعفر محمّد بن عليّ إلّا وحمل إلينا النفقة والصلة والكسوة ويقول: «هذه مُعَدَّة لكم قبل أن تلقوني».

قال: وروى أبو نعيم النخعي، عن معاوية بن هشام، عن سليمان بن دمدم[٢]: كان أبو جعفر محمّد بن عليّ يجيزنا بالخمسمئة درهم الى الستمئة الى الألف درهم وكان لا يملُّ من صلة إخوانه وقاصديه ومؤمّليه وراجيه... الخ الإرشاد[٣].

وفي مطالب السؤول عن الحافظ عبد العزيز ابن الأخضر الجنابذي في معالم العترة، عن سلمى مولاة أبي جعفر عليه السلام قالت: كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب، ويلبسهم الثياب الحسنة، ويهب لهم الدراهم، فأقول له في بعض ما يصنع، فيقول: «يا سلمى ما يؤمّل في الدنيا بعد المعارف والإخوان»[٤] ـ وفي رواية مطالب السؤول ـ فأقول

(١) في المصدر [حبان].

(٢) في المصدر [قرم].

(٣) الإرشاد ٢: ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٤) عنه في كشف الغمة ٢: ٣٣٣.

له في ذلك ليقلّ منه، فيقول : «يا سلمى ما حسنة الدنيا إلّا صلة الإخوان والمعارف»(١).

خامسها: كثرة الصدقات

روى الصدوق في ثواب الأعمال بسنده عن أبي عبدالله عليه السلام: «كان أبي أقل أهل بيته مالاً، وأعظمهم مؤونة، وكان يتصدّق كلّ جمعة بدينار، وكان يقول: الصدقة يوم الجمعة تضاعف، كفضل يوم الجمعة على غيره من الأيام»(٢).

سادسها: الهيبة في القلوب

عن المناقب عن أبي حمزة الثمالي في خبر : لما كانت السنة التي حج فيها أبو جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام، ولقيه هشام بن عبد الملك أقبل الناس ينثالون عليه، فقال عكرمة : مَن هذا؟ عليه سيماء زهرة العلم لأجربنّه! فلما مثل بين يديه ارتعدت فرائصه، وأُسقط في يده، وقال : يا ابن رسول الله لقد جلستُ مجالس كثيرة بين يدي ابن عباس، وغيره، فما أدركني ما أدركني آنفاً! فقال له أبو جعفر عليه السلام : «ويلك يا عبيد أهل الشام! إنك بين يدي ﴿... بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه﴾(٣)(٤).

بعض ما روي من طريقه في إرشاد المفيد : روي عنه عن آبائه عليهم السلام «إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقول : «أشد الأعمال ثلاثة، مواساة الإخوان في المال ، وإنصاف الناس من نفسك ، وذكر الله على كل حال»(٥).

---

(١) مطالب السؤول ٢: ١٠٥. ولم ينقل الخبر عن الجنابذي.

(٢) ثواب الأعمال للصدوق: ١٨٥.

(٣) النور: ٣٦.

(٤) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٨٢.

(٥) الإرشاد ٢: ١٦٧ .

أخباره وبعض ما روي عنه من الأخبار

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن أبي جعفر عليه السلام قال: «شيعتنا ثلاثة أصناف: صنف يأكلون الناس بنا، وصنف كالزجاج يتهشّم، وصنف كالذهب الأحمر كلّما دخل النار إزداد جودة»[1]... الخ.

وقال الآبي في نثر الدرر: هنّأ رجلاً بمولود فقال: «أسأل الله أن يجعله خلفاً معك وخلفاً بعدك، فإن الرجل يخلف أباه في حياته ومماته».

وقال: أدّب الله محمّداً صلى الله عليه وآله وسلم أحسن الأدب فقال: ﴿خُذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[2] فلمّا وعى قال: ﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾[3][4].

وفي حلية الأولياء بسنده عن عبيد الله بن الوليد: قال لنا أبو جعفر محمّد بن عليّ: «يدخل أحدكم يده في كُمّ صاحبه، فيأخذ ما يريد؟» قلنا: لا. قال: «فلستم بإخوان كما تزعمون»[5]... الخ.

وروى الحافظ عبد العزيز ابن الأخضر الجنابذي في كتابه معالم العترة: عن الحجاج بن أرطأة قال أبو جعفر: «ياحجاج كيف تواسيكم؟» قلت: صالح يا أبا جعفر. قال: «يدخل أحدكم يده في كيس أخيه فيأخذ حاجته إذا احتاج له؟[6]»

---

(١) حلية الأولياء ٣: ١٨٣.

(٢) الأعراف: ١٩٩.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) عنه في كشف الغمة ٢: ٣٦٢.

(٥) حلية الأولياء ٣: ١٨٧.

(٦) [إليه].

قلت : أمّا هذا فلا. فقال : «أمّا لو فعلتم ما احتجتم»[1].

ما أشار به على عبد الملك في ضرب الدراهم والدنانير: في كتاب المحاسن والمساوي لإبراهيم بن محمّد البيهقي قال في الجزء الثاني ما نصه: محاسن المسامرة، قال الكسائي: دخلت على الرشيد ذات يوم وهو في إيوانه، وبين يديه مال كثير قد شق عنه البدر شقاً، وأمر بتفريقه في خدم الخاصة، وبيده درهم تلوح كتابته وهو يتأمله، وكان كثيراً ما يحدّثني فقال : «هل علمت أوّل من سنّ هذه الكتابة في الذهب والفضة؟» قلت : يا سيدي هو عبدالملك بن مروان! قال : «فما كان السبب في ذلك؟» قلت : لا علم لي غير أنّه أوّل من أحدث هذه الكتابة ! فقال :

«سأخبرك :كانت القراطيس للروم، وكان أكثر من بمصر نصرانياً على دين ملك الروم، وكانت تطرز بالرومية، وكان طرازها أباً وابناً وروحاً قديساً، فلم يزل ذلك كذلك صدر الإسلام كلّه يمضي على ما كان عليه، الى أن مَلك عبد الملك بن مروان فتنبّه له وكان فطناً، فبينا هو ذات يوم إذ مر به قرطاس، فنظر الى طرازه فأمر أن يترجم بالعربية، فُعل ذلك، فأنكره وقال : ما أغلظ هذا في أمر الدين والإسلام أن يكون طراز القراطيس، وهي تحمل في الأواني والثياب، وهما يعملان بمصر وغير ذلك، مما يطرز من ستور وغيرها من عمل هذا البلد على سعته وكثرة ماله وأهله تخرج منه هذه القراطيس فتدور في الآفاق والبلاد، وقد طرزت بشرك مثبت عليها.

فأمر بالكتاب الى عبد العزيز بن مروان، وكان عامله بمصر بإبطال ذلك الطراز على ما كان يطرّز به من ثوب وقرطاس وستر وغير ذلك، وأن يأخذ

---

(١) عنه في كشف الغمة ٢: ٣٢٣.

صنّاع القراطيس أن يطرّزوها بسورة التوحيد «وشهد الله أنّه لا إلـه إلاّ هـو»، وهذا طراز القراطيس خاصة الى هذا الوقت، لم ينقص، ولم يـزد، ولم يـغير، وكتب الى عمّال الآفاق جميعاً بإبطال ما في أعمالهم من القراطيس المـطرّزة بطراز الروم، ومعاقبة من وجد عنده بعد هذا النهي شيء منها، بالضرب الوجيع والحبس الطويل.

فلما أثبتت القراطيس بالطراز المحدث بالتوحيد، وحمل الى بـلاد الروم منها انتشر خبرها، ووصل الى ملكهم، فترجم له ذلك الطراز، فـأنكره وغـلظ عليه واستشاط غضباً، فكتب الى عبد الملك : إنّ عـمل القـراطـيس بـمصر وسائر ما يطرز هناك للروم، ولم يزل يطرز بـطراز الروم الى أن أبـطلته، فـإن كان مَن تقدّمك من الخلفاء قد أصاب، فقد أخطات، وإن كنت قد أصبت، فقد اخطأوا، فاختر من هاتين الحالتين أيّهما شئت وأحببت، وقـد بـعثت إليك بهدية تشبه محلك، وأحببت أن تجعل ردّ ذلك الطراز الى مـاكـان عـليه فـي جميع ماكان يطرز من أصناف الإعلاق حاجة أشكرك عليها، وتأمر بـقبض الهدية؛ وكانت عظيم القدر.

فلما قرأ عبد الملك كتابه ردّ الرسول وأعلمه أن لا جـواب له، ولم يـقبل الهدية، فانصرف بها الى صاحبه، فلما وافاه أضعف الهدية، وردّ الرسول الى عبد الملك، وقال: إني ظننتك استقللت الهدية، فـلم تـقبلها، ولم تـجبني عـن كتابي، فأضعفت لك الهدية، وأنا أرغب إليك في مثل ما رغبت فيه، مـن ردّ هذا الطراز الى ماكان عليه أولاً.

فقرأ عبد الملك الكتاب ولم يجبه، وردّ الهدية. فكـتب إليـه مـلك الروم يقتضي أجوبة كتبه ويقول : إنّك قد استخففت بجوابي وهديّتي، ولم تسعفني بحاجتي، فتوهّمتك استقللت الهدية، فأضعفتها، فجريت على سـبيلك الأوّل،

وقد أضعفتها ثالثةً، وأنا أحلف بالمسيح، لتأمرن بردّ الطراز الى ماكان عليه أو لآمرنّ بنقش الدنانير والدراهم؛ فإنّك تعلم انه لا يُنقش شيء منها إلّا ما ينقش في بلادي ـ ولم تكن الدراهم والدنانير نقشت في الإسلام ـ فينقش عليها من شتم نبيك، ما إذا قرأته أرفضّ جبينك له عرقاً، فأحبّ أن تقبل هديتي وتردّ الطراز الى ماكان عليه، وتجعل ذلك هديةً بررتني بها، وتبقى على الحال بيني وبينك.

فلما قرأ عبد الملك الكتاب غلظ عليه، وضاقت به الأرض، وقال: أحسبني أشأم مولود ولد في الإسلام، لأنّي جنيت على رسول الله ﷺ من شتم هذا الكافر ما يبقى غابر الدهر، ولا يمكن محوه من جميع مملكة العرب: إذ كانت المعاملات تدور بين الناس بدنانير الروم ودراهمهم. فجمع أهل الإسلام واستشارهم، فلم يجد عند أحد منهم رأياً يعمل به.

فقال له روح بن زنباع: إنّك لتعلم الرأي والمخرج من هذا الأمر، ولكنك تتعمد تركه. قال: ويحك من؟ قال: الباقر من أهل بيت النبيّ ﷺ. قال: صدقت ولكنه أرتج عليّ الرأي فيه.

فكتب الى عامله بالمدينة أن أشخص إليّ محمّد بن عليّ بن الحسين مكرّماً ومتعه بمائتي ألف درهم لجهازه، وبثلاثمئة ألف درهم لنفقته، وازح علته في جهازه، وجهاز من يخرج معه من أصحابه، واحتبس الرسول قبله الى موافاته عليه.

فلما وافى أخبره الخبر، فقال له الباقر عليه السلام: «لا يعظمن هذا عليك، فإنه ليس شيء من جهتين: إحداهما أنّ الله عز وجل لم يكن ليطلق ما تهدّدك به صاحب الروم في رسول الله. والأخرى وجود الحيلة فيه».

قال: وما هي؟ قال: «تدعو في هذه الساعة بصنّاع، فيضربون بين يديك سككاً

للدراهم والدنانير، وتجعل النقش عليها سورة التوحيد، وذكر رسول الله ﷺ: أحدهما في وجه الدرهم والدينار. والآخر في الوجه الثاني، وتجعل في مدار الدرهم والدينار ذكر البلد الذي يضرب فيه، والسنة التي تضرب فيه تلك الدراهم والدنانير، وتعمد الى وزن ثلاثين درهماً، عدداً من الأصناف الثلاثة التي العشرة منها وزن عشرة مثاقيل. وعشرة منها وزن ستة مثاقيل، وعشرة منها وزن خمسة مثاقيل، فتكون أوزانها جميعاً أوزانها واحداً وعشرين مثقالاً، فتجزئها من الثلاثين، فتصير العدة من الجميع وزن سبعة مثاقيل، وتصب صنجات من قوارير لا تستحيل الى زيادة ولا نقصان، فتضرب الدراهم على وزن عشرة، والدنانير على وزن سبعة مثاقيل» .

وكانت الدراهم في ذلك الوقت إنّما هي الكسروية التي يقال لها اليوم: البغلية، لأنّ رأس البغل ضربها لعمر بن الخطاب بسكة كسروية في الإسلام مكتوب عليها صورة الملك، وتحت الكرسي مكتوب بالفارسية نوش خور: أي كُلْ هنيئاً، وكان وزن الدرهم منها قبل الإسلام مثقالاً، والدراهم التي كان وزن العشرة منها وزن ستة مثاقيل، والعشرة وزن خمسة مثاقيل، هي السميرية الخفاف والثقال، ونقشها نقش فارس.

ففعل عبد الملك ذلك وأمره محمّد بن عليّ بن الحسين أن يكتب السكك في جميع بلدان الإسلام، وأن يتقدم الى الناس في التعامل بها، وأن يتهدد بقتل من يتعامل بغير هذه السكك من الدراهم والدنانير وغيرها، وأن تبطل وترد الى مواضع العمل حتى تعاد الى السكك الإسلامية، ففعل عبد الملك ذلك وردّ رسول ملك الروم إليه يعلمه بذلك؛ ويقول: إنّ الله جلّ وعزّ مانعك ممّا قدرت أن تفعله، وقد تقدمت الى أعمالي في أقطار البلاد بكذا، وكذا، وبإبطال السكك، والطراز الرومية.

فقيل لملك الروم: افعل ما كنت تهددت به ملك العرب. فقال: إنّما

أردت أن أغيظه بما كتبت إليه لأنّي كنت قادراً عليه، والمال وغيره برسوم الروم، فأما الآن فلا أفعل لأن ذلك لا يتعامل به أهل الإسلام، وامتنعَ من الذي قال. وثبت ما أشار به محمّد بن عليّ بن الحسين الى اليوم، ثم رمىٰ - يعني - الرشيد بالدرهم الى بعض الخدم[1] انتهى.

أقول: قد مرّ في الجزء الثالث في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، عن دائرة المعارف البريطانية: إن أوّل من أمر بضرب السكة الإسلامية هو الخليفة عليّ عليه السلام بالبصرة سنة (٤٠) من الهجرة الموافقة لسنة (٦٦٠) مسيحية، ثم أكمل الأمر عبد الملك الخليفة سنة (٧٦) من الهجرة الموافقة لستة (٦٩٥) مسيحية.

ويمكن الجمع بأن علياً عليه السلام أمر بضرب السكة في البصرة مع بقاء التعامل بسكة أُخرى، وكذلك ما ضربه رأس البغل من الدراهم لعمر، مع أنه كان بسكة كسروية، أما عبد الملك فإنه ضرب السكة بإشارة الإمام الباقر عليه السلام على الصفة المتقدمة، ومنع من التعامل بغيرها.

أخباره مع الشعراء

قال ابن شهرآشوب في المناقب: قال الباقر عليه السلام لكثير: «امتدحت عبدالملك» فقال: ما قلت له يا إمام الهدى، وإنّما قلت يا أسد، والأسد كلب، ويا شمس والشمس جماد، ويا بحر والبحر موات، ويا حية والحية دويبة منتنة، ويا جبل وإنّما هو حجر أصم فتبسم عليه السلام.

---

(١) المحاسن والمساوي لإبراهيم بن محمّد البيهقي ٢: محاسن المسامرة. المصدر غير متوفر لدينا. حكاه الدميري في حياة الحيوان ١: ٦٣ وفيه تفاوت يسير باللفظ.

وأنشد الكميت بين يديه :

مـن لصب[١] متيم مستهام غـير مـا صـبوة ولا أحـلام

فلما بلغ الى قوله :

أخـلص الله لي هـواي فـما أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي

قال عليه السلام : «قل : فقد أغرق نزعاً[٢] وما تطيش سهامي» فقال : يـا مـولاي أنت أشعر منّي في هذا المعنى[٣].

وفي المناقب : بلغنا أنّ الكميت أنشد الباقر عليه السلام :

مـن لصبّ مـتيم مستهام...

فتوجّه الى الكعبة فقال : «اللهمّ ارحم الكميت واغفر له» ـ ثلاث مرات ـ ثم قال : «ياكميت هذه مائة ألف قد جمعتها لك من أهل بيتي» فقال الكميت : لا والله لا يعلم أحد أني آخذ منها حتى يكون الله عزّ وجلّ يكافيني، ولكن تكرمني بقميص من قمصك، فأعطاه[٤]... الخ.

أقول: هذان البيتان من قصيدة طويلة للكميت، وفي البحار نقل من خط ابن فهد الحلّي: قيل : إنّ رجلاً ورد على أبي جعفر الأوّل بقصيدة مطلعها:

عليك السلام أبا جعفر

فلم يمنحه شيئاً فسأله في ذلك، وقال : لِمَ لا تمنحني وقد مدحتك؟ فقال : «حييتني تحية الأموات، أما سمعت قول الشاعر :

---

(١) في المصدر [تعلب].

(٢) النزع جذب الوتر بالسهم والإغراق نزعاً: المبالغة في ذلك وأغرق النازع في القوس مثلٌ يضرب للغلو والإفراط فقوله: فم أغرق نزع لا يناسب المقام إذ يكون معناه إنّي لا أُبالغ في المحبّة والمناسب المبالغة فيها فلذلك غيره الإمام الى قوله: «فقد أغرق نزعاً». منه رحمه الله.

(٣) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢٠٧.

(٤) المصدر السابق ٤: ١٩٧.

ألا طـرقتنا آخـر الليل زينب عليك سلام هل لما فـات مـطلب
فقلت لها حيّيت زينب خدنكم تحية ميّت وهو في الحيّ يشرب

مع أنه كان يكفيك أن تقول:

سلام عليك أبا جعفر»[١].

في مقتضب الأثر في النصّ على الأئمة الاثني عشر، لأحمد بن محمّد بن عياش بسنده: إنّ الورد بن زيد الأسدي أخا الكميت، وفد على أبي جعفر الباقر، فقال يخاطبه ويذكر وفادته إليه من قصيدة:

كم جزت فيك من أجواز إيفاع وأوقع الشوق بي قاعاً الى قاع
يا خير من حملت أُنثى ومن وضعت به إليك غداً سيري وإيضاعي
أمـا بلغتك فالآمال بالغة بنا الى غاية يسعى لها الساعي[٢]

أقول: وقد ذكرنا القصيدة بتمامها في ترجمة الورد.

الرواة عن الباقر عليه السلام

قال المفيد في الإرشاد: روي عنه معالم الدين بقايا الصحابة، ووجوه التابعين، ورؤساء فقهاء المسلمين[٣]. وقال ابن شهرآشوب في المناقب بعد ذكر ذلك: فمن الصحابة نحو جابر بن عبدالله الأنصاري، ومن التابعين نحو جابر بن يزيد الجعفي وكيسان السختياني صاحب الصوفية.

ومن الفقهاء نحو ابن المبارك، والزهري، والأوزاعي، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي وزياد بن المنذر النهدي.

---

(١) بحار الأنوار ٤٦: ٣٤٥.

(٢) مقتضب الأثر: ٤٦، وعنه في بحار الأنوار ٤٦: ٣٤٥ـ٣٤٦.

(٣) الإرشاد ٢: ١٥٧.

ومن المصنفين نحو الطبري، والبلاذري، والسلامي، والخطيب في تواريخهم، وفي الموطأ، وشرف المصطفى، والإبانة، وحلية الأولياء، وسنن أبي داود، والألكاني، ومسندي أبي حنيفة والمروزي، وترغيب الإصفهاني، وبسيط الواحدي، وتفسير النقاش والزمخشري، ومعرفة أصول الحديث، ورسالة السمعاني، فيقولون : قال محمّد بن عليّ، وربّما قالوا : قال محمّد الباقر[١]... الخ.

وقال ابن شهرآشوب في موضع آخر من المناقب : اجتمعت العصابة على أنّ أفقه الأوّلين ستة، وهم أصحاب أبي جعفر، وأبي عبدالله عليه السلام، وهم: زرارة ابن أعين، ومعروف بن خربوذ المكي، وأبو بصير الأسدي، والفضيل بن يسار، ومحمّد بن مسلم الطائفي، وبريد بن معاوية العجلي .

ومن أصحابه: حمران بن أعين الشيباني، وإخوته : بكير، وعبدالملك، وعبد الرحمن، ومحمّد بن إسماعيل بن بزيع[٢]، وعبدالله بن ميمون القداح، ومحمّد بن مروان الكوفي، من ولد أبي الأسود، وإسماعيل بن الفضل الهاشمي من ولد نوفل بن الحارث، وأبو هارون المكفوف، وظريف بن ناصح بيّاع الأكفان، وسعيد بن طريف الإسكاف الدؤلي، وإسماعيل بن جابر الخثعمي الكوفي، وعقبة بن بشير الأسدي، وأسلم المكي مولى ابن الحنفية، وأبو بصير ليث بن البختري المرادي، والكميت بن زيد الأسدي، وناجية بن عمارة الصيداوي، ومعاذ بن مسلم الهراء[٣] النحوي، وبشير الرحال .

ومن رواة النصّ عليه من أبيه، إسماعيل بن محمّد بن عبدالله بن عليّ بن

---

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ١٩٥ ـ ١٩٦.

(٢) هذا والذي بعده من أصحاب الصادق عليه السلام أيضاً.

(٣) في المصدر [الفراء].

الحسين عليه السلام ، وزيد بن عليّ وعيسى، عن جدّه والحسين بن أبي العلاء[١]...الخ.

وفي حلية الأولياء : روى عنه من التابعين عمروبن دينار، وعطاء بن أبي رباح، وجابر الجعفي وأبان بن تغلب .

وروى عنه من الأئمة والأعلام : ليث بن أبي سليم، وابن جريح، وحجاج بن أرطأة في آخرين[٢]... الخ.

وقال المفيد في الاختصاص : أصحاب محمّد بن عليّ عليه السلام، جابر بن يزيد الجعفي. حمران بن أعين ، زرارة . عامر بن عبدالله بن جذاعة ، حجر بن زايدة ، عبدالله بن شريك العامري ، فضيل بن يسار البصري ، سلام بن المستنير ، بريد ابن معاوية العجلي، الحكيم بن أبي نعيم[٣].

وفي الاختصاص بالإسناد عن الكاظم عليه السلام : «إذاكان يوم القيامة نادىٰ منادٍ أين حواري محمّد بن عليّ؟ وحواري جعفر بن محمّد؟ فيقوم عبدالله بن شريك العامري، وزرارة ابن أعين، وبريد بن معاوية العجلي، ومحمّد بن مسلم الثقفي، وليث ابن البختري المرادي، وعبدالله ابن أبي يعفور، وعامر بن عبدالله ابن جذاعة، وحجر بن زائدة وحمران بن أعين»[٤]الخبر .

وفي الاختصاص: زياد بن المنذر الأعمى، وهو أبو الجارود، وزياد بن أبي رجاء وهو أبو عبيدة الحذاء، وزياد بن سوقة، وزياد مولى أبي جعفر، وزياد ابن أبي زياد المنقري وزياد الأحلام من أصحاب أبي جعفر، ومن أصحابه أبو بصير ليث ابن البختري المرادي، وأبو بصير يحيى ابن أبي القاسم

(١) المناقب لابن شهرآشوب ٤: ٢١١.

(٢) حلية الأولياء ٣: ١٨٨.

(٣) الاختصاص للمفيد: ٨ .

(٤) المصدر السابق: ٦١.

مكفوف مولى لبني أسد، واسم أبي القاسم إسحاق، وأبو بصير كان يكنى بأبي محمّد[١].

من روى عنه الباقر عليه السلام

روى عن أبيه عن أجداده عن رسول الله صلى الله عليه وآله وقال المفيد: روي عنه عليه السلام: أنّه سئل عن الحديث يرسله ولا يسنده فقال: «إذا حدّثت بالحديث فلم أسنده فسندي فيه أبي عن جدي عن أبيه عن جدّه رسول الله عن جبرائيل عن الله عزّوجلّ...»[٢] الخ.

وفي حلية الأولياء: أسند أبو جعفر محمّد بن عليّ عن جابر بن عبدالله الأنصاري، وروى عن ابن عباس، وأبي هريرة، وأبي سعيد الخدري، وأنس ابن مالك، وعن الحسن والحسين، وأسند عن سعيد بن المسيب، وعبدالله بن أبي رافع[٣]... الخ.

وفي كشف الغمة: قال أبو الفرج ابن الجوزي، في كتابه صفوة الصفوة: أسند أبو جعفر عليه السلام عن جابر بن عبدالله، وأبي سعيد الخدري، وأبي هريرة، وابن عباس، وأنس والحسن والحسين، وروى عن سعيد بن المسيب، وغيره من التابعين[٤]... الخ.

أقول: روايته عن أكثر هؤلاء لنوع من المصلحة، وإلّا فهو غني بعلوم آبائه عن أن يروي عن غيرهم.

---

(١) الاختصاص للمفيد: ٨٣
(٢) الإرشاد ٢: ١٦٧.
(٣) حلية الأولياء ٣: ١٨٨.
(٤) كشف الغمة ٢: ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

مؤلفاته

١ ـ كتاب التفسير. قال ابن النديم عند ذكر الكتب المصنفة في التفسير: كتاب الباقر محمّد بن عليّ بن الحسين عليه السلام ، رواه عنه أبو الجارود زياد بن المنذر رئيس الجارودية الزيدية[١]... الخ، وقد روى هذا الكتاب عن أبي الجارود عند سلامة حاله: أبو بصير يحيى بن القاسم، أو أبي القاسم الأسدي، وكذا أخرجه عليّ بن إبراهيم بن هاشم في تفسيره.

٢ ـ رسالته الى سعد الخير من بني أُمية.

٣ ـ رسالة أُخرى منه إليه أوردهما الكليني في روضة الكافي[٢].

٤ ـ قال ابن النديم : أبو جعفر محمّد بن عليّ له من الكتب كتاب الهداية[٣].... الخ. ويمكن أن يريد به الباقر عليه السلام.

وقد روي عنه في فنون العلم الشيء الكثير، وألّف أصحابه في ذلك المؤلفات الكثيرة المذكورة في تراجمهم.

ما أثر عنه في صفة الخالق وتوحيده

قال المرتضى في الأمالي: أتى أعرابي أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام فقال : أرأيت ربّك حين عبدته؟ فقال : «لم أكن لأعبد شيئاً لم أره». فقال كيف : رأيته فقال : لم تره الأبصار بالمشاهدة والعيان، بل رأته القلوب بحقائق الإيمان، لا يدرك بالحواس، ولا يقاس بالناس، معروف بالآيات، منعوت بالعلامات، لا يجور في القضية، هو

---

(١) الفهرست لابن النديم: ٣٦.

(٢) الكافي ٨: ٤٥ / ح١٦ و٤٨ / ح١٧.

(٣) الفهرس لابن النديم: ٢٤٦.

الله الذي لا إله إلّا هو» فقال الأعرابي : الله أعلم حيث يجعل رسالته[١]... الخ.

وسأل ذعلب اليماني أميرالمؤمنين نحواً من هذا فأجابه قريباً من هذا الجواب كما في نهج البلاغة[٢].

ما أثر عنه عليه السلام من الحكم والآداب والمواعظ

المنقول من حلية الأولياء لأبي نعيم الإصفهاني، وكله بالأسانيد المتصلة، ونحن ننقله بحذف الأسانيد كلها للإختصار قال عليه السلام: **«ما دخل قلب امريء شيء من الكبر إلّا نقص من عقله، مثل ما دخله من ذلك، قلّ أو كثر»** .

«الصواعق تصيب المؤمن وغير المؤمن لا تصيب الذاكر».

وقال عليه السلام في قوله عزّ وجلّ : **﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾**[٣]. قال: **«على الفقر في دار الدنيا».**

وفي قوله عزّ وجلّ : **﴿وجزاهم بما صبروا جنّة وحريراً﴾**[٤] قال : **«ما صبروا على الفقر ومصائب الدنيا».**

«سلاح[٥] اللئام قبيح الكلام».

«لكل شيء آفة وآفة العلم النسيان».

«عالم ينتفع بعلمه أفضل من ألف عابد».

«والله لموت عالم أحبّ الى إبليس من موت سبعين عابداً».

---

(١) أمالي المرتضى ١: ١٠٤.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٩٩ / ١٧٩.

(٣) الفرقان: ٧٥.

(٤) الإنسان: ١٢.

(٥) في المصدر [سلام].

وقال عليه السلام لابنه : «يا بنيّ إياك والكسل والضجر، فإنّهما مفتاح كلّ شرّ، إنّك إن كسلت لم تؤدّ حقّاً، وإن ضجرت لم تصبر على حقّ».

«الأعمال ثلاثة : ذكر الله على كل حال، وإنصافك الناس من نفسك، ومواساة الأخ في المال».

«إذا رأيتم القارىء يحب الأغنياء فهو صاحب الدنيا، وإذا رأيتموه يلزم السلطان من غير ضرورة فهو لصّ».

«شيعتنا من أطاع الله عزّ وجلّ».

«إياكم والخصومة فإنّها تفسد القلب وتورث النفاق».

وقال : «الذين يخوضون في آيات الله هم أصحاب الخصومات».

وقال : «كان لي أخ في عيني عظيم، وكان الذي عظمه في عيني صغر الدنيا في عينه».

وقال : «من أعطي الخُلق والرفق، فقد أُعطي الخير كلّه، والراحة، وحسن حاله في دنياه وآخرته، ومن حُرِم الرفق والخُلق، كان ذلك له سبيلاً الى كل شر وبلية إلّا من عصمه الله تعالى».

وقال : «اعرف المودّة لك في قلب أخيك بما له في قلبك».

وقال عليه السلام لجابر الجعفي : «يا جابر ما الدّنيا وما عسى أن تكون! هل هو إلّا مركب ركبته، أو ثوب لبسته، أو امرأة أحببتها[1]، يا جابر إنّ المؤمنين لم يطمئنوا الى الدّنيا لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ففازوا بثواب الأبرار، إنّ أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة، إن نسيت ذكّروك، وإن ذكرت أعانوك، قوّالين بحقّ الله، قوّامين بأمر الله.

يا جابر أنزل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت

---

(١) في المصدر [أصبتها].

وليس معك منه شيء، إنّما هي مع أهل اللب والعالمين بالله تعالى كفيء الظلال فاحفظ ما استرعاك الله من دينه وحكمته».

وقال : «ما من شيء أحبّ الى الله عزّ وجلّ من أن يُسأل وما يدفع القضاء إلّا الدعاء، وإن أسرع الخير ثواباً البرّ، وأسرع الشرّ عقوبة البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عليه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يستطيع التحول عنه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه» ... الخ. المنقول من حلية الأولياء(١).

المنقول من تحف العقول للحسن بن عليّ بن شعبة الحلبي(٢)، من وصية له لجابر بن يزيد الجعفي : «أوصيك بخمس : إن ظُلمت فلا تظلم، وإن خانوك فلا تخن، وإن كُذّبت فلا تغضب، وإن مُدحت فلا تفرح، وإن ذُممت فلا تجزع، وفكّر فيما قيل فيك، فإن عرفت من نفسك ما قيل فيك، فسقوطك من عين الله جل وعز عند غضبك من الحقّ، أعظم عليك مصيبة مما خفت من سقوطك من أعين الناس، وإن كنت على خلاف ما قيل فيك، فثواب اكتسبته من غير أن تتعب بدنك. واعلم أنّك لا تكون لنا وليّاً، حتى لو اجتمع عليك أهل مصرك، وقالوا : إنّك رجل سوء لم يحزنك ذلك، لو قالوا : إنّك رجل صالح لم يسرّك ذلك، ولكن اعرض نفسك على كتاب الله، فإن كنت سالكاً سبيله زاهداً في تزهيده راغباً في ترغيبه خائفاً من تخويفه، فاثبت وأبشر، فإنّه لا يضرك ما قيل فيك، وإن كنت مبايناً للقرآن فما(٣) الذي يغرك من نفسك.

إنّ المؤمن معنيٌّ بمجاهدة نفسه ليغلبها على هواها فمرةً يقيم أودها ويخالف هواها في محبّة الله، ومرةً تصرعه نفسه فيتّبع هواها. فينعشه الله فينتعش، ويقيل الله عثرته فيتذكّر، ويفزع الى التوبة والمخافة فيزداد بصيرة ومعرفة، لما زيد فيه من الخوف، وذلك بأنّ الله

---

(١) حلية الأولياء ٣: ١٨٠ ـ ١٨٨ باختصار وتفاوت يسير باللفظ .

(٢) المشهور بالحراني.

(٣) في المصدر زيادة [ذا].

يقول: ﴿إنّ الذين اتّقوا إذا مسّهم طائف من الشّيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾[١].

يا جابر استكثر لنفسك من الله قليل الرزق تخلّصاً الى الشكر، واستقلل من نفسك كثير الطاعة لله إزراء على النفس وتعرضاً للعفو، وادفع عن نفسك حاضر الشرّ بحاضر العلم، واستعمل حاضر العلم بخالص العمل، وتحرّز في خالص العمل من عظيم الغفلة بشدة التيقّظ. واستجلب شدّة التيقّظ بصدق الخوف. وتوقّ مجازفة الهوى بدلالة العقل. وقف عند غلبة الهوى باسترشاد العلم. واستبق خالص الأعمال ليوم الجزاء. وادفع عظيم الحرص بإيثار القناعة. واستجلب حلاوة الزّهادة بقصر الأمل. واقطع أسباب الطّمع ببرد اليأس، وسدّ سبيل العجب بمعرفة النّفس، وتخلّص الى راحة النّفس بصحة التّفويض. وتعرّض لرقّة القلب بكثرة الذّكر في الخلوات. واستجلب نور القلب بدوام الحزن. وتحرّز من إبليس بالخوف الصادق. وإيّاك والرجاء الكاذب فإنّه يوقعك في الخوف الصادق.

وإيّاك والتسويف، فإنّه بحر يغرق فيه الهلكى. وإيّاك والغفلة ففيها تكون قساوة القلب. وإيّاك والتواني فيما لا عذر لك فيه، فإليه يلجأ النادمون. واسترجع سالف الذنوب بشدة النّدم، وكثرة الإستغفار، وتعرّض للرحمة وعفو الله بخالص الدّعاء والمناجاة في الظّلم، واستجلب زيادة النعم بعظيم الشّكر، واطلب بقاء العزّ بإماتة الطمع. وارفع[٢] ذُلّ الطمع بعزّ اليأس، واستجلب عزّ اليأس ببعد الهمّة. وتزوّد من الدنيا بقصر الأمل. وبادر بانتهاز البغية عند إمكان الفرصة. وإيّاك والثقة بغير المأمون. واعلم أنّه لا علم كطلب السّلامة. ولا عقل كمخالفة الهوى. ولا فقر كفقر القلب. ولا غنى كغنى النفس. ولا معرفة كمعرفتك بنفسك؛ ولا نعمة كالعافية. ولا عافية كمساعدة التّوفيق. ولا شرف كبعد الهمّة. ولا زهد كقصر الأمل. ولا عدل كالإنصاف. ولا جور كموافقة الهوى. ولا طاعة كأداء الفرائض. ولا مُصيبة كعدم

---

(١) الأعراف: ٢٠٠.

(٢) في المصدر [وادفع].

العقل. ولا معصية كاستهانتك بالذّنب، ورضاك بالحالة التي أنت عليها. ولا فضيلة كالجهاد. ولا جهاد كمجاهدة الهوى. ولا قوّة كردّ الغضب. ولا ذلّ كذلّ الطمع. وإيّاك والتفريط عند إمكان الفرصة، فإنّه ميدان يجري لأهله بالخسران»(١).

وقال عليه السلام : «خذوا الكلمة الطيّبة ممّن قالها، وإن لم يعمل بها، فإنّ الله يقول : ﴿الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله﴾(٢) ويحك يا مغرور ألا تحمد من تعطيه فانياً، ويعطيك باقياً، درهم يفنى بعشرة تبقى الى سبعمائة ضعف مضاعفة؟! إنّما أنت لصّ من لصوص الذنوب. كلما عرضت لك شهوة أو إرتكاب ذنب سارعت إليه وأقدمت بجهلك عليه، فارتكبته كأنّك لست بعين الله أو كأنّ الله ليس لك بالمرصاد.

يا طالب الجنة ما أطول نومك وأكلّ مطيّتك وأوهن همّتك. فلله أنت من طالب ومطلوب، ويا هارباً من النار ما أحثّ مطيّتك إليها وما أكسبك لما يوقعك فيها»(٣).

ما روي عنه في قصار هذه المعاني

قال عليه السلام : «ما شيب شيء بشيء أحسن من حلم بعلم».

«كل الكمال التفقّه في الدين والصبر على النائبة وتقدير المعيشة».

«المتكبر ينازع الله رداءه».

«قُم بالحقّ واعتزل ما لا يَعنيك، وتجنّب عدوّك واحذر صديقك».

«ولا تصحب الفاجر ولا تطلعه على سرّك، واستشر في أمرك الذين يخشون الله».

«صحبة عشرين سنة قرابة».

«إن استطعت أن لا تعامل أحداً إلّا ولك الفضل عليه فافعل».

---

(١) تحف العقول: ٢٨٤ ـ ٢٨٦. وفيه اختصار.

(٢) الزمر: ١٨.

(٣) تحف العقول: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

«ثلاثة من مكارم الدّنيا والآخرة: أن تعفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جُهل عليك».

«الظّلم ثلاثة: ظلم لا يغفره الله، وظلم يغفره الله، وظلم لا يدعه الله، فأمّا الظّلم الذي لا يغفره الله فالشرك بالله. وأما الظلم الذي يغفره الله فظلم الرّجل نفسه فيما بينه وبين الله. وأما الظّلم الذي لا يدعه الله فالمداينة بين العباد».

«ما من عبد يمتنع من معونة أخيه المسلم والسعي في حاجته قضيت أو لم تُقض إلّا أُبتلي بالسعي في حاجة فيما يؤثم عليه ولا يؤجر، وما من عبد يبخل بنفقة ينفقها فيما يرضى الله إلّا أُبتلي بأن ينفق أضعافها فيما أسخط الله».

«في كل قضاء الله خير للمؤمن».

«إنّ الله كره إلحاح الناس على بعضهم في المسألة، وأحبّ ذلك لنفسه. إنّ الله جل ذكره يحبّ أن يُسأل ويطلب ما عنده».

«من لم يجعل الله له من نفسه واعظاً، فإنّ مواعظ الناس لن تغني عنه شيئاً».

«من كان ظاهره أرجح من باطنه خفّ ميزانه».

«كم من رجل لقي رجلاً فقال له: كبّ الله عدوّك وما له من عدوّ إلّا الله».

«لا يكون العبد عالماً حتى لا يكون حاسداً لمن فوقه ولا محقّراً لمن دونه».

«إنّما مثل الحاجة الى من أصاب ماله حديثاً، كمثل الدرهم في فم الأفعى أنت إليه محوج وأنت منها على خطر».

«ثلاث خصال لا يموت صاحبهن أبداً، حتى يرى وبالهنّ: البغي وقطيعة الرّحم، واليمين الكاذبة يبارز الله بها. وإن أعجل الطاعة ثواباً لصلة الرّحم.

وإنّ القوم ليكونون فُجّاراً فيتواصلون فتنمي أموالهم ويثرون، وإنّ اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم ليذران الدّيار بلاقع من أهلها».

«لا يقبل عمل إلّا بمعرفة، ولا معرفة إلّا بعمل، ومن عرف دلّته معرفته على العمل. ومن

لم يعرف فلا عمل له».

«والله ما شيعتنا إلّا من اتّقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون إلّا بالتواضع، والتخشّع، وأداء الأمانة، وكثرة ذكر الله، والصوم، والصّلاة، والبرّ بالوالدين، وتعهّد الجيران من الفقراء، وذوي المسكنة، والغارمين، والأيتام، وصدق الحديث، وتلاوة القرآن، وكفّ الألسن عن الناس ،إلّا من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء».

«أربع من كنوز البرّ : كتمان الحاجة. وكتمان الصدقة. وكتمان الوجع. وكتمان المصيبة».

«من صدق لسانه زكا عمله، ومن حسُنت نيّته زيد في رزقه، ومن حسن برّه بأهله زيد في عمره».

«من استفاد أخاً في الله على إيمان بالله ووفاء بإخائه، طلباً لمرضاة الله، فقد استفاد شعاعاً من نور الله، وأماناً من عذاب الله، وحجة يُفلح بها يوم القيامة. وعزّاً باقياً، وذكراً نامياً».

«التواضع الرضا بالمجلس دون شرفك[1]. وأن تسلّم على مَن لقيت، وأن تترك المراء وإن كنت محقاً».

«إنّ المؤمن أخو المؤمن، لا يشتمه ولا يحرمه ولا يسيء به الظّنّ» .

«إصبر نفسك على الحقّ، فإنّه من منع شيئاً في حقّ أعطى في باطل مثيله».

«من قسم له الخرق حُجب عنه الإيمان».

«إنّ الله يبغض الفاحش المتفحّش».

«إنّ لله عقوبات في القلوب والأبدان : ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة. وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب».

---

(١) في المصدر [شرفه].

«يقول الله تعالى : يا ابن آدم! اجتنب ما حرّمت عليك تكن من أورع الناس».

«أفضل العبادة عفّة البطن والفرج».

«البشر الحسن وطلاقة الوجه مكسبةٌ للمحبّة، وقربة من الله. وعبوس الوجه وسوء البشر مكسبة للمقت وبعدٌ من الله».

«الحياء والإيمان مقرونان في قرن فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه» .

«من عَلّم باب هدى فله مثل أجر من عمل به، ولا يُنقص أولئك من أجورهم شيئاً. ومن علّم باب ضلال كان عليه مثل أوزار من عمل به، ولا ينقص أُولئك من أوزارهم شيئاً» .

«ليس من أخلاق المؤمن الملق والحسد إلّا في طلب العلم».

«ألا أُنبئكم بشيء، إذا فعلتموه يبعد السلطان والشيطان منكم؟ فقال أبوحمزة : بلى. فقال : عليكم بالصدقة فبكّروا بها، فإنّها تسوّد وجه إبليس، وتُكسّر شره السلطان الظالم عنكم في يومكم ذلك. وعليكم بالحبّ في الله، والتودّد، والمؤازرة على العمل الصالح، فإنّه يقطع دابرهما ـ يعني السلطان والشيطان ـ وألحّوا في الاستغفار فإنّه ممحاة للذنوب».

«إنّ هذا اللسان مفتاح كل خير وشرّ، فينبغي للمؤمن أن يختم على لسانه، كما يختم على ذهبه وفضته، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : رحم الله مؤمناً أمسك لسانه من كل شرّ، فإن ذلك صدقة منه على نفسه، ثم قال : لا يسلم أحد من الذنوب حتى يخزن لسانه».

«من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه. وإنّ البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه».

«إنّ أشد الناس حسرةً يوم القيامة، عبد وصف عدلاً ثمّ خالفه الى غيره».

«عليكم بالورع والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة الى من إئتمنكم عليها برّاً كان أو فاجراً. فلو أن قاتل عليّ بن أبي طالب ائتمنني على أمانةٍ لأدّيتها إليه».

«صلة الأرحام تُزكّي الأعمال، وتنمّي الأموال، وتدفع البلوى، وتُيسّر الحساب،

وتنسئ في الأجل».

وقال : «أيّها الناس إنّكم في هذه الدّنيا[١] أغراض تنتضل فيكم المنايا، لن يستقبل أحد منكم يوماً جديداً من عمره إلّا بانقضاء آخر من أجله، فأيّة أكلة ليس فيها غُصص؟ أم أي شربة ليس فيها شرق؟ استصلحوا ما تقدمون عليه بما تظعنون عنه. فإنّ اليوم غنيمة، وغداً لا تدري لمن هو، أهل الدنيا سفر يحلون عقد رحالهم في غيرها؛ قد خلت منّا أُصول نحن فروعها، فما بقاء الفرع بعد أصله. أين الذين كانوا أطول أعماراً منكم وأبعد آمالاً؟!

آتيك[٢] يا ابن آدم ما لا تردّه، وذهب عنك ما لا يعود، فلا تعدنّ عيشاً منصرفاً عيشاً ما لك منه إلّا لذة تزدلف بك الى حمامك وتقرّبك من أجلك؟! فكأنّك قد صرت الحبيب المفقود، والسواد المخترم، فعليك بذات نفسك ودَع ما سواها واستعن بالله يعنك».

وقال : «مَن صنع مثلما صُنع إليه فقد كافأ، ومن أضعف كان شكوراً. ومن شكر كان كريماً.

ومن علم[٣] أنّ ما صنع كان الى نفسه، لم يستبطيء النّاس في شكرهم، ولم يستردهم في مودّتهم، فلا تلتمس من غيرك شكر ما آتيته الى نفسك ووقيت به عرضك، واعلم أنّ طالب الحاجة لم يكرم وجهه عن مسألتك فأكرم وجهك عن ردّه».

وقال : «إنّ الله يتعهّد عبده المؤمن بالبلاء، كما يتعهّد الغائب أهله بالهدية، ويحميه عن الدّنيا، كما يحمي الطبيب المريض».

وقال : «إنّما شيعة عليّ المتباذلون في ولايتنا، المتحابّون في مودّتنا، المتزاورون لإحياء الدين[٤]. إذا غضبوا لم يظلموا، وإذا رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم

---

(١) في المصدر [الدار].

(٢) في المصدر [أتاك].

(٣) في المصدر [إنه].

(٤) في المصدر [أمرنا].

لمن خالطوا».

وقال: «الكسل يضرُّ بالدّين والدنيا».

«لو يعلم السائل ما في المسألة، ما سأل أحدٌ أحداً. ولو يعلم المسؤول ما في المنع، ما منع أحدٌ أحداً».

وقال: «إنّ لله عباداً ميامين مياسير، يعيشون ويعيش الناس في أكنافهم، وهم في عباده مثل القطر. ولله عباد ملاعين مناكيد، لا يعيشون ولا يعيش الناس في أكنافهم، وهم في عباد الله مثل الجراد، لا يقعون على شيء إلّا أتوا عليه».

وقال: «قولوا للنّاس أحسن ما تحبّون أن يقال لكم، فإنّ الله يبغض اللعّان السبّاب الطعّان على المؤمنين، الفاحش المتفحّش، السائل المُلحف، ويحبّ الحليم العفيف المتعفّف».

وقال: «إنّ الله يحبّ إفشاء السلام».

وقال يوماً لمن حضره: ما المروءة؟ فتكلّموا فقال: «المروءة أن لا تطمع فتذلّ، ولا تُسأل فتقلّ، ولا تبخل فتُشتم، ولا تجهل فتُخصم» فقيل: ومن يقدر على ذلك؟ فقال: «من أحبّ أن يكون كالناظر في الحدقة، والمسك في الطيب. وكالخليفة في يومكم هذا في القدر».

وقال يوماً رجل عنده: اللهمّ أغننا عن جميع خلقك. فقال أبو جعفر عليه السلام: «لا تقل هكذا، ولكن قُلّ اللهمّ أغننا عن شرار خلقك، فإنّ المؤمن لا يستغني عن أخيه».

وقال عليه السلام: «ما عرف الله من عصاه وأنشد:

تعصي الإله وأنت تظهر حبّه ... هذا لعمرك في الفعال بديع

لو كان حبّك صادقاً لأطعته ... إنّ المحبّ لمن أحبّ مطيع

... الخ. تحف العقول(١).

من كتاب نثر الدرر للآبي قال محمّد بن عليّ الباقر لابنه جعفر عليه السلام:

«إنّ الله خبّأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبّأ رضاه في طاعته، فلا تحقرنّ من الطاعة شيئاً فلعلّ رضاه فيه، وخبّأ سخطه في معصيته، فلا تحقرن من المعصية شيئاً، فلعل سخطه فيه، وخبّأ أولياءه في خلقه، فلا تحقرن أحداً فلعله ذلك الولي».

وسئل: لم فرض الله الصّوم على عباده؟ قال: «ليجد الغنيّ مسّ الجوع، فيحنو على الفقير» قال: «إنّ قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجّار، وإن قوماً عبدوا الله رهبةً فتلك عبادة العبيد، وإنّ قوما عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الأحرار».

وقال أبو عثمان الجاحظ في كتاب البيان والتبيين(٢): جمع محمّد بن عليّ الباقر صلاح شأن الدّنيا بحذافيرها في كلمتين، فقال: «صلاح شأن المعاش والتعاشر: ملء مكيال، ثلثان فطنة، وثلث تغافل»(٣).

من مطالب السؤول نقل عنه عليه السلام أنه قال: «ما من عبادة أفضل من عفّة بطن وفرج»(٤).

بعض ما أثر عنه من الأدعية

روى أبو نعيم في الحلية بسنده عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليه السلام أنه كان في جوف الليل يقول: «أمرتني فلم أئتمر، وزجرتني فلم أزدجر، ها أنا ذا عبدك بين

(١) تحف العقول: ٢٩٢ ـ ٣٠٠، وفيه تقديم وتأخير في ترتيب الأحاديث.

(٢) البيان والتبين ١: ٨٨.

(٣) في كشف الغمة ٢: ٣٦٠ ـ ٣٦٢. نقلاً عن كتاب نثر الدر للآبي.

(٤) مطالب السؤول: ١٠٤ ـ ١٠٥.

يديك ولا اعتذر»[١].

وقال الآبي في نثر الدرر كان يقول : «اللهمّ أعنّي على الدنيا بالغنى، وعلى الآخرة بالعفو».

وقال لابنه : «يا بني إذا أنعم الله عليك بنعمة فقل: الحمد لله ، وإذا أحزنك أمر فقل : لا حول ولا قوة إلّا بالله ، وإذا أبطأ عنك الرزق فقل: استغفر الله»[٢].

دعاءه عليه السلام بعد الطعام

وفيه من تعداد نعم الله تعالى العظام بأوجز عبارة ما يقصر عنه البيان:

روى الكليني في الكافي بسنده عن الصادق عليه السلام كان أبي يقول : «الحمد لله الذي أشبعنا في جائعين، وأروانا في ظامين[٣]، وآوانا في ضاحين، وحملنا في راجلين، وآمننا في خائفين، وأخدمنا في عانين»[٤].

ما أثر عنه من الشعر

في كشف الغمة : نقلت من كتاب جمعه الوزير السعيد مؤيد الدين أبوطالب محمّد بن أحمد بن محمّد بن عليّ ابن العلقمي، قال ذكر الأجل أبوالفتح يحيى بن محمّد بن حياء الكاتب قال : حدث بعضهم وذكر خبراً في آخره: إنه رأى غلاماً بين مكة والمدينة، فسأله من أنت ؟ الى أن قال فأنشد:

---

(١) حلية الأولياء ٣: ١٨٦.

(٢) نثر الدرر ١: ٣٤٥ وعنه في كشف الغمة ٢: ٣٦٢.

(٣) في المصدر [ضامين].

(٤) الكافي ٦: ٢٩٥ / ح١٦.

لنحن على الحوض ذوّاده ... نـذود ويسـعد وزّاده
فـما فـاز مـن فـاز إلّا بـنا ... وما خـاب مـن حـبّنا زاده
فمن سرّنا نال منّا السـرور ... ومـن سـاءنا سـاء مـيلاده
ومـن كـان غـاصبنا حـقّنا ... فـيوم القـيامة مـيعاده[(١)]

وفي أنوار الربيع : نسب الى أبي جعفر الباقر عليه السلام قوله:

عـجبت مـن مـعجب بـصورته ... وكـان مـن قـبل نـطفة مـذره
وفـي غـد بـعد خسـف صـورته ... يـصير فـي القـبر جـيفة قـذره
وهـو عـلى عـجبه ونـخوته ... ما بـين جـنبيه يـحمل العـذرة[(٢)]

وفي المناقب عن أبي خالد البرقي في كتاب الشعر والشعراء: إنّ الباقر عليه السلام تمثل :

وأطرق إطراق الشجاع ولو يرى ... مساغاً لنابيه الشجاع لصمما[(٣)]

ما أوصى به عند وفاته

روى الكليني في الكافي بسنده الى الرضا عليه السلام قال : «قال أبو جعفر الباقر عليه السلام حين احتضر : **إذا أنا متّ فاحفروا لي وشقوا لي شقاً، فإن قيل لكم إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لحد له فقد صدقوا**»[(٤)] .

أقول: وذلك لأنه عليه السلام رأى أنّ الشقّ أصلح له من بعض الوجوه، من اللحد فأمرهم به، وإنّ كان اللحد أفضل .

---

(١) كشف الغمة ٢: ٣٥٣.

(٢) أنوار الربيع ٦: ٣٠٠.

(٣) المناقب لابن شهر آشوب ٤: ٢٠٩. وفيه اختلافٍ يسير باللفظ.

(٤) الكافي ٣: ١٦٦ / ح٢، باب حد حفر القبر واللحد.

وروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: «إنّ أبي استودعني ما هنالك[1] - يعني ما كان محفوظاً عنده من الكتب، والسلاح وآثار الأنبياء وودائعهم - فلما حضرته الوفاة قال: ادعُ لي شهوداً. فدعوت أربعة من قريش، فيهم نافع مولى عبدالله بن عمر، فقال اُكتب: هذا ما وصيّ به يعقوب بنيه ﴿يا بني إنّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتنّ إلّا وأنتم مسلمون﴾[2].

وأوصى محمّد بن عليّ الى جعفر بن محمّد وأمره أن يكفّنه في برده الذي كان يصلّي فيه يوم الجمعة، وأن يعممه بعمامته، وأن يربع قبره، ويرفعه أربع أصابع، وأن يحل عنه أطماره عند دفنه.

ثم قال للشهود: انصرفوا رحمكم الله. فقلت له: يا أبتِ ماكان في هذا بأن يشهد[3] عليه. فقال: يا بني كرهت أن تُغلب، وأن يقال: إنّه لم يوص إليه، فأردت أن تكون لك الحجة»[4].

أراد أن يعلمهم أنه وصيّه، وخليفته، والإمام من بعده.

وروى الكليني في الكافي بسنده عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال: «إن أبي قال لي ذات يوم في مرضه، يا بني أدخل أناساً من قريش من أهل المدينة، حتى أُشهدهم. فأدخلت عليه أناساً منهم. فقال: يا جعفر إذا أنا متّ فغسّلني، وكفّني، وارفع قبري أربع أصابع، ورشّه بالماء، فلما خرجوا. قلت: يا أبت لو أمرتني بهذا صنعته، ولم ترد أن أدخل عليك قوماً تُشهدهم. فقال: يا بني أردت أن لا تنازَع - أي لا تنازع في الإمامة والخلافة من بعدي متى علموا أنّك وصيّي -»[5].

---

(١) في المصدر [هناك].

(٢) البقرة: ١٣٢.

(٣) في المصدر [تسهد].

(٤) الكافي ١: ٣٠٧ / ح٨، باب الإشارة والنصّ على أبي عبدالله الصادق عليه السلام.

(٥) المصدر السابق ٣: ٢٠٠ / ح٥.

وروى الكليني في الكافي بسنده عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : «كتب أبي في وصيته أن أكفنه في ثلاثة أثواب، أحدها رداء له حبرة، كان يصلّي فيه يوم الجمعة، وثوب آخر وقميص، فقلت لأبي لم تكتب هذا؟ فقال : أخاف أن يغلبك الناس. وإن قالوا :كفّنه في أربعة أو خمسة فلا تفعل، وعمّمني بعمامة»(١). وليس تعد العمامة من الكفن إنّما يعد ما يلف به الجسد .

وروى الكليني في الكافي بسنده : إنّ أبا جعفر أوصى بثمانمئة درهم لمأتمه، وكان يرى ذلك من السنة لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال : «اتخذوا لآل جعفر طعاماً فقد شغلوا»(٢)

---

(١) الكافي ٣: ١٤٤ / ح٧.

(٢) المصدر السابق ٣: ٢١٧ / ح٤.

الفهرس

سيرة الإمام الحسن المجتبى عليه السلام

سيرة الإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام

سيرة عليّ بن الحسين زين العابدين الإمام السجاد عليه السلام

سيرة الإمام محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام